DAMAGE BOOK

UNIVERSAL
LIBRARY

OU_190903

UNIVERSAL
LIBRARY

المقتطف



المقتطف

مجلة علمية صناعية زراعية



لمنشئيها

الدكتور يعقوب صروف و الدكتور فارس نمر

رئيس تحريرها : فؤاد صروف

قيمة الاشتراك — في القطر المصري جنيه مصري واحد . وفي سورية وفلسطين والعراق ١٢٠ غرشاً مصرياً وفي الولايات المتحدة ٦ دولارات اميريكية وفي سائر الجهات ٢٦ شلناً

اشتراك الطلبة والمدرسين — قيمة الاشتراك للاساتذة والطلبة الذين يرفقون طلبهم بقيمة الاشتراك وبشهادة من رئيس المدرسة تكون ٨٠ غرشاً مصرياً في مصر و ٩٥ غرشاً مصرياً في الخارج

الاعداد الضائعة — الادارة لا تعد بتعويض المشتركين ما يضيع من اعدادهم في الطريق ولكن تجتهد ان تفعل ذلك

المقالات — لا تقبل المقالات للنشر في المقتطف الا اذا كانت لهُ خاصة ولا يعد قلم التحرير بارجاع المقالات التي لا تنشر فنرجو من حضرات الكتّاب ان يحتفظوا بنسخة من المقالات التي يرسلونها

العنوان — ادارة المقتطف بالقاهرة — مصر

AL-MUKTATAF

An Arabic Monthly Review of Current Science and Literature.

Published in Cairo Egypt

Founded 1876 by Drs. Y. Sarruf & F. Nimr

EDITED BY F. SARRUF

SUBSCRIPTION PRICE : Egypt & the Sudan 1 L.E. or 5 Dollars

Foreign Subs. 120 P.T. or 6 Dollars

مطبوعات جامعة بيروت الاميركية

دائرة الابحاث الاجتماعية

﴿مراجع ما نشر بعد الحرب العظمى عن بلدان الانتداب في الشرق الادنى﴾ لغاية ٣١ ديسمبر سنة ١٩٢٩ ثمانية اجزاء اثنان منها يتضمنان بيان ما نشر في الكتب والنشرات الدورية باللغة العربية والستة الباقية تتضمن ما نشر في اللغات الاجنبية ثمن كلّ من الجزءين العربيين مجلداً بورق ٤٠ غ . م . مجلداً بقماش ٥٥ غ.م.

﴿النظام النقدي والصرافي في سوريا﴾ للاستاذ سعيد حماده استاذ الاقتصاد العملي في الجامعة يصف جهاز النظام النقدي والصرافي وكيفية سيره مع تقدير حسناته وسيئاته في القيام بوظائفه الاقتصادية في البلاد واقتراح اصلاح عامّ على ضوء النظريات الاقتصادية الحديثة والحوادث الواقعة

صدر بالانكليزية والعربية . ثمن كل من الطبعتين : بورق ٤٠ غ.م. بقماش ٥٥ غ.م.

﴿النظام الاقتصادي في سوريا﴾ يبحث بحثاً عامّاً شاملاً في الاركان التي يقوم عليها كيان سوريا الاقتصادي بما فيه سكان البلاد ومرافقها الطبيعية وزراعتها وصناعتها وتجارتها وانظمتها المالية . اشترك في تأليفه عدد من اساتذة الجامعة مع محرّره الاستاذ سعيد حمادة استاذ الاقتصاد العملي

صدر بالانكليزية في فبراير : ثمنهُ مجلداً بورق ٦٠ غ . م ؛ بقماش ٧٥ غ . م ؛ وستصدر قريباً طبعة عربية منهُ

﴿مؤهلات الاستقلال﴾ للاستاذ ولتر هوسن رتشر استاذ العلوم السياسية في الجامعة يتضمن بحثاً دقيقاً في مؤهلات الشعوب للحكم الذاتي

صدر بالانكليزية وثمنهُ مجلداً بورق ٤٠ غ .م. بقماش ٥٥ غ . م.

وستصدر قريباً طبعة عربية منهُ

تطلب هذه الكتب من الجامعة الاميركية . بيروت . لبنان او من

Oxford University Press

الجريدة السورية اللبنانية

الجريدة الرسمية للنزالة العربية في الارجنتين

تصدر صباح كل يوم من ١٦ صفحة باللغتين العربية والاسبانية

أنشأها الاستاذ موسى يوسف عزرزه في ١٢ ك ٢ سنة ١٩٢٩

مديرها الحالي : أمين قسطنطين

رئيس التحرير المسؤول في القسم العربي : الياس قنصل

يحرر فيها نخبة من حملة الاقلام الحرَّة

عنوانها :

El DIARIO SIRIOLIBANES

Reconquista 339

Buenos Aires—Argentina

مجلة الشرق

ادبية سياسية مصورة

انشئت للدعاية عن الشؤون البرازيلية ومآتي النزلاء الشرقيين في البرازيل تصدر باللغة العربية مرتين في الشهر — صاحبها ومحررها الاستاذ موسى كريم ويشترك في تحريرها طائفة من اكرادباء العربية في البرازيل وبدل اشتراكها ٢٠٠ قرشاً صافاً

وعنوانها : Journal Oriente

Caixa Postal 1402, Sao Paulo, Brazil

الاصلاح

مجلة ثقيفية علمية

تصدر مرة في الشهر في بونس ايرس عاصمة الارجنتين

لصاحبها ومنشئها الدكتور جورج صوايا

عنوانها شارع سان مرتين ٦٤٠ بونس ايرس

كتاب فلسفة اللذة والالم

ارسطبس وشيعته : اصحاب المذهب القوريني

في فلسفة اللذة والالم ، مع لمحة الى تاريخ المذهب وتطوره منذ نشأته الى الآن ،

مشفوعاً بمقارنات شتى تدور حول اتخاذ اللذة الشرهة أساساً للسلوك

تأليف

اسماعيل مظهر

عضو المجمع المصري للثقافة العلمية

نشرتهُ مكتبة النهضة المصرية ويطلب منها

المجلة الجديدة

يحررها سلامه موسى : للتثقيف قبل التسلية

يصدر منها عدد شهري في ١١٢ صفحة كبيرة . نزعتها التجديد

في الادب والاجتماع والاقتصاد

ويصدر منها عدد اسبوعي في ٢٤ صفحة كبيرة يحتوي على مواد سهلة

للتثقيف قبل التسلية

الاشتراك سنة في العدد الشهري ٤٠ قرشاً في مصر والسودان

و٥٥ قرشاً في الخارج

الاشتراك سنة في العدد الاسبوعي ٢٥ قرشاً في مصر والسودان

و٥٠ قرشاً في الخارج

١٢ شارع نوبار — مصر

قائمة سلسلة المطبوعات العصرية

التي عنيت بنشرها « ادارة المطبعة العصرية » بشارع الخليج الناصري رقم ٦ بالفجالة بمصر

ص	
٣٥	القاموس العصري انكليزي عربي (صعمة ثانية)
٧٠	« « « « (طبعة ثالثة)
٧٠	« « عربي انكليزي (طبعة ثانية)
٣٥	« المدرسي عربي انكليزي وبالعكس
٣٠	قاموس الجيب عربي انكليزي وبالعكس
٢٠	« « عربي انكليزي فقط
١٥	« « انكليزي عربي فقط
٧٠	« سفراط سميرو عربي انكليزي (بالنقط)
٥٠	« « « انكليزي عربي (بالنقط)
١٠٠	« « « « وبالعكس
١٠	التحفة المصرية لطلاب اللغة الانكليزية (مطول)
١٢	الهدية السنية لطلاب اللغة الانكليزية (بالنقط)
١٠	الكملة المالي (لتعليم الاطفال بسهولة)
١٥	في اوقات الفراغ (للدكتور محمد حسين هيكل بك)
١٠	عشرة ايام في السودان « « «
١٢	مراجعات في الادب والفنون للاستاذ عباس العقاد
١٥	روح الاشتراكية (لموستاف لوبون) وترجمة (الاستاذ محمد عادل رعيتر)
١٥	روح السياسة « «
١٠	الآراء والمعتقدات « «
١٠	اصول الحقوق الدستورية «
٨	الحضارة المصرية (لموستاف لوبون)
١٥	حضارة مصر الحديثة (تأليف كبار رجال مصر)
١٠	الحركة الاشتراكية (لرمسي مكدونالد)
١٥	ملقى السبيل في مذهب الشيوعيين والارتقاء
٨	اليوم والغد (للاستاذ سلامه موسى)
١٠	مختارات « « «
٨	نظرية التطور وأصل الانسان « «
١٢٠	اناتول فرانس في مباذله (للاميرشكيب ارسلان
١٥	الدنيا في اميركا (للاستاذ امير بقطر)
١٠	المرأة الحديثة وكيف تسوسها (عبدالله حسين)
١٠	جريمة سلفستر بونار (اناتول فرانس)
٥	المرأة بين الماضي والحاضر
٥	مركز المرأة في شريعتي موسى وحمورابي
١٥	حصاد الهشيم (للاستاذ ابرهيم عبدالقادر المازني)
١٠	قبض الريح (« « « « «)
٨	نسمات وزوابع شعر منثور ومنظوم
١٠	رسائل غرام حديثة (سليم عبدالواحد)
١٠	الغربال في الادب العصري (مجاميل نعيمة)
٥	حكايات للاطفال ٧ اول (مصور بالالوان)
٥	« « ثاني « «
٥	« « ثالث « «
٥	تذكرة الكاتب طبعة منقحة لاسعد خليل داغر
٢٥	جمهورية افلاطون (للاستاذ حنا خماز)
٦٥	مراقي النجاح (الارشمندريت بشير مريم الحداد (عن ريمس ممتلكاته)

ص	
١٠	التربية الاجتماعية (للاستاذ علي فكري
٥	حواء بن حمار (للاستاذ الجمل)
٥	التعليم والصحة للدكتور محمد بك عبد الحميد
١٥	الحب والزواج (للاستاذ نقولا حداد)
١٥	ذكرا وانثى خلقهم « « «
٥٠	علم الاجتماع (جبران كبران) « «
١٥	اسرار الحياة الروحية « «
٣٠	الامراض التناسلية وعلاجها للدكتور بحري
٢٠	المرأة وفلسفة التناسليات « «
٢٠	الضعف التناسلي في الذكور والاناث «
١٥	لرسقه الحمراء (للاستاذ احمد الصاوي محمد)
١٠	ابيس « « « «
٥	مكايد الحب في قصور الملوك (اسعد خليل داغر)
١٠	القصص العربية (٨٠ قصة كبيرة مصورة)
١٠	مسارح الادهان (٣٥ قصة كبيرة مصورة)
١٢	رواية اهوال الاستبداد ٦ مصورة
١٠	« فاتنة المهدي ٦ او استعادة السودان
٨	« الانتقام العذب (اسعد خليل داغر)
٥	« فقر وعفاف (للاستاذ احمد رأفت)
١٢	« ماريزيت ٦ مصورة (توفيق عبد الله)
١٢	« عذراء الراهب او الساحرة المجدورة
٧٥	« روكامبول ٦ ١٧ جزء (طانيوس عبده)
٢٥	« ابن روكامبول ٦ ٥ اجزاء «
٢٠	« ناردليان ٦ ٣ اجزاء «
٢٠	« الملكة ايرانو ٤ اجزاء «
٢٠	« الاميرة فوستا ٦ جزآن «
٢٠	« حشاق فينيسيا ٦ جزآن «
١٦	« الساحر الاعظم ٤ اجزاء «
١٦	« كابيتان ٦ جزآن «
١٦	« الوصية الحمراء ٦ جزآن «
١٦	« بائعة الخبز «
١٢	« فلمسرج ٦ جزآن «
١٠	« فارس الملك «
١٠	« ضحايا الانتقام «
٨	« المرأة المفترسة «
٥	« المتسكرة الحسناء «
٥	« عروسة الاسود «
٥	« شهداء الاخلاص «
١٦	« دار العجائب جزآن (نقولا رزق الله)
١٠	« فرسنوا الاول « «
١٠	« الخنون فنون « «
٨	« حورية « «
٨	« الغلامان الطريدان « «
١٢	يسوع ابن الانسان جبران خليل جبران)
٥	النبي (« «
٥	آلهة الارض (« «

جائزة اسعد باسيلي باشا

لذكرى الدكتور يعقوب صروف

مائة جنيه مصري

الجائزة الاولى — خمسون جنيهاً

الجائزة الثانية — ثلاثون جنيهاً

الجائزة الثالثة — عشرون جنيهاً

الموضوع المقترح

العشرة المقدمونه

في تاريخ الفكر العربي

اذا وهب واهب سخي مبلغاً كبيراً من المال لتشييد بهِ صرحاً فخماً يضمُّ بين جدرانهِ كل ما خلَّفهُ عشرة من الرجال، كانوا مقدّمي رجال الفكر العربي في تاريخه المجيد، وتتصل بهِ مدرسة لدراسة آثارهم خاصة، فمن نضع فيهِ ؟

١ — الموضوع يقتصر على الادباء والفلاسفة والعلماء

٢ — لا يجوز ادخال رجال الدين ولا رجال السياسة والحرب

٣ — لا يجوز الاختيار من الذين على قيد الحياة

لقد اجمع كلّ من عني بدراسة الحضارة العربية على انها حفظت مصباح المعرفة منيراً في اشد العصور ظلمة، واضاف اقطابها الى كنوز المعرفة كنوزاً جديدة لا تقوّم بمال، وقد ظلّ اثر بعضهم حيًّا في معاهد اوربا الى مطلع العصر الحديث تدرّس مؤلفاتهم فيها بعد نقلها الى لغات الافرنج، ولا يزال اثرهم موضوع مباحث مستفيضة يقف عليها اقطاب العلماء في الشرق والغرب جل وقتهم وجهدهم

فمن هم مقدّموهم إبداعاً وأثراً ؟ سواء منهم المسلمون والمسيحيون ، والنساطرة واليهود، والفرس والعرب والمغاربة . فكل فيلسوف وكل عالم كتب باللغة العربية يجوز اختياره لهذا الصرح ، وطبعاً كلّ اديب ؟

والحكم يكون على إحسان الاختيار من جهة ، وإحسان اقامة الدليل على وجوب هذا الاختيار من جهة اخرى . فاختيار عشرة من الرجال وسرد تاريخهم لا يكفي بل يكون الاعتماد على تبين الميزة في الرجل المختار ، وأثره في ناحية من نواحي ارتقاء الفكر العربي

وقد نشرنا في العدد الماضي مقالاً لكاتب اميركي في «اعظم المفكرين في التاريخ» نحسبهُ نموذجاً صالحاً لما نقصد

شروط المباراة

١ — لا يتجاوز طول الرسالة ست عشرة صفحة من المقتطف

٢ — آخر موعد لقبول الرسائل يوم ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٣٧

٣ — كل رسالة توقع باسم مستعار او برقم ويوضع الاسم الكامل مع العنوان داخل ظرف صغير مختوم . وادارة المقتطف تتعهد بان لا تفتح هذه الظروف الاّ بعد صدور الحكم وفي اجتماع لجنة المحكمين

٤ — تعلن اسماء اعضاء اللجنة المعيّنة للحكم في المقتطف الصادر في اول نوفمبر سنة ١٩٣٧ وقرارها نهائي

٥ — يحق للمقتطف نشر الرسائل التي تدخل المسابقة اما على صفحاته وإما في كتاب على حدة

٦ — يستشار اصحاب الرسائل التي لا تفوز باحدى الجوائز من حيث رغبتهم في اظهار اسمائهم أو الاكتفاء باسماء مستعارة عند النشر

٧ — جميع الرسائل يجب ان تكتب واضحة بالحبر او بالآلة الكاتبة وعلى صفحة واحدة من الورق وان ترسل مسجلة باسم

فؤاد صرّوف : رئيس تحرير المقتطف

صورة تمثال الدكتور يعقوب صروف
بعير قاعدته وهو التمثال الذي ازيح عنهُ
الستار في جامعة بيروت الاميركية في ٢٠
يو يو الماضي (راجع وصف الحفلة صفحة
٧٨ من هذا العدد)



المقتطف

الجزء الثاني من المجلد الحادي والتسعين

١ يوليو سنة ١٩٣٧ — ٢٢ ربيع الثاني سنه ١٣٥٦

عمل الانسان

بين الكيمياء والكهرباء

— ١ —

لا بدّ للجسم الحيّ من انفاق الطاقة ، في حالتي يومهِ ويقظتهِ ، وراحتهِ وعمله ، لا يغنيهِ عنها معهِ . فهو بهذا الوصف آلة لا بد لها من الوقود

نعم ان حدود هذا الانفاق متباينة . فالمرء اذا استيقظ في الصباح ، بعد نوم دام سبع ساعات او ثماني ساعات ، وظل مستلقياً على سريره جسمهُ وعضلاتهُ في حالة راحة تامة ، وعقلهُ غير مضطرب ولا قلق ، ومعدتهُ خالية لم يدخلها الطعام بعد عشاء الليلة السابقة ، كان اقل ما يكون حاجة الى الطاقة وأقل ما يكون انفاقاً لها ، ولكن لا بد لهُ من يسيرٍ منها على كل حال . ومقدار الطاقة التي يحتاج اليها في هذا الوضع يعدل في المتوسط وحدة حرارية واحدة (Calorie) في الدقيقة وستين وحدة حرارية في الساعة ، وهذه الطاقة تعدل الطاقة المستخرجة من احتراق قطعتين صغيرتين من السكر في ساعة

هذا المقدار من الطاقة ، هو اقل ما نحتاج اليهِ منها . فهو يكفي لبقاء اعضاء الجسم قائمة بوظائفها ، اذا لم نحملها عبئاً خاصًّا بالنهوض والمشي والتمرن الرياضي وغير ذلك من مختلف ضروب الحركة . فمجرد الجلوس في السرير يقتضي زيادة هذا المقدار من الطاقة المستعملة ، خمسة في المائة ، والوقوف عشرة في المائة ، والمشي الحثيث مائتين في المائة

هذا الموضوع اي موضوع ما يحتاج اليه الجسم من الطاقة ، في حالي الراحة والحركة ، كان مداراً لبحوث مستفيضة ، في معمل التغذية التابع لمعهد كارنيجي الاميركي ، وقد عمد الدكتور بنديكت وأعوانهُ ، الى قياس ما يحتاج اليهِ الانسان وبعض الحيوانات كذلك ، من الطاقة وهم في احوال وأوضاع مختلفة ، وغرضهم ان يتبينوا العلاقة بين مظاهر النشاط التي يمكن ان تقاس — كمقدار ما يستهلك من الاوكسجين او يزفر من ثاني اكسيد الكربون — ونشاط الجسم نفسهِ. وصنعوا لذلك حجراً محكمة الاقفال لا يدخلها شيء ولا يخرج منها شيء ، ولكنها تصلح مع ذلك لمعيشة بضعة افراد اياماً متوالية ، يأكلون وينامون ويعملون ويلعبون فيها ، والآلات تقيس ما يستنشقونهُ وما يزفرونهُ والحرارة التي تشع من اجسامهم . ووجد الدكتور بنديكت ان ما يستهلكه الجسم من الاوكسجين ، دليل تامّ على سائر العوامل ، فقصر بحثهُ عليهِ ، واستنبط لذلك خودة محكمة ، وأجهزة اخرى يسهل تنقيلها ، لقياس ما يستهلكه الشيوخ من الاوكسجين في دورهم ، والعمال في معاملهم ، والنساء امام لوح الكيّ او موقد الطهي

وقد خرج الدكتور بنديكت من هذه المباحث ، بأن الرجل المعيّ يعمل كتابي يحتاج الى ٢٥٠٠ وحدة حرارية في النهار ، لتجهيزه بالطاقة اللازمة لاعمال جسمهِ الاساسية بحيث يستطيع ان يمضي في عملهِ ، اما حاجة العمال اليدويين فاكثر . فالفلاح يحتاج الى ٣٥٠٠ وحدة حراريه على المتوسط ، والحطاب الى ٧٠٠٠ ومحترف السباق بالعجلة (الدرّاجة) الى ١٠٠٠٠ في يوم سباق

واذا كانت افعال الجسم تحتاج الى الطاقة هذا الاحتياج الظاهر ، فماذا يقال في افعال العقل ؟ ان العالم الذي يشتغل بحل معضلة رياضية معقدة ، او الطالب الذي يقضي ثلاث ساعات في الاجابة عن اسئلة امتحان صعب ، او السياسي الذي يقضي ساعات في مؤتمر يعالج مشكلات دقيقة تقتضي العناية بالمبدأ ويلازم الحكم فيها تبعة كبيرة — من من هؤلاء لا يخرج من عملهِ وهو يحسّ انهُ منهوك القوى ، خابي النشاط ؟ ليس ثمة ريب في ان افعال العقل ، تورث صاحبه تعباً كأفعال العضلات

فاذا صحّ ذلك ، فما مقادير الطاقة المختلفة التي يحتاج اليها المرء ، في اعمالهِ العقلية المختلفة ؟ واذا كان الموظف في مكتب هذه المحلة يحتاج الى ٢٥٠٠ وحدة حرارية ، ليتمكن من القيام بالاعمال العادية المطلوبة منهُ فما المقدار الاضافي من الطاقة الذي يحتاج اليهِ ، اذا عهد اليهِ في معالجة مشكلة معقدة مع احد الوكلاء ؟ هذه هي المسألة التي عرض لها الاستاذ بنديكت في التجربة التالية

اختار الباحث — وكانت زوجهُ تساعدهُ — سيدة وستة رجال لتجربة التجارب فيهم . كانت السيدة قد احترفت مراجعة الحسابات . وكان خمسة من الرجال من خريجي الجامعات وكان اثنان منهم من اصحاب المناصب العالية في معاهد التعليم فالمفروض فيهم انهم جميعاً مدربون على الاشغال العقلية . وكانوا جميعاً ممتعين بالصحة الكاملة

جرى البحث خلال ايام متوالية في الصباح . ففي الساعة ٨ : ٣٠ كانوا يفدون على مقر التجربة من دون ان يتناولوا طعام الفطور ذلك لانهُ عندما يدخل الطعام المعدة ينشأ التفاعل الكيمياوي في الجسم من تلقاء نفسه ، لان عملية الهضم تحتاج الى طاقة . فاجتنباً لذلك قبلوا جميعاً ان يصوموا كلّ يوم حتى الظهر اي حتى تنتهي تجربة ذلك اليوم

عند وصولهم كان كلٌّ منهم يلبس تلك الخوذة الخاصة بقياس النشاط الجسماني ، عن طريق الاوكسجين الذي يستهلك وثاني اكسيد الكربون الذي يزفر والحرارة التي تشعُّ . وتبقى الخوذة على رأس كلّ منهم من ثلاث ساعات الى اربع ساعات متوالية ، ولكن الفترات التي يطلب اليهم فيها بذل نشاط عملي كانت لا تزيد على ربع ساعة كل مرة بينها فترات للراحة

اما التجربة فكانت كما يلي : يجلس الرجل — او السيدة — في وضع يقتضي من جسمه اقل جهد عضليّ ، ويحتفظ بهذا الوضع في اثناء التجربة والغرض من ذلك اجتناب كل ما يتطلب من الجسم انفاق طاقة خاصة لغرض جسماني . واذ يكون الرجل في هذا الوضع المريح ، ولا شيء يشغل عقلهُ ، يقاس ما يستهلكه من الطاقة . ثم يطلب اليه ان يحلّ مسألة رياضية . وفي اثناء اشتغاله بحلّها يقاس كذلك ما يستهلكهُ من الطاقة . والمسألة الحسابية العالية كانت ضرب عدد مؤلف من رقمين في آخر مؤلف من رقمين ، كضرب ٣٧ في ٢٩

ولم يسمح لاحد باستعمال ورق وقلم ، لان استعمالهما يقتضي استعمال عضلات الاصابع والذراع ، فيختلط النشاط العضلي الناشيء عن الكتابة بالنشاط العقلي الناشيء عن التفكير في حل المسألة ، وتضطرب النتيجة . فاذا حلّت المسألة واراد صاحبها ان يعلنها كلاماً ، اضطرّ الى تحريك الشفتين وعضلات الفكين ، وهذا يقتضي انفاق الطاقة العضلية كذلك ، ولذلك اتفق المجرّبان مع السيدة والرجال الستة على انهُ اذا انتهى احدهم من حلّ المسألة لمس زرّاً كهربائيًّا دقيق الاحساس في متناول سبابته بحيث يكون اللمس نتيجة لاقل حركة ممكنة من حركات السبابة ، فيعلم المجرّب ان المسألة قد حلّت ولا حاجة الى اعلان النتيجة فيكتفي باشارة كلٍّ منهم انهُ حلّها وكلهم ممن يعتمد عليه ويوثق به

فاذا انقضت تجربة الصباح ، شعر كلٌّ من هؤلاء أنهُ متعب معيٍ ، معتقداً ان التحطيب او كنس الشوارع أهون على الجسم من بضع ساعات من النشاط العقلي

ولكن مع ذلك ، لم تدل الاحهزة على ان أجسام هؤلاء القوم أنفقت من الطاقة في حالة النشاط العقلي أكثر مما كانت تنفقهُ في حالة الراحة العقلية الاَّ يسيراً جدًّا . اذ لم تبلغ الزيادة في استهلاك الاوكسجين الاَّ ثلاثة أو أربعة في المائة . يقابل هذا انهُ في أثناء الاشتغال بالمسألة الحسابية ، زاد نشاط القلب والرئتين ، والاستاذ بنديكت يعتقد ان هذه الزيادة تفسر الزيادة في

المستهلك من الاوكسجين . فانهُ يقول ، ان تجربتهُ لم تدل على ان النشاط العقلي يقتضي انفاق طاقة جسمانية ، كما تقتضيهِ كل حركة من حركات الجسم ، حتى احتلاج الجفن

حتى اذا سلمنا بان هذه الزيادة في ما استهلك من الاوكسجين نشأت عن النشاط العقلي ، كانت زيادة لا تذكر لانها تمثل أربع وحدات حرارية في الساعة ، وهو مقدار من الطاقة يستخرجهُ الجسم من اكل فلفة حبة من الفول السوداني

ولكن اذا حسبنا حساباً لعدد الخلايا التي يشملها الشغل العقلي الخاص بحل هذه المسألة الحسابية بالقياس الى خلايا الجسم ، كانت الطاقة المستخرجة من فلقة حبة من الفول السوداني شيئاً كبيراً . فقد كتب الفسيولوجي النمسوي الدكتور اربولد دوريج Durig الى الاستاذ بنديكت ، ان عدد الخلايا الدماغية التي شملها النشاط العقلي في حل هذه المسألة الحسابية لا يزيد ورنها على سبعة جرامات وهو جزء من عشرة آلاف جزء من وزن جسم الانسان اذ حسبنا ان وزنهُ يبلغ سبعين كيلوغراماً . فاذا كان هذا الجزء الصغير من جسم الانسان يسبب زيادة قدرها ٣ — ٤ في المائة في نشاطهِ الحيوي ، فيجب ان يكون نشاط خلايا الدماغ أشدّ وأعظم من نشاط سائر خلايا الجسم

بل يصحّ ان نقول ونحن واثقين ان النشاط العقلي يقتضي تمثيلاً حسمانيًّا لان كلّ ما يمنع وصول مقادير كافية من الدم الى الدماغ وما يحمله من أوكسجين وسكر وغيرهما ، يظهر اثرهُ في اضطراب العقل . وقد جرب السر جوزف باركروفت الانكليزي تجربة بنفسهِ تدور حول هذا الموضوع فأقام في حجرة محكمة الاقفال عشرين دقيقة بعد ان جعل مقدار ثاني أكسيد الكربون في هوائها اكثر من ٧ في المائة قليلاً اي انهُ كان في خلال التجربة يستنشق هواء فيهِ من هذا الغاز اكثر من المقدار السويّ ، فما لبث حتى ظهرت عليهِ أعراض الاعياء العقلي اذ أصبح عاجزاً عن حصر فكره او الاصغاء الى حديث ما بغير جهد . واذا تناول صحيفة لمطالعتها عجز عن قراءة أكثر من أربعة أسطر او خمسة ، من خبر تافه ، ثم ينتقل الى غيره من دون ان يتم مطالعة خبر ما . وقد لازمهُ هذا العجز يومين بعد التجربة . وهو على حدّ قوله ، ضعف يصيب قوى الدماغ العليا . وجرب تجربة أخرى جعل فيها مقدار ثاني أكسيد الكربون في الهواء اكثر من عشرة في المائة ، ولم يلبث في الحجرة أكثر من خمس دقائق وخرج وهو يكاد لا يعي . والنتيجة التي خلص اليها باركروفت ان الافكار والقدرة على حلّ المعادلات الرياضية العالية او تقدير الموسيقى الممتازة جميعها مرتبطة بنموذج طبيعي كيمياوي يتشوش اذا كان في محيط تنتابهُ اضطرابات عنيفة

هذا النموذج الطبيعي الكيمياوي يتصف بخواص كهربائية . ففي الدماغ مناطق معرضة تعرضاً مستمرًّا لتغير مستواها الكهربائي . فاذا اختلف المستوى الكهربائي بين مناطق مختلفة من الدماغ

افضى ذلك الى تيارات كهربائية. وقد تمكن العلماء من عهد قريب ان يتبينوا طبيعة هذه التيارات فأسفر ذلك عن ان طاقة الدماغ دائمة التغير

اكتشف ظاهرة النشاط الكهربائي في أدمغة الحيوانات سنة ١٨٧٥ ولكن دراستها دراسة منتظمة ترتد الى سنة ١٩٢٩. ففي تلك السنة أخذ العالم الالماني هانس برجر — وهو من المتوفرين على دراسة الاعصاب في جامعة يينا — سلكين ووصعهما على صدغي رجل ووصلهما بأنبوب مفرغ يقوي التيارات الكهربائية الصعيفة ويضخمها ، فوجد ان التيارات المنطلقة من الجمجمة بعد تضخيمها يمكن ان تدوّن بريشة على لوحة مناسبة ، فتبدو لها حركة موجية منتظمة معقدة ، فيها أمواج متشابهة ارتفاعاً وسعة تتوالى عشراً في كل ثانية فدعاها برجر « أمواج ألفا » وثمة أمواج أسرع تواليا وأقل اتساقاً دعاها « امواج بيتا » ووجد غيره بضات أخرى ، غير منتظمة الطول والاتساق

الموضوع لا يزال جديداً ، واذا كان هناك نموذج منتظم لحركة الدماغ الكهربائية ، فهذا النموذج معقّد جدّاً ولكن اكتشاف جهاز يمكن الباحثين من قياس الاستجابة لحركة الدماغ في حالي الراحه والنشاط شجع على البحث ، ولذلك قلما نفتح مجلة علمية الاّ ونرى فيها نبأ خطوة جديدة او تحقيق جديد في هذا الموضوع من أدريان في جامعة كمبردج او من فيشر وكورنوملر في جامعة برلين ، او من جامعات برون وهارفرد في اميركا . وهذا على سبيل التمثيل فقط

والراجح عند الباحثين ان هذه التيارات التي تضخم وتدوّن صورة أمواجها ، تنشأ في قشرة الدماغ ، وهي المادة السنجابية ، التي تتركز فيها اعمال التفكير المبدع . هذه المادة السنجابية قوامها احسام الخلايا العصبية ، وقد استعرق نشؤها من الاحهزة العصبية البسيطة في الحيوانات الدنيّة عشرين مليوناً من السنين على رأي جدسن هريك الاستاذ بجامعة شيكاغو . ان مراتب تطورها معروفة بوجهٍ عام . ولكن كيف تمّ فيها عجائب التفكير المبدع ، في العلوم والفلسفة وغيرهما ، لا زال محجباً بستائر الجهل . الاّ ان الأحهزة الحديدة — ولا سيما جهاز برجر — قد تفضي الى تقدم خطير في فسيولوجية الجهاز العصبي ، على نحو ما تمّ من التقدم في دراسة التشريح بعد إكتشاف المجهر (الميكرسكوب)

على ان بين هذا الجهاز (واسمهُ العلمي «الكترو انسيفالوجراف» اي مصورة الدماغ الكهربائية) يختلف اختلافاً اساسيًا عن المجهر . فالمجهر لا يمكن الباحث الاّ من دراسة مجموعة صغيرة من الخلايا منتزعة من النسيج ومصبوغة بصبغ قد يطفيء شرارة الحياة فيها ، ولكن مصورة الدماغ الكهربائية تمكن الباحث من تناول العضو او الكائن الحيّ جملة واحدة من دون ان تعرقل عمله المألوف واساليب حياته السوية . بل لا يلزم في استعمالها ثقب الجلد . وقد اصبحت الاجهزة

الحديثة دقيقة الاحساس ، بحيث اذا وصعت قطبيها الكهربائيين على منطقتين مختلفتين من فروة الرأس استطعت ان تتبين تياراً كهربائيًّا جارياً في الدماغ من منطقة مستواها الكهربائي عالٍ الى اخرى مستواها الكهربائي منخفض . والتجربة تتم من دون ازعاج مَن تجرب فيه . بل انهُ اذا ازعج ظهرت آثار ازعاجه في صورة التيار الكهربائي الذي يتبينهُ هذا الجهاز ويصوره

وقد صنعت حجرة خاصة في احد معامل جامعة هارفرد لذلك . وصع فيها مقعد وثير ، يستلقي عليه المرء ، ولا تجرب التجربة فيه الاّ بعد ان يستلقي مرة او مرتين على هذا المقعد ويتعرف ما حواليه حتى اذا جربت التجربة كان مستريح الجسم والبال من كل ناحية . وهذا ضروري ، لان صورة التيار الكهربائي الصادر من دماغه والملتقط من فروته ، يختلف في النوم عنهُ في اليقظة ، وفي الاضطراب او انشغال البال عنهُ في الراحة . فاذا استلقى المرء على هذا المقعد وصع القطبان الكهربائيان ملامسين لفروته ، ويمتدّ منهما سلكان الى سلسلة من مضخمات التيار ، ثم يحرك التيار المضخم ابرةً في جهاز خاص ترسم على شريط متساب ، امواجاً

في بدء التجربة يؤمر بأن يستلقي ويغمض عينيه وان لا يشغل عقله بشيء معين فترسم الريشة على الشريط ، امواجاً من انتظام معين ، ثم يؤمر بان يضرب رقم ١٨ في ١٢ مثلاً فلا يكاد يشرع في ذلك حتى يتغير انتظام الامواج ، هنا الامواج اقصر واسرع توالياً ، فكأن حشد الدماغ لقدرته الواعية عند التفكير في معضلة معروضة عليه أثرت في التيار الصادر منهُ وقد دامت هذه الحالة بضع ثوان ، ثم اخذت صورة الامواج تعود الى ما كانت عليه في حالة الراحة . وبعد قليل اضطربت الابرة ثانية فقصرت الامواج واسرع توالياها كأن الدماغ عاد الى نشاطه . والواقع انهُ عاد الى نشاطه . ذلك ان الرجل الذي اجريت عليه هذه التجربة سئل في ذلك فقال انهُ بعد ان ضرب العددين ، استراح الى اتمام العمل ، ثم عاد فاضطرب اذ خطر لهُ ان الجواب قد يكون خاطئاً فأعاد الكرّة على عملية الضرب

وقد استعمل هذا الاسلوب للبحث في حالات مختلفة من حالات الوعي ، والنتائج العامة التي خلص اليها الباحثون ، ان انتظام « امواج الفا » ينقطع عند ما يشتغل الدماغ بحل مسألة معينة وعند ما يؤمر المرء بان يتنبه وعند ما يفتح عينيه او تكون الحجرة مضاءة

وقد جربت تجارب اخرى ظهر منها ان « امواج الفا » تكون اشد وضوحاً عند ما يكون احد القطبين على الفذال امام المركز الخاص من الدماغ الذي يتأثر برسائل عصب البصر ، وكأن « امواج الفا » هذه متصلة اتصالاً لم يفهم بعد بالبصر

ا للبحث تتمة نتناول فيها ما يتعلق بظاهرات الدماغ الكهربائية خلال النوم وتأثير العدد الضم ومرورانها

أنصير مه أجل الرقي غبارا ؟

خطرة شعرية فلسفيه للمرحوم

الركتور يعقوب صروف

ما الحياة ؟ اين كان الاحياء قبلما ولدوا والى اين يمضون بعد ما يموتون ؟ وما الحكمة في هذا الخلق ؟ لمادا يولد مائة طفل فلا يبلغ العشرين ثلاثون منهم ولا يبلغ الخمسين عشرة ولماذا تبيض السمكة مليون بيضة فلا يبلغ الاّ اثنان من اولادها اشدها وتثمر الشجرة الوفاً من الاثمار قلما يتفق لاحدى بزورها ان تنبت وتخلف نسلاً . وعلى مَ تظهر الازهار والرياحين في الغابات والادغال حيث لا تراها عين انسان ولا يتمتع بها ذوق حيوان

يحيك العالم الطبيعي بسلسلة من العلل والمعلولات مفادها ان كل حلقة من حلقات الوجود متصلة بغيرها وان الغرض منها ترقية الاحياء بنوع عام . يقول لك ان قوى الطبيعة وميكروباتها تجتمع على عناصر الجماد فتحللها وتركبها وتجعلها غذاء للنبات فينمو بها ويصير غذاء للحيوان . وكلما سقطت ورقة او بنت شجرة اقبلت عليها الميكروبات فحللتها وأعادتها الى التراب غذاء لما يخلفها . وكلما مات حيوان انحلّ جسمهُ وعاد الى الارض والهواء غذاء للنبات وان لم يمت أكلهُ غيرهُ من الحيوان غذاء لهُ . وانواع النبات والحيوان ترتقي جيلاً بعد جيل وقرناً بعد آخر بحسب النواميس الطبيعية القاضية ببقاء الأصلح للبقاء . والانسان غير مستثنى من ذلك بل تجري عليه نواميس الطبيعة كما تجري على غيره . يولد معرَّضاً للآفات الطبيعية فتتغلب عليه أو يتغلب عليها ويموت من غير نسل او يخلف نسلاً وتتوالى الاعقاب والاحقاب والارتقاء مستمرٌّ وما الفرد سوى دقيقة في جسم هذا الوجود يقوم به جزء من أجزاء هذا الرقي . هذه خلاصة أقوال العلماء الطبيعيين. فهل كشفت الغطاء عن سر الوجود وازاحة الستار عن معنى الحياة ؟

وقف كاتب هذه السطور عند هذا الحد وأطلق للخيال العنان فلم يرَ أمامهُ الاّ ظلاماً دامساً فارتدّ على نفسه وهو يقول

عفت اليراع سآمةً وفرارا ... من بادرات تلجم الأفكارا
وخرجت في ليل كأن نجومهُ ... احداق قصور أصابت نارا
حبتُ الجزيرة لا أرى لي مؤنساً ... والنيل حولي لا يزيل أوارا
حتى بدا نور الصباح فشمتهُ ... نور الهدى فأتيتهُ محضارا
وطلبت عن هذا الوجود وسره ... كشفاً يزيح عن الوجود ستارا
فأجابني سرُّ الوجود صحيفة ... طويت فقلت انشر امنت عثارا

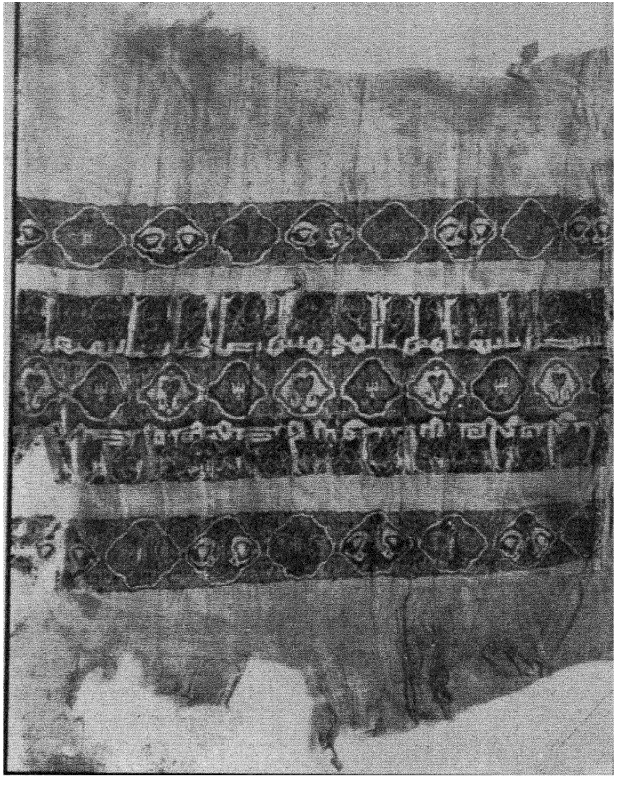
فتشتُ عن سرّ الوجود وقصده وسألتُ عنهُ النطس والاحبارا
طالعتُ ما كتبوا فما من مقنع وكتبت ما قالوا فلستُ أُماري
اسماك هذا النيل لا تحصى وفي تاريخها قد جازت الادهارا
عاشت وماتت بين حبٍّ او قلًى تحنو وتقسو لاهوًى لا ثارا
حرباً وسلماً واعتداء واحتكا ما لا ترى منها لها انصارا
وطوائف الاحياء يعيي وصفها قسّ البيان وعدّها المعدارا
من مثل مكروب حقير لا يرى او مثل تمساح طوى الانهارا
والنيل قُل ما شئت في تعظيمهِ نهر جرى كي يدرك الابحارا
لو الف بل جُمّعت ما ماثلت من اوقيانوس واحد معشارا
بحر خضمٌّ والخلائق ملئهُ تبغي البقا والى الفنا تتبارى
كانت كذلك في العصور الغابرات المبقيات على الصفا آثارا
منها تولّدت الصخور وطالما قلب غدا صخراً وماء عارا
والطير في انواعها وضروبها سامت ذكاءً تحلّقاً ومطارا
اسرابها تغدو وتقطع رُحّلاً خوف الردى والى الردى تتحارى
وبنات هذي الارض من أرز الى زوفا يبيد وان يعش اعصارا
فعلى مَ هذا الخلق ان كان الفناء مصيره والناس فيهِ تبارى ؟

فأجابني ركز خفيٌّ قائلا اسمعْ وقلْ قولي «امنتَ مثارا»
هذي الخلائق كلهنّ دقائقٌ والكون من مجموعها قد صارا
والفرد فيها ليس من مجموعها الاّ هباءً او قذًى مذارا
ورقيُّ هذا الكون يستدعي اندثار دقائق وبقاية ما صارا
هذي تعاليم الفلاسفة الاولى جعلوا دجى الليل البهيم نهارا

أتموت في سبل الرقيّ صحيحة ؟ وتصير من اجل الرقيّ غبارا ؟
نورَ الخلائق مصدر النور الذي يهدي السكوا كب في الليل مدارا
ان لم تنر عقل ابن آدم لم يجد نور الهدى بل زاد عنك بعارا
فاهدِ ايا نور البصائر معشراً تخذوا الحقيقة حلةً وشعارا
انضوا عوامل عقلهم فتثلمت واستوقفوا المبغى فزاد فرارا
ظلّم وبور العقل قصر عن هدًى وبعير بورك لا يشيم منارا



قطعة من نسيج غليظ أبيض عليها بالاسود رسم نباتي من عهد
احمد بن طولون (٤٥٤هـ — ٨٦٨ م)



قطعة من الكتان باسم الخليفة الفاطمي المستنصر بالله ٤٢٧—٤٨٧هـ
(١٠٣٥—١٠٩٤م) بها جامات معينة الشكل—بكل جامة طائران متقابلان
بألوان مختلفة من أحمر وأصفر وأزرق وأسود وفي الوسط سطران من الكتابة الكوفية

المنسوجات الأثرية

في مصر الاسلامية

ملخص بحث بالفرنسية للاستاذ جاستون فييت
مدير دار الآثار العربية بالقاهرة
نقله محمد عبد العزيز مرزوق مدرس بمعهد الآثار الاسلامية بالجامعة المصرية

لم يحاول العرب ، منذ ان استقر بهم المقام في مصر ، تغيير مجرى الحياة في البلاد الا قليلاً ولم يكن ما احدثوه فيها من التغيير الا وليد الظروف التي احاطت بهم ، بل ولم يأت هذا التغيير، دفعة واحدة وانما كان تدريجيًا طبقاً لما اقتضتهُ طبيعة الاشياء من ضرورة اجراء بعض التعبيرات التي كان لا بد لهم من ادخالها

ولقد رأوا بثاقب نظرهم، وحسن تقديرهم للامور انهُ اجدى عليهم ان يثبتوا اركان النظم البيزنطية التي كانت سائدة في جميع نواحي الحياة تقريباً وقت الفتح من ان يكدوا ادهانهم في استنباط نظام جديد

ولهذا فالفتح العربي لمصر لم يقطع في الواقع ، سلسلة التقدم في حياتها الاقتصادية او نهضتها الصناعية، بل لقد احتفظت مصر تحت ظل العرب بتلك المكانة التي احرزتها من وراء موقعها الجغرافي الفذ ومما كان لها من منتجات خاصة اكسبتها شهرة عالمية وكفلت لها مقاماً ممتازاً بين الامم القديمة

وقديماً ازدهرت صناعة النسيج في مصر ، وعرف العرب المنسوجات المصرية واعجبوا بها ، وكانت لها في آدابهم شهرة واسعة ، بل واتخذوها رمزاً لدقة الصنع ونقاء البياض

ويحدثنا المقريزي ، فيما يحدثنا بهِ ، عن تلك الهدية الثمينة التي بعث بها المقوقس الى النبي صلى الله عليهِ وسلم فاذا من بينها قماش منسوج في مصر وقد استعمل فيما بعد في تكفين جثته الطاهرة

وعلى الرغم من ان صناعة النسيج من أهم الصناعات التي يتجلى فيها الترف بكل معناه ، فلم يحاول الاسلام قط العمل على الحط من شأنها او الرجوع بها الى حالتها الاولى من البداوة ، بل ان التقاليد الاسلامية نفسها كانت في الواقع اكبر معين على بلوغ تلك الصناعة تحت ظل المسلمين درجة من الكمال قلما نجدها ممثلة في ناحية اخرى من نواحي الفن الاسلامي . اذ كاد الخلفاء جميعاً ان يضمنوا لمصر احتكار نسيج كسوة الكعبة الشريفة مما عاون على تطور هذه الصناعة ، وكان من شأنهِ ان يكفل لها اضطراد التقدم والرقي

ولقد استمر صناع النسيج المصريون في العصر الاسلامي على ما كانوا عليهِ من قبل من استلهام المدنيات القديمة في هذا الفن شأنهم . في ذلك كشأنهم في جميع الفنون الاخرى . ذلك لأن العرب لم تكن لهم تقاليد فنية في هذا المجال ، وكان كل ما عرفوه في فارس والشام من تلك التقاليد معروفاً فعلاً لدى المصريين ، اذ كان الفن القبطي — والاسلام لم يغير فيهِ من شيء — مشرّباً بالكثير من تلك التأثيرات الفنية ولا سيما الساسانية منها

على ان مصر وان كانت قد استعارت من فنون الامم الاخرى الشيء الكثير ، فان هذا ما منعها قط من ان تهضم ما استعارتهُ ، وتتمثله جيداً ، ثم تخرجهُ لنا فنّاً مصريًّا خالصاً يبهرك بروائهِ ويستحوذ عليك بجماله ويرغمك على ان تقر له بمصريته . فللاقمشة الأثرية المنسوجة في مصر مميزات عامة ولها طابع خاص بها ناطق بانتمائها الى اصل واحد . حتى انهُ ليكاد يصبح من اليسير علينا بعد خبرة قصيرة ان نتعرف عليها بسهولة وان لا نخلط بينها وبين الاقمشة الفارسية او اليمنية او الاندلسية

ولكن اذا التبس علينا الامر ، وعجزنا عن التمييز فثمة ملجأ أمين لنا يهدينا سواء السبيل هو تلك الكتابات التقليدية ذات الصيغ التي لا تكاد تختلف في قطعة عن الاخرى ، والتي تفشي لنا سر اصلها ، وتهدينا الى مكان صنعها ، ثم استقصاء تلك الاشكال الزخرفية المختافة التي كانت شائعة في عصر دون سواه . فالكتابة من ناحية والزخارف من ناحية اخرى هما في الواقع الهاديان لنا في دراسة هذه الاقمشة التاريخية

ولعل اول ما يصادفنا من الصعوبات في بحثنا هذا هو التعرف بسهولة على الاقمشة التي ترجع في تاريخها الى القرنين الاولين من الهجرة ، وترتيبها ترتيباً علميًّا صحيحاً . وليس هناك من شك في ان ذلك راجع الى ما تميز بهِ الشرق منذ القدم من حبهِ للترف والابهة ، والى ما عرف عن الاسلام من التسامح في كل ما يتصل بمباهج الحياة ومتعها ما دامت لا تتعارض مع احكام الدين في شيء ، فهو عند ما اشرق بنوره على الوجود ، لم يحاول اصعاف حب الترف في النفوس او القضاء عليهِ بل لقد احتضن الفنون وشجعها وبعث فيها من لدنهِ روحاً جديدة تجلت لنا فيما بعد في أبهى الصور وأجملها . على اننا يجب ان لا ننسى أن للدين الجديد — مهما بلغ من تسامحه — تقاليده الخاصة ، ولمعتنقيه اذواقهم ، وان التطور من الذوق القديم الى الذوق الجديد امرٌ يفتقر الى زمن ليس بالقصير ، ومن هنا نشأت صعوبة التمييز بين الاقمشة القبطية التي نسجت قبل الفتح الاسلامي وبين تلك التي اخرجتها لنا المصانع في القرنين الاولين بعد الفتح

وكثيراً ما تقع بين ايدينا قطع ليس لها في الواقع قيمة فنية حقيقية وانما يكاد ينحصر شأنها فيما تحتويه من كتابة ليس من اليسير قراءتها واليها تتجهُ جميع مجهوداتنا

حقًّا ان هذه الكتابات لتجمع بين النقيضين : لها مساوىء لا تنكر ، ولها مزايا لا يستهان بها

فلطالما استعصت علينا وقاومت كل محاولة لقراءتها بسرعة ، ودفعتنا الى تلمس المعنى الذي تخفيه وراء حروفها المعقدة تلمساً ، ولكنها بعد ان تستنزف من مجهودنا قدراً ليس بالقليل ، تأخذها الشفقة علينا ، فتكشف لنا عن مكنون سرها ، وتميط اللثام عن احاجيها ، فاذا هي تقدم لنا من المعلومات القيمة ما يثلج صدورنا ، ويسينا ما لاقيناه في سبيل قراءتها من صعاب . قد تكشف لنا عن اسم خليفة او وزير او أمير او مصنع او تاريخ او عن هذه مجتمعة . ولا احالك تنكر ما لهذه الامور الجوهرية من القيمة التاريخية العظيمة ، او تستصغر شأن تلك السجلات الصادقة التي تطلعنا على الكثير من اسرار صناعة النسيج في مصر ،في العصور الوسطى ، والتي تحقق لنا الى حد كبير ، ما نقله الينا مؤرخو المسلمين من صناعة النسيج ومراكزها ، وعناية الامراء بها

ولقد كان لتلك الكتابات في بادىء الامر معنى اقتصادي ، اذ كان العرض الاول منها ضبط ما تحرجهُ المصانع المختلفة ، وتحقيق رقابة الحكومة على تلك الصناعة ، ثم صار لها فيما بعد معنى سياسي ، اذ اصبحت كتابة الاسم على الاقمشة ، من شعائر الخلافة كذكر الاسم في الخطبة وكتابته على السكة . على ان هذه الكتابات أيًّا كان مبناها ومعراها ، قد تطورت في شكلها بمضي الزمن تطوراً مدهشاً ، ففقدت معانيها الاقتصادية ، والسياسية ، وصارت ترسم بدافع التجميل ، أي أنها اصبحت عاملاً هامًّا من عوامل الجمال الفني فحسب ، تعامل معاملة الزخارف المختلفة ، شأنها في ذلك شأن الزخارف الحيوانية الساسانية ، التي كانت ترمز في اول امرها الى معانٍ خاصة ، ثم فقدت هذه المعاني عندما صار الصناع من الفرس يشتغلون للامراء المسلمين ، وأخذوا يختارون من بين تلك الزخارف الحيوانية ، ما نال رضاء هؤلاء الامراء ، وصاروا يكررونها دون نظر الى ما كانت تؤديه من معنى سابق . وشأن الكتابة الكوفية ، عندما اعتبرها فنانو العرب عنصراً من عناصر الزخرفة ، وأخذوا يستعملونها دون ادراك لمعناها

ولقد عظم شأنها من هذه الناحية شيئاً فشيئاً ، حتى وصلت الى درجة عظيمة من الاتقان ، وصارت تجلي على الناظر صوراً من الفخامة والبهاء ما كانت لها من قبل ، مما يدل دلالة واضحة على مدى تلك القدرة الفنية العظيمة ، التي بلغها العرب في هذا المجال . فكم من قطع قد سحرتنا بجمال كتابتها ، وبهرتنا بتناسق حروفها ،حتى انهُ ليحيل الينا ، ونحن نجيل النظر فيها ، كأنما حروفها تسير، مختالة فخورة عليها سيماء الوقار والجلال ، في موكب حافل يبعث الروعة في النفوس، وكأنما سيقانها، وأقواسها، قد رسمتها يد فنان ماهر أطلقت لهُ الحرية ليبتكر ويتفنن

وما كان المعاصرون أنفسهم أقل تأثراً بجمالها منا نحن الآن ، فالفواطم — ويعتبر عهدهم بحق العصر الذهبي للفن الاسلامي في مصر — قد أعجبوا بهذه الكتابات أيما اعجاب ، وقد كانت لها في أعينهم مكانة سامية لا تنكر ، الأمر الذي جعلهم ينسجونها على أقمشتهم ، على نفس

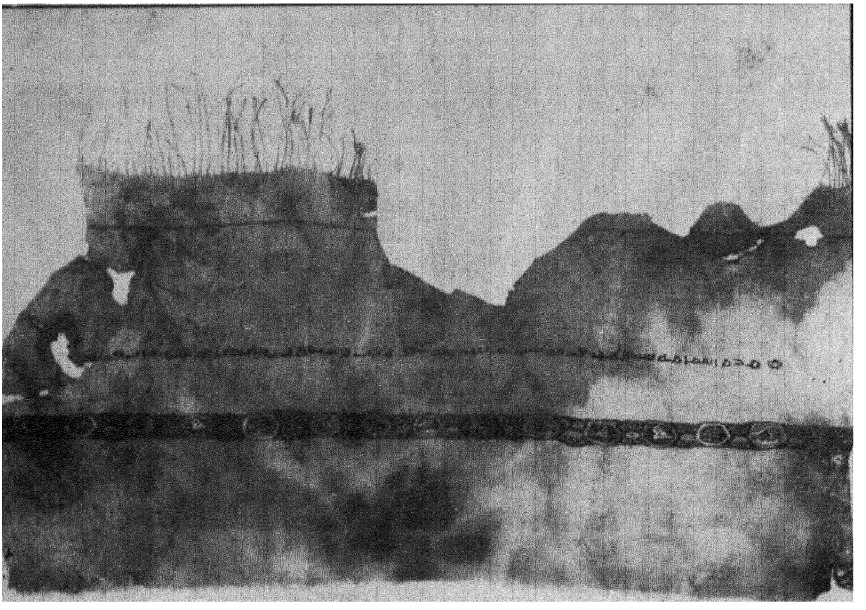
النسق الذي كان متبعاً في عهد العباسيين من قبلهم . ولقد كانت تنسج الكتابات التاريخية في أول الأمر بحروف صغيرة جدًّا ، بحرير أحمر أو أزرق أو اسود ، حتى اذا جاء الربع الثالث من القرن التاسع الميلادي ، كبر حجم الحروف قليلاً ، وازدادت سيقانها طولاً ، وبدت الكتابة أشد وضوحاً مما كانت عليه قبلا . واستمرت الكتابة تكبر حتى بدت في الربع الاول من القرن العاشر في أكبر حجم لها ، وصارت مظهر فخم عظيم ، يكاد يخرجها عن دائرة الكتابة ليدخلها في دائرة الزخرفة . وامتازت بميزة جديدة هي وجود سطرين من الكتابة أحدهما عكس الآخر

وتعتبر دار الآثار العربية في الوقت الحاضر أعنى متاحف العالم في المنسوجات ، ومجموعاتها القيمة تكوّن سلسلة تاريخية متماسكة الحلقات تمكن الباحث من دراسة الاقمشة الاسلامية ، وتطلعهُ على مدى التطور فيها ، وتحدد لهُ التوجيه الفني للذوق الاسلامي في تلك الصناعة ، ولعل أول ما يستوقف النظر من هذه المجموعة ، هو تلك القطعة التي تعتبر أقدم المنسوجات الاسلامية المؤرخة جميعاً ، اذ منسوج عليها بالخط الكوفي البسيط بحرير احمر « هذه العمامة لسمويل ابن موسى عملت في شهر رجب من الشهور المحمدية من سنة ثمان وثمانين » (٧٠٧ م) وتحت هذه الكتابة شريط من رخارف ، به جامات داخلها طيور تقليدية

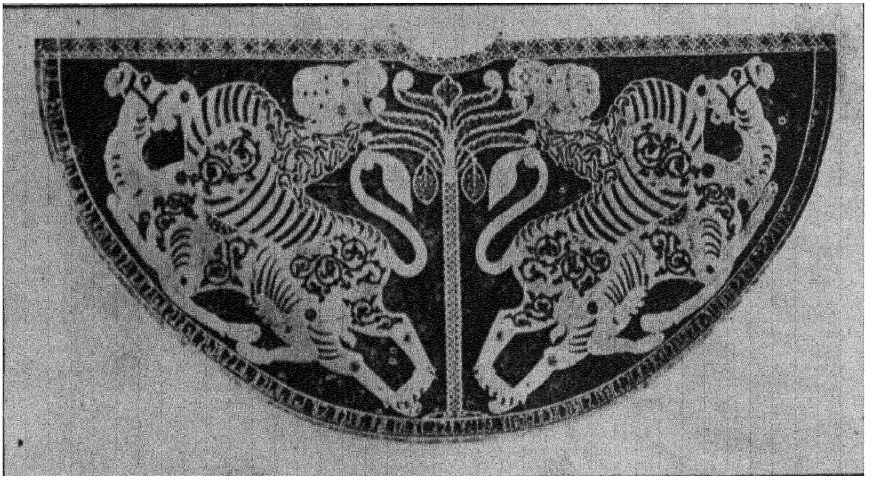
فاذا تجاوز الدولة الأموية الى العصر الاول من الدولة العباسية ، وجد تلك القطعة المنسوجة بمسطاط مصر برسم الخليفة العباسي الامين بن هارون الرشيد ، الذي تولى الخلافة بين سنة ١٩٣ — ١٩٨ هـ (٨٠٩ — ٨١٣ م) والتي جمعت بين الزخرفة الهندسية الدقيقة ، ذات اللون الرمادي ، الناشئة عن تقاطع خطوط مستقيمة ، تخالف عنها جامات مرتبة بانسجام غاية في الدقة والمهارة ، وبين الكتابة التاريخية الهامة التي نصها : « بسم الله بركة من الله لعبد الله الامين محمد أمير المؤمنين أطال الله بقاءه مما أمر بصنعته في طراز العامة بمصر على يد الفضل ابن الربيع مولى أمير المؤمنين ». فاذا انتهى بعدذلك الى منتصف القرن الثالث ، شاهد ميلاد فن جديد ، مخالف كل المخالفة للفنون التي تقدمت عليه ، ذلك هو الفن الطولوني ، الذي هو في الحقيقة فن عراقي الاصل ، زرعهُ أحمد بن طولون في هذه البلاد عند ما ولي أمرها

ولئن كانت الزخرفة تعين حقًّا على تأريخ الآثار الفنية ، وارجاعها الى عصر من العصور ، فانما ذلك يتجلى لك بوضوح في الاقمشة الطولونية ، اذ الكثير من تلك الاقمشة يحوي زخارف تشبه تمام الشبه الزخارف التي نشاهدها على الآثار الخصية والخشبية للعصر الطولوني

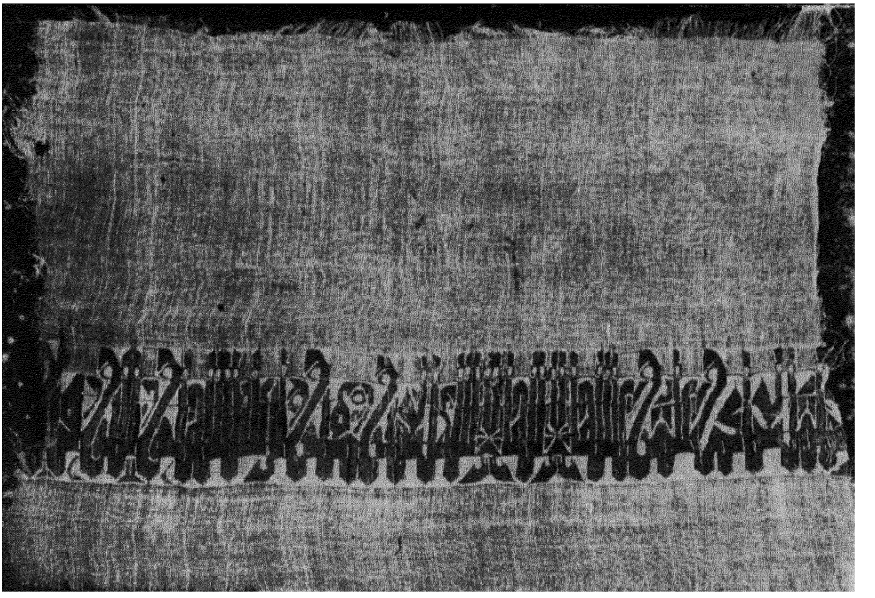
وانهُ ليدهشك حقًّا ، ان ترى العناصر الزخرفية التي على الجص أو الخشب من جدائل أو زخارف حلزونية او غيرها ، ممثلة على الاقمشة أدق تمثيل وأحسنهُ ، بل ان مهارة النساج في



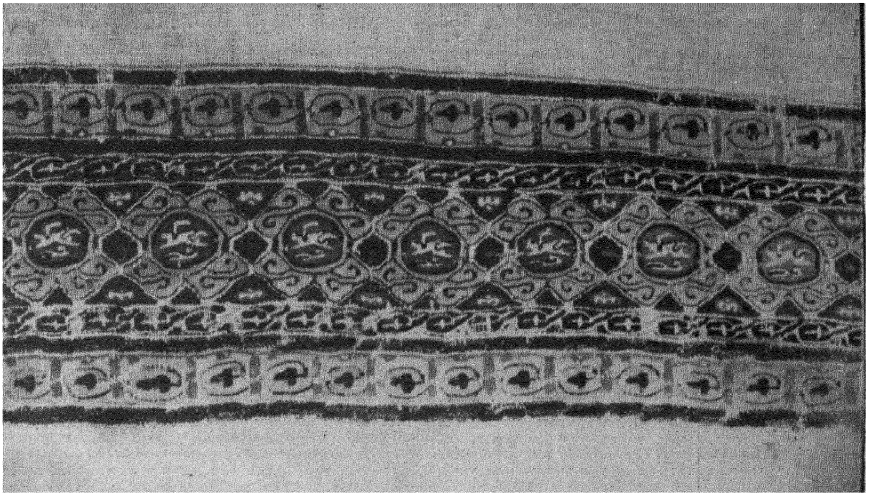
قطعة نسيج ابيض قائم منسوج عليها بالخط الكوفي البسيط بحرير احمر (هذه العمامة لسمويل بن موسى عملت في شهر رجب من الشهور المحمدية من سنة ثماني وثمانين » ٧٠٧ م



عباءة تتويج صنعت في صقلية في سنة ٥٢٨ ه (١١٢٣م) للملك روجر الثاني وترى عليها في الوسط رسم نخلة يكتنفها من كل جانب صورة أسد يصرع جملا وينهبأ للفتك به وهي مطرزة بخيوط ذهبية ومحلاة بالآلىء



قطعة من كتان ابيض عليها « الامام الحاكم بامر الله لا اله الا الله الخير معين ان شاء الله والتوفيق بالله »



قطعة من الكتان ذات الوان كثيرة متوافقة يمتزج اللون الازرق والاسمر الزاهيان بالاصفر الصافي والاسود والاخضر الناضر وفي الوسط جامات بيضاوية الشكل ، بها صور ارانب بيض على ارضية حمراء
(القرن الخامس الهجري والحادي عشر الميلادي)

استعمال الالوان المتعددة ، ليجعل تلك الزحارف تبدو لك كأنها مخرمة او محفورة !

والواقع ان تلك الاقمشة الطولونية ، او بعبارة أخرى جميع آثار الفن الطولوني ، لتحدثك بنفسها عما كان عليه الفن في ذلك الوقت من القوة والفخامة ، وتدلك على ان فناني هذا العصر لم يتحروا الدقة والاناقة في آثارهم بقدر ما تحروا القوة في التعبير

واذا كان العصر الطولوني قد شاهد المحاولة الاولى لايجاد فن اسلامي خالص في البلاد ، فان العصر الفاطمي قد امتاز عليه بظهور ذلك الفن فعلاً في ايامه ، ووضوح شخصيته ، وليس هناك من شك في ان الفن الفاطمي قد تفرد بأشكال زخرفية تبدو كأنها قد اخترعت لاول مرة أو على الاقل قد رتبت ترتيباً جديداً ، أو نسقت تنسيقاً لم يسبقها اليه فن من الفنون السابقة عليه ، والواقع ان هذا العصر هو العصر الذي ارتفع بالفن المصري الاسلامي الى الاوج ، وبلغت فيه البلاد من سمو الذوق ، ورقي الفن ، مبلغاً يعد بحق موضع الفخار .

والاقمشة الفاطمية بزخارفها المدهشة ، والوانها الساحرة ، تدلنا دلالة واضحة على مدى ما بلغهُ فنانو العصر الفاطمي من الحرية الواسعة بالاوضاع الزخرفية المختلفة، والمقدرة الفائقة على تكوين الالوان ، وتركيبها ، ومزجها ، حتى انك لا تدري — وانت تتأمل هذه الاقمشة — أموضع السحر فيها جمال الزخرفة البالغ حد الاتقان أم الائتلاف والتناسق المدهش بين الالوان؟

ولقد يحيل للانسان ، وهو يجيل النظر بين تلك القطع الفنية الرائعة ، كأنما هو يقرأ قصيدة من روائع الشعر العربي، يجلو عليه فيها الشاعر صوراً من الحياة شتى ، بعضها آخذ برقاب بعض ، جاشت بها نفس الشاعر ، وبعثتها قريحته الوقادة هذه الصور التي تحملك تهيم في بيداء الخيال ، وتتذوق لدة روحية محببة الى النفس ، والتي لا تكاد تتبين فيها اثر العلاقة بينها وبين موضوع القصيدة ، لا تلبث ان تراها تتداعى ، واحدة بعد اخرى ، عندما يقطع الشاعر هذه السلسلة من المناظر الجميلة ، ليدلك بها على موضوعه . كذلك الحال في تلك الاقمشة ذات الزخارف الرائعة فهي تجذبك لاول وهلة بجمالها ، وتسحرك بالوانها ، فاذا حللتها بدت لك أقل روعة من ذي قبل ، وأكثر تقليداً مما تظن على ان ذلك كله لا يطعن في جمالها ، ولا ينقص من قيمتها بكثير في حالة ، إذ هي قوية التأثير فينا ، لا قبل لنا بدفع ما تبعثهُ في نفوسنا من تلك اللذة المحببة

ولقد بلغ فنانو هذا العصر في رسم الحيوانات درجة من الاتقان لم يبلغها الحفارون على الخشب او البرز ولم يصل اليها مزخرفو الحرف اذ كانت تنسج تلك الحيوانات بخفة ورشاقة عجيبة في الدهشة ، وكما فقدت الحروف الهجائية شخصيتها بتوالي الزمن ، واصبحت خطاً متعرجاً لا يمت بأي صلة الى الاصل الذي اشتقت منه ، كذلك هذه الحيوانات ، أخذت تفقد منذ منتصف القرن العاشر صورتها الاصلية ، وأصبحت زخرفة لا هيئة لها ولا اسلوب وللاقمشة الفاطمية ،

على الرغم من اختلاف مظهرها العام، مميزات خاصة، تجعلنا لا نخطىء في التعرف عليها

فالكتابات التي عليها، كانت في بادىء الامر بحروف كوفية ذات سيقان طويلة، ثم اصبحنا نرى الجمع بين هذه الحروف والحروف الصغيرة. ثم صرنا نرى سطرين من الكتابة، احدهما عكس الآخر، او كتابة صغيرة، تربها فروع نباتية. ومن ثم فقد وُجد للكوفي المشجر ميدان جديد، يبدي فيه جماله ورونقه، وهو ما يختلف عن الكوفي المشجر الذي نراه على الابنية

اما الزخارف، فقد كانت تتحول من حسن الى أحسن، حتى بلغت من الاتقان درجة لا تبارى. وقد كانت تبدو في اشرطة موازية للكتابات، بها معينات او جامات من اشكال مختلفة داخلها حيوان واحد، او حيوانان متقابلان، او مولٍ احدهما ظهره للآخر. ويلاحظ انهُ منذ القرن العاشر، ازدادت هذه الاشرطة اتساعاً، وكثر عددها عن ذي قبل

والواقع ان الاقمشة الفاطمية قد اشتهرت شهرة عظيمة، وذاع صيتها، وهي لا ريب تستحق هذه الشهرة عن جدارة واستحقاق، فالنساج المصريون، قد تفننوا في نسجها وزخرفتها مما يترك الانسان في حيرة من أمره لا يدري اي الاشياء أحق بالثناء والاعجاب، أهو نسيجها الدقيق، ومهارة النساج في ذلك؟ أم عبقرية الرسام فيما ابدعهُ، أم هذه الاشياء كلها مجتمعة؟

ولعل أجمل الاقمشة الفاطمية وأهمها هي ما نرجع في تاريخها الى القرن الحادي عشر، لان تلك الفترة، هي الفترة التي برهنت مصر فيها فعلاً، على ان فنانيها كانوا عباقرة حقًّا، بما انتجوه من تلك القطع الرائعة، ذات السحر الحلال. اما في نهاية هذا القرن، في الفترة التي وقعت فيها مصر تحت سيطرة الوزير الارمني بدر الجمالي وابنه الأفضل شاهنشاه، فقد بدأ اتجاه جديد في الزخرفة، بلغ اقصى ارتقائهِ في النصف الاول من القرن الثاني عشر، ذلك انهُ حل محل الحامات التي كانت سائدة من قبل، شبكة من الاشرطة، متداخلة بعضها في بعض، تبدو كأنها مرصعة بحشوات صغيرة، على هيئة معينات. ومن بواعث الدهش في هذه الزخرفة أنها تلوح كأنها بارزة وما هي بمبارزة، انما هو اللعب بالالوان، والمقدرة الفائقة على مزجها، وتوزيع الضوء بينها

نتساءل كيف قدّر لهذا الفن الذي اكتمل نموه، وبلغ اوجه، أن يضمحل؟ وهل ذلك راجع الى انهُ أخذ يرقى في سلم التطور والرقي حتى غرق في بحر لجي من الافراط والتكلف؟ أم هو راجع الى ان الفنانين أنفسهم قد ركبهم روح من التقشف فهجروا تلك الطراوة المدهشة في الفن؟ أم ان هناك عوامل اخرى غير هذه قد عجلت باضمحلاله؟

الواقع أن وقوف تقدم هذا الفن فجأة، يحمل على الكثير من التفكير، ويدعو الى البحث وراء الاسباب المعقدة التي كان من أثرها ان وصلت بهِ الى ذلك الدرك

أيكون ذلك راجعاً الى الفوضى التي سادت في مصر في أواخر عهد الفاطميين، والتي كانت

نتيجة للنزاع المتواصل بين الوزراء المتنافسين ، والصراع الدائم بين فرق الجند المختلفة ؟ لقد كانت مصر في حالة من الضعف أطمعت فيها الاجانب ، فتدخل نور الدين والفرنجة تدخلاً فعلياً في شؤونها ، وانتهى الأمر اخيراً بسقوط الدولة الفاطمية ، وقيام الدولة الأيوبية . وكان من أثر ذلك كله ان تأخرت البلاد ، فمدينة تنيس مثلاً قد نهبت بين سنتي ١١٥٠ - ١١٩٠ م وهجرت سنة ١١٩٤م ثم اضمحلت سنة ١٢٢٧ م ، ودمياط قد احتلت مرتين وقضي على مافيها من المصانع ، وكلتا المدينتين — كما تعلم — من المراكز الرئيسية لصناعة النسيج في مصر في العصور الوسطى . أم هو شيء عما كان بين الدولة المعلوبة والدولة الغالبة من الفروق التي لاسبيل الى انكارها ؟

لقد كان هم صلاح الدين الايوبي مورعاً بين الحروب وما يتصل بها من بناء القلاع والحصون ، وبين انشاء المدارس الدينية لاعلاء شأن المذهب السني ، ورفعه الى المكانة السامية التي كانت لهُ من قبل ، والقضاء على المذهب الشيعي وتطهير البلاد من اتباعهِ . ثم هو الى جانب هذا ، من غلاة السنيين ، عرف بالتمسك الشديد بأهداب الدين ، والوقوف عند حدوده ، زاهد في الحياة ونعيمها ، كرهَ للترف وأسبابه ، ما أثر عنهُ انهُ لبس الحرير قط ، بل كان يتخذ ملابسه من الكتان او القطن او الصوف ، وتلك حالة تناقض من غير شك ، ماكان عليهِ الخلفاء الفاطميون من الاقبال على الحياة ، والتمتع بكل أنواع الملذات فيها

أم هو سبب تلك النهضة الفنية في صناعة النسيج ، التي قامت في المدن الايطالية ، والتي تجلت في ذلك الفيض العظيم من المنسوجات الفاخرة — التي لا تقل جمالاً واتقاناً عما كانت تخرجهُ المصانع المصرية من قبل — الذي غمرت بهِ اسواق الشرق ، فجعل حكومة الايوبيين ترى انهُ من العبث العمل على انهاض مصانع النسيج التي شاخت واضمحلت لكي تنافس بها تلك المصانع الفتية

ولا يجب ان نغفل هنا ، ماكان لمصر من الفضل الاكبر في نهوض صناعة النسيج ، وتقدمها في تلك المدن الايطالية . ففي مصر وصلت تلك الصناعة الى ذروة الرقي — كما رأيت — ومنها انبعثت تلك النهضة الى صقلية ، حيث كان النساج المصريون يديرون المصانع في عاصمتها الحريرة ، وما زلنا نذكر مهارتهم ، وحذقهم ، كلما رأينا ، او تذكرنا ، عباءة التتويج التي صنعت هناك خصيصاً للملك روجر الثاني ، والتي توارثها من بعده ، اباطرة الدولة الرومانية المقدسة ، وكانوا يلبسونها في حفلات التتويج ، والتي عليها كتابة كوفية مسوحة بخطوط ذهبية نصها . « مما عمل بالخزانة الملكية المعمورة بالسعد والاجلال والكمال والطول والافضال والقبول والاقبال والسماحة والجلال والفخر والجمال وبلوغ الاماني والآمال وطيب الايام والليال بلا زوال ولا انتقال بالعز والدعاية والحفظ والحماية والسعد والسلامة والنصر والكفاية

بمدينة صقلية سنة ثمان وعشرين وخمسمائة»[١] ومهما بالغنا في وصف دقة صنع هذه العباءة وقوة تعبير زخرفها وتناسق الوانها، فان الالفاظ عاجزة عن ان تعطيك فكرة واضحة عن جمالها وبهائها

ومن صقلية سرت تلك النهضة الى لوكا، وفلورنسة، والبندقية. فأخرجت مصانع تلك البلاد، في اول الامر، اقمشة قريبة الشبه جداً من المنسوجات المصرية لا تكاد تختلف عنها

أم هو ناتج عما عرف عن الخلفاء الفاطميين من التسامح ازاء المسيحية — ومعظم الصناع كانوا مسيحيين — فازدهر فن النسيج، وارتقى حتى بلغ أوجه، في القرن الحادي عشر الميلادي، ثم اضمحل عندما ضعف هؤلاء الخلفاء، ومات عندهم زال سلطانهم؟

هذه العوامل المختلفة، قد يكون واحد منها، او تكون جميعها او بعضها سبباً فيما اصاب صناعة النسيج في مصر من الانحلال ولا يجب ان يتبادر الى الذهن ان المقصود هنا هو صناعة النسيج بصفة عامة بل المراد هو النسيج الذي يتحلى فيه الفن بجماله

ولئن كان الايوبيون لم يبذلوا جهدهم، لكي يمنعوا تدهور هذا الفن، فان الذنب في الحقيقة واقع على الظروف التي احاطت بهم وليس من العدل في شيء ان تتهمهم بعدائهم للفن، لأن عمائرهم المبثة في سوريا، واحشامهم الاثرية ذات الزخارف الباهرة، وابوابهم النحاسية ذات النقوش الرائعة، تشهد بما كان لهم من ذوق ورقي سام.

على ان هذا لا يمنعنا من ان نأسف على اضمحلال صناعة النسيج في هذه البلاد، ذلك لان الاقمشة هي، في الحقيقة، المادة التي استطاعنا ان نكتشف فيها بهاء الزخرفة الاسلامية ورونقها وأمكننا الوقوف منها على ناحية العبقرية في الفن الاسلامي، فلقد كان محدوداً على الفنان المسلم أن يرسم لنا بريشته الصور المجسمة، ذات الابعاد الثلاثة، ولكنه، بفضل حذقه ومهارته، وقدرته على التلاعب بالالوان، أمكنه أن يخرج لنا صوراً على الاقمشة، تكاد لا تشك قط في انها مجسمة. ثم أن وجوه هذه الالوان والاصباغ ودقة الزخارف، وجمال الاشكال، التي تشيع في نفس المتأمل لها نوعاً من البهجة والانشراح، لا يكاد يحسه وهو يشاهد تحفاً فنية اسلامية من مادة اخرى، خير شاهد على حيوية الفن الاسلامي وسموه، وأقوى حجة دامغة، ضد اولئك الذين يرمونه بالجمود والكآبة

وأخيراً اذا علمت انه من احص خصائص الفنان المصري المسلم « الهرب من الفراغ » أي أنه لا يسعى لاظهار جمال زخارفه بايجاد فراغ بينها، بل يلجأ عالماً الى زيادة هذه الزخارف والتكثير منها، حتى لا يترك مكاناً خالياً، وان هذا المبدأ لا يلقى احتراماً من رجال الفن العربيين لعدم اتفاقه مع المبادىء العامة لفن الزخرفة، واننا لا نجد هذا المبدأ ممثلاً في الكثير من هذه الاقمشة الاثرية، استطعت ان تدرك في يسر السر في مقام هذه الاقمشة من الناحية الفنية

(١) انظر الجزء الثامن من Répertoire Chronologique d'epigraphie Arabe

ثماني عشرة صورة من حياة

فولتير

« انا متقلّبٌ كالصلّ ، نشيطٌ
كالعصرفوت ، دؤوبٌ كالسنجاب »

للكاتب اميل لرفج
نقلها : كامل محمود حبيب

في حجرة جميلة الاثاث ، فاخرة الرياش ، في دار في ناحية من باريس ، جلست سيدة قد دنت اليها الشيخوخة فبدت عصوباً في وجهها ، غير أنها ما زالت في قوة الشباب و نشاطه ، جلست تنظر الى الشمس و تبسم لها و تصطلي بدفئها . . . . وجاء الظهر ، ميعاد زيارة القس اليومية ، وهو شاعر على علم بفن الموسيقى ثم هو يفقه الساء . دخل وإلى جانبه صبي عليهِ سمات الفطنة والذكاء كان قد نشر القس بعض شعره على عيني السيدة بالأمس . وراح القس يتحدث : إن أول ما بدا من عبقرية هذا الطفل حين جاء احد رجال القصر يطلب الى الاستاذ ان يكتب لهُ قصيدة يقدمها هو الى ولي العهد ، وكان الاستاذ عائداً فجلس التلميذ الى نفسه حيناً ثم قدم لهُ قصيدة في عشرين بيتاً . ثم تناولها القس ليشرها أمام السيدة

ووقف الصبي بازاء السيدة متردداً ، ثم نُزع عنهُ اضطرابهُ ، فقبل يدها في احترام . لقد قبلها موليير ، وهي ما تزال تحمل نسمات فينوس ، منذ نصف قرن . وابتسمت السيدة في رضا وبشاشة . وتصرم عام ، و مضت الوصية ، فاذا السيدة توصي بألفي فرنك للصبي يشتري بها كتباً . هذه هي بينون دي لانكلو ، سيدة في الرابعة والثمانين وهذا الصبي هو فولتير في العاشرة من عمره

جلس الاديب وهو في الحادية والعشرين في نديٍّ وهو في غيظ وسخط على كل ما يجيء بهِ الملك والحاشية ولاسيما دوق اورليان الوصي ، وجلس اليهِ ضابط من عيون اورليان يستدرجهُ في خداع ومكر ، فاندفع الاديب يتهدم ويتهدم ، وراح يفيض في ثورة وحماسة بعض ما نشره بالفرنسية حيناً وباللاتينية حيناً آخر ، غفلاً من الامضاء . وأبلغ الجاسوس ما سمع ، وترامى الى الوصي الخبر ، ومضت أيام فاذا فولتير في سجن الباستيل وحيداً لا يرافقهُ سوى كتابين لهوميروس ، ومنديلين وغطاء وياقتين وزجاجة عطر . ولبث في سجنهِ احد عشر شهراً لا يرى المداد ولا الورق ، فكان يكتب اشعاره بين أسطر الكتاب بقطعة من رصاص

ازدحمت الكوميدي فرنسير بالناس، وقد انقسم رجال الدولة والشعب الى حزبين يتفاخران وفيهم الأمل والحقد . إن « أوديبس » [١] التي ألفها فولتير الصغير ستبدو أمام الناس ، ودوقة مين واتباعها يأملون ان يروا الوصي وابنته ، اللذين يعيشان كما يعيش الرجل وزوجه ، يستشعران قوة الصدمة فيما يرون ويهويان وقد حللتهما الفضيحه وآداها العار ، مثلما هبط الزوجان الملوكيان في هملت . ولكن أورليان لم يرَ فيما أمامه ما يؤلمهُ فابتسم في رقة والى جانبه ابنته في كريائها وصلفها، وقد حفت بها وصيفاتها الثلاثون، ما تستطيع ان تحوي بعض ما بدا عليها من حدّ واهتمام. وحين بدا نجاح الرواية اندفعا يصفقان مع الناس ، وفولتير ينظر من خلف الستجف وفي نفسه الطرب والنشوة لما لاقى من انتصار ثم انطلق ليرى . . .

وهدأت العاصفة ، وظهر هو في مقصورة المارشال ، فعلى هتاف من جوانب المسرح ينادي زوجة المارشال الجميلة أن « قبليه . . قبليه» فما استطاعت هي الاّ ان تنزل عند رأي الجمهور الهائج

* * *

تلاقى فولتير وشاب من النبلاء في مقصورة أدريان ليكوفرور في ليلة من ليالي الشتاء ، ولشد ما آلم الشاب ان يرى هذا الاديب الوضيع يرافق السيدة ، فراح يتندر عليه أمامها « ما اسمك الحقيقي ؟ أهو مسيو دي فولتير أم مسيو آرويه فقط » فأجابهُ فولتير « وماذا يعنيك ؟ ان اسمي يبتدىء معي ثم يطير عني الى غيري أما أنت فاسمك ينتهي عندك ! » فثار به النبيل ورفع عصاه، غير ان فولتير سلّ سيفه . . ومضت أيام ، وبينما فولتير يدلف من قصر مصيفه الدوق الذي حماه بفضله وكرمه سنوات عدة ، وجد نفسه بين جماعة من سفلة القوم وأراذلهم ، ينهالون عليه ضرباً ولطما ، والنبيل الشاب على خطوات ينظر ويبسم . ووجد هو مهرباً فطار الى الدوق يطلب اليه المعونة فأبى

وتراءى لفولتير أن ذكاءه وعبقريته قد رفعاه الى أن أصبح صديق العظماء والنبلاء ، ثم هو في رعاية المرأة التي كانت الحاكم الحقيقي لفرنسا ، وقد اندفع في حياة سياسية عالية حلق لها ، فعزّ عليه ان يكون هو هو ثم يجرَّح فلا ينتقم . والآن ، وهو يعمل طول يومه محصناً ، راح يدعو النبيل الشاب الى المبارزة ، وينال من كرامته تحت سمع الناس وبصرهم ، ويثلم شرفه كلما وقع عليه نظره ، غير ان أقارب الشاب من الكرادلة والأمراء أرادوا ان يقفوا سداً في وجه هذه المبارزة ، فقبضوا على الأديب السفيه وهوه فانطلق الى الكلترا

* * *

ظلّ فولتير في باريس زماناً يتوارى عن الانظار ، ثم ضاق بهذه الحياة المقيدة فانطلق من مكمنه يطير ويقع أنى شاء ثم استقرّ به المقام في دار تاجر قمح ، وهنا . . . في هذه الدار كان يلقى كل من يهمه نجوه. وجاءت اليه دوقة ساكس بيير وصديقها ترافقهما سيدة عليها مسحة من جمال

(١) اوديبس : أحد ملوك طيبه اليونانية قيل انه قتل والده وتزوج أمه

غير أنها جذابة آسرة ! لها أنف كبير ، وفم صغير جميل ، ودقن لطيف ، وعينان خضراوان صافيتان ، وجبهة بيضاء ناصعة تتدلى عليها حصل من الشعر الاسود الفاحم فتزيدها رونقاً وجمالاً ! ثم هي على حانب كبير من التربية والتعليم والتجربة . ورأى الشاعر كل ذلك — لاول مرة — فراعهُ ما رأى ! وهي . . هي المركيزة دي شاتيلي تعبر بما هي عليه من علم وذكاء . وحين جلسوا للعداء راح الشاعر يقرأ هذه الانشودة :

يا للسماء ! إني أسمعها تردد هتاف الترحيب ،
وكذلك ماريان الطاهية ،
لأن دوقة سانت بيير ،
ودوقة دي شاتيلي ، وفورکاليه ،
هنا يتناولون العداء في كوخي الصغير ،

وطلت إميلي المقدسة منذ الليلة — صديقة الشاعر سبع عشرة سنة . لقد كانت حليلته أولا ثم صديقته ومحامته . وقضى هو هذه السنين الطوال إلى جانبها على حدود اللورين ليستطيع في عهد اضطهاده — أن يفر متى حزب الامر

* * *

في حجرة مقفرة في قلعة في كليف شاب ضعيف في الثامنة والعشرين ، تلفف في ملابس الصدر الرومية واستلقى على فراشه تعركهُ الحمى وهو ينتظر وصول استاذه منذ سنوات اربع . لقد ارسل اليه سيلاً من الخطابات بعضها نثراً وبعضها شعراً ، تحمل نفثات صدره وآلامه وآماله وتحمل إلحاحه وحبه ، فهو يفارق بينهُ وبين أبولو وسقراط وشيشرون وبليبوس وأجريبا . غير ان هذا الفيلسوف لم يأبه له ولعل كلمات الملق هي التي حالت بينهُ وبين أن يحضر ! لطالما أراد ان يكشف له عن بعض ما في قلبه فدعاه راحان وفرجيل وطيطس واغسطس . وحين تلافيا كانت الحمى تريد ان تصرع الفتى الالماني

مرت بهِ بروات العاطفة الجامحة حين رأى أستاذه فراح ينفض عن نفسه آثار الحمى ، لقد سخرا معاً مما كانا يرعمانه من اختلافات بينهما ، ووجدا لدة عقلية في تلاقيهما . هذان هما فردريك وفولتير

* * *

على مائدة ريشيليو ، صديق شاعرنا وشبيههِ في الفهم والذكاء والدهاء ، جلسوا يتحدثون في شجاعة وصراحة ما لمعت إليهِ فتاة اورليان من محد . واطمأن الجميع إلى ان فولتير وحده هو الذي يستطيع أن يتناول هذا الامر بقلمهِ ، فأجاب وهو يبسم « ان فتاة الحان التي تهرس حاجبها لتموت حرقاً لحديرة بلادع الهجو ! » ولكنهم مضوا يقنعونهُ ، وبعد لأي ، انسحب هو وكتب المقاطع الاربعة الاولى ، ثم نشرها على اعين الجميع فهتفوا لهتاف الاستحسان والإعجاب

وكانت هذه فاتحة «لابوسيل» احدى رواياته الجريئة التي عالج فيها التاريخ والدين كأنما يعالج طلسماً ، وظلت على السنين تحمل أفكاره الحرة ونهكماته المرة ، ثم أخفى اسمه ، غير أنها طارت في نواحي باريس موسومة باسم فولتير

* * *

في قصر فرساي وفولتير في الخمسين يهتم بما يشغل الناس، وعلى مسرح القصر الصغير تحت عيني الملك والملكة وولي العهد والامراء والنبلاء والكرادلة، راح فولتير —وقد ألقى اليه قيادالمسرح— ينبث هنا وهناك بين الموسيقيين ومحترفي الرقص والرسامين ينثر الكلمات والاوامر في نشاط ويقظة. لقد رفعتهُ سيدة وصيعة المولد الى هذا المنصب حين شغفتها مؤلفاته حبًّا : هي السيدة ده بومبادور . وأصبح هو شاعر الدولة في ربوع القصر . وصدر الامر الملكي

« فرساي في اول ابريل سنة ١٧٤٣

إن الرغبة السامية ... رغبة جلالة الملك قد رأت أن تمن على السيد أرويه دي فولتير بلقب «السيد»، حين لم نجد من يستحق هذا اللقب سواه ، لما بدا لها من ذكائه ونشاطه وقدرته على العمل، ولما رأت من عبقريته في العلوم والآداب التي انكبَّ على دراستها فبثّ فيها من روحه العالية وفاق غيره»

وابتسم فولتير وهو يدس في جيبه الفي جنيه ، راتبهُ السنوي ، ثم انطلق يترنم :

سيدي هنري الرابع ، وسيدتي زاييز ،
وسيدتي ألزير الاميركية ،
كل اولئك لا يساوون عندي نظرة ملكية واحدة :
إن لي الف عدوّ يحسدوني على محدي الضئيل
وبرغمهم هطلت عليّ ألقاب الشرف والثروة كالمطر
كل هذا حراء أصحوكة (لافوار)

* * *

على مائدة الملكة الحمراء في موتينبلو جلست صديقة فولتير المركيزة دي شاتيلي تلعب ، فخسرت اربعمائة جنيه ، ثم امدها هو بمائتين خسرتها هي الاخرى ، واستطاع حادم ان يقترض لها مائتين أخر بأرباح مضاعفة فخسرتها ايضاً و ... لقد خسرت في هذه الجلسة اربعة وثمانين الف فرنك وفولتير الى جانبها يحذّرها ، ثم نادى شجاعته وصراحته فقال لها : انهم يخدعونها ويغشونها ... أفيكون ذلك حقًّا وهي تلعب على المائدة الملكية . وفي هذه الليلة ارغما على ان يطيرا بعيداً خشية الفضيحة

واسكنتهُ دوقة عجوز من صديقاته قلعة على بضعة اميال من باريس ، وأمضتهُ الوحدة وهو يعيش في حجرة نائية منفردة ، قضى فيها ثلاثة اشهر لا يرى الخلاء ولا يخرج الاّ عند الثانية

بعد الظهر ليتناول الغداء في حجرة نوم الدوقة ثم لتقرأ لها ما كتبهُ في يومهِ . في هذه العزلة استطاع ان يكتب خمساً من رواياتهِ القصيرة

* * *

في حديقة قلعة كوميرسي حيث صيوف ملك بولانده الذين شغلوا بعض مناصب الدولة حيناً من الزمان ، جلست المركيزة في كبريائها وجمالها وقد بلغت الاربعين وقد نفضت يدها من حب فولتير منذ سنوات عشر لانهُ خطا الى الشيخوخة خطىً فساحاً غير انها ما برحت صديقته الوفية. لقد جذبها فتىً في الثلاثين فراحت تتزين لهُ وتتبرج تريد ان توقعهُ في حبالها . انهُ هو المسيو دي سانت لامبير الذي احبتهُ خليلة الملك

في الرابعة والخمسين من عمر فولتير ، وفي امسية هادئة انطلق من حجرتهِ قبيل العشاء، ودخل على غير ميعاد حجرة صاحبته ، فوجدها الى هذا الشاب في حالة تبعث في النفس الشك والريبة ، فاضطرب واستشعر لذع الخيانة في قلبهِ ، وأصرّ على ان يبرح الليلة ، غير ان خادم فولتير —وقد اوحت اليهِ السيدة بأمر— ارتد يقول لسيدهِ ان العربة لا تستطيع السير . وتحدثت هي الى فولتير — والليل ساج — حديثاً ظلّ في طيّ الكتمان حيناً من الدهر ، والمركيزة تخفي صاحبها في قصرها قال فولتير « افتريدين ان اصدقك بعد الذي رأيت ؟ لقد بذلت صحتي وسعادتي في سبيل رفاهيتك ثم تخونين عهدي ! » قالت « اني احبك حبا شديداً ، غير انك قد سمعتك تشكو تهدم قوتك ثم قلتَ انك لا تستطيع ان تعيدني دون ان يكون في ذلك مضرتك، فلماذا تثور حين اريد ان ارفع عنك بعض ما يثقلك ؟ » قال « هذا حق ، ولكن حذار ان يحدث هذا مرة اخرى تحت عيني ! »

وفي الليلة التالية بدا حصمه امامهُ يعتذر ويسأله الصفح ، فقال لهُ « يا بنيّ ، لقد بلغتُ من الكبر عتيّا ، وأنت ما تزال في سن السعادة والمرح ، تستطيع ان تعشق وان تستميل قلوب النساء ! انتهز هذه الفترة الذهبية من العمر . أما انا فرحل حطمتهُ الأيام، لا حول لي ولا قوة ، فما اصلح لما تصلح انت له » ! وعلى مائدة خليلة الملك تناولوا جميعاً طعام العشاء ، في الليلة الثالثة

وانقضت اشهر بدت ، بعدها ، سمات الحمل على المركيزة ، وجلسوا جميعاً يتشاورون في امر الطفل وهل تستطيع هي ان تعلن امر زواجها من هذا الشاب ليكون اب الطفل الحديد ؟ فأجاب فولتير في غيظ « لا بأس . فسنضم هذا الطفل الى مؤلفات السيدة العديدة ! »

* * *

لازمت المركيزة فراشها وفولتير الى جانبها يمرضها ، ورفض دعوة ملك بروسيا الملحة ليكون في حوار صاحبته يسهر عليها ويعنى بأمرها وهي تضع ابن غريمه ، وحين وضعتهُ تألق البشر في وجوه من في القصر. وبعد اسبوع هاجمتها الحمى فعصفت بحياتها . وظل الزوج الحبيب واقفاً بإزائها،

أما فولتير فأنطلق ذاهلاً في هدوء الى الطبق الاسفل . وفي نهاية السلم سقط فشجّ رأسه ، واندفع غريمه يعينهُ ، وحين افاق نظر الى الشاب في سكون وقال « لقد قتلتها ! »

* * *

استعار الرحل الفرنسي وهو في بوتسدام من آخر من برلين قطعتين من الماس يتزين بهما وهو يمثل دور شيشرون في احدي رواياته امام الملك فردريك ! وبعد ان صاحب مولتير الملك ثلاثة اشهر قلّده منصباً في البلاط الملكي الروسي براتب سنوي قدره عشرون الف مرتك . ولما كان فولتير لا يطمئن الى ما يربحهُ من كتبهِ العديدة التي نشر كثيراً منها لا يحمل اسمهُ ، كما يطمئن إلى ما يملك هو ، ثم هو يريد ان يكون دائماً في بحبوحة من العيش ، فقد ارسل يهوديًّا الى درسدن يشتري لهُ اوراقاً مالية سكسونية بمبلغ اربعين الف مرتك ، وكانت هذه الصفقات حراماً على الروسيين فحنق الملك على فولتير حين تراءى اليهِ الخبر

وقدّم للمحاكمة ، وراح فولتير يدفع عن شرفهِ وبالتهمة براهين وأدلة بدت فيها عبقرية الرجل ثائرة لا تهدأ ، قوية لا تضعف . وانتهى الامر بوساطة ذوي الرأي والجاه ، غير ان الحادثة كشفت امام الملك ناحية من نواحي الرجل السامية

ثم .. ثم اندفع يهاجم موبرتيس مواطنه ورميله في «سان سوسي» دون ان يصرح باسمه فيما يكتب ، فغضب عليهِ الملك غضباً شديداً ، وأمره ان يحرّق هذه الرسالة في الطرق على اعين الناس ، فأبى فولتير وقدم استعفاءه من وظيفتهِ وردّ كل ما حباه بهِ الملك مع ابيات من الشعر :

لقد تقبلتها في سرور وطرب ،
والآن أردها في اسىً وحزن ،
كعاشق أناني ، سلّطت عليهِ الخواطر السود ،
فرد الى الفتاة التي أحب رسمها

غير أن الملك لم يتركهُ يفلت ، فردّ اليهِ ما أرسله في نفس الليلة ، ومضت أسابيع تحللها مخاصمات ومصالحات ، ثم جرى الحديث بين الملك وفولتير أثناء احتفال باهر ، قال الملك . « مسيو دي فولتير ، اني أرى رعشتك في السفر مُلحة ! » قال « سيدي ، بالرغم مني ما أريد ، لانها صحتي . . . » قال الملك اذن أتمنى لك سفراً سعيداً ! »

وغادر فولتير فما رأى أحدهما الآخر بعد ، وجاءته الحطابات تترى تحمل في ثناياها شتى ألوان التقدير والاعجاب ، فما انقطع سيلها الاّ بعد أربع وعشرين سنة ، حين مات الشاعر

* * *

لقد جاوز الستين وهو يعيش الى جانب جنيف عيشة أغنياء النبلاء ، وقصره الصغير يعج بالصيوف من مختلف الأمصار ليروهُ وليسمعوا منهُ . وأصبح يملك عربة ، ولهُ خدم وطاهٍ من باريس وسكرتير ولقد نجحت رواياته على مسرحه الخاص نجاحاً باهراً . أثار حقد مواطنيهِ من النبلاء

هنا على حدود وطنه ، الذي اصطهده وشتت شمله لأنهُ عرف كيف يفكر بعقل الفيلسوف عاش أكثر من عشرين عاماً ، يتنقل في هذه الناحية في حذاء وحوارب سود ، وسترة قضفاضة من الحرير ، وقبعة من المخمل او في شعر مستعار ، ثم هو يعمل في نشاط ، ويطالع في نشاط ، ويستقبل ضيوفه من العظماء والعظيمات . واتحد الحيطة فاشترى ضيعة في سويسرا وأخرى في فرنسا ليستطيع ان يفر من واحدة الى أخرى متى حمل على ذلك

وحين كبرت سنه لم يستطع ان يشبع نهم ضيوفه من المفكرين والفلاسفه ، فبدل قصارى جهده في العناية بأمر الفلاح ، وأصاح الى صيحاته الحزينة المكفوفة ، فاستطاع أن يحصل من مجلس المدينة في جنيف على تصريح يخوّل لهُ نزع المستنقعات التي تحيط بضيعته ليحفظ على الناس صحتهم ، واستطاع ايضاً ان يرفع نير استعباد المزارعين عن صغار الفلاحين

وهو الآن يعمل ما يعمل الفلاح الصغير فهو يحرث ويبذر في حقله المسمى حقل دي فولتير وظلَّ يقوم عليهِ بنفسهِ حتى جاوز الثمانين وانطفأت منّته ، وكان فولتير ايضاً كريم النفس ، سخيّ اليد ، يساعد المعوزين والفقراء من أبناء مقاطعته ، ولقد شجع صناعة الساعات الدقاقة ، وهو اول من أدخل صناعة نسج الحرير ، فحوّل مسرحه الى بيت لدود القز

في هذه الآونة ايضاً دأب اشهراً ليطلق سراح اسرة في تولوز كان قد اتهمها القضاة المتعصبون باطلاً ، فهاجم ما فشا في القضاء الفرنسي من فساد ، وما ساد من استعباد لقد كان العدل هدف فولتير الاعلى

* * *

وفي عصر يوم من ايام فبراير وقفت عربة على باب باريس العربي ، وسأل صابط : او يكون على ظهر هذه العربة ما يحرم دخوله ؟ فأجاب رجلٌ همّ في صوت يضطرب « لا اعتقد ، ليس هنا سواي ! » وحدق فيهِ صابط ثم أقسم « والله انهُ لهو فولتير ! »

لقد جاء يزور باريس للمرة الاولى والاخيرة بعد عشرات من السنين . وتوارى وراء المسرح والروايات واعماله العديدة يتخذ من كل ذلك سبباً يفتح امامه ما استغلق ، ولكنهُ كان يريد أن يجد فرصة يزور فيها باريس ، وكانت باريس تتمنى لو اتيح لها ان تراه . وكان هو قد هاجم كلاً من البلاط والكنيسة فأمضهما ، فالاول يريد أن يبعده عن باريس والثانية تريد ان تستدرجهُ علّهُ يؤمن ، ولكنهُ وجد ترحيباً من الاكاديمية ومن الزعماء السياسيين ومن زعماء المسرح ، فكان يزوره بضعٌ وثلثمائة شخص في اليوم الواحد. ولقد ابتدأ هو فزار المرأة التي كانت أولى من أحب ، والتي لم يرها منذ ستين عاماً . ولقد اثرت في نفسه هذه الزيارة وأثرت في نفسها هي ايضاً ، حتى انها ردّت اليه في اليوم الثاني صورتهُ حين كان شابًّا

* * *

لاول مرة في مدى سبعين سنة ، وفولتير تتناهبه الاسقام وانحطاط القوة ، وقع مع قس

في نقاش ديني ، غير ان واحداً لم يعرف ما استقر عليه رأي فولتير . وحملت الكنيسة تتملقهُ حتى اقر بأنهُ يريد أن يموت على المذهب الكاثوليكي ثم قال « ... اني لارجو ان يغفر لي الله وأن تسامحني الكنيسة فيما فرط مني نحوها » لقد انتهى فولتير الى هذه الخاطرة حين أدخل في روعه أن جثته — إن لم يفعل — ستلقى في العراء . ولكنهُ حين جاء القس يلقنهُ بعض الطقوس الدينية أوقفهُ قائلاً « تذكر ان دمي لا يزال ملوثاً ، ويجب علينا الاّ نخلط بهذم الله ! »

وراح يصد هجمات الكهان وهو يقول في غضب : انهُ لن يدعى كما ادعى اولاً . وعلى حين فجأة ارتدت اليه صحته . لقد كانت خطواته في الاكاديمية موفقة ، وعلى المسرح الباريسي لاقى احتفاء لم يفز به من قبل شاعر وحين اصطره اصدقاؤه ان يبدو امام الناس ، اطلّ من مقصورة في المسرح ثم انحنى يحيي الجمهور ، ثم رفع رأسه وقد اغرورقت عيناه بالعبرات وقد طلت طول عمره قوية صافية . وحين ارتد الى داره جلس يحدث نفسه وهو يبتسم (انك لم تحرر الفرنسيين ، لقد رحبوا بروسو في مثل هذه الحماسة والاندفاع في يوم ، وفي اليوم التالي أمر فقبض عليه !)

ثم اشترى داراً في باريس وعزم على الاّ يبرحها حتى يحين حينه

ولكنهُ اسرع نحو النهاية فانحطت قوته على حين غفلة ووافتهُ المنية بعد اسبوعين

* * *

وأبت عليه الكنيسة قبراً ، وأخذ الطبيب ، وهو يشرحهُ ، رأسهُ الشاد النوي ، وأخذ صديق قلبه . وفي المساء كانت جثتهُ في ملابسها وقبعتها وقد لُفّت في رفق ، تبدو كرجل نائم ، وأبعدت على مركب . وحرمت الكنيسة الموتورة على الاكاديمية ان تقرأ شيئاً مما كتب الميت الجاحد ، وحرمت على الصحف ان تنشر كلمة عنهُ ، وأبعد رئيس دير لانهُ لم يستطع ان يمنع نقل الجثة ، ودفن الميت سرًّا الى جانب احد ذوي قرباه

وفي سنه ١٧٩٠ اي بعد اثنتي عشرة سنة احضر رفات فولتير ، مع اول نسمات الثورة ، الى باريس في حفل حاشد ودفن في الباثيون . وملئت الحجرة التي لبث فيها رمادهُ سجيناً في الباستيل ، بالزهر والنقوش ودوت بالاغاني والموسيقى . وفي وسط المشاعل والموسيقى بين مئات الآلاف من الناس مرت العربة تحمل رفات الرجل العظيم وبثرت عليه آخر كلمات التقدير « لقد نفث هذا الشاعر المفكر والمؤرخ في الانسانية من روحه السامية فتأهبت للحرية »

* * *

وتحطم التابوت الرصاصي في الباثيون ، حطّمهُ جماعة من الشبان المعارضين في احدى ليالي مايو بعد أربع وعشرين سنة ، وجمعوا عظامه وأودعوها حفيرة ، وحفروا لها حفرة في دار مهجورة على حدود العاصمة ، وهكذا ضاع رفات هذا الرجل العظيم في التراب

* * *

وليس يعرف احد الآن اين وقعت عظام فولتير

التفكير واللغة

لجورجي شاهين عطية [1]

سمعنا منذ مدة لحضرة مدير هذا المعهد العلميّ الزاهر المسيو عرانجوان محاضرة نفيسة بالفرنسية موضوعها « الفكر واللغة » تناول فيها بالبحث المشبَع قضية العلاقة بين ما لكل امة من الطرق في التفكير ، وما في لغتها من أساليب خاصة في التعبير ، مورداً على ذلك الامثلة العديدة من كثير لغات الشرق والغرب . وقد رأيت الآن ، وقد أُتيحت لي فرصة التحدث اليكم ان اطرق هذا الموضوع نفسه ، مقتصراً في البحث فيه على ما يتعلق بلغتنا العربية خاصّة ، فأُبيّن ما بين أوضاع هذه اللغة وتعابيرها وطرق التفكير عند العرب الاقدمين من العلاقة ، ثم اتطرق الى ايضاح ما يجب التقيد به من العلاقة بين طُرُق تفكيرنا في هذا العصر وما يراد صوغه من الاوضاع والتراكيب الحديثة

﴿ لغة كل قوم تصوّر افكارهم ﴾ معلومٌ ان لغة كل امةٍ هي ما تتخذه للتعبير عن افكارها ، فلا ترتسم بها الاّ صُوَر ما يجري في ادهانها ، ويجول في خواطرها . والذي يؤثر في تكوين عقلية الامة وطرُق تفكيرها عاملان . البيئة الطبيعية ، ونريد بها ما يحيط بتلك الامة من جبال وبحار وانهار وصحارى وما اشبه ، والبيئة الاجتماعية ، ونريد بها ما لها من نظام أُسَري ودين وطرق معيشة ونحو ذلك على اننا اذا حاولنا تطبيق هذه القاعدة على لغتنا العربية بالنسبة الينا وجدناها تنطبق عليها في بعض الشيء ولا تنطبق في البعض الآخر . فلغتنا تصوّر ما في افكارنا في ما تتعمّده من ذلك تعمُّداً ، واما في ما تستعمله كل حين من التراكيب المجازية فانها لا تبسط الاّ صُوراً تمثل احوالاً غير احوالنا ، وتشير الى عصور غير العصر الذي نعيش فيه . وسنرى الآن ما في بعض تلك التعابير من تصوير لاحوال قدماء العرب الطبيعية ، ثم لاحوالهم الاجتماعية

﴿ تصوير احوال القدماء الطبيعية ﴾ يقول الواحد منا اذا سُرّ . « وقد قرّت عيني ، وثلج

(١) بعض المحاضرة التي القاها على جمهور من الادباء بالمكتبة العلمية في بيروت

صدري » ومعى قرَّت بردت ومعى ثلج صار بارداً كالثلج ، واذا بحثنا في سبب اختيار البرد للتعبير عن السرور نجدهُ في حالة العرب ومعيشتهم في بلادٍ حارّة يؤذيهم مجيرها ، وتؤلمهم رمضاؤها ، مما حملهم يتصوّرون البرد أفضل وسيلة من وسائل النعيم . وبديهيّ انهم لو كانوا عائشين في بلاد باردة لما كان للبرد عندهم هذا المعنى المستحب ، ولا كانوا يدعون على من يريدون لهُ السوء بقولهم : « أسخن الله عينهُ »

ونقول في الدعاء بالخير : « سعياً لفلان ، وسقى الله ايام الصبا » وما كان هذا الدعاء بالسقي الا لعلة المطر وندرة الأنهار والينابيع في شبه جزيرة العرب بحيث كان السقي اهم ما يمكن تمنّيهِ من الخير . وهذا ما حملهم يدعون المطر بالغيث لانهُ يغيثهم اي يعينهم في الضيق ، وبالرحمة من باب المجاز المرسل لانهم يعدونهُ رحمة من الله

ومن هذا القبيل قولنا : « رعاكم الله ، وسعياً لكم ورعياً » فضرورة الرعي لمواشيهم لم تكن تقل عندهم عن ضرورة السقي . فالماء والكلأ اشدُّ العناصر ضرورةً لحياتهم وحياة أنعامهم ، ولم يكن همهم التنقل من مكان الى آخر الا للبحث عنهما وعن المواضع التي يكثران فيها

ويدخل في هذا الباب قولنا مثلا : من اهم واجبات الشبان الذّود عن حياض الوطن . فالحياض هي مجتمعات الماء ، وقد كان لكل قبيلة حياض خاصة تستقي منها وتوردها مواشيها ، ولما كانت تلك الحياض من اهم الاشياء كلها اد عليها تتوقف صيانة حياتها وحياة سائمتها كان من الطبيعي ان يستميت جميع افراد القبيلة في الذود عنها ، وان يبذلوا دماءهم لمنع كل اعتداء عليها

ونقول : « ان هذه القصيدة من عفو الساعة » اي مما قاله الشاعر ارتجالاً بدون أن يجهد قريحته . واصل هذا من عفو الماء وهو ما فضل عن الشاربة وأخذ من غير كلفة ولا مراجعة

وكثيراً ما نقرأ في الصحف العبارة الآتية « يمّموا البلدة الفلانية في الحيل انتجاعاً للصحة » والانتجاع هو طلب الكلأ والبحث عنهُ في مواضعهِ

ومثل هذا قولنا . « ان فلاناً من روّاد اللهو » والروّاد جمع رائد وهو الذي يسير امام القوم يبحث لهم عن مواضع الكلأ والماء

ونقول في قوم ضعف امرهم : « قد ذهبت ريح القوم » وفي من ابتدأ امرهُ في الظهور : « قد هبت ريح فلان » وما كان دخول الريح في مثل هذه المواضع الا لما لها من الاثر في إقامة البدوي وتنقلاته في الصحراء

ونقول في الامر الصعب المنال « هذا امرٌ دونه خرط القتاد » والقتاد شجر ينمو في الصحراء لهُ شوك كالابر ، والخرط من خرط العصن اذا نزع ورقهُ اجتذاباً بان يقبض على أعلاهُ ويمرّ يدهُ عليهِ الى اسفلهِ

ويقول في من يطمس على قوم : « هو يمحت أثلتهم » والأثل شجر عظيم من الطرفاء و« هو يقرع مروتهم» والمرو حجارة بيض تقتدح منها النار

ويقول في من تشاوره في امر : « استورينا زند فلان » والزند هو حجر تقتدح منهُ النار ، واستيراء الزند استخراج النار منهُ

ففي كل ما تقدّم تذكيرٌ بأحوال العرب في شبه جزيرتهم ليست مما يألفهُ ولا مما يعرفهُ أهل زماننا

﴿ تصوير أحوال القدماء الاجتماعية ﴾ أما ما يمثل أحوالهم الاجتماعية في كلامنا فهو كثيرٌ من ذلك قولنا : « إن الازمة صارت أطنابها في هذه الايام » والاطناب ما تشدُّ بهِ الخيمة من الحبال ، والمراد بضرب الأطناب نصب الخيام للإقامة

ومنهُ قولنا «ان الكسل سبب الفقر »والسبب هو الحبل الذي توصل بهِ أطناب الخيمة بأوتادها

ومنهُ قولنا في العزم على الأمر : « ضرب فلانٌ أطنابه على هذا الأمر ، وألقى لهُ جرانهُ » والجران مقدّم عنق البعير ، يقال ألقى البعير جرانه اذا برك ومدّ عنقه على الارض كناية عن تمكنهِ في البروك

وكثيراً ما يرد في كلامنا هذه الجملة او ما شاكلها : « قرأت هذا الفصل برمّتهِ » أي كلهُ . ومعنى الرمّة الحبل البالي . قيل ان رجلاً دفع الى آخر بعيراً بحبل في عنقهِ . فصار يقال لكل من دفع شيئاً الى آخر بجملتهِ : أعطاه إياهُ برمتهِ

ويقول : « حدا بي الى فعل هذا الامر أو حداني اليهِ كذا » أي دعاني اليهِ ، وأصله من حدا الناقة أو حدا بها اي حثّ لها في سوقها

ويقول في من يسير في أمره على غير هدًى : « هو يخبط خبط عشواء » أي ناقةٍ عشواء وهي التي في بصرها عشًا لا تبصر ما أمامها ، وهي تخبط بيديها كل شيء اذا مشت لا تتوقى شيئاً

ويقول : « العجلة تنتج الندامة » وهذا من نتاج الناقة أي وضعت

ويقول في من يقصده الناس للاستفادة من علمهِ او جدواه . « إن دار فلان يحطُّ الرحال» والرحلُ ما يُوضع على البعير ليركب عليهِ مثل السرج للفرس

ويقول في من لا يكتم سرّه : « هو لا يكظم على حرّة » والحرّة ما يفيض بهِ البعير من كرشهِ فيمضغهُ ثانيةً

ويقول في من هو جديرٌ بالامور . « هو حذلها المحكك » والحذل أصل الشجرة يُنصب للإبل لتحتكّ بهِ الجَرْبى

وكثيراً ما نقرأ هذه الجملة : «بات القوم كأن على رؤوسهم الطير» اي ساكنين هيبةً . وأصل المعنى في هذا ان الغراب يقع على رأس البعير فيلتقط منهُ القراد فلا يتحرّك البعير لئلاّ ينفر عنهُ الغراب

ويقول : « قبض فلانٌ على أزمّة الأمور » و « انقادت اليه الامور بأعنّها » والازمة جمع زمام وهو الحبل الذي يُشدُّ الى طرفه مقود البعير وقد يسمى به المقود نفسهُ ، والأعنة جمع عنان وهو سير اللجام الذي تمسك به الدابة

ويقول في من يطمع في غير مطمع : « هو يكدمُ في غير مكْدَم » والكدم العضُّ بأدنى الفم ، وأصله في الدابة تكدم الحشيش

ويقول في من كثر رزقهُ : درّت عليه اخلاف الرزق » والحلف للناقة كالضرع للشاة

ويقول : « فعل فلانٌ هذا الأمر اعتباطاً » اي بدون موجب . وهذا من اعتباط الذبيحة اي نحرها لغير علة

ويقول : « ورّطت فلاناً في الامر » اي اوقعتهُ فيه ، وهذا من الورطة وهي الوحل ترتطم فيه الدواب

هذا نزرٌ يسير من التعابير التي لبست في الواقع الا صوراً لحياة الاعرابي بين إبله وشائه. ولا يقل عنها ما نستعمله من التعابير التي تتمثل بها سائر مظاهر حياته

فمن ذلك قولنا : « أحرز فلانٌ القِدْح المعلّى » أي سبق أقرانهُ والقِدْح أحد قداح الميسر وهي سهام لا فصل لها ولا ريش ، والميسر قمار العرب بهذه القداح ، كانوا يشترون جزوراً ناقةً أو بعيراً ، فينحرونها ويقسمونها ثمانية وعشرين قسماً ويتساهمون عليها بعشرة قداح يفرصون في أحدها فُرصاً واحداً ، وفي الثاني فرصين ، وهلمّ جرًّا الى السابع فيفرصون فيه سبعة فروض ومجموع ذلك ثمانية وعشرون ، ويصيفون اليها ثلاثة قداح لا حظّ فيها ، ويجعلون الكل في خريطة وهي وعاء من جلد ويصعونها في يد رجل عدلٍ يسمونه المجيل أو المفيض ليجيل يده في الخريطة ويخرج منها قدحاً للرجل منهم . فان خرج لهُ قدحٌ من ذوات الفروض أخذ نصيبه من اقسام بعد الفروض التي فيه ، وان خرج لهُ قدح من الثلاثة التي لا فُرض فيها غرم ثمن الجزور والقدح المعلّى هو ذو الاربعة السبعة

ومن هذا قولنا في من فاز في أمر . « قد فلج سهمهُ » أي غلب واستظهر

ومنهُ قولنا : « أحال القوم قداح الرأي » أي تشاوروا وهو من إحالة القداح في الخريطة على ما تقدم بيانه

ويقول : « أعط القوس باريها » أي سلم الأمر الى من هو أهلهُ

ويقول . « رميتُ عن قوس فلان ونزعتُ عن قوسه » أي شاورتهُ وعملت برأيه « ورمى القوم عن قوس واحد » اي اتفقوا في الرأي والعمل

ويقول : « إن هذا الامر على قاب قوسين مني » دلالةً على شدة قربه وقاب القوس ما بين

المقبض والسّية فلكلّ قوس قابان ، والسّية ما عُطِف من طرفيها . وفي القول قاب قوسين قلب فالمراد قابا قوس

ويقول في نفاد الصبر : لم يبق في قوس الاصطبار منزع ، وقد بعدت السهام حتى الاهزع والمنزع سهمٌ في الكنانة ، والاهزع آخر سهم من سهامها

ويرد في كلامنا كثيراً « سنوح الفرصة » وهذا من سُنُوح الصَّيد وهو ان يمرّ عن يمين الصّياد الى يساره فهو السانح ، فان مرّ عن اليسار الى اليمين فهو البارح . وكانت العرب تتيمن بالسانح وتتشاءم بالبارح

ويقول في احتلاط الامر : « احتلط الحابل بالنابل » والحابل صاحب الحبالة وهي شبكة الصائد ، والنابل صاحب النبل ، وذلك ان يجتمع الفناصون فيختلط اصحاب النبالة باصحاب الحبائل فلا يصاد شيء

ويقول في من وقع الخلاف بينهم وتفرقت وحدتهم : تصدعت عصا القوم ، وانشقت العصا بينهم ، والعصا آلة الدفاع عن النفس عند الاعراب فهي رمز القوة عندهم

ويقول « قشرت لفلان العصا » اي أطلعتهُ على ما في سريّ من محبة او عداوة

ويقول : « جاءت هذه المصيبة على فلان ثالثة الاثافيّ » اي كمل بها الشر كله فلم يبق منه غاية . وهذا من الاثفيّة وهي الحجر من حجارة الموقد ، كان يوضع حجر في كل من الجانبين فاذا وُضع الثالث كمل الموقد الذي توضع عليه القدر

ويقول في بهدئة اصحاب القوم : « فثأنا ما حاش من قدرهم » اي سكّناه وكسرنا حدته

ويقول في من يوقد نار الفتنة : « إن فلاناً يوقد في الحظر الرطب » والحظر شجر شائك تعمل منهُ الحظائر ، والحظر الرطب اذا أوقد انتشر منه دخان كثير حتى ينال أذاهُ كل أحد

ويقول في من يحسن التصرف بالأمور : انه يعرف من اين تؤكل الكتف . قالوا تؤكل الكتف من أسفلها لأن المرقة تجري بين لحم الكتف والعظم ، فاذا أُحدث من اعلى جرت المرقة على الاكل واصيبت ، واذا أخذت من أسفلها انتشرت عن عظمها وبقيت المرقة مكانها

﴿ كيف رسخت هذه التعابير في صلب اللغة ﴾ كل هذه التعابير يستعملها الادباء ويستعملون اكثر منها في منظومهم ومنثورهم وقلّ منهم من يفطن لما فيها من تصوير احوال العرب الاقدمين في مختلف ضروب معيشتهم ولعمري ان هذا مظهر عربي في هذه اللغة لا نظن ان له مثيلاً في غيرها من لغات العالم ولا محال للعجب من رسوخ هذه التراكيب وامثالها في صلب اللغة بحيث صارت جزءاً متمماً لها لا يستغني عنه كاتب ولا شاعر في التعبير عن افكاره فان الادب في هذه اللغة بعد دخول الامة في عهد الحضارة ظل كما كان وهي في عهد البداوة ، وظلّ الشعراء في

دمشق وبغداد والاندلس يفتتحون قصائدهم بالبكاء على الاطلال ووصف النوق والخيام كما كان يفعل اسلافهم من سكان البادية في حين هم عائشون بين القصور والحدائق لا نوق لديهم ولا اطلال ، وقد بلغ من تشدّدهم في المحافظة على هذه الاساليب انهم كانوا يحظرون على الشاعر ان يركب في طريقه الى محبوبته فرساً او يردوما لمجرّد ان الجاهليين لم يركبوا اليها الاّ الناقة. وان كان قد قام من عاب عليهم هذه الخطة ودعاهم الى نبذها كما فعل في اوائل العصر العباسي الشاعر ابو نواس القائل

عاج الشقيُّ على رسم اسائله وعجت أسأل عن خمارة البلد
يبكي على طَلَل الماضين من أسدٍ لا درَّ درك قل لي من بنو اسدِ
لا جف دمع الذي يبكي على حجر ولا صفا قلب من يصبو الى وتدِ

فان هذه الدعوة لم تصادف آذاناً صاغية وظلّ الشعراء يقفون على الاطلال ويصفون النياق حتى اننا نقرأ في اواخر القرن الماضي لعلامتنا المرحوم الشيخ ناصيف اليازجي اي بعد مرور اكثر من الف سنة على عهد ابي نواس قوله في مستهل احدى قصائده :

لِمن طللٌ بوادي الرمل بادِ تحطُّ به الرياح بلا مدادِ
وقفت بناقتي فيهِ فكنا ثلاثة أرسم ، في طلّ وادِ

فهل نعجب بعد هذا من رسوخ هذه التراكيب في صلب اللغة وهذه حال الادب والادباء. أما في هذا العصر عصر السيارة والطيارة وقد تغيرت الحالة ولم يعد شعراؤنا يتحدثون الاّ عن الزمان الذي يعيشون فيهِ ولا يصفون من الاشياء الا ما يقع تحت حسهم بدلاً عما كان يألفهُ اهل القرون الخالي وهذا ما يبشر نهضة جديدة في ادبنا الحديث يتحرر بها لمحاراة آداب الشعوب الراقية . بيد انهُ اذا امكن تحرير الادب من قيود الاساليب القديمة فليس من الممكن ولا من الصروري تنحيه اللغة من التراكيب التي في معانيها الاسلمة دلالة على احوال القدماء ، ذلك بأن هذه التراكيب قد رسخت في الاستعمال وتداولها الالسن والاقلام بمعانيها المجازية أما معانيها الاصلية فقد غابت عن الاذهان نهائياً ولم يبق لها عند الناس الاّ هذه المعاني الاصطلاحية

***

﴿التجديد في اللغة﴾ على اننا قد اخذنا نشعر بمظهر من مظاهر التجديد في اللغة في ما نقرأه على صفحات بعض الصحف من تراكيب مجازية مبنية على صور من حياتنا اليومية ، وهذه التراكيب تشيع تدريجاً في الاستعمال بحيث لا نلبث ان نجري مجرى المثل من ذلك قولهم في

من يُثير فتنة ليجرّ لنفسه مغنماً : « هو يصطاد في الماء العكر » وقولهم في العزم على ازالة التباس: «انما نريد وضع النقاط على الحروف» . فهذه استعارات لا بأس بها ومزيتها فائقة في ان المشبه به فيها معروف ومألوف لدى القارىء . ومعلوم ان الاستعارة مبنية على التشبيه ، والاصل في التشبيه ان يكون المشبه به معروفاً عند المخاطب ليقيس عليه المشبه الذي يجهله او يجهل شيئاً من صفاته

بيد ان اهم مظهر للتجديد هو في ما نراه من الاهتمام بوضع ألفاظ للدلالة على ما اوجدتهُ الحضارة الحديثة من ادوات وما تستلزمهُ من معان . وهذه مهمة قد تألفت لها في السنوات الاخيرة مجامع لغوية في عدد من الاقطار العربية تضم فريقاً من علماء اللغة الذين يشار اليهم بالبنان وفي مقدمتها المجمع اللغوي المصري . ولا اريد الآن البحث في ما قامت به هذه المجامع من اعمال وما اتحدتهُ من قرارات ولكني اريد توجيه الانتباه الى قضية هي بمنزلة الاساس من العمل الذي اتخذتهُ على عاتقها واغفالها يؤدي الى ضياع الفائدة المتوخاة منهُ . تلك هي قضية العلاقة بين الفكر واللفظ في ما يراد الاتيان به من الاوضاع . وأعني بذلك ان يكون المعنى المراد اتخاذ الاسم منهُ عن اقرب ما يخطر بالبال عند تصور المسمى اذا كان المقصود الوضع بطريق الاشتقاق ، او ان تكون العلاقة بين المعنى الموضوع له اللفظ والمعنى المراد استعماله فيهِ قريبة لطيفة ، اذا كان المقصود الوضع بطريق المجاز . وترى العرب قد راعوا بالبداهة هذه القاعدة في ما وضعوه من الالفاظ تمام المراعاة في ما اشتقوه من الاسماء للسيف مثلاً قد وضعوا له الخذم والبتر والبتار والصارم والقاضب والقضيب والعضب والحسام والجرار من خذم وبتر وصرم وقضب وعضب وحسم وحرر وكلها بمعنى قطع والقطع هو اول معنى يتبادر الى الذهن عند رؤية السيف او تناوله وكذلك وضعوه بطريق المجاز فقد راعوا فيهِ قرب العلاقة ولفظها كما في تسمية اللحمتين المتدليتين في حافتي الحلق باللوزتين ، وتسمية داخل الفم بالغار اي الكهف وما اشبه . اما اوضاع المجمع اللغوي المصري فاننا لم نرَ في كثير منها هذه المراعاة ، كما في تسميه قطار الركاب مثلاً «بالوقّاف» عللوا ذلك بجحة بطئه وكثرة وقوفه في المحطات . فان هذا المعنى ليس مما يتبادر الى الذهن عند رؤيه هذا القطار مطلقاً وما من احد يركبهُ بقصد كثرة الوقوف في المحطات

ومثل ذلك اقتراح تسمية المعكرونة «بالدُّويداء» فانه اذا صح وجود جامع بين هذين الشيئين من جهة الهيئة فان هذه التسمية مستنكرة من جهة انها مبنية على تشبيه طعام مستطاب يستمرئه الناس بحشرات قذرة تنفر النفس عند تصورها وهي مما تأكلهُ الخنازير . اولا يرى المجمع ان استعمال لفظة « الإطرية » في هذا المعنى واف بالغرض . قال في القاموس : « الاطرية طعام كالخيوط من الدقيق » فان قيل ان هذا الاستعمال يحتاج فيهِ الى شيء من التوسع قلنا ان التوسع

لا بد منهُ في مثل هذا المقام كما نفعل في استعمالنا لفظة الحساء فان ما نعرفهُ الآن بهذا الاسم يختلف كثيراً عما كان معروفاً منهُ عند العرب فالمهم ايجاد اللفاظ يرضى عن استعمالها الذوق السليم

وكما نحب مراعاة الذوق من جهة المعنى نحب مراعاته من جهة اللفظ ايضاً . فمن المحال ارغام جمهور الكتاب والمتأدبين على استعمال ألفاظ غير مأنوسة او كريهة في السمع كما هي الحال في الارزيز والطرطران والطرر . والعرب في اللفظة الاخيرة ان ارباب المعجمات قد اختلفوا في تفسيرها . قال صاحب القاموس الطرر النبت الصيني بلغة بعضهم ، ومثله قال صاحب اللسان . اما في المخصص فقد جاء ان الطرر البيت الصيني واتفق الجميع على ان اللفظة فارسية معربة . ولكن مع عجمة هذه اللفظة والاختلاف في تفسيرها لم يرَ المجمع بأساً من تقريرها لمدلول كلمة « ڤيلا » . ولا أعلم ما الذي أحرج المجمع فأوحوهُ الى ركوب هذا المركب الذي افل مافيهِ ابدال كلمة اعجمية بكلمة اعجمية وقد كان له عن ذلك في لفظة « دارة » . قال في القاموس: « الدارة المحل يجمع البناء والعرصه وهي أخصّ من الدار . ولم يذكر صاحب القاموس ما تتميز بهِ الدارة عن الدار . ولكن دارات العرب مشهورة ، وقد كانت مواقعها خارج المدن . وتغزّل الشعراء بها دليل على انها كانت على حاشية من الأناقة . وكل هذا ينطبق على تحديد كلمة « ڤيلا » جاء في تفسير هذه اللفظه في معجم لاروس [illegible] فهل من حرج بعد هذا في تخصيص لفظة دارة لهذا المعنى لا سيما وفيها ما فيها من اللطف والرشاقة

ان اهم شرط في حياة ما يوضع من الالفاظ الحديثة هو ان يراعى فيه ذوق العصر الذي نحن عائشون فيه . وإن قريشاً لم تتعلب لغتها على سائر اللغات في شبه الجزيرة لكونها أفصح العرب فالنبيّ انما استرضع في بني سعد ، بل ان لغتها تعلبت لانها كانت أعلم العرب باختيار الفصيح من الالفاظ اي انها كانت اصحهم ذوقاً فكانت تنتقي من الفاظ العرب عند اجتماعهم في مكة ألطفها وقعاً على الآذان وبهذا استطاعت لغتها على غيرها من لغات القبائل وتمت بها الوحدة المنشودة . فالواجب السير على هذه الخطة عند وضع الالفاظ الحديثة ليكون العمل مثمراً

***

وأختم كلامي الآن بشكركم أيها الحضور الكرام على ما أوليتموني من فضل اصغائكم ، والدعاء للعاملين في سد حاجات هذه اللغة بالتوفيق في مسعاهم ، لتظل هذه اللغة الشريفة بنفاسة سيرتها الاولى في خدمة الحضارة والعمران ، قائمة بالغرض الذي تطلب منها على تقلبات العصور والازمان

التحذير من خطر زراعي جديد

حشرة سان يوزي

وصولها الى مصر في ابريل الماضي

للدكتور محمد منير بهجت
وكيل الحجر الزراعي الحركي بوزارة الزراعة

﴿ تمهيد ﴾ ترتد تسمية هذه الحشرات بالقشرية الى العلف التي تعطي معظمها . وقد تكون هذه العلف قطنية او قرنية او حلدية او دقيقية او شمعيه وتختلف شكلاً وحجماً ولوناً

والحشرات القشرية انواع كثيرة تنقسم تبعاً لتركيب غلفها الى حشرات ذات قشور صلبة وحشرات قطنية وبق دقيقي وحشرات رخوة او حلدية

لا تلبث هذه الحشرات عقب تولدها بالتفريخ بأيام قلائل حتى تكون معلقة دائماً بالقشرة المميزة لنوعها ويختلف عدد سلالاتها السنويه ووقت تفريخها وخواص اطوارها الاخرى باختلاف نوعها وموسم ظهورها وموطنها . فبعض الحشرات القشرية يقتصر في تغذيه على نبات واحد في حين ان البعض الآخر يعدى بامتصاص من النباتات عديدة والحشرات القشرية تصيب جذور النباتات وسوقها الاصلية وفروعها واعصانها وأوراقها وثمارها . وتمتص العصارة من انسجة النبات بأجزاء الفم وهي شبيهة بالابر وبعضها يفرز مادة عسلية كالندى يجتذب النمل والنحل والزنابير وغيرها وقد ينمو بعض الفطر على هذه المادة العسلية فيبدو الجزء المصاب من النبات معطى بمسحوق اسود يشبه « الهباب »

﴿ توزيعها الجغرافي ﴾ موطن حشرة سان يوزي (Aspidiotus perniciosus comst.) الصين. وهي تشبه الجوز الصيني المعروف بالمزهر في منطقة التلال الفاصلة الصين الاصلية عن منوغوليا ومنشوريا وقد اسبورد المستر م . لك الذي كان قاطناً في سان يوزي بولاية كاليفورنيا في سنة ١٨٧٠ بعضاً من الشجر المصاب من هذا الجوز فأدخل تلك الآفة الخطيرة في الولايات المتحدة الاميركية . وفي سنة ١٨٨٠ عثر كومستك على تلك الآفة ووصفها وما لبثت طويلاً حتى عم

انتشارها في تلك المنطقة من كاليفورنيا ثم تفشت في جميع الولايات المتحدة الاميركية. وبعد سنين قلائل من استعرارها وشيوعها تعذّر استئصالها لتأخر القيام به. ثم نقلت على بعض شجيرات الفاكهة من الولايات المتحدة الى جزائر هاواي وشيلي واستراليا. وبعدئذٍ تسربت الى بلاد المكسك والارجنتين. وهي الآن منتشرة في جهات عديدة من اليابان وزيلندة الجديدة وتسمانيا وجنوب افريقيا واوربا الوسطى ورومانيا واسبانيا والبرتغال علاوة على ما ذكر. وفي اوائل سنة ١٩٣٢ عثر عليها باسواق الفاكهة في باريس على تفاح اميركي. وفي ٨ مارس من تلك السنة نفسها صدر قرار وزاري فرنسي بمنع دخول جميع الثمار المصابة بهذه الحشرة فلم يعثر عليها بعدئذٍ في فرنسا. وفي أوائل ابريل سنة ١٩٣٧ عثر عليها لاول مرّة على تفاح استرالي وصل الى جمرك بور سعيد لبيعه في مصر. وفي أواخر ابريل من السنة نفسها عثر عليها ايضاً على شحنة كبيرة من التفاح الاميركي بجمرك الاسكندرية. أما الشحنات المشار اليها فقد حجزتا في جمرك بور سعيد والاسكندرية

هذا وحشرة سان يوزي ليست من حشرات مصر ولم توجد بها مطلقاً

﴿ أطوارها ﴾ ان هذه الحشرة بعض الطرف عن غرابة أطوارها التي هي أشبه شيء بقصة خيالية تدل فتكثر بسرعه مدهشة. فقد أحصي النسل الناشيء عن أنثاها الواحدة فاذا هو زهاء ٣٫٢١٦٫٠٨٠٫٤٠٠ حشرة في الموسم الواحد اذا ما صادفتها أحوال حوية ملائمة ولم تهلك أية حشرة منها

وصغار الحشرات تولد احياء. وقد يصل العدد المتولد من الحشرة الواحدة الى ٤٠٠ احياناً. أما عدد أجيالها فأربعة في السنة عالماً وهذه الحشرة وان كانت تشاهد بجميع أطوارها المختلفة على النباتات في فصل الخريف الا ان معظمها ينعدم في الشتاء سوى القليل من صغارها التي تمضي الشتاء وهي مستكنّة. فاذا ما جاء الربيع شرعت في امتصاص العصارة وكبرت في حجمها حتى يتكامل نموها وعندئذٍ تبدأ أنثاها في وضع صغارها بمعدل ٩ او ١٠ كل يوم مدى ستة أسابيع. وقبل توقف الانثى عن الولادة بأسبوع تشرع صغارها التي ولدت في الاسبوع الاول وتكامل نموها في الولادة وهكذا. هذا والصغار بعد ولادتها بساعات تبدأ في امتصاص العصارة ثم تشرع في افراز كتلة من الألياف القطنية أو الشمعية لا تلبث حتى يتداخل بعضها في بعض فينشأ عنها العلف الفشرية للحشرات

والغطاء في أول الأمر أبيض مستدير في وسطه نتوء صغير ثم يسودّ خلال أسبوعين أو ثلاثة وأخيراً يصير ذا لون سنجابي. والاناث وحدها تفقد أعينها أثناء الانسلاخ الاول في حين أنها والذكور معاً تفقد فيه أرجلها وقرون استشعارها. وهذه الذكور ذات أعين أرجوانية

اللون كبيرة وهي تتحول بالتدريج بعد انسلاخين آخرين الى حشرات كاملة لها أحنحة رقاق لونها برتقالي . أما الاناث فتظل كل واحدة منها مستديرة الشكل منبسطة وتتزاوج مع الذكور بعد انسلاخها الثاني

﴿ وصفها ﴾ الحشرة الانثوية البالغة تكون مستديرة تقريباً ومحدبة قليلا وفي حجم رأس الدبوس قاتمة اللون في صغرها سنجابية عند بلوغها ذات حلمة سوداء في وسطها تحيط بها قناة سنجابية فاتحة اللون . اما الحشرة الذكرية فغاية اللون سنجابية تضرب الى السواد وأصغر من الانثى كثيراً وطولها نصف عرضها

وحشرة سان يوزي ويقال لها ايضاً حشرة الصين القشرية عبارة عن قشرة وحشرة حقيقة . فالقشرة ضئيلة الحجم غير ظاهرة ولكن يسهل تمييزها على انسلاخ النبات الدرية بوجود بقع حمر حول قواعدها . اما الحشرة نفسها فقد توحدت هذه القشرة الواقيه لها وقد لا توحد وهي رخوة الجسم صفراء كالليمون وانثاها مستديرة تقريباً بينما الذكر اكثر استطالة منها واطوار هذه الحشرة تسترعي النظر لان الذكر منها وهو في طور الشرنقة يختلف كثيراً بعد الانسلاح الاول عنه في الانثى فالذكور لها اعين ارجوانية كبيرة في حين ان الاناث ليس لها اعين مطلقاً وهذا ما قد اصطلح عليه ريلي « بالطور السابق الشرنقة » الذي توجد فيه وسائد للاجنحة بينما تكون الاجنحة قصيرة غليظة . اما الطور التالي المعروف بالشرنقة الحقيقيه فتستطيل فيه قرون الاستشعار والارجل اما الحشرات الكاملة فتخرج من تحت قشورها متراجعة الى الخلف وفي حالة الاصابة الشديدة تكون الاحراش المصابة معلقة تماماً بقشور متضامة تعيش تحتها الحشرات

﴿ النباتات التي تعولها ﴾ جميع الحشرات القشرية تلحق الضرر بالنباتات على نمط واحد هو امتصاص العصارة وتجريد انسجة النبات من الغذاء . وهناك تأثير فسيولوجي ينشأ عن مواد تفرزها الحشرات القشرية في النباتات لكنهُ قليل الشأن لان الشجرة التي لم تصب جداً لفقدان الغذاء تنتعش ثانية متى ابيدت الحشرات . وقد تعطي القشور الشجرة المصابة اذا تركت وشأنها نصف علاج سنة او سنتين فاذا ما مضى عليها سنتان أحريان ماتت او صارت عديمة الفائدة

وتوجد حشرة سان يوزي على اي جزء من النبات وفي حالة اصابة الثمار بها تشاهد عادة مجتمعة حول عنق كل ثمرة وتسبب عليها بقعاً حمراً صغيرة وكذلك الحال في اللحاء الداخلي للشجرة المصابة حيث تكون في الغالب مصطبغاً باللون الارجواني في مواضع تجمع هذه الحشرات

وسرعة توالد هذه الحشرة مع سهولة « تأقلمها » تجعلانها شديدة الخطر وهي تعيش في مختلف الاجواء حارة وباردة رطبة وجافة وغذاؤها يختلف باختلاف مواطنها ولكنهُ ينحصر في شجر الفاكهة والزينة وفي الاعشاب

كانت حشرة سان يوزى في اول الامر آفة شجر الفاكهة ولا سيما الخوخ الذي ما زال عرضة للاصابة الشديدة بها . وكذلك صنف الكمثرى المعروف بالدوشس Duchess والصنف الآخر المعروف بالبارتلت Bartlett تشتد اصابتهما بها بينما صنف الكمثرى المسمى كيفر Kieffer يظل منيعاً. اما الرقوق المعروف باللو دامسون Blue Damson فاكثر قابلية للاصابة بها من اصنافه الاخرى . والسفرجل والتفاح عرضة للاصابة بها ولكن صنفي التفاح المعروفين بين ديفس ويلو ترانسبيرانت Ben Davis & Yellow Transparent اكثر عرضة للاصابة من اصنافه الاخرى العادية . اما شجيرات الريبس Current bushes فاذا ما اصابتها هذه الحشرة تلفت او ماتت . وقد يصاب بها الكريز الحلو. اما اصنافه الحمضة فمنيعة تقريباً . وكروم العنب لا تصاب عادة لكنها قد تصاب اذا ما غرست بجوار اشجار اصابتها شديدة . وتوت امريكا المعروف باسم ماك لورا اورانتيا كا Osage orange واسمه الانجليزي اوسج اورنج Madura aurantiaca اذا ما غرس كسياج ماتي اصيب اصابة شديدة واتخذته الحشرات القشرية مكاناً امينا لا يصارع لتوالدها — وأصناف الورد العديدة عرضة للاصابة عادة اما الاشجار الآتية وهي الاجاس المسمى (Prunus) وشجر لسان العصفور الابيض المسمى (Prunus cerasus) Mountain Ash وشجر البلاق المسمى (Sorbus aucuparia) False or American White Ash ورهاء مائة نوع آخر من اشجار الغابات عرضة للاصابة بها

﴿ وسائل انتشارها ﴾ (١) تحرر رحيقها على الفروع المتعانقة (٢) بواسطة الرياح الشديدة (٣) تحملها على اقدام الحيوانات وأجسامها ولاسيما الطيور والحشرات التي تفوقها حجماً (٤) على شجيرات الغرس المصابة (٥) بالشحنات الزراعية المصابة المستوردة من الخارج

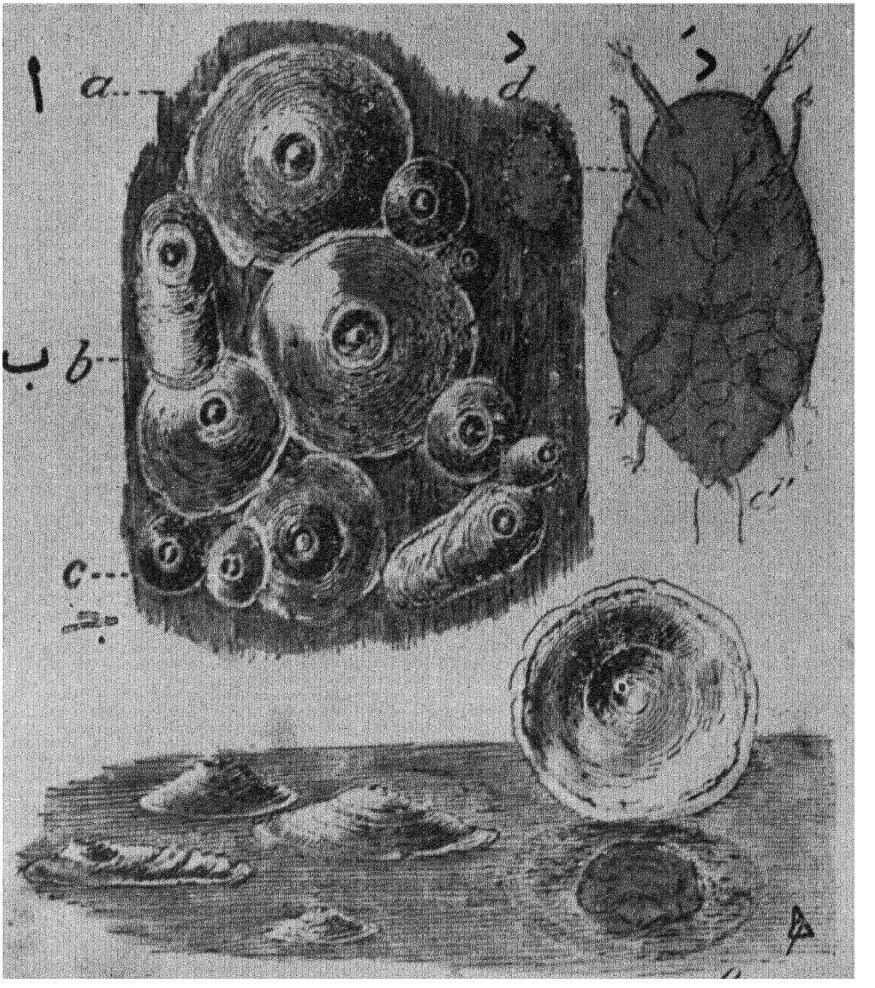
﴿ طرق مقاومتها ﴾ من المعلوم ان ابادة بيضات الحشرات بالرش اصعب من ابادة الحشرات نفسها التي لا بد لها من استنشاق الهواء حتى ولو كانت الاخيرة في حالة كمون حرفي

وقد اشرب الى ان حشرة سان يوري لا تقضي فصل الشتاء في طور البيضة فالحشرات الصغيرة تكمن في فصل الشتاء تحت قشورها . ولما كانت حشرة سان يوزى القشرية لم يعثر عليها مطلقاً في مصر فانهُ اذا اتفق وتسربت الى داخلية القطر من النطاق الحمركي بسبب ما فلا بد من اتخاذ الوسائل الفعالة الآتية لمقاومتها : —

١ — ان يكون رجال الحجر الزراعي بالجمارك على حذر من ان تتسرب حشرات اخرى الى داخلية القطر

٢ الامتناع عن شراء شجيرات الفاكهة من المشاتل المصابة

٣ — علاج شجيرات الغرس المصابة بالمشاتل في كل سنة حتى تستأصل الحشرات القشرية



حشرة سان يوزي الفشرية « ا » الحشرة الانثوية البالغة « ب » الحشرة الذكرية « ج » الحشرات الصغار « د » اليرقة عقب تولدها « دَ » اليرقة نفسها مكبرة كثيراً « ه » قشرة مرفوعة ليشاهد جسم الحشرة الانثوية تحتها . وهي جميعاً مكبرة كثيراً أخذا عن (كوينتانس)

٤ — تقليم النباتات المصابة التي يمكن انقاذها في الساتين وحرق مخلفات التقليم

٥ — قلع جميع الاشجار المصابة التي لا يرجى شفاؤها وحرقها

٦ — احكام رش الاشجار المصابة في فصل الشتاء بمحلول الجير والكريت او بعض المستحلبات الزيتية

٧ — الاستمرار في الرش سنة فسنة طالما عثر على اي اثر للحشرة القشرية

٨ — عمل الترتيب اللازم لمكافحة هذه الحشرة بالوسائل البيولوجية

﴿ الرش ﴾ الطريقة الشائعة المعول عليها لمقاومة الحشرات القشرية هي الرش . وقد وجد ان الرش بالمواد المناسبة في الوقت اللازم اذا أجري كما يجب مرة في السنة كان كفيلاً بقمع الحشرة ومنع ضررها . اما المواد المحرقة والمعترة غير المواد لرش حشرة سان يوزي القشرية فهي مخلوط الجير والكريت وكذا بعض المستحلبات الزيتية . اما المواد الأخرى كالصودا الكاوية وزيت السمك والصابون والكيروسين النقي ومستحلباته ومنتجات البترول المنوعة والمستحصرات المعروفة بمبيدات الحشرات القشرية فهي أقل تأثيراً مما تقدم

﴿ العلاج بالغمس ﴾ تستعمل هذه الطريقة فقط في علاج شتلات الغرس فالغمس في المواد الموافقة اذا توافرت فيه جميع الشروط اللازمة يقتل أية حشرة قشرية قد تكون على الشتلات وقت العلاج من دون ان يلحق بها أي ضرر والمحلول الذي يستعمل هنا هو بوجه عام المحلول المستعمل في الرش الا انه يكون عادة اكثر تركيزاً والشائع هو استعمال مخلوط الجير والكريت والزيوت القابلة للذوبان ومستحلب الكيروسين والارجح منها هو الاول فهو أقل خطراً وفعله يضارع فعل أي واحد منها ولا بدّ من تخفيف المستحصرات التجارية لمحلول الجير والكريت بنسبة جزء واحد منهُ الى كل سبعة أجزاء من الماء ومدة الغمس هي دقيقة واحدة وبعدئذٍ توضع الشتلات المعالجة على مسطح منحدر بحيث تكون قمتها الى اسفل لتصفى عنها السائل . وينبغي ان لا تغمس الجذور لكيلا يلحقها تلف ولا ضرر اذا تصادف وقوع بعض السائل على الجذور الكبيرة ويراعى ان تكون الشتلات المعالجة في حالة كمون تام ويلزم عند استعمال الزيوت القابلة للذوبان ان تخفف كما لو اريد استعمالها في عملية الرش — اي تخفف بنسبة جزء واحد من الزيت لكل خمسة عشر جزء من الماء اما عند استعمال مستحلب الكيروسين فيجب تخفيفه بنسبة جزء واحد من المستحلب لكل سبعة اجزاء من الماء

﴿ التدخين ﴾ يحسن تدخين شجيرات الفاكهة قبل نقلها من المشتل الى محلها الدائم بالبستان . والعادة ان يستعمل غاز الحامض الهيدروسيانيك بالنسبة الآتية لكل مائة قدم مكعبة من الفراغ

سيانيد الصوديوم (٩٥ ٪ نقاوة)	اوقية
حامض الكبريتيك النقي	اوقية
ماء	اوقيتان

ولا بد من استمرار عملية التدخين مدة تتباين من نصف ساعة الى ثلاثة ارباع ساعة ويجب ملاحظة عدم التدخين وشجيرات الفاكهة مبتلة لان وجود الرطوبة يجعلها عرضة للتلف كذلك يتحتم احراء التدخين في صناديق او عرف محكمة الاغلاق — هذا وقد دلت التجارب على ان التدخين اذا جرى بدقة واتبعت فيه الشروط السابقة لا بد من ان يقتل الحشرات القشرية التي على شجيرات الفاكهة المعالجة بدون احداث اي ضرر بها

***

﴿ الوسائل البيولوجية ﴾ تطل حشرة سان يوزي القشرية معلومة على امرها في موطنها الاصلي (الصين) بواسطة الحشرة الاسيوية المسماة Chilocorus cacti Rossi وكثير من الخنافس التي بالولايات المتحدة الاميركية تعتدي بحشرة سان يوزي القشرية واكثرها نشاطاً الخنفساء المعروفة باسم Chilocorus bivulnerus Mulds والنوع الصغير جداً الاسود اللون المسمى Microweisea misella Lec. وكل من الحشرات الكاملة واليرقات للخنافس المشار اليها تعتدي بحشرة سان يوزي القشرية. وفي ولاية ماستشوستس من الولايات المتحدة الاميركية قامت حشرة Prospaltella perniciosi Tower بالتعدي متطفلة على حشرة سان يوزي القشرية فكان له من اعظم الاثر في ملاشيها. هذا وقد رتى الدكتور هاورد الحشرات الطفيلية الآتية أحداً من حشرة سان يوزي القشرية وهي : —

Physcus varicornis How.	٥	Aphelinus fuscipennis How.,	١
Prospaltella aurantii How.	٦	Aphelinus mytilaspidis Le B.,	٢
Aphycus chrysomphali Ashm.,	٧	Aspidiophagus citrinus How.,	٣
Rhopoideus citrinus How.,	٨	Aniphes gracilis Hoss.,	٤

هذا وبعض الطيور الصغيرة قد تعتدي بحشرة سان يوزي من وقت الى آخر

ثم ان حشرة سان يوزي القشرية وكثيراً من الحشرات القشرية الاخرى عرضة للاصابة بأنواع الفطر وقد قام الفطر المعروف باسم Sphaerostilbe coccophila مما كان له الاثر الجليل في عرقلة انتشار حشرة سان يوزي القشرية بولايات فلوريدا وجورجيا والولايات الاخرى التي تحيط بخليج المكسيك

ولا يخفى ان الرطوبة من اهم ضروريات نشأة هذا الفطر وتطفله

كيمياء الفيتامينات

التمهيد لصنعها بالتركيب الكيمياوي
ومكانة الضوء والاشعة التي فوق البنفسجي في ذلك

هذه العوامل الخفية في مواد الغذاء، التي تحول دون بعض الامراض، وتشفي بعضها، وتحص الجسم فلا تناله العدوى من دون كفاح، لقد عرفناها بتأثيرها، وتبيناها في الاغذية التي تكثر فيها. فما هي على حقيقتها، والى اي المركبات الكيمياوية تمتُّ بصلة، وهل من المتعذر عزلها ومعرفة قوامها ثم تركيبها بحيث تؤخذ في كل بلاد مهما تباين الاقليم واختلف الغذاء وتطيب لكل حلق سواء أفي زيت السمك كانت ام في غيره من مواد الغذاء النيئة والمطهية؟

من اوقع المشاهد في النفس في تاريخ العلم الحديث تسابق العلماء وتنافس العامل في حل مشكلة علمية عند ما تتصح لهم عناصر تلك المشكلة، بل وقبل ان تتصح. لذلك قضى العلماء نحو عشرين سنة من ٩٠ الى ١٩٣٠ وكأنهم يتلمسون في شكل الفيتامين طريقهم في الظلام. فعجزوا عن عزل الفيتامين وصنعه بالتركيب الكيمياوي. ثم اعلن حلال بصعة اسابيع في سنة ١٩٣١ ان فيتامين (أ) قد استحضر بلورات نقية في لندن وحوتنجن وهولندة وايفانسفيل بأميركا

كان الطريق الى النجاح طريقاً وعراً. اتيحت الفرصة في غير منعطف واحد من منعطفاته لكشف السر، ولكن ما كان معروفاً عن الفيتامين، لم يكن وافياً، فضيعت الفرصة، وظلت المشكلة قائمة. ففي سنة ١٩٠٨ وضع احد الباحثين ثمانية حراء كلاب في حجرة مظلمة فأصيبت بالكساح، حالة ان حراء اخرى تركت طليقة فلم تصب بها، مع ان الطائفتين كانتا تتغذيان بغذاء واحد. وأثبت باحث آخر سنة ١٩١٢ ان حراء الكلاب تصاب بالكساح اذا حرمت من ضوء الشمس. ولاحظ هري ستينبوك احد مساعدي ماكولم الأول عند ما كان في وسكنصن [1] ماعزاً يمثل الحير وبنيه في عظامه مدى اسابيع وهو يمرح في ضوء الشمس، ثم جعل يفقد هذا الحير عند ما حبس في حجرة مظلمة مع ان غذاءه كان واحداً في الحالين. ولكنه لم يمض في البحث لان الكلاب التي جرب فيها امتحان هذه المشاهدة لم تسفر عن نتيجة فانصرف عن

(١) راجع مقتطف مايو ١٩٣٧ صفحة ٥٣١ — ٥٣٢

هذا الموضوع الى آخر . وفي سنة ١٩٠٨ لاحظ هولدتشنسكي احد اطباء برلين ان الكساح اقلّ في الفصول المشمسة منهُ في الفصول العائمة الماطرة

فقال هولد تشنسكي : لعل ضوء الشمس هو العامل الفعال في توليد الفيتامين ، وقد تمكن فعلا من شفاء اطفال المان مصابين بالكساح ، بتعريضهم لاشعة منبعثة من مصباح بخار الزئبق

ثم ثبت لباحثة تشتغل بمعهد استر بالندن ، ان المادة المقاومة للكساح في زيت السمك هي نفس المادة التي تولّد بفعل الضوء . ونشرت بحثها في سنة ١٩٢٢ فادا فيهِ وصف تجارب حرّبتها فشفت جرذاناً مصابة بالكساح ، بتعذيتها باكباد الجرذان بعد تعريضها للاشعة المنبعثة من مصباح بخار الزئبق . ولكنها لم تتابع البحث ووقفت عند هذا الحدّ . وفي السنة التالية (١٩٢٣) تمكن ثلاثة من الاطباء الداعين الى عادة ضوء الشمس من الناحية الصحية ، من كشف فعل ضوء الشمس الفسيولوجي، كلٌ على حدة ، وهم الدكتور هس نيويورك وعولد بلات بلندن وستينبوك بماديس وسكنصن . فقد وجّه ثلاثتهم الاشعة التي فوق البنفسجي الى مواد غذائية لا تحتوي الاّ على يسير من فيتامين (د) فكثر هذا الفيتامين فيها

وكانت طريقة ستينبوك غاية في البساطة وقد رسى هو ومعاونهُ بلاك جرذاناً في حجرة مظلمة، وغذاها بطعام يسبب الكساح وكان طعاماً مركّباً وفقاً لوصفه وصفها ماكوم الخبير العالمي في هذا الموضوع ، فظهرت اعراض الداء على الجرذان فعرّض ستينبوك عندئذ عناصر الغذاء للضوء ، ثم غذّى بها الجرذان المسجونة في الحجرة المظلمة والمصابة بالكساح . فشفيت منهُ . فجرّب هذا الاسلوب في اطعمة اخرى . فاذا فيها فيتامين (د) او هو يسير جدًّا فيها ، فصحّ وسجّل طريقتهُ هذه في سجل «الجامعة» الاميركي واستحرج امتيازاً باستعمالها ، وعرضهُ على ما قال وقايه الجمهور من استعمال الشركات الخاصة لهذه الطريقة استعمالا قد لا تكون صحيحاً ولا سليماً . وكان رقم هذا الامتياز ١٩٦٨٠٨١٨ فحوّله عند فوزه الى جامعة وسكنصن ، فمنحها لاحدى هيئاتها الرسمية الاتفاق مع الشركات التي تبغي استعمالها ، اتفاقاً يضمن استعمالها الصحيح . وما نجم من هذا الاتفاق يعين على تشجيع المباحث العلمية في الجامعة نفسها

وعلى الرغم من كلّ هذا ، فقد اعترض شديد لحصر ثمار البحث العلمي المجرّد ، وتكبيلها بامتيازات خاصة ، لان هذه الثمار يجب ان تباح للناس

وادن فالصعب قد ركب في هذه المواد شيئاً جديداً فيها فطن ستينبوك ان «الكولوستيرول» [illegible] هو موطن هذا التركيب . والكولستيرول مادة توجد في جميع الخلايا الحية فلما أحد الكولستيرول وعرّض للاشعة التي فوق البنفسجي ظهر انهُ لا يشفي الحيوانات المصابة بالكساح . فانصرف ستينبوك عن هذا البحث الى آخر وهو سبب فقر الدم في الجرذان وشفائه.

ولكن غيره والى البحث . وفي سنة ١٩٢٦ أذيع من ثلاثة معامل في انكلترا والمايا وأميركا ان المادة التي يحوّلها الصوء الى فيتامين هي المادة المعروفة باسم ارجستيرول » Ergosterol وكان من المتداول بين العلماء ان مادة «الارجستيرول» هذه توجد في انسجة النبات والحيوان في مقادير يسيرة جدًّا هي أقل من واحد في المائة . وهذه المادة ليست دهناً كما ظنّ أولاً بل من طائفة من المواد العضوية تعرف باسم «ستيرول» وقد وصفت بأنها «حجر شجرة الحياة ومن مركباتها الفيتامينات والاتوار (الهرمونات) والانزيمات (الاريم مادة كيمياوية معقدة يولدها الجسم العضوي كخلية الخميرة فتستطيع ان تحدث تحوّلاً كيمياويًّا كتخمير السكر)

فلما وجد العلماء أمامهم مادة كيمياوية معينة أكبوا على البحث . وفي ٢٣ نوفمبر سنة ١٩٣١ أذيع أول نبأ من أنباء النجاح . ذلك أن أدولف فندوس Windaus الاستاذ بجامعة غوتنجن وحائز جائزة نوبل الكيمياويه ، تمكن من تحضير فيتامين D في بلورات خالصة من الشوائب بتعريضه «الارجستيرول» للاشعة التي فوق البنفسجي ثم استخلاص الفيتامين D منهُ . وقد وجد فندوس انهُ اذا عرض «الارجستيرول» لأمواج معيّنة من الاشعة التي فوق البنفسجي تمكن من الحصول على بلورات تكفي ثلاثة أخماس من بليون جزء من الجرام منها لشفاء الكساح حالة أنّ جزءاً من خمسة آلاف جزء من الجرام منها يفعل فعل السم . ولم ينقض شهر على ذلك حتى أذاع المعهد القومي للبحث الطبي بلندن استحضاره بلورات فيتامين D ودعاها «كالسيفيرول» Calciferol وجرى مستقلاً في تحضيرها على نفس الطريقة التي جرى عليها فندوس أي تعريض الارجستيرول للاشعة

ثم اعلن باحث اميركي يدعى تشارلز بلر Bills — وقد كان أحد تلاميذ ما كولم — انهُ تمكن من تحضير فيتامين D بالتركيب الكيمياوي وذلك بمعالجة الارجستيرول بغاز اكسيد النتروجين (نتريك أوكسيد) لا بتعريضه للضوء . الا ان الفيتامين الذي حضره لم يكن نقيًّا ، ولكن وجه الحطر في اذاعته ، اذا صحت ، انهُ أول من صنع الفيتامين بالتركيب الكيمياوي لا بالاشعاع . ولا يزال الباحثون يحدون وراء التركيب الكيمياوي لفيتامين D من حيث ترتيب الذرات المختلفة في جزيئه

وما كاد فندوس يعلن استفراده لفيتامين D النقي حتى اذاع باحث في جامعة بتسبرج يدعى كنغ King فوزهُ بفيتامين D في بلورات نقية فسبق في ذلك طائفة من اشهر المعامل الكيمياوية المعنية بالموضوع في انحاء العالم

اقبل كنغ على هذا البحث سنة ١٩٢٥ وكان من المسلم بهِ ان الليمون الحامض غني بفيتامين C المقاوم للاسكربوط . ولذلك عني بهِ جماعة من العلماء يحاولون ان يستخرجوا منهُ هذا الكنز الصحي ولكن البحث اعياهم فانصرفوا عنهُ . اما كنغ فلم يتطرق القنوط اليهِ . فأخذ عصير عشرات من « فصوص » الليمون وحرّب بكل وسيلة من وسائل الكيمياء ان يستخرج منها الفيتامين

النقي . وكانت كلّ مرتبة من مراتب تجربته خاضعة لقواعد الضبط العلمي . وكان قد خطر لهُ ان الاوكسجين يتحد بفيتامين C فيتلفهُ فصنع احمرة تمكنهُ من عزل العصير عن الاوكسجين باحلال النتروجين محل الهواء في أحواض الآنية التي كان يشتغل بها . واستعمل الارانب الهندية لامتحان فعل العصير في مراتبه المختلفة . وكان كلما قلّ العصير باستبعاد الاجزاء السائلة منهُ ، يمتحنهُ بحمض هذه الارانب به ، فرأى فعلهُ في مقاومة الاسكربوط يزداد فاعتقد انهُ اصبح قريباً من الفوز بالمادة النقية

وفي ٤ ابريل سنة ١٩٣٣ بعد سبع سنوات من البحث المضني المستمر ، استفرد كنغ من لتر كامل من عصير الليمون خمسين مليغراماً من بلورات اثبت انها بلورات فيتامين C النقي

وبعد ذلك اكبّ كنغ على حلّ هذه المادة النقية لمعرفة تركيبها الكيمياوي فثبت لهُ انهُ ($C_6H_8O_6$) وهذه المادة تباع الآن باسم سيبيون Cebione وتؤخذ عن طريق الفم في حبوب كل حبة منها سنتغرام (جزء من مائة من الغرام) ويقال انها تحتوي على مقدار من فيتامين C يعدل مقداره في ملء قدح من عصير البرتقال (٣٠ سنتمتراً مكعباً) . ثم تناول پول كارر احد علماء زوريخ البحث في ترتيب الذرات في جزيء من هذا الفيتامين ويقال ان كيمياويًّا انكليزيًّا صنعهُ بالتركيب الكيمياوي بعيد ذلك

وبعد ذلك توالى استفراد انواع الفيتامين الاخرى فولد فيتامين A بتعريض الكاروتين (المادة التي تسبب اللون الاصفر في الجزر وهي مادة عصوية) لامواج الضوء من طول معين على نحو ما ولد فيتامين D بتعريض الارجستيرول للاشعة التي فوق البنفسجي ثم استخلاص الفيتامين بقيًّا منها . وصاحب هذا البحث يدعى درمند Drummond وهو احد كيمياوي لندن

اما صورة فيتامين A الكيمياوية وهي كما يلي : $C_{20}H_{29}OH$ ك ٢٠ يد ٢٩ ا كـ يد OH ولكن ترتيب الذرّات في الجزيء لم تستوف معرفتهُ بعد . ومن العرائب ان فيتامين A في حالته النقية ريت كثيف ثقيل اللون وقد وجد في الدم والكبد والطحال والكظرين (الغدتين اللتين فوق الكليتين) وبعض اعضاء اخرى . والرأي ان هذه الاعضاء تتناول الكاروتين من الطعام فيتحوّل الى فيتامين A بفعل انزيم خاص ويخزن

وتلا ذلك تحضير فيتامين B المحضّر فندوس الالماني مادة طن انها بلوراتهُ النقية وذلك في سنة ١٩٣٢ ولكن روبرت ولمير الاميركي ، فاز في يناير سنة ١٩٣٥ ببلورات فيتامين B النقية من قشور الرز . ويماز ولمير على غيره من الباحثين بانهُ حقق ترتيب الذرّات في جزيء الفيتامين الذي استفرده وصورتهُ الكيمياوية $C_{12}H_{16}N_4OS$

وفي شهر أغسطس من السنة نفسها (١٩٣٥) أعلن اوانز استفرادهُ لفيتامين E واستخلاصهُ في بلوراته النقية . ولا يخفى ان لهذا الفيتامين صلة بالتناسل من جهة (راجع مقتطف يونيو

١٩٣٧ ص ٣٥) وبالسرطان من جهة أخرى. ذلك ان باحثاً كنديًّا تبين في سنة ١٩٣٤ ان الفئران التي تتغذى بغذاءٍ يكثر فيه فيتامين D تصبح أشد مناعة من غيرها وأقل تعرضاً للاصابة بالنوامي السرطانية. ويؤيد هذا ان باحثاً في جامعة ايلينوي لاحظ ان الفراخ التي تتغذى بغذاءٍ يعوزهُ هذا الفيتامين تبدو فيها نوامٍ شبيهة بالنوامي السرطانية. فاستفراد هذا الفيتامين وتحضيره بلورات نقية سيسهل ولا ريب البحث العلمي المضبوط في هذين الموضوعين الخطيرين، التناسل والسرطان

أما فيتامين A فلم يستحضر بعد نقيًّا من الشوائب وتركيبهُ غير معروف. فقد طن اولاً ان فيتامين B و G واحد وظلّ الرأي كذلك حتى أثبت حولد برجر وغيره من رجال مصلحة الصحة الاميركية ان هناك فيتامينين في فيتامين B الذي يذوب في الماء وما يعرف الآن بفيتامين G مؤلف في عرف بعض الباحثين من مادتين كيمياويتين لا بدّ من تلازمهما لمنع البلاجرا

اما فعل فيتامين A في منع اللاحرا فلا يزال فيه محال للبحث، ورأي حولد برجر لم يقبل بحذافيره. ومن هنا بعض العقبة دون التوصل الى استفراد هذا الفيتامين ومعرفة تركيبه الكيمياوي

ان البحث في الفيتامين على النمط المتقدم ليس وقفاً لعلم الكيمياء البيولوجية فحسب، بل فاز كذلك للعلم المطبق في الصناعة. فمادة الارجستيرول المعالجة بالاشعاع لتحويلها الى فيتامين D تدخل الآن في غذاء ألوف الألوف من الصغار وكذلك الخبز المشبع به وهو يصنع باشراف معهدين علميين بالولايات المتحدة وكندا. ثم ان الناس يستهلكون كل سنة مقادير كبيرة من الخميرة واللبن الخاثر والسكويت وغيرها من الاطعمة بعد اضافة الفيتامين D اليها او توليده فيها. وتعدّى الاعتبار بالخميرة التي وُلّد فيها الفيتامين بالاشعاع ليزيد مقدار الفيتامين في لبنها وقد عمدت طائفة من مصانع الالبان الى تعقيم اللبن بأسلوب كهربائي خاص يحتفظ بما فيه من الفيتامين

هذه بعض الحقائق المتصلة بموضوع الفيتامين، وهي على ما يرى القارىء كثيرة ومتنوعة، وليس بينها بوجه خاص الا ما كان لهُ علاقة بغذائه وللعالم كولم كله مأثورة في هذا الصدد قال «كُلْ ما تشتهي بعد أن تأكل ما يجب». فما الأطعمة التي يجب أن تأكلها؟ اللبن والخضراوات الورقاء والفواكه والبيض ومقادير معتدلة جدًّا من اللحم. هذه هي الاطعمة التي تقيك من الأمراض الناشئة عن نقص الغذاء. ويجب ان يضاف اليها في حالة تغذية الاطفال والحوامل والمراضع زيت السمك وكل ما يحتوي على فيتامين D لأن مقدار هذا الفيتامين في الاغذية المختلفة التي يوجد فيها ليس كبيراً

قال الحكيم الفرنسي قديماً «ان الموت يدخل من الفم». وأثبت العلم الحديث ان طائفة كبيرة من الأمراض التي نصاب بها صغاراً وكباراً سببها نقص التغذية. هنا حكمة القدماء وعلم المحدثين مجتمعين!

المدرسة والطالب

وا ـ طن

للدكتور نشارلس وطسن
رئيس الجامعة الاميركية بالقاهرة

سيداتي ، سادتي : تحت هذا العنوان ، وفي هذا الموضوع المتسع الجوانب ، اريد ان ابحث في ايحار المرحلة الدقيقة التي تحتازها الامة المصرية الهم ، ونصيب الترب من هذه المرحلة ، ولا سيما ما قد تستطيع الجامعة الاميركية ان تسديتهُ من الخدمات الجليلة ، المشبعة بروح الصداقة والوداد في هذا السبيل ، وان تلك هذه الخدمات متواضعة في نوعها ، محصورة في مداها

ولنستهل البحث اولاً بقياس الحياة القومية الجديدة التي حصلت عليها سيادة البلاد واستقلالها ، ولنساءل عن الفروق الناجمة عن هذه الحياة الاستقلالية ، وما اصبح الآن بفضلها مستطاعاً مما كان قبلها ويعزها مستحيلاً . ان واضع هذا السؤال يمكن ان يكون احد اثنين : اولهما ذلكم الذي لا يعنيه من هذه الحالة سوى اشباع مآربه الذاتية وما يجنيه هو في هذا الموقف من النفع المادي . ذلكم الذي لا يجول بخاطره سوى الوظائف التي تفتح ابوابها امامه ، وما ينجم عنها من زيادة في المرتب ونقص في ساعات العمل هذا هو الانانى الذي يدور محور تفكيره حول هذا الهدف . ترى ما الذي يعود عليَّ انا من هذا الاستقلال ؟ واذا اتجهنا الميدان الاخرى بقياساً ، بما في ذلك بلادنا ولايات اميركا المتحدة فان عدد الذين يقتحمون ابواب الحكومة لعلم ما يستطيعون من الغنائم ليس بالقليل ، وليس ثمة ما يصدهم عن اشباع مطامعهم الا نفسه سوى سخط الرأي العام . بيد ان هنالك والحمد لله ذلك النوع الثاني من ابناء الامة ، الغيور على وطنه ، الذي يتجه تفكيره شطر طريق ماين للنوع الاول ذلك هو الرجل الذي يسائل نفسه : ما هي التبعات الجديدة التي تترتب على هذا الاستقلال ، فأتحمل تبعاتها ؟ وأنى لي ان اقوم بنصيبي منها ؟ وللاجابة عن هذا السؤال روح الاخلاص المجرد عن الغرض ، خليق بنا أن نحلل الموقف وان نبدي ما عنَّ لنا من الملاحظات الآتية :

يلوح لي بادىء ذي بدء أن فوز مصر باستقلالها التام لن يحدث في نظام حكومتها تغيراً يذكر ، وهذا امر يظهر في غاية الغرابة ، اذا قابلنا بين مصر اليوم وولايات اميركا المتحدة في بدء

عهدها بالاستقلال كانت تلك البلاد في ذلك الحين تتألف من ثلاث عشرة ولاية مستقلة بعضها عن بعض، وكان عليها انشاء حكومة مركزية تضمها جميعاً تحت لواء واحد. وكان عليها ان تضع دستوراً، وتنشىء مجلساً نيابيًّا، وتنتخب رئيساً للجمهورية، وتشيد قاعدة في واشنطون، وتؤلف وزارة، وتنظم غير ذلك من المصالح المتشابكة التي تسير دفة الاعمال في الحكومة الاتحادية الحديدة. بيد ان مصر لحسن الحظ أبعد حالاً، وحالتها من هذه الناحية اقل تعقداً، ومهمتها اخف عبئاً. فهي تتمتع بدستور راسخ البنيان، ولها مليك شاب يبشر بمن طالعه بعمر مديد، ولها مجلس نيابي قائم باعباء وطيفته حيرقيام، ولها وزارات حنكتها الايام واكسبتها دراية وخبرة منذ عهد بعد وليس ثمة ما تحتاج البلاد اليه من الانظمة الحديدة مما يستحق الذكر، وليس هناك ما يدعو لاعادة التنسيق في اي مرفق من هذه المرافق. وبلاد بلغت نظمها هذه المرتبة السامية، تبشر بنجاح اكيد في حياتها المستقلة الحديدة

وعلى الرغم من ذلك فليس هناك من يستطيع اغفال الحقيقة الواقعة، وهي ان هذا الاستقلال حادث تاريخي مشهود، له أسمى منزلة في حياة الامة المصرية ويظهر شأن هذه الصفحة الحديدة في تاريخ وادي النيل الدخليًّا للعيان، اذا ما شبهنا مصر بشاب يغادر لاول مرة منزله وأسرته، ويرحل في ساحة العمل معتمراً طرباً لا رق، وامامه شتى المسئولية مثل، فلا يفتأ مناجياً نفسه: هل ترى يكون نصيبي الخيبة ام النجاح؟ غير ان انتهاجه بحياته الحديدة وحماسته المتقدة لا تمنعان عن حشيته من أعباء المسؤولية، ذلك لأنه بدأ يشعر حقًّا بأنه هو المسيطر على نفسه، المالك لزمامه. ولا يبرح هذا الشعور أن يقوّي في نفسه العزيمة الصادقة فيتمثل التضحية نصب عينيه أملاً في النجاح معتمراً في لجة هذه الحياة الحديدة التي أخذ يخوض غمارها

لقد عدت الى مصر منذ شهرين بعد غيبة قصيرة في أميركا، فأدهلني ما رأيت من دلائل الروح الحديدة منبثة في طول البلاد وعرضها، وعلى الاخص في الناشئة. وأول ما شاهدته من هذه الروح كان في طلبة هذا المعهد حيث سمعت جمعهم ينشد في حماسة وقوة النشيد الوطني، وشهدت بعد ذلك في دور السينما تصفيقاً حاداً كلما خفق العلم المصري على ساريات المباني والقصور هذه المظاهر وأمثالها تنبيء بالشعور القومي الذي يمكن تسخيره للعمل والخدمة

ولا بدحة عن أن تفتقر هذه الروح الجديدة التي تبلغ فيها الحماسة والوطنية مبلغهما الى التوجيه والارشاد لقد سمعت الاشارة الى ذلك الشعور الاماني الذي يتخذ الاستقلال سلماً يصعد به الى ما وراءه الدانيه. ولا يفوتنا أن ننوه كذلك بأن الوطني الملتهب حماسة مع بعده عن الانانية، وبراءة مقصده، في حاجة ملحة الى هذا التوجيه وذاك الارشاد، وإلا استحالت وطنيته هتافات وحطباً جوفاء ومظاهرات بغير عمل، وبدت في ثوب قومي قشيب يبهر ظاهره

الأبصار ، وتجلت فيه مظاهر الأبهة والعظمة والادعاء ، وقد تتخذ الروح العسكرية لوائح الفخامة لمجرد الزينة لا أداة للذود عن حياض الوطن

على أن هذه الروح الحديدة يمكن توجيهها الى القيام بأجل الخدمات نحو الأمة كمكافحة الامراض الفتاكة التي حدت رجال القوة العسكرية في سنة ١٩٣٤ ، ٣٥ أن رفضوا ٨٢ ٪ من الذين تقدموا للفرز العسكري ، وكتوفير الماء النقي في كل قرية مصرية ، وانشاء المدارس القروية الكافية للقضاء على الامية في المناطق الزراعية ، وتأسيس المسابح إنقاذاً للبلاد من خطر الشبان العاطلين الذين لا يستطيعون الكسب من الزراعة ، وتطهير المدن من مهاوي الرذيلة ، وازدحام المنازل الحقيرة بساكنيها ، مع حلوها من الوسائل الصحية ، وانشاء الملاعب الفسيحة للاطفال والناشئين حتى يشب رجال العد أصحاء بدنيًا وخلقيًا ، واخلاء الشوارع من المتسولين والاحداث الهمل وغرس المبادىء التي تعمل على تنمية روح التعاون والتفاهم وحسن النية بين الامم ، ولا يخفى ما ينبغي أن يكون لمصر في هذا من النصيب الوافر لوقوعها على مفترق الطرق العالمية

كل هذا يحتاج إلى توجيه وإرشاد ورعاية من الطراز الاول ، في جميع مرافق الحياة القومية من اجتماعية ، واقتصادية وقضائية ، وتعليمية ، وسياسية . ونظراً لأهمية هذه الرحلة الحديدة التي تقطعها مصر في تاريخها الحديث ، فانها على استعداد تام ان توجه الهدف الى اسمى الاغراض وأعلى المثل ، طالما كان زعماؤها في كافة المراقي الحيوية يتصفون بالنزاهة والبعد عن الغرض. وهنا يبدو ما للمدرسة من الشأن العظيم وكيف ينبغي لنا ان نبحث عن زعماء الغد حالما يدور التعليم ؟ اسمحوا لي أولاً أن أشدد النبرة على الصفات التي يجب توافرها في الزعماء ، وهي تحكمون بأنفسكم على الاغراض التي نحاول بلوغها عما نزاوله من الاعمال في هذه الجامعة

الصفة الاولى التي يجب توافرها في الزعماء هي التماسك الخلقي والسلوك القويم . الكفاية الوطنية لحماً ودماً لان الزعيم على النقيض من « الديكتاتور » الذي لا يحتاج الا العود الى هذه الكتلة أو العطف عليها ، إذ انه لا يعير التفاته الى شعبه ، ولان همه منصب على إملاء إرادته الشعب بغير إشفاق او رحمة وليس الزعيم الحق كذلك ، لانه يستمد من الشعب إلهامه بحكم النسب والعاطفة والانتماء . أضرب لذلك مثلا بصمويل غومبرز الذي أصبح من اكبر زعماء العمال في أميركا . كان ذلك الزعيم في الاصل شعوباً بالمعنى ، وكان يمكن أن يكون كذلك لامعاً من كواكب الأدباء ، ولكنه رأى بعينه العمال العاطلين يتصورون جوعاً بسبب إنشاء الآلات ، وسمع أحد عمال النسيج يهتف صارخاً « رباه حد حياتي بيدك ، زوجي واولادي في حاجة الى الخبز وأنا عاطل عن العمل » فألقى الغناء والموسيقى جانباً ، ووقف نفسه على خدمة العمال والعمل بينهم وهذا عابدي ، أتم دروسه الجامعية ، وكان من كبار رجال القانون صليعاً من مهنته ، ولكنه

آثر ان يزج نفسه بين أفقر طبقات الهنود وبذلك مهد لذاته السبيل الى الزعامة الحقة للملايين من شعبه . ومما يؤسف له ان المدرسة كثيراً ما تعجز عن بث هذا النوع من الزعامة في نفوس طلبتها ، وكثيراً ما تجد الطلبة يساورهم الغرور والزهو وغيرهما من الصفات التي تفقدهم شروط الزعامة ، وتعمي ابصارهم عن رؤية حاجات المجتمع ، ومطالب ابناء جلدتهم

انما في هذا المعهد نعنى كل العناية بهذه الناحية ، ونحاول أن نحلق في نفوس الطلبة روح العطف على الانسانية بفصل الرحلات والزيارات التي يقومون بها الى المستشفيات والملاجىء والقرى والأحياء المتواضعة في المدينة والسجون والمصانع ، ومن أهم أغراض هذه الزيارات العطف على السواد الأعظم من أبناء الأمة ، وهو من أجل صفات الزعامة

ومن الصفات التي لا ريب في وجوب توافرها في الزعيم الذكاء . ولسنا نعني بهذه الصفة الالمام بما في بطون الكتب من المعارف ، انما نعني بها مجموعة الصفات اللازمة لحل المسائل العامة وتحليل المواقف وتقدير عواملها فاذا ما حلت هذه الصفة من زعيم كان مثله مثل جاهل يقوده جاهل مثله وهذا النوع من الذكاء يتصف صرفاً من حب الاستطلاع الصحيح قيل عن المخترع الشهير توماس اديسون انهُ ولد وعلامة الاستفهام تختلج على شفتيه . فقد كان منذ نعومة اظفاره يمطر والده وابلاً من الاسئلة ، وكلما قال والده لا أدري اجابهُ الطفل اديسون ، ولم لا تدري ؟ وقد باءت هذه الصفة فيه مبلغاً حمله على الاختلاف الى احواض السفن فيتدفق من فمه سيل الاسئلة ، حتى اقترح اولو الامر هناك أن يعين له موظف خاص للاجابة عن اسئلته انقاذاً للموقف ، وتوفيراً لاوقات المهندسين والصناع

وكان العالم الطبيعي « أحسي » في حب الاستطلاع مضرب الامثال ، حتى ان حديقته ومنزله وحجرته الخاصة وحيوانه ، كانت على الدوام مكدسة بالنماذج التي يراد فحصها وحدث مرة انهُ كان يتناول العشاء مع ضيوفه ، فأثيرت مناقشة حادة حول الفرق بين نوعين من الضفادع . فما كان منهُ الا ان مد يده الى جيبه وأخرج منه ضفدعاً تعريراً لرأيه ، فأدهش الحاضرين ولا نعد حضرات والذي الطلبة وأولياء امورهم اننا نستطيع ان نبث في الناشئين في هذه الجامعة هذه الدرجة من حب الاستطلاع ، انما نعد اننا نستطيع ان نوقظ فيهم شديد الرغبة والشغف بالعلم حتى تدفعهم هذه الرغبة الى تجاوز الكتب المدرسية ، وتغريهم بحب البحث والتنقيب في بطون الاستار في المكتبات العامة ، والتعلق بعد ذلك في عالم الحقيقة

والزعامة والطاقة صنوان لا يفترقان . ومن الخطأ الشائع ان الناس يفكرون في القوى الجثمانية كلما ذكروا كلمة طاقة ، في حين ان هذا التعبير لا قيمة له ، اذا لم يكن منصبًّا على صفة من صفات العقل ، وكانت هذه من ابرز الصفات التي اشتهر بها ابراهام لنكولن من رؤساء

ولايات اميركا المتحدة وقد قيل عنهُ وهو شاب انه اشتغل مساعداً لمهندس مساحة ، فسار على قدميه عشرين ميلا لدرس ما يتطلبهُ هذا العمل . ولما ان وجد انهُ لم يدرّ في عمله الجديد بعد هذا الجهد ، لم يثنِ ذلك من عزمه ، بل وصل ليله بنهاره ستة اسابيع حتى اشفق عليه جيرانه ، وحذروه من نتيجة هذا الاجهاد ، الذي يندر حياته بالخطر . غير ان ذلك لم يردعهُ بل ظل مجاهداً حتى ملك ناصية عمله وكذلك عند ما عقد النية على الاشتغال بالمحاماة ، فانهُ اخذ ينقب في اكداس من الاوراق عن نسخة قديمة الأثر ، معثرة الاوراق ، كانت تحوي مذكرات قانونية ذات شأن ، حتى عثر عليها ولم تشغها وانكب على قراءتها واستيعابها حتى ألمّ بما فيها مع أنهُ كان في ذلك الحين يستعين على تكاليف الحياة من متجر يستغرق كثيراً من وقته الذهبي

على ان السؤال الذي تطلب جوابه — هل في استطاعة المدرسة ان تربي هذه الصفة في نفوس طلبتها ؟ واجابة عن هذا السؤال نعتقد ان هذا من المستطاع ، ان لم يكن في كل الاحوال ففي اكثرها . ولا نعتقد ان ذلك يأتي عن طريق حشو الذهن وكثرة الاستذكار ، وتكديس المعلومات ، ولكنهُ يأتي عن طريق المناقشة ، وبحلق حول مدرسي تسود فيه الغبطة ، ويتوافر فيه النشاط العملي ومعلم المستقلة في حاجة الى هذا النوع من الزعامة الذي يتوافر فيه معين لا ينضب من هذه الطاقة ، التي يتطلبها هذا المباح من مرافق الإصلاح في شتى النواحي

ومن أسمى صفات الزعامة سمو الخلق وهنا ننتقل من الكلام عن الصور الذهنية الى الصور الخلقية فالزعيم يجب ان يكون موضعاً لثقة الناس به ، لما حمل عليه من الامانة ورصانة الخلق . وهذه الصفة تفسر لنا النجاح الذي يصيبهُ الزعماء المتواضعون في كفاياتهم ، المتوسطون في مواهبهم العقلية . فهؤلاء لو لم يتخلقوا بكريم الصفات لما كانوا موضع ثقة الناس فيهم ولما وصلوا الى ذلك النجاح

كان هربرت هوفر من رؤساء الولايات المتحدة اميركا ، في خلال الحرب العظمى وقبل ان يتعلم الرآسة ، مصطلعاً بادارة الحبوب فكان يسيل بين أنامله ملايين الريالات ، حتى انهُ كان يكفي ان تكتب التحاويل المالية الى هربرت هوفر وكفى . وقد بلغت هذه التحاويل رهاء مليونين وأربعمائة ريال في الشهر الواحد ومع ذلك فانهُ لم يحاسب احداً حلحة من الشك في طهر ذمته فهل تدهش بعد ذلك اذا قام رآسة الحمهوريه ؟ اليست هذه الصفة المحمودة وهذا الإخلاص الصافي وتلك الامانة النقية هي التي جعلت لعابدي في الهند هذه السلطة التي لاحد لها بين الملايين من شعبه ؟

هناك من الاسماء التي يتألق نجمها في سماء الاحسان ، وعمل الخير في انكلترا اسم « جورج مولر » وقد انشأ خمسة ملاجىء كبيرة للايتام بلغ مجموع من دخلها عشرين الف نفس . وقد بلغ من شهرة هذه الملاجىء ان تدفقت سيول التبرعات والهبات والوصايا على خزينتها ، ومع ذلك فقد كانت تصحبه واستقامته وأمانته اكبر من ان يمس درهماً منها . وقد بلغت هذه الاموال مليوناً

ونصف مليون من الجنيهات ومع ذلك فقد مات ووراءه ثروة ضئيلة لا تتجاوز المائة والسبعين جنيهاً . فهل تدهشون اذا اتسم بين الانجليز بزعيم المحسنين ! ؟

ان مصر المستقلة تطمح الى مكافحة الفقر والمرض والجهل بفصل زعمائها الاجتماعيين . وهؤلاء لا بد أن تتوافر فيهم صفة استقامة الخلق وكثيراً ما يوجه الناس الى معهدنا بعض الانتقادات بدعوى اننا نفسح في مناهجنا مجالاً واسعاً لدرس الاخلاق والاكثار من الاندية والجماعات والرحلات ، غير ان لدينا ما يحمل على الاعتقاد بأن هذه كلها في مقدمة ما ينبغي ان تعنى به معاهد التعليم اذا شاءت مصر المستقلة ان تبلغ أمانيها القومية

وأخيراً اذكر تلك الصفة العظيمة التي تتطلبها الزعامة ألا وهي سعة الاطلاع واتزان الحكم. فمن السهل جداً ان يكون المرء متعصباً بالتعصب ، اي انه يركز رأيه في نقطة خاصة محدودة ، غير ان الزعيم الحق هو ذلك الرجل الذي يحيط بالمسئلة من جميع نواحيها وينظر الى الموقف نظرة فاحصة عامة في مجموعه ولو ان موقع مصر الجغرافي في مكان الافغانستان او في منعزلة بحيرة شاد في افريقيا بعيداً عن الامم الاخرى ، لما احتاجت الى اتساع الافق فيما يتعلق باتصالها بالامم الاخرى . ولكن مصر لا يتسنى لها ان تعيش في منأى عن غيرها من الامم ولا يمكن ان يرضى شعبها لها ان تكون كذلك واذاً فلا بد لها من الاتصال بغيرها من الدول وهذه العلاقات الدولية من شأنها ان تزيد الحياة رغداً وغنى ورفاهية اذا حسن وضعها في الموضع اللائق بها ولا تتاح لها هذا الا سعة الاطلاع ومرانة التفكير وهنا يأتي سؤالا كيف يتسنى تربية هذه الخلق في الناشئة ؟

في هذه الكلية سبع عشرة جنسية يتلقى طلبتها العلم معاً متعاونين وتتعلم الواحد منهم كيف يحترم جنسية أخيه غير ان السواد الاعظم من الطلبة هم من المصريين إذ تبلغ نسبتهم اربعة وسبعين ٪ في المائة من المجموع ومن ذلك يتبين أن المجال هنا فسيح للقومية والاممية على السواء ، استعداداً للرعامة التي ينشدها في مصر ونقول في الختام ان الاستقلال الصحيح لا يتم بالاتفاقات السياسية ، كالمعاهدة مع بريطانيا ، او اتفاق مونترو ، او دخول مصر في جمعية الامم . وهل يمكن ان يكون الاستقلال الصحيح منحة للشعب من الشعوب ؟ أليس الاستقلال هدفاً تبلغه الامة بالنضال والكد ؟ ألا يكون تدعيم هذا الاستقلال في كل ناحيه من مرافق الحياة؟ اذا كان هذا صحيحاً فان تحقيق استقلال مصر التام لا يأتي بحوادث سنة ١٩٣٧ السياسية وحدها ، ولكن بجهود الجبارة التي تتوالى بعد هذا التاريخ ، تلك الجهود التي ترفع مصر الى ذروة المجد القومي في حياتها الاقتصادية ، حياتها الاجتماعية ، وحياتها العقلية والثقافية ، كما في حياتها السياسية . والى هذا المرمى نسعى جاهدين ، وفي سبيل تحقيق هذه الصفات في الناشئة نوجه جهودنا جادين

اراحة الستار عن تمثال

الدكتور صروف

في جامعة بيروت الاميركية

وصف الحفلة وملخص ما قيل فيها

في الساعة السادسة من مساء الاحد ٢٠ يونيو الماضي احتفلت جامعة بيروت الأميركية بازاحة الستار عن تمثال الدكتور يعقوب صرُّوف ، وهو التمثال الذي أهدي اليها من قبل جماعة من أصدقاء الدكتور صرُّوف ومتخرجي الجامعة في مصر ، فشهد الاحتفال جمع حافل من الأعيان والوجهاء والنواب وقد وضع التمثال مؤقتاً في الساحة الكبرى التي تتوسط بعض بنايات الجامعة على دكة عالية للخطابة جلس عليها سعادة الدكتور عبد الرحمن الكيالي وزير المعارف السورية والاستاذ يوسف افتيموس رئيس جماعة متخرجي الجامعة الاميركية والدكتور عبد القادر العظم مدير الجامعة السورية بدمشق والاديب زكي شخاشيري نيابة عن والده سكرتير لجنة التمثال بمصر الدكتور شخاشيري والدكتور بيارد دودج رئيس جامعة بيروت الاميركية وفي الوسط جلس العلامة الدكتور فارس نمر باشا رفيق الدكتور صرُّوف وشريكه في عمله وجهاده العلمي وينتظر ان ينصب التمثال نهائيًّا في حجرة المطالعة الكبيرة في مكتبة الجامعة

وكان في مقدمة الحضور صاحبا الدولة والسعادة عبد الفتاح يحيى باشا وتوفيق دوس باشا وحضرة الدكتور مصطفى شوقي وسواهم من الضيوف المصريين الكرام وقد دعوا خصيصاً بناء على رغبة منهم في حضور هذا الاحتفال بشخص بعض الاقطار العربية بعلمه وأدبه وخدم النهضة فيه ، وحضر كذلك نجيب بك صروف نجل الدكتور صرُّوف وقد جاء من مصر خاصة لهذا الغرض

وعند الساعة السادسة افتتح الدكتور صودج الحفلة بخطبة بالانكليزية قال فيها : منذ ٧٠ سنة قامت هنا كلية صغيرة كانت مؤلفة من ١٦ تلميذاً . فكانوا البذرة الاولى التي تزرع في الارض وبين هؤلاء فتىً يدعى يعقوب صرُّوف جاء ليعد نفسه لعمل عظيم يعمله في المستقبل فتعلم هذا التلميذ وأخذت معارفه تنمو وتزداد حتى أخذ في عمل عظيم وجعل يعمله هذا يوقظ الأقوام العربية ويدعوها الى رفع الغشاء عن عيونها . والآن نكرم هذا الرجل ونحن نرجو ان يأتي

في السبعين سنة القادمة سواء ينسجون على منواله ويبذرون مثل البذر التي بذر

ثم طلب من سعادة الدكتور عبد الرحمن الكيالي ان ينفصل بازاحة الستار عن تمثال هذا الرجل العظيم

خطاب الدكتور كيالي

سيداتي سادتي : أنتم وأنا من هذا المعهد ركن الثقافة ومنار الفضيلة تخرجنا فيه وحمدنا الله تعالى وشكرناه وخرجنا الى ساحة العمل

اننا عشنا نرى من تقدمنا ونتطلع اليهم لنرى أعمالهم وآثارهم في هذا المعهد وكان من أهم ما رأيناه وكان بيراساً لنا، مجلة خدمت العلم والادب والنهضة العربية هي مجلة «المقتطف» الزاهرة أقرأها أنا وأنتم بل يقرأها العرب في جميع بلدانهم وأقطارهم ومثلي من كان يتعلم من صفحاتها ما نقصهُ العلم به وما هذا الا من فضل هذا الرجل الذي تحتفي به اليوم ونطلب إلى احوانه أن يتمموا الرسالة التي بدأها محققاً لآمال كل من نطق بالضاد . ان المرء اذا مات انقطع عمله الا من ثلاث : علمه ، صدقه وولد يدعو لهُ ، وخير الناس من انتفع بعلمه على ممر الايام

ان الحكومة الجمهورية السورية التي شرفتني بهذا اليوم يسرها ان أقف أمامكم لارفع هذا الستار عن تمثال رجل لا هو حيٌّ خالدٌ بالتمثال بل بالقلوب وان أبناء أمة الضاد الذين يعيشون تحت سماء هذه الاقطار أحراراً سيعلمون كيف يخلدونهُ في قلوبهم . واني بهذا الشرف العظيم أزيل الستار عن وجههِ الكريم (تصفيق حاد عند ما أزال الستار)

من كلمة سكرتير لجنة التمثال

لما سعى الناعي الدكتور يعقوب صرّوف في التاسع من يوليو سنة ١٩٢٧ ادرك تلاميذه واصدقاؤه هول المصاب فيه والخسارة العظيمة التي نزلت بالعلم والادب والصحافة بفقده فقد كان رحمه الله سلمه رجلا فذاً في علمه الواسع وقلمه البليغ وخلقه العالي . ولست في مقام المؤرخ فاذكر ما كان له من نصيب وافر وسهم نافذ في النهضة الفكرية في الشرق العربي طول سبع وخمسين سنة اي من يوم ان تلقى الشهادة العلمية من رئيس هذا المعهد الجليل سنة ١٨٧٠ في اول فرقة تخرجت فيه الى يوم وفاته فانهُ رحمهُ الله خدم تلك النهضة في حجرات التدريس اولاً فكان مثالاً للمعلم الصالح والمربي الفاضل يقرن العلم بالعمل ويهذب النفس والعقل جامعاً بين التدريب العملي والمثل المحتذى في اسمى وجوه التربية متوحياً في ذلك المنفعة والخدمة الصادقة لبث روح العلم الصحيح للعلم ذاته ثم انشأ «المقتطف» مع زميله وشقيقه الروحي الدكتور فارس نمر باشا (مدّ الله في عمره) في حصن هذه الجامعة فقضيا نحو عشرسنوات ونصف سنة يدرسان فيها ويصدران المقتطف عنها وليس لهما بغية سوى نشر العلم لمن لم تتح له اسباب التعليم . ولما خرج المقتطف من

نطاق الجامعة ورأى صاحباه ان يقفا وقتهما عليه اصبح العالم العربي بأسره حجرة تدريس للدكتور صرُّوف يطوف عليه في كل شهر بمقتطف جامع لزبدة العلوم المختلفة وثمار الآداب المنوعة والمعارف الطريفة مقارناً بين النظري والعملي من الآراء وبين القديم والحديث والشرقي والغربي في اسلوب طلي لا يصارع وبلاغة لا تدانى سمتهما الوضوح وجودة السبك وسهولة السياق الى المعنى المقصود . ولما بلغ « المقتطف » الخمسين من عمره الحافل اعترف العالم العربي له بالخدمات الجليلة التي اسداها الى الناطقين بالضاد في الحفلة الكبرى التي اقيمت في دار الاوبرا الملكية بمصر برعاية جلالة ملكها وفي الحفلة الكبيرة التي اقيمت في وست هول ببيروت في مساء اليوم نفسه

ولما انطفأت شعلة ذلك العمل الناصع وسكن القلم الذي كان ينشر العلم الصحيح والادب الرفيع والاخلاق العالية في ربوع الشرق فيغدي النفوس ويثقف العقول بشتات العلوم والمعارف اجتمع نفر كبير من عارفة فضله في ٢٠ يونيو سنة ١٩٢٨ في النادي الشرقي بمصر وتألفت منهم لجنة لاحياء ذكراه باقامة اثر له في وطنه مكونة من ميشال بك لطف الله رئيساً وامين مرشاق امينا للصندوق وكاتب هذه السطور سكرتيراً وحورح زنايري باشا ونجيب غناحه . المغفور لهم نجيب شكور باشا والدكتور رحمة الله طحان بك ويوسف حلاط بك ورشيد ثابت افندي وانضم اليهم فيما بعد الاستاذ خليل مطران والآنسة مي والاستاذ سامي الخريديني ويوسف دياب بك . وفي ٨ ابريل سنة ١٩٣١ قبلت اللجنة استقالة امين مرشاق من امانة الصندوق وطلبت من حضرة صاحب السعادة اسعد باسيلي باشا ان يتولى امانة الصندوق فقبل وانشرح اللجنة خبر انضمام سعادته الى اللجنة مع خبر قبول جامعة بيروت الاميركية اقامة التمثال فيها في مقطم ٢٥ ابريل سنة ٩٣١ . من ذلك التاريخ خطب اللجنة الشروع خطوات سديدة تكللت بفضل من تقدم ذكرهم وبفضل حضرات المتبرعين الآتية اسماؤهم بالنجاح الذي فاز به ووصل اليه . وهذه اسماء المتبرعين أصرح بها الآن اعترافاً بفضلهم وشكراً على نجدتهم وكرمهم وهم : -

الدكتور سليم آل داغر الموصلي احمد افندي الالوسي . حورح بك اسطفانوس . احمد حسن . نعمة ابو حسين بمنصور رشيد ثابت . محمد خليل الديب . الدكتور كامل هلال طاهر الريس . الدكتور يوسف عزيز بركس ميخائيل انطون مطران السريان الارثوذكس بالقدس . حويلد حسن وشركاه . ابراهيم دمتري بك لجنه مشروعات محلة الكلمة بحلب . ليا بركات . ثابت ثابت . الدكتور عبدالله نصار . معهد الموسيقى الشرقي حورج اشقر في بيروت . دمتري بك حلاط . الدكتور نجيب بريس . القس طانيوس سعد الدكتور اسعد عطيه . ويحسن بي ألا يفوتني التنويه بفضل صاحبة السعادة اسعد باسيلي باشا الذي كان له في احياء ذكرى الدكتور صرُّوف اليد الطولى والاثر البارز ولا سيما الحائزة السنية التي تبرع بها ونشرت تفاصيلها في مقتطف مايو الماضي وقدرها ١٠٠ جنيه مصري



الدكتور عبدالقادر العظم مدير الجامعة السورية يخطب في حفلة ازاحة الستار عن تمثال الدكتور صرُّوف



الدكتور فارس بمر باشا يخطب في حفلة ازاحة الستار عن تمثال الدكتور صرُّوف

كلمة الاستاذ يوسف افتيموس

ثم وقف الاستاذ يوسف افتيموس رئيس جماعة متخرجي الجامعة وألقى خطبة استهلها بقوله مخاطباً صاحب التمثال وقد كان من تلاميذه في الجامعة : --

سيدي الاستاذ في هذا الحمى كم علينا لك من فضل ودن
أسفي تبدو على منبره صامتاً بل اثراً من بعد عين
هالني والله ما أشهده عوض الله ثاني الفرقدين

وجال الاستاذ افتيموس جولة في الكلام عن التمثال وصاحبه الحكيم الكريم الباحث المنقب العالم الجليل وعن النهضة التي ايقظ روحها في بلاد العرب وتكلم عن معاصريه الاحدب والبستاني والاسير واليازجي وعن زهرة الآداب وعن العارار والنقاش وغيرهم . وطفق يتكلم في كل هذه الصفحات الى ان قال ان التاريخ سطر فيها اسمي صرُّوف ونمر بين المع اسماء الرجال الذين تفانوا في خدمة هذه البلاد وبلاد مصر الشقيقة

صرُّوف ونمر الاسمان المتقارنان المتلازمان صرُّوف ونمر الفرقدان اللذان مشيا جنباً الى جنب مجاهدين منصافرين في سبيل الوطن واللغة والعلم والسياسة صرُّوف ونمر ضربا للشرق مثلاً في الجد والنشاط والاستقامة والوطنية والتجلد في تنظيم الامور

ثم عاد الى الكلام عن التمثال وحدد وعن صاحبه الذي له في كل جزائه مجلدات ضخمة من آثاره ومما قاله لم ينصب التمثال في مكتبة الجامعة ولصاحبه فيها أكثر من تسعين تمثالاً هي مجلدات صرف عليها الليالي السنين الطوال وختم كلامه محيياً صاحب التمثال ورفيقه في جهاده سعادة العلامة الدكتور فارس نمر باشا

كلمة الدكتور عبد القادر المغربي

سيداتي سادتي : أشكر لحضرة الرئيس الكريم الدكتور صودح ما أولاني من شرف عظيم اتاح لي فرصة المثول بين أيديكم لالقاء كلمة وجيزة باسم الجامعة السورية في هذه الحفلة العلمية التذكارية . ان الجامعة السورية لسعيدة جداً باشتراكها في هذه الحفلة لانها حد حريصة على توثيق عرى الصلات الثقافية بينها وبين شقيقتها الكبرى الجامعة الاميركية

ان فقيد العلم والادب المحتفى بذكراه هو ابن الجامعة الاميركية هو ابن العروبة وفوق ذلك هو ابن العلم والثقافة اللذين لا وطن لهما . ان الانسانية الحرة السامية التي لا تعرف الحدود الجغرافية ولا الفوارق الجنسية بل تقدر النبوغ والفضيلة اينما وجدا . أليست هذه الحفلة التي يقيمها رسل الثقافة الاميركية المشبعون بهذه الروح العالية وهذا التمثال التي أقاموه تقديراً لشخصية

صاحبه الفذة شاهدين على ما أقول ؟ ان كلمة الحق لا يليق بها أن تبقى مختبئة كامنة في النفس بل يجب على اللسان ان ينطق بها وعلى الآذان السامعة ان تتلقفها لتدخل أعماق القلوب . هذه الكلمة التي لا ينكرها أحد من سكان البلاد العربية قاطبة ولا سيما البلد الذي تظلنا سماؤه والبلد الذي قدمنا منهُ هي كلمة الجهر بفضل الجامعة الاميركية وأثرها البعيد في نهضة هذه البلاد العلمية والثقافية

ان هذه البلاد ساحلها وداخلها ثغورها وعواصمها تنطق بالجميل وتذكر دوماً بيض الايادي لهذه الجامعة — الشيخة الفتية — لانها كانت وما زالت منهلاً فياضاً للعلوم والفنون يرتادها أبناء هذه البلاد فيرشفون من معينه العذب ما يروي ظمأهم وينقع اوارهم

أحل سادتي ان الجامعة الاميركية — شيخة وفتية — في آن واحد انها شيخة الجامعات في بلادنا بتقدمها واحتبارها وحكمتها . فتية بخبطتها وتجدد برامجها ونشاطها واذا اقترنت الحكمة بالنشاط كان النجاح محققاً والارتقاء مضموناً . انا كيف وجهنا انظارنا نرى اثر الجامعة الاميركية في نهضة بلاد العرب الاجتماعية وفي تكوين الفئة المختارة من رجالاتها وشبانها . نراها في مصر حيث بعثت رسلها ينشرون المبادىء الحرة التي اقتبسوها . نراها في العراق حيث يتقلد تلاميذها المناصب ويديرون شؤون الامة نراها في فلسطين وفي الشرق العربي حيث يرفع حريجوها ألوية الفخار لها

واخيراً نراها في سوريه ولبنان حيث عمّ فضلها وانتظم عقد انمائها كاللآلي يردان بهم جيد هاتين الجمهوريتين الفتيتين يرئسون المجالس ويتولون الوزارات ويترعمون الامة فهم كنوزها ومفاخرها عدتها في الحوادث وسندها في الملمات والكوارث

فاذا كانت الامم تعتز بجامعاتها لانها عنوان نهضتها ورمز اعتلائها ورفعتها فاحر بأبناء هذه البلاد ان يعتزوا بهذه الجامعة لانها انجبت لهم رجالا كباراً يهتدون بهديهم ويسترشدون بوحيهم فيقودونهم في مراقي التقدم والنجاح واذا كان الفضل يعرفهُ ذووهُ حق علينا ان نقر بفضل جامعة هذا شأنها وان نطلب لها اطراد الرقي في ظل رئيسها الهمام واساتذتها الجهابذة الاعلام والسلام عليكم

***

وبعد هذا وقف الدكتور صوايحا وقال لا يمكن ان نكرم المرحوم الدكتور صرُّوف من دون ان نكرم الدكتور فارس نمر الحاضر بيننا فقد عاد بعد سنين طويلة الى المدرسة التي ربتهُ

كلمة الدكتور فارس نمر باشا

سيداتي سادتي : منذ اكثر من ٥٣ سنة في مثل هذا الاسبوع من سنة ١٨٨٤ وضعت يدي بيدي صاحب هذا التمثال وفارقنا هذا المعهد الذي تعلمنا فيه اربع سنوات وعلمنا عشر سنوات وولينا وجهنا شطر مصر العزيزة وقال لي رفيقي نحن نفارق سوريا ونقابل مصر فان كنا رجالاً اظهرنا مقدرتنا ورجعنا ممدوحين

هذه الكلمة ترن بأذني الآن بعد ٥٣ سنة وها أنا الآن بعد هذه السنين الثلاث والخمسين اعود الى هذا المنبر فكم كنت اود لو كان رفيقي واقفاً الى جانبي الآن وواضعاً يده بيدي

قالوا تغيير العادات صعب. حقيقة ان في هذا القول صحة. اني اعتدت ان اعد رفيقي صديقاً وأخاً حقيقيًّا وقضيت العمر والناس يظنون اننا اخوان بيننا قرابة. نعم ان الصداقة اذا تمكنت تحل محل النسب وأؤكد لكم ان هذا الرجل اخي الذي سبقني بعشر سنوات كان لي أخ غيره ولكن صرُّوف هو بالفعل اخي ولو وجد في اللغة كلمة اشد من كلمة أخ لكنت استعملها

قلت تغيير العادات صعب وكلما كنت اسمع احد الناس يمدحهُ لم ارد الكلام بمثله نظراً لما كان الناس يروونهُ من النسب بيني وبينهُ حوفاً من ان يقال عني مادح نفسه يقرؤك السلام، بل كل ما قيل له كنت اراه يقال لي. وهكذا امتزجت حياتنا حتى كأننا افرغنا في قالب واحد

وشاهدي على ما اقول ياسادتي اني منذ بضعة اشهر نلت رتبة الباشوية التي انعمت بها عليّ مصر وتلقيت اكثر من ٣٠٠ الى ٤٠٠ رسالة تهنئة واكثر هذه الرسائل معنونة لصاحب السعادة صرُّوف بك باشا (صحك من الجمهور) انا اقبل ذلك نعم نحن واحد ولسنا اثنين

وأبلغ من ذلك تزوجت بالأمس كريمة المرحوم سعيد باشا شقير ابنة ابنة المرحوم الدكتور صرُّوف فكان عرسها هادئاً ما طنطنت به الصحف وما قولكم برسول مجلس الوصاية جاء يهنئني بزواج هذه الابنة التي هي ابنة ابنة الدكتور صرُّوف باعتبار انها ابنة فارس بك

انا واقف هنا واخاف ان تغلبني عواطفي ويظهر ضعفي امامكم ايها السادة فكيفما التفت يميناً ويساراً تتوارد امام عيني الصور والحوادث التي اتحدث بها فاخشى ان تغلبني

ان الرابطة بيننا وبين الجامعة الاميركية هي «المقتطف». وقفنا مرة في بناء لم اعد اعرف اين هو من هذه الابنية التي تعمر بعضها وتجدد البعض الآخر وجعلنا نقلب مجلات وصحفاً انكليزية فالتفت اليّ رفيقي وقال ما قولك لو انشأنا مثل هذه الصحيفة قلت ولكن ليس لدينا علم ولا مال فصحيفة مثل هذه تحتاج الى الامرين. فقال لا بأس اننا نجعلها من ٢٤ صفحة

قررنا انشاء الجريدة وذهبنا الى استاذنا الدكتور كريليوس فانديك رحمة الله عليه فقلت «خطر لنا خاطر وهو ان ننشىء جريدة عربية فقال ولكنكم تحتاجون في هذا الى المال قلنا ان الله ييسر وعولنا على انشائها وقلنا مادا تعطينا اسماً لهذه الجريدة ففكر قليلا وقال «المقتطف» فاسم «المقتطف» واضعهُ بالاصل فانديك. ذكر الاستاذ يوسف افتيموس الرجال الذين عاصروا نشأة تلك الجريدة وهم: الاحدب واليازجي والبستاني والاسير وقد كانت كتاباتهم واقوالهم ولا سيما البستاني مهم تذاع شرقاً وغرباً. وصدر «المقتطف» ولكنهُ كان صغيراً وبعد مدة صدر «لسان الحال» وهو من عمر «المقتطف» الاّ بضعة أشهر فكنا كعائلة واحدة واخذنا نشتغل معاً

قلت ان عملنا كان يحتاج الى مادة علمية ومادية ولا يمكن لعالم ان يذيع مؤلفاته الاّ اذا كان عنده مال وقد وجدنا ان «المقتطف» لا يمكن ان يثبت الاّ اذا وجدنا له المال فتشاورنا في هذا وهذا وحده هو الذي جعلنا نشيء «المقتطف» لا لقصد ان نعلم ممالك وحكومات بل لكي نساعد «المقتطف» ماليًّا. ولكن الرياح يا سادتي تجري بما لا تشتهي السفن ولقد جعلنا السياسة في المقتطف راسخة على الاساس الذي كنا نعمل به في هذا العهد وهو خدمة الحقائق. وهكذا جعلنا نعمل للحقائق ولكننا سبينا ان العالم غير ذلك، سبينا ان هناك احراماً وميولاً وأخذنا نتخبط في ذلك الخصم ونصطدم بأمواجه حتى ادى بنا الحال الى عصر سلطاننا السلطان عبد الحميد فمنعني ومنع رفيقي من الدخول الى هذه البلاد ومنعنا من ان نرسل اولادنا الى العلم في مدارسها

وأخيرا غير الناس افكارهم بنا والفضل بذلك لاخي هذا الذي كان يعامل الناس كانهُ طفل صغير. نعم الفضل بذلك لاخي الذي كان مثال الدعة والامانة والاستقامة

ولو اردت تعرف حقيقة صروف قد تتلمذي مماثلة اذا قلت انهُ عند ما كان يقال امامهُ شيء لا يريد ان يبوح بحقيقته كنت تقرأ هذا على وجههِ لانهُ كان يحمر وأنت تحدثهُ

كان في معاملته صادقاً وكان رهده عربيا فالذي يهم الناس لا يهمهُ ابداً واذا كنت تريد ان تعرف صروف فمتش عنهُ في عرفه رهِ جالساً وامامهُ كتاب يقرأه بهدوء ثم بعد بحث طويل يأتيني ويقول وماذا بعد هذا؟ وماذا بعد هذا؟ يأتي حائراً ويقول لا اعلم ماذا بعد هذا؟

انهُ الآن يعلم!! قالوا ان الاروح تحاطبنا بعد الموت فليلة وفاتهِ جلست في سريري انتظر ان يأتي ويكلمني ولكنهُ لم يجيء. وفي الليلة الثانية جلست على سريري انتظر ان يكلمني ولكنهُ لم يكلمني كذلك ولكن الانسان الكي يعلم يحب ان يؤمن لان كثيراً من الاسرار معلق لا يمكن فهمه

يا اخي انت الآن تعلم انت سبقتني من عشر سنوات ولما توفيت لم احزن كثيراً لاني قلت اني سألحق بك نفس السنة. اما وقد مضت عشر سنوات ولم الحق بهِ اشعر باني وحدي في هذا العالم شعيق دهب عني دهب وتركني في مكان مفتوح

كلما سمعتم من المدح بهِ حقيقة بل دونها فلو مد الله بعمره لاستفاد هذا الشرق كثيراً منهُ اخي صروف يجلس الآن بين اساتذته فانديك وبلس وورتمات وبوست وهو الخامس بينهم. ان هذا قليل جداً لك يا اخي. فاشكركم يا سيداتي وسادتي على حفاوتكم هذه

***

وهنا ارتقى المنبر نجيب صرّوف بك محل الفقيد الكبير وألقى كلمه باسم اسرتهِ وجنّه فيها الشكر الى اللجنة التي تولت الاشراف على صنع التمثال والذين تبرعوا بالمال لهُ والسيدة التي صنعتهُ والجامعة الاميركية التي رحّبت بهِ وجميع الخطباء والسيدات والسادة الذين حضروا الحفلة

حول « العامية »

الفعل الرباعي

أصلهُ ونشؤهُ ومعانيهِ

لانيس فريحه
دكتور في الفلسفه من جامعة شكاغو

درس « العاميه » درساً علميًّا عربيًّا عنا، وذلك لان نظرنا الى العامية يختلف تماماً عن نظر العرب ولذا بقي درس اللهجات العربية العامية من اختصاص المستشرقين على الغالب . واظن ان السبب في ذلك هو اختلاف في وجهة النظر . فالعربي ، حتى من اقدم العصور الاسلامية ، يعتقد ان اللغة العربية الفصحى كانت يوماً لغة التخاطب كما انها كانت لغة الشعر والادب ثم ان العرب عند خروجهم من الجزيرة واختلاطهم بمن حاورهم من الفرس وباقي الامم « فسدت ملكتهم » وداخلت لغتهم العجمة [1] واني ارى هذا الاعتقاد سائداً جميع الذين كتبوا قديماً وحديثاً في اللغة العربيه وتاريخها واكثر علماء العرب المستشرقين يعتقدون ، وهم في اعتقادهم على صواب ، ان اللهجات العربية كانت عديدة وان الفصحى كانت لغة الشعر والادب ، وربما كانت لغة بعض الخاصة في المجتمعات الادبية ، واما عامة الناس فكانت تتكلم لهجات تختلف باختلاف الامصار والاحوال الشخصية ويعتقدون ايضاً ان كثيراً من ظواهر العامية تعود بتاريخها الى اعصر قديمة حتى قبل ظهور الاسلام ، ثم انهم يعتبرون ان اللغة المحكية هي اللغة الحية الحقيقية . ولذا تراهم ابداً ينقبون عن خفايا العامية لعلهم يتوصلون الى حل كثير من المشكلات التي تعترضهم في درس الفصحى

ان الغرض من هذه المقالة البحث في ظاهرة لغوية لا اعتقد انها استرعت نظر الباحثين اللغويين ، اعني كثرة الافعال الرباعية العامية في اللهجات العربية المحكية . وسأحاول ان أبين كيف يأتي درس العامية كثيراً من النور على طائفة من المسائل اللغوية الغامضة . وقبل التعمق في

(١) عند مراجعة الباحث ما قيل في مسألة وضع النحو ، او عند ما يراجع تاريخ النحو والنحويين يرى هذا الاعتقاد مكرراً معاداً . يقولون ان العرب فسدت ، ومن هنا علماء العربية لا يرتاحون الى مثل هذه النظريات التي تحاول نشوء لهجات في بعض سنوات . ووراء الظواهر اللغوية احيانا واحيانا

البحث لا بد ان نعتذر الى القارىء اذا اكتفينا باليسير من الامثلة خوفاً من ان يكون بعض الامثلة مجهولاً عنده ، ولكننا نقصد توجيه نظر القارىء الى كثرة الاوزان الرباعية في لهجته الخاصة اذ لا شك عندنا انهُ بعد قراءة هذه المقالة يبادر الى ذهنه عشرات من الامثلة التي لم يفطن اليها قبلاً

﴿ الجذور ﴾ الكلمات في جميع اللغات السامية ترد الى جذور . ويمكن تقسيم هذه الجذور الى قسمين ، الاول ، وهو القسم الاكبر ، يشمل الكلمات التي جذورها تتضمن فكرة اصلية لا تتعدّاها ، وهذه الفكرة صفة ملازمة لمجموعة الحروف التي تؤلف ذلك الجذر . خذ مثلاً قتال ، قتيل ، اقتتل ، استقتل ، فانها جميعها ترد الى جذر يتضمن فكرة اصلية هي القتل وهذه الفكرة صفة ملازمة لهذه الحروف في هذا الترتيب الخاص . والقسم الثاني يشمل الكلمات التي لا يمكن ان تُردّ الى جذر يتضمن فكرة اصليه محدّدة معينة ، بل تتألف من عناصر اولية من شأنها الدلالة والاشارة ، وهذه عريقة في القدم ، ويقع تحت القسم الثاني الضمائر والموصولات والاشارة وبعض الادوات[1] والروابط مثال ذلك الضمير « أنتَ » فانها تتألف من عنصرين الأول « أن » وهو عنصر إشاري كما هو في كثير من اللغات السامية والثاني « تَ » وهي الاصل في الكلمة وفكرة الضمير للمخاطب متضمن فيها فعول صرتَ وتصرف فان التاء في آخر الماضي وأول المضارع هي الضمير ومن الغريب ان التاء تفيد معنى ضمير المخاطب في كثير من اللغات الآرية ايضاً . فالالماني يقول du والفرنسي tu والانكليزي thou . جد مثلا آخر « هذا » . فالكلمة هذه لا ترَدُّ الى جذر معين بل تتألف ايضاً من عنصرين ، الهاء للتنبيه ، وذا للاشارة . وقلنا ان هذه العناصر الاولية الاشارية هي ربما كانت من أقدم المقاطع التي استخدمها الانسان للاشارة والدلالة والتنبيه

من مميزات اللغات السامية ان كثرة الجذور فيها ثلاثية وهذه الميزة شغلت بال المستشرقين كثيراً ولهم في أصلها نظريات عديدة . وهذه الميزة الواحدة كانت الباعث على استنتاجات كثيرة عن عقلية الساميين ونفسيتهم ، بعضها يقبلها المنطق وكثير منها نتيجة تخيّل وتحميل ولكل هذلك فئة لا يستهان بها من الكلمات في العربية كما في باقي اللغات السامية ترد الى جذور ثنائيه مثل يد أخ أب شفة الخ فان هذه وان ظهر فيها حرف ثالث احياناً كما في شفهي او شفوي يدوي اخوان الخ وهي ثنائية في الاصل وهذا الحرف الثالث ليس الا محاولة لجعلها ثلاثية لتتلاءم وباقي الكلمات فكأن الثلاثية هي المثل في عدد الحروف[2]

---

(١) قلنا بعض الحروف لان بعضها لا يقع تحت هذا القسم فان حرف الجر على يرد الى الجذر «علا» اومع ترجع الى الجذر « عم » وهي في السريانيه والعبرانيه « عم » وليس مع . والجذر عم يفسر لنا معنى مع

(٢) راجع Th Nöldeke, Neue Beiträge zur semitischen Sprachwissenschaft, p. 109 -178, ibid. Beiträge p. 69 72.

والمسألة التي يهمنا امرها الآن هي هل الثلاثية (Triliteralism) اصلية ام تمثل طوراً حديثاً ؟ يظهر من درس الجذور السامية ان الثلاثية نتيجة تطور من الثنائية وزيادة الحرف الثالث كان لزيادة في المعنى . فان كثيراً من الافعال الثلاثية يمكن جمعها الى طوائف يكون المعنى في كل منها واحداً وهذا المعنى مضمن في اول حرفين مثلاً قطع قطف قطم قط والعاصي قطش فاسها كلها تفيد معنى واحداً هو معنى قط . وقل هذا في فل فلح فلع فلخ فلق فلا ، وهكذا في حم وحمي وحما وحمر وحمس وحمق فالجذر فيها « حم » وهو مشترك في جميع اللغات السامية ويفيد معنى الحرارة

ولكن لا يجب ان نعتقد ان الشعوب السامية كانت يوماً ما تتكلم بكلمات جميعها ثنائية ثم انتقلت الى طور آخر اصبحت فيه تتكلم بكلمات ثلاثية ، كلا ، ان النشوء اللغوي بعيد جداً عن المنطق والوجدان ، والانتقال يتم ببطء كلي وعن غير قصد او تعمد . الافضل ان نقول ان الثلاثية على مر الزمن اصبحت المثل لجميع الكلمات والنزعة كانت انهُ من المستحب والشهي على السمع ان تكون جميع الكلمات على مقياس واحد وشكل لغوي واحد . واما انه كان هنالك ثلاثيات ورباعيات وخماسيات حتى في اقدم العصور فأمر لا شك فيه .

﴿ الجذور الرباعية ﴾ هل هنالك جذور رباعية اصلية ام الرباعية مشتقة من جذور ثنائية وثلاثية ؟ علماء اللغة العربية صرفوا النظر عن هذه المسألة واكتفوا بقولهم ان هنالك افعالاً رباعية على وزن فعلل وملحق بالرباعي واطلقوا كانوا يقصدون به الفئة التي تمكنوا فيها من ملاحظة الحرف الزائد وملاحظاتهم متفرقة في المعاجم وكتب اللغة ولا تفي بحاجة

وقبل الامعان في البحث نجد انفسنا مضطرين لنبذ اتخاذ فعلل كوزن للرباعي لما في ذلك من الاضطرار . لانهُ اذا كانت حروف فعل تمثل حروف فسمع وزن فرقع يجب ان تمثله صيغة وزعل وليس فعلل ، لبيان الحرف الزائد . اما فعلل فيجب ان تمثل تكرار الحرف الثالث من الجذر كما في « سهرر » العامية من سهر واما اذا قلنا ان حوقل بذعر دهمس حصرم الخ هي على وزن فعلل فلا يكون قد أبنا الحرف الزائد ، فان حوقل تكون حفعل من وقل وبذعر تفعل من ذعر ودهمس دفعل من همس الخ وعليه سنستعمل وزن فعل للجذر الاصلي ثم نمثل الحرف الزائد باضافته الى (فعل) حيث يقع بالنسبة الى ترتيب الحروف . فسنتكلم عن فرعل وفنعل الخ اي الرباعي الذي تزاد فيه الراء بعد فاء الفعل وفنعل الرباعي الذي تزاد فيه النون بعد فاء الفعل الخ

﴿ الجذور الرباعية في العامية ﴾ كثيرة جداً وتنقسم قسمين الاول : يشمل الافعال التي لا ترد الى جذر سامي بل اكثرها مقتبس عن لغات اجنبية مثل سوكر من الايطالية sucurta وقنوس من القانون[1] وقنونس من القانوس وكرتن من الكرتينا وكرك او جمرك من

( ) لفظ قانون في العربية مأخوذ عن اليونانية ، ولكن يظن ان الكلمة اليونانية مأخوذة من السامية من كلمة تفيد معنى القصبة ، ومن ثم معنى القياس

الكمرك وفودس من الفادوس، وامثال هذه كثير تركها حالاً لانها عارضة في اللغة . اما الذي يهمنا فهو القسم الثاني ، اي الافعال الرباعية التي ترد الى جذر ثلاثي إما عربي اصيل او بقية باقية من لغة سامية كانت محكية في القطر الذي بقيت فيه امثال كثير من الافعال الرباعية في لبنان التي لا اصل لجذرها في العربية بل يمكن سهولة ردها الى جذر سرياني ارامي (١)

﴿ كيف يصبح الجذر الثلاثي رباعيا ﴾ او بكلام آخر كيف تنشأ الافعال الرباعية ؟ يتم ذلك عن احدى طريقتين (١) التضعيف (٢) الزيادة

١ — ﴿ التضعيف ﴾ يظهر بأشكال مختلفة : ا — بتكرار الجذر الثاني جملة فيحدث وزن فعْفع وهذا كثير في العامية مثل دَقْدق ، بَعْبع ، حَفْحف ، فتفت ، بَزْبَز ، مرْمَر

ب — بتكرار الحرف الاول من الجذر فيحدث فعْفل مثل فرفك من فرك ، فرفح من فرح ، فلْفش من فلش وأمثالها كثير

ج — تكرار الحرف الثاني من الجذر فيحدث فعْلَع ، هو نادر (٢)

د — بتكرار الحرف الثالث من الجذر فيحدث فعْلَل مثل بحْصص من البحص ، فصيحها الحصب وقهْرَر من قهر

ويدخل في باب التضعيف اوزان اخرى شائعة في العامية يظهر فيها التضعيف مع الزيادة وهي اربعة اوزان ، فعْفى ، فرفع ، فوفع ، فيْفع (٢)

﴿ ٢ الزيادة ﴾ والزيادة تكون ا سابقة (Prefix) ب — وسطية (infix) ج — لاحقة (suffix)

ا — السابقة تكون بزيادة الباء والتاء والحاء والدال والسين والشين والطاء والعين والقاف والميم والنون في اول الفعل الثلاثي فيحصل الاوزان التالية : (١) بَفْعل (٢) تَفْعل (٣) حَفْعل (٤) دَفعل (٥) سَفْعل (٦) شَفْعل (٧) طَفْعل (٨) عَفْعل (٩) قفعل (١٠) مَفْعل وعالباً تمفْعل (١١) نَفْعل

﴿ ب — الزيادة الوسطية ﴾ تكون بزيادة الباء والحاء والراء والعين واللام والميم والنون والواو والياء في وسط الجذر بعد الحرف الاول فيحصل الاوزان التالية : (١) فبْعل

(١) يمكن صاحب المقال من جمع اكثر من الف فعل رباعي من لغة دارجة من قرى لبنان وبعد درسها والتنقيب عن اصلها وجد ان كثيراً منها يرد الى السريانية الارامية ، وقليلا يرد الى جذر سامي له كيان اما في العربية او الفينيقية

(٢) لا يمكن الاكتفاء من كل أمثلة على هذه الاوزان خوفاً من ان تكون غريبة على الاسماع لان الامثلة التي لدينا محكية ، مجموعة من لسان ، ولكن لا شك عندي في ان القارىء يمكن ان يجد في عاميته أمثلة على الرباعي ينطبق عليها هذا الوصف ، وربما بعد نشره قصيرة سيصدر قاموساً للعامية المحكية في لسان يجد فيها الباحث أمثلة كثيرة على هذه الاوزان

(٢) فَحْعل (٣) فَرْعل وهذا شائع جداً (٤) وَعْمل (٥) وَلْعَل (٦) فَمْعل (٧) وَسْعل (٨) فَوْعل (٩) فَيْعل والاخيران شائعان جداً مثل نوخر، روك، قوشع، طيلع، بَيْزَل، لَيْعَب، فَيْلَت. ويجب ان تلاحظ ان الزيادة الوسطية هذه قد تأتي بعد الحرف الثاني لاسباب صوتية لمجانسة او ملاءمة فيصح معنا بدل فَيْعَل مثلاً فَعْيَل مثل عَلْبَط اي اوقعهُ في غلط

﴿ج — اللاحقة﴾ وتكون بزيادة الباء والتاء والراء والسين والشين واللام والميم والنون والالف المقصورة في آخر الفعل فيحصل الاوزان التالية: (١) فعلب (٢) فَعْلَت (٣) فَعْلَر (٤) فَعْلَس (٥) فَعْلَش (٦) فَعْلَل (٧) فَعْلَم (٨) فَعْلَن (٩) فَعْلَى

﴿احرف الزيادة﴾ وأنت اذا جمعت العناصر التي تضاف الى الجذر الثلاثي لوجدتها ت ح د ر س ش ط ع ق ل م ن ه و ي، وعلى الباحث اللغوي ان يجابه مشكلتين المشكلة الاولى: «ما الدافع في اللغة الى بناء افعال رباعية؟» والمشكلة الثانية: «ما اصل هذه الزيادات وما معناها؟»

﴿الدافع الى بناء افعال رباعية﴾ قد تلمس بعض الحقيقة اذا قابلنا بين الفروق في معنى الجذر الثلاثي والوزن الرباعي المشتق منه، واذا ما تثبتنا من هذا الامر حقّ لنا ان نستنتج ما يمكن ان نسميه دافعاً

إنك اذا درست عدداً كبيراً من الرباعيات المشتقة من الثلاثيات وقابلت بين الفروق الناجمة وجدت ان هنالك دوافع ثلاثة هامة تظهر في معاني الرباعي وهي (١) الحدة في الفعل او الشدّة (٢) فكرة التكرار (٣) فكرة التعدية

مثلا فرفح أحدّ من فرح، وفلمش الامتعة تفيد الشدّة والحدة في الفعل، ودَقدَق تفيد تكرار العمل اكثر من دقّ، وطيلع ويرل للتعدية. والسؤال المنطقي الذي يتلو هذا هو: هل هذه الميزات المكتسبة في الرباعي راجعة الى الحرف او بكلام آخر، هل هذا المعنى الحديد متضمّن في الحرف؟ يصعب الجواب عن هذا السؤال حتى انهُ وان سلمنا جدلاً ان للحرف معنىً مستقلا بنفسهِ لا يمكن التحقق من هذا المعنى الآن لتقادم العهد لان مبادىء اللغة تعود الى ازمان بعيدة جدّ

وقد حاول بعض لغوي العرب (وبعضهم فرس) ان يثبتوا معانيَ للحروف[1] ولكن التتابع

---

(١) مراجع الفهرست لابن النديم طبعة (Flugel) ص ٣٩—٨٨ تجد ذكراً لكتب عدة كتبت في هذا الموضوع. ثم راجع ابن حي في Oscar Rescher ص ١٥ حيث يقول: وليس غرضنا في هذا الكتاب ذكر هذه الحروف مؤلفة لان ذلك يقود الى استيعاب جميع اللغة وهذا مما يطول جداً وليس من غايتنا هذا الكتاب، وانما الغرض فيه ذكر احوال هذه الحروف منفردة او ممتزجة من أنيته الكلم التي هي موضوعه فيما يخصها من القول في امسها ... الخ

كانت محدودة . اذ يصعب جداً أن نتخيل ان اللغة بدأت بأصوات قليلة العدد ، لكل صوت معنى. فاللغات في كل العالم تتألف من اصوات ابتدائية (Phonemes) لا يزيد عددها على ٤٥ ولا يقل عن ١٥ ولغة كاليونانية او العربية لا يمكن ان تكون قد نشأت وتطورت عن هذه الاصوات القليلة المحدودة ، فالحرف الواحد أو قل الصوت الواحد لا يمكن ان يكون لهُ معنى خاص يستثنى من هذا جزء قليل اتخذ معنى خاصاً في اثناء تطور اللغة

فاذا كان من الصعب اثبات معنى لاحرف الزيادة فما هي اذاً هذه الحروف ؟ هل هي بقايا كلمات مستقلة لم يبق منها الاَّ بعض اجزائها بعد ان اندمجت في الجذر الثلاثي لتؤلف الجذر الرباعي الجديد ؟ هذا مستبعد ايضاً ، لان العربية كباقي اللغات السامية لا يعرف فيها امتزاج جذرين في كلمة واحدة كما هو الحال في اللغات الآرية ولا يعرف بعض مظاهر النحت التي هي حقاً اختصارات اكثر مما هي ألفاظ منحوتة مثل بَسْمَلَ وحوقل أي قال بسم الله ولا حول ولا . . .[1] فان اللغات السامية لا تعرف النحت فما هي اذاً ؟

ان هذه الزيادات يمكن اعتبارها عناصر اشارية deictic كالتي تتألف منها الضمائر واسماء الاشارة والموصول . مما لا شك فيه ان الضمائر في الساميه كما هي في باقي اللغات ، كلمات لا ترد الى جذور تتضمن فكرة اصلية كما في قتل بل تتألف من عناصر اشارية كما في انت ، هو ، الذي ، وقد مرّت الاشارة الى هذا في اول المقال . ولا عرابة في ان اصل اقدم الكلمات في اللغة يردّ الى عناصر اشارية تنبيهية ، فالاشارة الى الشيء والتنبيه له ، والعجب والاستغاثة والمناداة كل هذه من اقدم مظاهر اللغة على الاطلاق ولا نرى ضرورة للاسهاب في هذا الموضوع لان اصل الضمائر في اللغات السامية امر معلوم عند الاخصائيين . ولهذا الموضوع مراجع مستفيضة في اللغات الاعجمية

انا اذا حللنا الضمائر في العربية الى العناصر التي تتألف منها وجدناها : أ ت د ك ل م ن ه و ي. اما احرف الزيادة التي تضاف لبناء الرباعي فهي ب ت ح د ر س ش ط ع ق ل م ن ه و ي وانت تجد ان حاساً من احرف الزيادة لا وجود لهُ في بناء الضمير مثل الطاء والعين والغاف . اما الشين وان لم نجدها في الضمير العربي فهي واحدة في ضمائر لغات اخرى سامية . انا لا انكر ان هنالك مصاعب تاريخية وصوتية (Phonetic) يصعب تعليلها. ولكن بوجهٍ عام يمكننا ان نقول ان القصد من هذه الزيادة هو . اولاً — لتأدية معنى المبالغة . ثانياً — لتأدية معنى الحدة والشدة. ثالثاً — لتأدية معنى التعدية . رابعاً — لاسباب صوتية بحتة

---

(١) راجع مقالا للاب لويس شيخو في المشرق المجلد الاول ص ١٠٢٧ حيث ينفي وجود هذه الظاهرة في العربية

ولكن درس مسألة الاصوات في اللغة السامية لايزال في مهده ولا نعرف عن النواميس التي تتقيد بها الا" النزر القليل. خذ مثلاً وزن فرعل، فنعل، فعل، التي هي ربما كانت عوصاً عن وزن فعّل الفصيح فبدلاً من مضاعفة الحرف الوسط يستعاض عنها بزيادة حرف كان اللسان يستسيغ او يستسهل لفظ فرقع على فقّع وفنجر على فجّر . ولكن السؤال الهام هو متى تزاد الراء او النون او اللام للاستعاضة عن التضعيف ؟ هذه اسئلة لا يمكن الجواب عنها لقلة الادلة وربما عند ما تتوافر لدينا الاستنتاجات يمكن ان نقرر النواميس التي تتبع في هذه الناحية

﴿ الافعال الرباعية في الفصحى ﴾ اذا راجعنا المعاجم وجدناها طافحة بالافعال والاسماء الرباعية والخماسية والسداسية واكثرها مهمات ومعانيها غريبة عنا حتى ان الذين جمعوها ودونوها لم يكونوا على ثقة مما يدونون ، بل كتبوا ما كتبوا على ذمة الراوي او على استنتاجهم من معنى بيت ورد في شعر احدهم ، يدلك على دلك المعاني القليلة التي تفيدها هذه المجموعة الكبيرة فانها لا تتعدى معنى «صلب ، صخم ، شديد ، سيء الخلق ، غليظ ، طويل » الى ما هنالك من المعاني غير المحدّدة . وعدم معرفتنا معانيها بالضبط يحول دون درسها لانه اذا فقد المعنى صعب التعليل

اما في كتب الادب وفي الشعر فورودها قليل بالنسبة الى كثرتها في المعاجم . فهذا القرآن الكريم لا يحتوي على اكثر من ٥٠ كلمة رباعيه . ويحق للباحث في تطور اللغة ان يسأل عن السبب في ذلك . ولنا رأي بديه بتحفظ وقد لا يكون على صواب فاننا نعتقد ان الاوزان الرباعية لا بل البرعة في اللغة السامية الى اشتقاق اوزان رباعية من جذور ثلاثية كانت في عصور قديمة شائعة جداً كما هي شائعة في بعض اللهجات العربية المحكية [1] غير انه عند ما بدأ عصر التدوين والكتابة فعل قانون الانتخاب اللغوي فعله . فالناس عند ما يتكلمون يستعملون لغة ولكن عند ما يكتبون يستعملون لغة اخرى وهذا يصدق على جميع لغات الارض . والكاتب ميال الى الابتعاد عن العامي فكل شائع معروف في نظره قريب للابتذال ، والا" ماذا يفرق الكاتب عن بقية الناس ؟ وما الذي يفرق يوئيل النبي العبراني في كتابته عن باقي الانبياء ؟ ولما كانت الافعال الرباعية واشتقاقها شائعاً عامياً ، نظراً الى ضخامتها وكثرة حروفها اخذ الكتّاب في الاقلال من استعمالها

(١) تكثر الافعال الرباعيه في لهجة لبنان وسوريا ، فان كانت المقال تمكن من جمع اكثر من الف فعل رباعي في بلدة صغيرة في لبنان واكثرها غير مذكور في معجم Dozy والف فعل هي لغة مجتمع يعيش على الزراعة في الجبل عدد لا يستهان به ، وعندما يذكر الانسان ان مجموع الكلمات التي نستعملها في كلامنا العادي لا يزيد عن ٣٠٠٠ او ٤٠٠٠ يدرك معنى هذه الكثرة

رحلة جغرافية عمرانية

لوصفي زكريا

— ٣ —

الجبال — لا نبالغ اذا قلنا ان القطر اليماني قطر جبلي بحت . لان جباله تشمل ما يزيد عن ثلاثة ارباع مساحته العامه . وجبال اليمن تتمة سلسلة « السراة » او سلسلة الحجاز الآتية من الشمال والمبتدئه من بين الطائف ومكة والمنتهية في جنوب اليمن عند الاعصاد المشرفة على تهامة وعدن قال ياقوت في معجم البلدان : السراة جبل مشرف على عرفة قرب مكة يمتد الى صنعاء ، وانما سمي بذلك لعلوه ، وسراة كل شيء ظهره وقال ايضاً : السراة الجبال او الارض الحاجزة بين تهامه واليمن ولها سعة وهي باليمن احص . وقال الهمداني في صفه جزيرة العرب السراة اعظم جبال العرب وادكرها اقبل من ثمرة اليمن حتى بلغ اطراف بوادي الشام فسمتهُ العرب حجازاً لانهُ حجز بين الغور « تهامة » وهو هابط وبين نجد وهو ظاهر فصار ما خلف ذلك الجبل في عرفه الى اسياف البحر غور تهامة ، وصار ما دون ذلك الجبل من شرقيه نجداً ، وصار الجبل نفسه سراته وهو الحجاز . وقال ايضاً : اما جبل السراة الذي يصل ما بين اقصى اليمن والشام فانهُ ليس بجبل واحد وانما هي جبال متصلة على نسق واحد من اقصى اليمن الى الشام في عرض اربعة ايام في جميع طول السراة تزيد كسر يوم في بعض هذه المواضع وقد ينقص مثله في بعضها وفي (الرحلة اليمانية) للشريف عبد المحسن التركاني : ان اول جبل السراة يبدأ في عقبة كرى بين الطائف ومكة ويسمى بجبل الحجاز لانهُ الحاجز بين تهامة ونجد وانهُ عظيم الارتفاع عن سطح البحر واسع المساحة كثير الطول طوله من الشمال الى الجنوب احدى واربعون مرحلة ، وكل مرحلة مسير يوم بالابل المحملة وهي اربعين كيلومتراً . من الطائف الى

ايها عاصمة عسير خمس عشرة مرحلة ومن ايها الى صعدة سبع مراحل ومن صعدة الى شهارة ثماني مراحل ومن شهارة الى صنعاء عاصمة اليمن سبع مراحل ومن صنعاء الى نهاية هذا الجبل اربع مراحل وهذا الجبل آهل بالسكان وقراه متصلة ببعضها ، واذا سافر مسافر من الشمال الى الجنوب في تلك المراحل فانهُ يكون دائماً بين مرروعات واودية واشجار كثيرة المياه والمراعي وكافة قراه مبنية بالحجر المنحوت ودورها من طبقتين الى ثلاث ولا يوجد فيه اكواخ مثل تهامة . اه

قلت : وظهر هذه السلسلة المرتفعة ارتفاعاً عظيماً ينقسم قسمين ، فما كان منهُ في الشمال في علو نحو ٢٠٠٠ متر وما فوق حتى حاوز ٣٠٠٠ متر سمي باليمن الاعلى ، وما انحط في الجنوب عن ٢٠٠٠ متر حتى اقترب من مستوى التهائم سمي باليمن الاسفل والحد بين اليمنين فيما قيل قرية المنزل في سهيل سمارة في جنوب مدينة يريم ، على طريق تعز وعدن

واليمن الاعلى حول مدن يريم ودمار وصنعاء وعمران وما بعدها نحو الشمال يؤلف نجداً مستوياً واسعا مستطيل الشكل يمتد من الشمال الى الجنوب من قرب حبال نحران الى سهيل سمارة المتقدم الذكر ، فيتباين العلو فيه من ٢٠٠٠ الى ٢٦٠٠ متر ويختلف علو قننه الشامخة من ٣٠٠٠ الى ٣٥٠٠ متر ويمكن تشبيه هذا النجد بسنام الجمل . لان سفحيه العربي والجنوبي ينحدران في الانحفاض نحو التهائم العربية والجنوبية ، وسفحه الشرقي نحو فيافي الجوف المنحطة ، وهذه تتدرج بالانحفاض من ١١٠٠ متر فما بعد ويمتد في وسط هذا النجد (خط تقسيم المياه) الذي يدفع بعض مياه ينابيعه و سيوله الى الاودية المنحدرة نحو فيافي الجوف في الشرق وبعضها الى الاودية المنحدرة نحو التهائم في الغرب والجنوب وسيأتي ذكر هذه الاودية

على ان النجد اليماني ليس في مجموعه بسطاً حالياً من التلعان والتصاريس . بل ان في معظم ارجائه جبالا وأطواداً عديده منفردة او مجتمعة محروطية او مستطيلة الشكل . وهذه الجبال تفصل بين الرقاع التي يدعونها « قيعان » جمع « قاع » ويتخذون ارضها الشاسعة للحرث والاستغلال اشهر منها قاع البون وقاع سنحان وفيه مدينة صنعاء وقاع جهران وقاع حواس وقاع الحقل وغيرها

اما اطراف السلسلة وسفوحها المنحدرة نحو الغرب والجنوب والشرق فهي تتألف من جبال شاهقه هائلة تتدرج في الهبوط نحو التهائم او الجوف ، وبعض اعضادها يدنو من البحر كتلك التي بين عدن وباب المندب ومخا

جبال اليمن كلها سواء أكانت في النجود أم في السفوح — من أروع جبال العالم مرأى واعسرها مرقى واكثرها تصرساً وتلعاً واشدها تحطماً وتصدعاً وافقرها بالماء والكلأ

وجبال طوروس وآمانوس في شمالي الشام وجبال لبنان الغربي والشرقي واطوادها وعقباتها تحسب متواضعة ذليلة اذا قيست بما في اليمن. لا جرم ان من لم ير جبال اليمن المكفهرة وشناخيبه المشمخرة واوديته السحيقة وصخوره العظيمة النافرة، ومعظمها جاف متحرد عن البهجة والخضرة، اسود اللون، متجهم المنظر، ومن لم يتسلق نقائله[1] وعقباته الوعثاء او يتدحرج في منحدراته الكأداء ذات الميل الشديد — لا يعدُّ رأى جبالاً واودية ولا قاسى تعباً ولا ردد لهثاً ولا ارتعدت فرائصه فرقاً من خشية تدهور السيارة اوكبو الراحلة او زلق القدم. وهذا التدهور او الكبو او الزلق مع التيه في مهامه تهامة من الامور غير النادرة في اليمن. ومبلغ الروعة في هذه الجبال والاودية يدركه المسافرون في احدى الطريقين القديمة (طريق القوافل) او الحديثة (طريق السيارات) بين الحديدة وصنعاء، او بين صنعاء وحجة، او بين صنعاء وتعز، بل في اي طريق شئت، ادكر ولا تستش. ففي طرق اليمن الجبلية عدد لا يحصى من القمم الناطحة للسحب والوهاد والمهاوي المعنفة في التقعر والتمحح. والارتفاع والانخفاض في هذه الطرق يختلفان اختلافاً فجائياً لا هوادة فيه ولا رفق فبينما ترى نفسك قد صعدت في ٤ — ٥ ساعات الى علو شاهق قدره ١٥٠٠ — ٢٠٠٠ متر تهبط فوراً في ساعة او ساعتين الى ثلث او نصف او ثلثي ذلك العلو، ثم تعود للصعود، ثم للهبوط وهكذا يعني ان منكب هذه السلسلة مؤلف من مرتفعات ومنخفضات تتموج تموجاً رهيباً ويأخذ بعضها برقاب بعض كامواج البحر المتعالية المتلاطمة على مسافة بضع مئات من الكيلو مترات مما يبعث الرعب والتعب الزائدين للغريب القادم حديثاً.

ورغم اكفهرار هذه السلسلة وكئودة معارجها ومهابطها فأن في مشاهدها عظمةً وروعةً تأخذان بمجامع القلوب، ولاسيما حينما تتراكم امواج الصباب وتتكاثف قطع السحاب وترتج الآفاق من الرعود القواصف والبروق الخواطف، وهي طواهر جوية كثيرة الحدوث في اغلب الايام بعد الزوال، فحدث اذ ذاك ولا حرج عن طلعها التي لا تمل ورؤيتها التي لا تحتوى، مما يحتاج وصفه وتبيين الوانه ووقعه الى قريحة شاعر مفلق او ريشة رسام مبدع

البراكين والسيول

ولاقسام هذه السلسلة اسماء عديدة تدعى سروات جمع سراة. وفي كل من هذه السروات جبال متعددة معروفة باسماء واوصاف خاصة لا تتسع هذه العجالة لذكرها من وفرتها وكلها من الجبال البركانية الاندفاعية وجل صخورها من جنس البازلت الاسود او الازرق القاتم وهو لا يمتص الماء ولا يخزنه ناهيك جهومة منظره وبشاعة مكسره مما جعل جبال اليمن في الاكفهرار

(١) جمع نقيل وهو اصطلاح يماني يطلق على الطريق في الجبل. ويقابله عند اهل جبل لبنان كلمة «قادومية» من تصدر القساق الا على الاقدام

الذي وصفناه . وبعض تلك الصخور من جنس الجير calcaire او الغرة grès او التراخيت او الميكاشيت ذات الالوان الدكن او الصفر . وتختلط هذه الصخور القليلة بصخور البازلت السود او تتراصف معها في غير انتظام في كثير من الاماكن . وتربة قيعان النجد اليماني تتألف من الطيفال الجيري والرملي الناشيء من تفتت الصخور المذكورة ، وتكون هذه التربة صفراء اللون في الغالب . وتتألف اتربه الاودية من الرواسب الرملية والطينية الناعمة التي جرفتها السيول ، وتكون غبراء او رمادية اللون

ويظهر ان ثوران البراكين وفتكات الزلازل في الاطوار الجولوجية الغابرة كانت في اليمن على اشد مايتصوره علماء الجولوجيا في التصديع والتحطيم وان افعال العوامل الطبيعية من حر وقر وهزاهر وسيول ما برحت حتى يومنا هذا في غايه العنف والقسوة . فالمسافر في طول اليمن وعرضه كيفما التفت يقع بصره على اهاضيب هرمية او مخروطية الشكل قممها فوهات براكين منطفئة وعلى شناخيب مسننة مرتفعة كالمآذن والابراج وعلى اطواد وآكام متمددة منعزلة او مكتظة وكلها مثخن بالحروق والشقوق المفجعة من هول تلك العوامل الطبيعية واخصها الزلازل والسيول . وفي مناكب تلك الشناخيب والاهاضيب والاطواد والآكام او في سفوحها وفجاجها جلاميد هائلة الحجم والشكل (مثل او اعظم من حجر الحبلى في بعلبك) حطتها الزلازل او السيول من على ، وصخور عظيمة مكدسة (مثل او اعظم من صخور الاهرام في مصر) ورضام مضرسة تتدحرج كسورها وفتاتها تحت الارجل فتريد تعب الصاعد في عقباتها ومنحدراتها الكأداء وتجعله يقاسي لهاث المحتضر

وفعل السيول في اليمن عظيم . وتاريخ اليمن طافح بفجائع هذه السيول التي تحدث الفترة بعد الفترة . واحصها ما يحدث في صنعاء يأتيها من انحاء سنحان وسعوان وجبل اللوز ويخرب قسماً غير يسير من صنعاء وشعوب والروضة ويذهب بعد للانصباب في وادي حارد أحد أودية الشرق

واذا استثنينا القيعان المنبسطة في انجاد سلسلة السراة والرقاع الصالحة في بعض ذرواتها واسنادها[1] والمنحدرات الخفيفة التي وطدها اليمانيون بمتاعب رائدة وعملوا فيها حقولاً صناعية متدرجة اسموها حُرباً جمع جربة[2] فان اكثر أقسام هذه السلسلة عاطل غير قابل للحرث والزرع ، وتكاد نسبة القابل منها لا تزيد عن الاربعين في المائة ، وما بقي فتنون او حرار[3] اومنحدرات هي مسارح للقرود وأوكار للنسور ومنابت لما لا حصر في اكثره من الاعشاب الغثة والانجم والاشجار الشائكة مما سوف نذكره في بحث الزراعة

(١) السند ما قابلك من الجبل وعلا عن السفح

(٢) يقابلها لدى أهل جبل لبنان كلة جلول جمع جل (٣) المتون جمع متن وهي الارض التي تحجم الارتفاع والصلابة والحرار جمع حرة وهي الارض ذات الحجارة الكثيرة السود النخرة

وغني عن القول ان هذه الحال لا تتساوى في العظمة والروعة وامكان الصعود والنزول ووجود رقاع للحرث والزرع فيها او عدمه فمنها ما هو واسع الدروة ، صالح التربة ، قابل الصعود على البغال والحمير . ومنها ما تقابله شديدة الكؤودة تزل الوبر[١] والفرد ، بل ان بينها ما ليس له غير نقيل « لا يطلعهُ سوى المشاة ولا يطلعهُ دابة . فاذا — ارادوا دابة يستعينون بها في ذروته مثل البقر للحرث والحمير للحمل حملها الرجال عجلة الى عصوة صعاراً »[٢] . على أن اليمانيين لم يغادروا قيد شبر يمكن الاستفادة منهُ في دروات هذه الحال او منحدراتها . لا سيما من تلك التي تتفجر فيها عيون وغيول[٣] . فهم قد تعلموا باديالها وتسلقوا ادراجها ووطدوا ما امكنهم التوطيد من انجادها واسنادها فرزعوا وغرسوا وشادوا الحصون والقرى بهم فصاء حديرة بالاعجاب

الطرق ووسائل النقل

اما وسائط النقل فأحدثها السيارات فهي قد دخلت اليمن منذ خمس سنوات وصارت تجري الآن بين اكثر المدن والقرى الآهلة وبعض النجديه التي لا يصعب وصولها اليها اما في الصعبة الوصول فقد عبدوا لها حتى الآن طريقين طريق الحديدة - صنعاء ، وطريق صنعاء — حجة . الا ان هذه الطرق التي يخططها موظفون غير مهندسين وقد يكون غير مأجورين وتلك السيارات التالية التي يديرها سواقون غير دوي كفاءة تجعل الراكب يسأل الله السلامة في كل لحظة

في طريق الحديدة صنعاء تطوي السيارة بادىء ذي بدء سهولاً تهامة وتتعسف بين كثبانها وتعوص احياناً في رملها وتحمل الراكب حرارة شمسها اللاهبة ، فاذا انتهى منها بعد مسير نحو ستين كيلو متراً يصل الى بليدة اسمها (باجل) تقدم وصفها واذا غادرها ظهر امامهُ طلائع الجبال التي تقدم ذكرها . بعد ان يجار محطة البحيح وقرية عمال الزيتيين ايضاً تنحرف السيارة نحو الجنوب الشرقي وتشرع بالتوغل ، وتسلك الطريق التي فتحت للسيارات حديثاً على النحو الذي وصفنا بعسره وخطره . وهي تتعلل وتتمنع وتصعد وتهبط في اودية طويلة قليلة العمران والسكان اسماؤها سيحان وسهام تجري في بلاد ريمة وهذه الاودية منحصرة بين جبال شاهقة من فروع جبال ريمة منها والعهدة على السائق الذي اسماها على يمين الطريق جبل صام وجبل عدس وجبل برع وجبل عساكر وعلى يساره جبل الحبي وجبل شرق وهذه الاودية تتصل تارة وتبتعد اخرى ، ويكثر في عدواتها اشجار العضاه الشائكة والنباتات المتعرشة على اختلاف فصائلها وحقول الذرة على اختلاف اعمارها وأطوالها ، وقد يصادف السائر ايضاً فيها قطعان القرود على اختلاف صورها وضخامة بعض افرادها وغرابة

(١) الوبر Hyrax دويبة كالسنور لكنها أصغر منه (٢) الهمداني في صفة جزيرة العرب ص ١٩٢
(٣) غيول جمع غيل ، اصطلاح يماني يطلق على الينابيع الجارية

وثباتها وصيحاتها المصحكة . واذ كانت السيارات لا تستطيع الاسراع اكثر من ١٠ — ١٥ كيلومتراً في الساعة بحكم شعث الطريق وكثرة المعارج والمعطفات فلا بد من قضاء الليلة الاولى في هذه الاودية المقفرة والمحطة الوحيدة التي يحور لميت وما هي قرية حقيرة وبيئة اسمها «مدينة العبيد» — سكانها حالية من السودان . وبعد مسير مسافات شاسعة وسط وادي حمام علي في بلاد آنس يصادف السائر قرب منتهاه الشرقي حماماً معدنياً كبريتياً يأتيه المرضى في شهري مارس وابريل . وبعد هذا الحمام ببضعة كيلو مترات تشرع السيارة باقتحام عقبة طويلة كؤودة اسمها عقبة المصنع ، اذا بلغت اعلاها أفضت الى طهر النجد اليماني الذي تقدم ذكره وتصل الى احد قيعانه المنبسطة المسمى « قاع حهران » فيتنفس المسافر هنا الصعداء لخلاصه من الصعود والدوران المتواليين المدورين للرأس ومن ضيق الاودية وحشرها وحرها ، ويلاقي بعد الآن فضاء فسيحاً وهواء سجسجاً . وبعد الاستراحة برهة في قرية « معبر » ينحرف السائر نحو الشمال الشرقي ، فاذا انتهى من قاع حهران يصعد في نعيل كؤود يفضي بعده الى اودية لا تخلو من منعرجات و منبسطات فيها عدة قرى منتثرة اسماؤها بيت زيادي ووعلان والدوب وحرير وغيرها حتى يصل الى قاع فسيح في وسطه مدينة صنعاء

هذا وما عدا السيارات ، ليس في اليمن ولم يكن من وسائط النقل ، سوى البغال والحمير والابل . اما الخيل فقليلة الوجود والاستعمال شأن كل البلاد الجبلية والطرق عبارة عن شعب ومسالك وعثاء حفرتها الاقدام بمرور الايام . وقد صادفت في طلوعي من وادي الاهجر الى حصن كوكبان في عقبة تقطع النياط توقفنا اكثرها مشياً . ان قسماً من هذه العقبة قد بلط تبليطاً حسناً لم اعرف رغم سؤالي اي صاحب خير من القدماء صنعه وفي اي عصر صنعه . ومثل هذا البلاط موجود في نعيل عمارة الصاعد من إب الى يريم وهو على ما قيل من صنع الملك العزيز طغتكين اخي صلاح الدين الايوبي الذي حكم اليمن في سنة (٥٧٧ ٥٩٣هـ) ، ولعل الاول ايضاً من صنعه ، كما ان السور المحيط بصنعاء بدأ به اخوه توران شاه وأكمله هو

طريق القوافل القديمة

﴿ وصف طريق القوافل القديمة بين الحديدة وصنعاء ﴾ كانت الجيوش التركية والقوافل التجارية قبلاً تسلك طريقاً أقصر منالاً وأكثر عمراناً وسكاناً منها في طريق السيارات الحديثة . عبد الترك بعض أقسامها في رماحهم وبنوا الجسور على بعض أوديتها فجعلوها صالحة لسير عجلات المدافع وغيرها . الا ان هذه الاقسام المعبدة قد أشرفت على الخراب من الاهمال الحاضر . فالمسافر في هذه الطريق [1] بعد مغادرة قرية باحل ومحطه البحيح التي تقدم ذكرهما ينحرف

(١) وصف هذه الطريق مراسل جريدة التيمس الانكليزية المستر هرس سنة ١٨٩٢ ، ونشر ترجمته في صوصط في المقتطف م ٣٨ ج ١

نحو الشمال الشرقي ويمر بقرية اسمها حجيلة . ومن ثم يشرع بالصعود في واد طويل ، هائل المنظر ، على جانبيه جلاميد عظيمة مدهشة ، واسم الوادي حجام يمتد نحو ساعتين على سير البغال وفي قرب حجيلة قرية الاكمه من قرى جبل مشار ، وتحتها العريف ووراءها جبل صعفان وفيه حصن متوح ويرداد الصعود بل التوغل بعد حجيلة كلما أوغل المسافر نحو الشرق وترداد معهُ مناظر الجبال العظيمة ووعوثها الرهيبة ، وترداد ايضاً رقة الهواء وبرودته المنعشتان على خلاف ماكان في هواء تهامة ذي الثقل والحر المضنيين وبعد وادي حجام يبلغ المسافر سفح جبل وصل ويلمح على يساره في الافق الشمالي جبل الطويلة ، ويلمح أمامه في الافق الشرقي جبل شبام المعدود من قمم اليمن الشامخة ووراءه في الافق العربي جبل برع وجبل ريمة المماثل لهُ ويلمح في طريقه ايضاً او يمر بقرية محصنة اسمها « العتارة » أهلها اسماعيلية مكرميون . وبعد اقتحام عقبة طويلة تقطع بياط القلب طولها خمس ساعات يصل الى بليدة اسمها مناخة مبنية قرب قمة جبل حرار المشابه لصهوة الفرس وهي كما قيل مسرح للهوم ومرعى للغنم والبقر ومناخة في موقعها وعلوها وشكل دورها الشبيهة بالحصون والاكام من أمنع أماكن اليمن وأعزها منالا . تشرف من أنحائها الاربعة على أودية ووهاد هائلة السحق والانحدار وادا سرح المسافر نظره في آفاق مناخة البعيدة رأى وادي موسنة ينبسط أمامهُ شمالاً نحو الغرب ودونه حبلا ملحان وحماش ، وفي الشرق جبل شعيب حصور أما قمم اليمن طرًّا وتحته بوعان وثمة قرى عديدة شيد موقعها قرى حصينة وما منها الا وحولها الاراضي المحروثة والحقول الصناعية المتدرجة ومعارس التين والفات وبعد مناخة يعود المسافر الى الهبوط والتدحرج في سيل عمودي شاق اسمه بقيل مناخه فاذا بلغ وادي الشحة في اسفله يعود الى التوغل تارة والهبوط أخرى ، والهبوط أكثر ، والطريق مملوء بالاشجار الشائكة ، حتى يبلغ أسفل واد سحيق بعد أوطأ قمم الجبال في اليمن وأحرها هي قرية اسمها مصحى بيت فوق قمة ثم يعود المسافر للتوغل في درجات عسيرة لا تحصى حولها وهاد لا قعر لها ولا حد حتى يبلغ قرية اسمها سوق الخميس ، ثم قرية أعلى منها اسمها بوعان فيها قلعة شاهقة ، وفي بوعان مشهد للجبال والاودية الهائلة واذا تراكمت امواج الضباب او قطع السحاب وهي كثيرة الشيوع والتراكم في هذه الاماكن الحملة المتجهة الى العرب نحو سواحل البحر الاحمر ، تحدث مسارح المطر ومناهج الفكر التي أطربنا روعتها وبداعتها وبعد بوعان يستمر التوغل الى متنة او محمر سنان نائما وهي آخر مرحلة للقادم من الحديدة وبعدها نزول متدرج الى مساحد ، ثم صعود الى عقبة عصر ثم نزول الى سهل أفيح فيه مدينة صنعاء حاتمة المسير

قلنا ان الترك في عهدهم الأخير عبدوا أقساماً كثيرة من هذه الطريق وذللوا صعابها . وكانوا يريدون ان يسيروا بها من مصحى الى وادي صفور الى عمران ، تاركين مناخة لصعوبة

عقباتها وعلوها . ثم قرروا مد سكة حديدية من رأس الكثيب في شمالي الحديدة الى داخل فوادي صور فمحق فسوق الخميس بصنعاء، وعهدوا في مد هذه السكة الى ادارة الخط الحجازي ، فقامت هذه الادارة بالعمل وجلبت آلات وعوارض وقضبان حديدية ، وتقدم التمديد من الساحل الى الداخل نحو ١٥ كيلو متراً ولكن مفاجأة الطليان بحرب طرابلس الغرب ومن بعدها الحرب البلقانية والحرب العامة ، حالت دون انجاز ذلك

الارتفاعات في قسم الجبال

صعدة ٢٢١٦ عمران ٢٣٠٢ كوكبان ٣٠٠١ الروضة ٢٣٠٦ رداع ١٤٠١ ثلا ٢٨٦١ ذي مرمر ٢٦٩٨ شبام ٢٦٣٥ دمار ٢٤٣١ يريم ٢٦٨٥ تعز ١٣٧٤ مأرب ١٠٠ الطويلة ٢٩٠٠ مسور ٣١٦٠ معبر ٢٥١٦ جبل شعيب حصور « اعلى قمم اليمن » ٣٥٠٠ جبل طفير في قضاء حجة ٣٤٠٠ جبل شهارة في بلاد حاشد ٢٣٧٠ وفي بلاد عسير ، أبها ٢٢٧٥ سوعا ٢٣٦٠ محائل ١٦١٠ عامد ٢١١٠ . وفي قسم تهامة اليمن زهرة ٣٥٧ حيس ٢٩٥ بيت الفقيه ١٦٥ زبيد ١٤٠ وجميعها بالامتار

الاودية والسروب

ليس في اليمن انهار تشبه على الاقل العاصي او بردى في بلاد الشام من حيث غزارة الماء ودوام الجريان . بل ان بين جباله اودية تحصل من خطوط اجتماع المياه الهابطة من دروب جبال اليمن والمنحدرة نحو التهائم في الغرب والجنوب او نحو الجوف في الشرق . وتحصل مياه هذه الاودية اما من الينابيع المتفجرة عند خطوط اجتماع المياه المذكورة واسمها في اليمن (عول) جمع (عيل) ، وإما من السيول المجتمعة من مياه الامطار . ومياه هذه الاودية اما ان تغور في رمال تهامة والجوف وتضيع سدى ، وإما ان ينتفع بها في ري بعض الاراضي كما يعمل أهل زبيد وحيس . وهذه الاودية كثيرة ، لا طائل في ذكر اسمائها وتعداد روافدها في مجالتنا هذه . وجلها جاف في غير موسم الامطار . وليس فيها دو ماء غزير يسيل في ايام السنة وينتهي في البحر الا وادي تنا ومصبه شرقي عدن ، ووادي لحج ومصبه في عدن ، وأودية تهامة العربية كوادي مجا ، وادي زبيد ووادي رمع ووادي سهام وادي سردود ووادي مور . ويمتد طول كل منها ٤ ٥ ايام على الماشي ويحصل في مجاري بعضها عدران عميقة وواسعة يجدون فيها سمكا بوزن الكيلو غرام أو الكيلو غرامين ويذكر من أودية الشرق التي تذهب نحو فيافي الجوف وادي الحارد ووادي أدنة وغيرهما . الا ان اعظم هذه الاودية واقواها هو وادي مور الذي لا ينقطع في كل السنة وهو ميزاب تهامة الاعظم ، ومثله بكثرة الروافد وبعد المدى في الشرق وادي آدنة الذي كانت تخزن مياهه بسد مأرب الشهير ويلقب بميزاب الشرق

والاودية في اليمن اجل اماكنه قدراً واعظمها شأناً ونفعاً . وهي انزهها منظراً وازكاها تربة واوفرها خيراً وميراً . ففيها المواقع الرغيدة والينابيع والغيول الدافقة والاشجار الظليلة والمحاصيل المغلالة والقرى والمزارع العامرة المنتشرة على عدوتيها انتثاراً متقارباً جميلاً واذ ارتفعت هذه الاودية عن مستوى تهامة وحرها وتطامنت عن علو النجود وبردها فهي معتدلة الاقليم في الجملة على ان بعضها يشذ عما ذكرناه لضيق رقعته وانحباس هوائه او كثرة مناقعه فيحدث فيه الحر اللاهب والبعوض اللاسع ويصبح ويمسي تفتك فيه حمى البرداء (الملاريا) . لا جرم ان اليمن لولا اوديته هذه لما اختلف بجباله وتهائمه عن الهيكل العظمي الاَّ قليلاً . فأجل مغارس اليمن ومزارعه واجود وابرك اشجاره وثماره تكون في هذه الاودية وفي كل منها كما قال الهمداني « ما لا يوقف عليه من القرى الصغار والابيات ، وكل واد منها مخلاف يكون فيه سلطان يقوم به عوائده »

وكان قدماء اليمانيين يعرفون قيمة مياه هذه الاودية الفائضة ويحسنون خزنها والانتفاع منها فيعمدون الى بناء الاسداد وهي جدران ضخمة كانوا يقيمونها في عرض الاودية المذكورة لحجز السيول ورفع المياه لري الاراضي المرتفعة كما يفعل اهل التمدن الحديث في بناء الخزانات . فتكاثرت الاسداد بتكاثر الاودية حتى جاوزت المئات . وذكر الهمداني في بخصب العلو من مخاليف اليمن (قضاء يريم الحالي على ما يظن) وحده ثمانين سداً . والى ذلك أشار شاعرهم بقوله :

وبالربوة الخضراء من ارض بخصب ثمانون سداً تقلس الماء سائلا

واشهر اسداد اليمن « العرم » وهو سد مأرب الشهير وسد الخانق بصعدة وسد ريعان وسد سيان واسداد بلاد عنس وغيرها . وكلُّهُ مندثر ، لو امكن ترميم بعضه ان لم يكن جله لعاد قسم من عمران اليمن وزهوه اللذين أدمجهما الرومان في كلمة (العربية السعيدة)

المعادن

يستعمل اهل الجبال في اليمن الملح الصخري الذي يجلب من جبل الملح في مأرب . قال الهمداني في هذا الجبل ، هو ليس بجبل منتصب ولكنهُ جبل في الارض يحفر عليه ويعمن في الارض وهو يبقى منهُ اساطين تحمل ما استقل من تلك المحافر وربما انهدم على الجماعه فذهبوا . وهي ارض لا نبات فيها فيحمل اليها الماء والزاد والحطب والعلف ويتحفظ على الماء — من أجل الغراب ان يفسر السقاء فيذهب ماؤه وهو من مأرب على ثلاث مراحل خفاف . ومأرب بحذاء صنعاء شرقاً . اه . وفي سواحل تهامة الغربية عدة ملاحات اخصها الصليف شمال الحديدة ، وهي عظيمة ملحها صخري فريد في نقائه وجودته ونزارته وقد كانت هذه الملحة تستغل في عهد العثمانيين وتدر وارداً قيل انه كان يبلغ المائتي الف ذهب عثماني ، الى ان خربتها الدوارع الانكليزية خلال الحرب العامة وحطمت مبانيها وآلاتها فلم تعد تقوم لها

قائمة ، وقد طلب بعض الاجانب من جلالة الامام امتيازاً باصلاحها واستغلالها فلم يلب طلبهم خشية امتداد ايدي الاجانب الى اليمن بجرائها . . . وقد اوجب خراب مملحة الصليف عمران مملحة عدن التي يستخرج ملحها من البحر وفي اليمن احجار بازلتية سود واحجار كلسية وجبسية بيض صالحة للبناء واحجار كالرخام تقطع الواحاً رقيقة فتخرج شديدة الشفوف واللين والمتانة كأنها الزجاج او المكا يستعملونها لسد النوافذ ويأتون بها من حوالي صنعاء . ولا تخلو بلاد اليمن البركانية من ينابيع مياه حارة كبريتية عليها حمامات يقصدها الاعلاء ، اشهرها حمام علي في قضاء آنس وحمام بيت الفقيه وحمام ناحية عر وحمام قعطبة وحمام رداع

وقد ردد الهمداني وغيره من مؤلفي العرب وأطنبوا في معادن اليمن وأحجاره الكريمة فذكروا وجود الذهب والفضة والحديد والنحاس . وقيل ان بعض الخبراء من الافرنج اخبروا ايضاً عن وجود معادن الحديد والكروم والنحاس والفحم الحجري والكبريت والنفط ، وذلك في النماذج التي جلبت لهم للفحص او في الاماكن التي توصلوا اليها . لكن احداً لم يحقق حتى الآن صفاء هذه المعادن وغنى مناجمها ان كانت لها مناجم دارة ، ولا يزال اليمن بحاجة الى خبراء في الجيولوجيا والمعادن يرودونهُ رواداً علميًّا ويحققون الصفاء والغنى المذكورين اللذين يشك في كفايتهما ووفائهما بنفقات الاستخراج . وكذلك لا يعرف سبب اهمال المعادن القديمة التي ذكرها الهمداني وغيره ألنفاد مناجمها أم لصعوبة استخراجها . وجل ما قيل[1] ان منجم الفضة في الرضراض بين بلاد همدان وخولان كان يستثمر قبل الهجرة الى ان هبط احد كهوفه وسد منافذه فترك . ومثله منجم الرصاص في بلادهم ومنجم الفضة في مسارع ، قيل انهما كانا يستثمران في عهد الامام شرف الدين وابنه المطهر (٩٢٣ — ٩٨٠ هـ) الى ان هبطت كهوفهما ايضاً وسدت منافذهما فتركا وقيل انهُ كان في جبل نقم (قرب صنعاء) في عهد الحميريين منجم للحديد ظلوا يستثمرونهُ قروناً وكانت الاسلحة المصنوعة من هذا الحديد ذات قيمة باهظة لجودته ، وقيل ايضاً انهُ كان في جبل صبر (قرب تعز) منجم للذهب استثمر طوال قرون . ولم يبق من المناجم القديمة التي تستثمر سوى منجم الحديد في جوار صعدة . ويذكر ان الحديد القليل الذي يستخرج منهُ يؤتى بهِ الى صنعاء وغيرها ويباع بضعفي ثمن الحديد الاوربي المجلوب الى اليمن ويعمل منهُ الجنبيات (جمع جنبية وهي السكين التي لا بدَّ لكل يماني ان يعلقها في وسطه) والجرد (جمع جردة وهي ضرب من السيوف العريضة) . اما الجزع الموشى والمسير والعقيق الاحمر والاصفر اللذان يستعملان في صناعة الخواتم والشذب الذي يعمل منهُ ألواح وصفائح ونصب سكاكين وأمثالها من الاحجار الجميلة التي ذكرها الهمداني فانها لا تزال موجودة في اليمن يرتزق من نحتها ونقشها أرباب صناعتها في صنعاء وغيرها

(١) سالنامة ولاية اليمن لسنة ١٣٠٤ هـ ، مطبعة صنعاء

والاودية في اليمن احل اماكنه قدراً واعظمها شأناً ونفعاً . وهي ابرهها منظراً وازكاها تربة واوفرها خيراً وميراً . فيها المواقع الرعيدة والينابيع والعيون الدافقة والاشجار الظليلة والمحاصيل المغلالة والقرى والمزارع العامرة المنتزة على ضفتيها انتشاراً متقارباً جميلاً واذ ارتفعت هذه الاودية عن مستوى تهامه وحرها وتسامت عن علو النجود وبردها وهي معتدلة الاقليم في الحملة على ان بعضها يشتد عما ذكرناه لضيق رقعه وانحباس هوائها وكثرة مناقعه فيحدث فيه الحر اللاهب والسموم اللاسع ويصح ويبتأ تفشك فيه حمى البرداء (الملاريا) . لا جرم ان اليمن لولا اوديته هذه لما اختلف بجباله وتهائمه عن الهيكل العظمي الاّ قليلاً فأحل معارس اليمن ومزارعه واجود وابرك اشجاره وثماره تكون في هذه الاودية وفي كل منها كما قال الهمداني « ما لا يوقف عليه من القرى الصغار والابيات ، وكل واد منها بخلاف يكون فيه سلطان يقوم به عن اثده »

وكان قدماء اليمانيين يعرفون قيمة مياه هذه الاودية الفائضة ويحسنون حربها والانتفاع منها فيعمدون الى بناء الاسداد وهي جدران ضخمة كانوا يقيمونها في عرض الاودية المذكورة لحجز السيول ورفع المياه لري الاراضي المرتفعة كما يفعل اهل المدن الحديث في بناء الخزانات فتكاثرت الاسداد بتكاثر الاودية حتى حاورت المئات . وذكر الهمداني في بحث العلوم من مخاليف اليمن (قصباء يريم الحالي على ما يظن) وحده ثمانين سداً . والى ذلك أشار شاعرهم بقوله :

وبالربوة الخضراء من ارض يحصب ثمانون سداً تقلس الماء ماثلا

واشهر اسداد اليمن « العرم » وهو سد مأرب الشهير وسد الحابس بصعدة وسد ريعان وسد سيان واسداد بلاد عنس وغيرها . وبقية منه ، لو امكن ترميم بعضه ان لم نقل اعادة قسم من عمران اليمن ورهوه الذين آدبحهما الرومان عن كلكه (العربية السعيدة)

المعادن

يستعمل اهل الجبال في اليمن الملح الصخري الذي يحلب من جبل الملح في مأرب . قال الهمداني في هذا الجبل ، هو ليس بجبل منتصب ولكنه جبل في الارض يحفر عليه ويعمق في الارض وهو يبنى منه اساطين تحمل ما استقل من تلك المحافر وربما اهدم على الجماعة فدهبوا . وهي ارض لا نبات فيها فيحمل اليها الماء والزاد والحطب والعلف ، يتحفظ على الماء — من أجل العراب ان يبسر السفاء فيذهب ماؤه وهو من مأرب على ثلاث مراحل حقاف . ومأرب بحذاء صنعاء شرقاً اه . وفي سواحل تهامة العربية عدة ملاحات احصها الصليف شمال الحديدة ، وهي عظيمة ملحها صخري فريد في نقائه وجودته وغزارته وقد كانت هذه المملحة تستغل في عهد العثمانيين وتدر وارداً قيل انه كان يبلغ المائتي الف ذهب عثماني ، الى ان حربتها الدوارع الانكليزية خلال الحرب العامة وحطمت مبانيها وآلاتها فلم تعد تقوم لها

قائمة ، وقد طاب بعض الاجانب من جلالة الامام امتيازاً باصلاحها واستغلالها فلم يلب طلبهم خشية امتداد ايدي الاجانب الى اليمن بجرائمها . وقد اوجب جراب مملحة الصليف عمران مملحة عدن التي يستخرج ملحها من البحر وفي اليمن احجار بارلتية سود واحجار كلسية وجسية بيض صالحة للبناء واحجار كالرخام تقطع الواحاً رقيقة فتخرج شديدة الشفوف واللين والمتانة كأنها الزجاج او الميكا يستعملونها لسد النوافذ ويأتون بها من حوالي صنعاء . ولا تخلو بلاد اليمن الركابية من ينابيع مياه حارة كبريتية عليها حمامات يقصدها الاعلاء ، اشهرها حمام علي في قصاء آنس وحمام بيت الفقيه وحمام ماحيه عر وحمام قعطبة وحمام رداع

وقد ردد الهمداني وغيره من مؤلفي العرب وأطنبوا في معادن اليمن وأحجاره الكريمة فذكروا وجود الذهب والفضة والحديد والنحاس . وقيل ان بعض الحمراء من الافرنج اخبروا ايضاً عن وجود معادن الحديد والكروم والنحاس والفحم الحجري والكبريت والنفط ، وذلك في النماذج التي حملت لهم للفحص او في الاماكن التي توصلوا اليها لكن احداً لم يحقق حتى الآن صفاء هذه المعادن وعن مناجمها ان كانت لها مناجم دارة ، ولا يزال اليمن بحاجة الى خبراء في الجيولوجيا والمعادن يرودونهُ رويداً علمياً ويحققون الصفاء والعين المذكورين اللذين يشك في كفايتهما ووفائهما نفقات الاستخراج . وكذلك لا يعرف سبب اهمال المعادن القديمة التي ذكرها الهمداني وغيره ألنفاد مناجمها أم لصعوبة استخراجها . وحل ما قيل[1] ان منجم الفضة في الرصراص بين بلاد همدان وحولان كان يستثمر قبل الهجرة الى ان هبط احد كهوفه وسد منافذه فترك ومثله منجم الرصاص في بلادهم ومنجم الفضة في مسارع ، قيل انهما كانا يستثمران في عهد الامام شرف الدين واسمه المطهر (٨٢٣ - ٩٨٠ هـ) الى ان هبطت كهوفهما ايضاً وسدت منافذهما فتركا وقيل انهُ كان في جبل نعم (قرب صنعاء) في عهد الحميريين منجم للحديد ظلوا يستثمرونهُ قروناً وكانت الاسلحة المصنوعة من هذا الحديد ذات قيمة ناهظة لجودته ، وقيل ايضاً انهُ كان في جبل صبر (قرب تعز) منجم للذهب استثمر طوال قرون . ولم يبق من المناجم القديمة التي تستثمر سوى منجم الحديد في حوار صعدة . ويذكر ان الحديد القليل الذي يستخرج منهُ يؤتى بهِ الى صنعاء وغيرها ويباع بصعفي ثمن الحديد الاوربي المجلوب الى اليمن ويعمل منهُ الخنيات (جمع خنية وهي السكين التي لا بدَّ لكل يماني ان يعلقها في وسطهِ) والحرد (جمع حردة وهي ضرب من السيوف العريضة) . اما الخزع الموشى والمسير والعبق الاحمر والاصفر اللذان يستعملان في صناعة الخواتم والشذب الذي يعمل منهُ ألواح وصفائح ونصب سكاكين وأمثالها من الاحجار الجميلة التي ذكرها الهمداني فانها لا تزال موجودة في اليمن يرتزق من بحثها ونقشها أرباب صناعتها في صنعاء وغيرها

(١) سالنامه ولايه اليمن لسنه ١٣٠٤ هـ ، مطبعه صنعاء

صفحات من تاريخ الجيش

نواحٍ عسكرية

في عصر اسماعيل العظيم

لعبد الرحمن زكي

في الفصل السادس من كتاب القاضي كرابيتس « اسماعيل المفترى عليه » تقف على شيء كثير من مطامح الخديو اسماعيل باشا وآماله التي سعى في تحقيقها الى تحرير مصر من بر السيادة التركية . ولما كان يخشى ان يضطر الى امتشاق الحسام لتحقيق هذه الغاية اتجه بأبصاره شطر الولايات المتحدة الاميركية ليستعير منها ضباطاً لتنظيم جيشه وتدريبه

ولسنا نعلم ما الاجراءات الاولية التي اتبعها الخديو اسماعيل . والارجح انهُ في اواخر سنة ١٨٦٨ أو اوائل سنة ١٨٦٩ اتصل الخديو اسماعيل بالكولونيل « هنري موط » Henry Mott من ضباط الجيش الاميركي الاتحادي . وكان قد ادخل اولاً في خدمته كضابط بسيط لكنهُ بعد ان اختاره اسماعيل كلفهُ انتقاء ضباط اميركيين للخدمة في الجيش المصري فأخذ يستخدم ضباطاً من كلا الفريقين المتحاربين في الحرب الاهلية الاميركية وقد وقع اختياره على الضباط الآتي بيانهم :

الجنرالات لورنج وسبلي وستون . والكولونيلات شايبه لونج . كولستون . ديريك . داي. فيلد — جنيفر — كنون - لوكيت — مكيفور — ماسون — بردي — بروت - الكسندر رينولدز — فرنك رينولدز — ريد — ريت — روجرس — ساڤيدج — آلين — وارد

ثلاثة ضباط برتبة لفتننت كولونيل . وثمانية برتبة ماجور. وثلاثة برتبة كابتن. وثلاثة جراحين

وقبل قدوم هؤلاء الضباط الى مصر وقعوا عقوداً مع الحكومة المصرية التي كان يمثلها « موط » (ان يشهروا الحرب على اي عدو للفريق الاول — كائناً من كان — وان يواصلوا تلك الحرب بكل شدة) ما عدا حمل السلاح في وجه الولايات المتحدة . وقد ذكر الكولونيل شايبه لونج انهُ قيل له ولرفقائه سراً ان الغرض الحقيقي لمهمتهم كان تنظيم الجيش المصري للقيام

بعمل حاسم يضمن لمصر استقلالها ويزيل عنها النير التركي [١] واليك ما جاء في مذكراته عن اول مقابلة كانت بينهُ وبين اسماعيل باشا . قال له هذا :

« اني اعتمد على حبكم واخلاصكم ومراعاتكم لشروط الكتمان لتعينوني على تحقيق استقلال مصر . ومتى تم ذلك وسيتم بادن الله — فسأكافئكم أعظم مكافأة » [٢]

﴿ هيئة اركان حرب الجيش المصري ﴾ ولعل اهم يوم في تاريخ خدمة الضباط الاميركيين في الجيش المصري هو يوم ٣٠ مارس سنة ١٨٧٠ وفي ذلك اليوم عين الجنرال ستون رئيساً لاركان حرب الجيش المصري . وكان هذا التعيين نذيراً بانتهاء السيادة الفرنسية في الجيش بعد ان كانت هيئة اركان حربه معظمها ان لم يكن كلها من الضباط الفرنسيين . فاننا نعلم جيداً ان عصب حرب القرم (١٨٥٣ — ١٨٥٥) وعموت القائد سليمان باشا الفرنسي [٣] رئيس هيئة اركان حرب الجيش المصري في ايام محمد علي الكبير والبطل ابراهيم وعباس باشا الاول وسعيد اندثرت هذه الهيئة او طاحت اسماً على غير مسمى حتى بعثها اسماعيل باشا

لما بدأ الجنرال ستون عمله في ربيع عام ١٨٧٠ وقصد نظارة الحربية لتقلد منصبه الجديد لم يجد فيها « هيئة » كالتي توقعها وعثر على اسم كولونيل فرنسي كان مسافراً الى اسكلترا لمشترى ذخائر واسلحة ولكنهُ لم يعد من مهمته الا حوالي عام ١٨٨٠ . ولم يجد الجنرال ستون في نظارة الحربية خرائط او كتباً عسكرية او ملفات هامة للابحاث الحربية كما كان ينتظر ولم يكن للجيش المصري رئيس لهيئة أركان الحرب بعد وفاة قائده القديم سليمان باشا الفرنسي الذي كان قد أوصى بارسال بعض نجباء الطلبة الى فرنسا لتلقي الدروس العسكرية العالية . فلما عادوا صنفهم تحت رآسته الى هيئة اركان الحرب التي ألفها على الاسلوب الفرنسي وبوفاته لم يخلفهُ أحد في منصبه حتى ١٨٧٠ . ولم يكن من افراد تلك البعثة العسكرية غير شريف باشا الذي كان يشغل منصب رئيس النظار وقائمقام الخديو اثناء غيابه في الاستانة — ومراد باشا حلمي الذي وصل الى رتبة اللواء وصار فيما بعد ناظراً للحقانية في عهد المغفور له توفيق باشا . وعلي باشا ابراهيم ناظر المعارف فيما بعد وغيرهم من اعضاء البعثة الرابعة (١٨٤٤) [٤] فكان من الطبيعي ان يؤلف الجنرال ستون

(١) كتاب « حياتي في القارات الاربع » لمؤلفه الكولونيل شايبه لوح ج ١ ص ١٧

(٢) راجع كتاب شايبه لوح ج ١ ص ٣٢ الذي سبق ذكره

(٣) هو الكولونيل سيف Sève الفرنسي الجد الاكبر لاسرة جلالة الملكة الوالدة وكانت وفاته في ١٢ مارس عام ١٨٦٠ بمرض الروماتزم وضريحه اليوم بحارة قصره في مصر القديمة — انظر كتاب Soliman Pacha لمؤلفه Aimé Vingtrinier ص ٥٨٣

(٤) راجع كتاب البعثات العلمية في عهد محمد علي وعباس الاول وسعيد للسمو الامير الجليل عمر طوسون باشا ص ١٧٢ — ٣٧٤

هيئة جديدة وبدأ عمله بعد ان اكتسب ثقة الخديو واسأهب مساعيهُ واعداد ضباط اكفاء يوثق لتبعاتهم الجديدة وتنظيم الجيش للخدمة بارشادات هيئة أركان الحرب وكان أول ما أوصى به الجنرال ستون تعليم صفوف الجيش

﴿ تعليم ضباط الصف والجنود ﴾ واستصدر أمراً من الخديو بان لا يرقى أحد أفراد الجيش الى درجة الأومباشي الا اذا كان ملمّا بالقراءة والكتابة ولكي يمكن ترقية جميع الجنود صدر أمر عال بانشاء مدرسة في كل أورطة لتعليم ضباط الصف والجنود مدة ساعة ونصف ساعة على الأقل يومياً - ونظمت مدرسة لتعليم ضباط الصف لكي تمد الجيش بما يلزمهُ واستطاع بعد مدة قصيرة تعليم ١٥٠٠ من الحاويشة والأومباشية القراءة والكتابة ومبادىء الحساب ومبادىء أعمال مسك الدفاتر وألف بعونة هؤلاء الرجال أورطتين نموذجيتين للجيش ولما انتهى تعليمهم أعيدوا الى بلوكاتهم الاصلية لتلقين ما تدربوا عليه ثم كان يستبدلهم بغيرهم لتدريبهم وهكذا . وكانت تلك المدرسة ملحقة بالثكنات المخصصة لنظارة الحربية بالقلعة لتردد عليها « ستون باشا » لمراقبتها باستمرار

ظهرت نتائج تلك النظم وأينعت ثمارها في وقت قصير فلقد كان ثلث عدد ضباط الجيش حتى عام ١٨٧٠ لا يعرفون القراءة والكتابة ولم يكن عدد الصف والجنود الملمين بالقراءة والكتابة ليزيد عن العشر . فلما كانت سنة ١٨٧٣ أصبح أكثر من سبعين في المائة من رجال الصف قد تعلموا القراءة والكتابة واصبحوا قادرين على التعبير عن أفكارهم كتابة . ولم يقتصر أمر تعليم الجيش على الجند فقط فان « ستون باشا » اقترح على اسماعيل باشا فتح مدرسة أخرى لتعليم أبناء الجند كحق لمن يدافع عن وطنه بحياته كواجب على الامة تؤديه نحو أبنائها الجند ولقي هذا الاقتراح رعاية الخديو وتشجيعه وأمر بانشاء مدرسة في كل مركز فرقة من فرق الجيش وأمر بالعناية بالأطفال وتوزيع الملابس والاغذية عليهم على ان يعودوا الى أمهاتهم في كل مساء . أما الجنود الذين اتبعوا أسرهم في بلدانهم بعيدين عن المحطات العسكرية فكانت تخصص لابنائهم أمكنة للمبيت فيها وتصرف لهم الاطعمة في تلك المدارس بدون مقابل

وقد أثمرت تلك المدارس في سنين قلائل فصار اكثر من ٢٨٠٠ طفل قسطاً متوسطاً من التعليم بدلاً من اهمالهم في قراهم وكان اكثر معلمي تلك المدارس من ضباط الجيش الذين انتخبوا من وحداتهم للقيام بهذا العمل الجديد وانتخب معهم بعض الجنود لاعمال الخدمة في المعسكرات ولم تتحمل ميزانية الجيش اعتمادات كبيرة لحفظ تلك المنشآت الجديدة التي لم تكلفها أكثر من ٢٥،٠٠٠ جنيه في العام مقابل الخدمة الهامة التي أسدتها الى أبناء الجنود . وكان مما يؤسف لهُ كثيراً ان أغلقت هذه المدارس في عام ١٨٧٨ بتوصية لجنة مراقبة المالية بحجة

الاقتصاد في أبواب الميزانية وذلك لفائدة حملة الاسهم من الاحاب

﴿ مدرسة أركان الحرب ﴾ وكان من تعليمات ستون باشا انشاء مدرسة لاركان الحرب . انتخب لها عشرين طالباً من نابهي طلبة المدارس العالية وكان لتلك المدرسة الفصل الاول في احراج طائفة مختارة من شبان الضباط المتعلمين بين الاعوام ١٨٧٣ - ١٨٧٨ فوزعهم على الاقسام العسكرية المختلفة ومكاتب القواد ورؤساء الضباط الذين استقدمهم للعمل معه مر أميركا أمثال الجنرال لورنج وكولونيل داي والماجور لونج وجريفز وغيرهم كما انه انتخب فريقاً من نجباء الضباط في سلاحي المدفعية والخيالة ممن يجيدون احدى اللغتين الانجليزية او الفرنسية للعمل مع هيئة اركان حرب الرآسه بأشراف الجنرال لورنج[1] صاحب الفضل في تدريبهم على الاعمال العسكرية الفنية العالية

﴿ تنظيم هيئة أركان الحرب ﴾ وبالتدريج أنشئت الأقسام المختلفة لهيئة أركان الحرب العامة في نظارة الجهادية ووضع كل قسم تحت رآسة ضابط أميركي . وكان كلما تخرج عدد من الضباط المصريين من مدرسة أركان الحرب عينوا للعمل في تلك الاقسام رتبة الملازم الاول. وتتقلدهم المناصب الجديدة بدأوا التمرين على الاعمال الفنية الخاصة . وأنشئت مكتبه عسكرية ضمت مختلف المؤلفات العسكريه المشهورة في اشهر اللغات واشترك في عدد كبير من المجلات الحربية الاميركية والانجليزية والفرنسية والالمانية والروسية. وكانت هذه المكتبة تحتوي على أربعة آلاف مجلد على الاقل لما أنشئت . وفي السنة الاولى من انشاء تلك الهيئة قام عدد كبير من الضباط المصريين باستكشاف المناطق الافريقية المجهولة ومنابع النيل ورسموا الخرائط التفصيلية لها وتقدمت أعمالهم عاماً بعد عام نحو خط الاستواء . وفي الاعوام ١٨٧٤ و ١٨٧٥ و ١٨٧٦ امتدت تلك الاستكشافات الى كوردفان ودارفور والى بحيرات خط الاستواء كما أمتدت الى الجنوب الشرقي نحو زيره وهرر وحردفون ونهر حوما (بلاد الصومال) ومما لا جدال فيه ان ضباط هيئة اركان الحرب المصريين استكشفوا فيما بين عامى ١٨٧١ و ١٨٧٨ وبنوا على خرائطهم مساحات شاسعة من المناطق الافريقيه التي ظلت مجهولة حتى أواسط القرن التاسع عشر وفاق مجهودهم ما قام به المستكشفون الاحاب في القارة السوداء ومعظم ابحاث هؤلاء الضباط لا تزال من أهم المراجع الجغرافية[2] وليس معنى ذلك ان نتجاهل مستكشفات ستانلي وصمويل بيكر وجرانت وسبيك ولفنجستون وغيرهم من رجال الاستكشافات الافريقية الخاصة بنهر النيل ومنطقة البحيرات والانهر الاخرى

﴿ المستكشفون العسكريون ﴾ ولقد برهن الضباط المصريون الذين تخرجوا من مدرسة اركان

---

(١) هو الفريق لورنج باشا الذي حارب في صفوف الكنفدراسيون ثم التحق بالخدمة في الجيش المصري في اوائل سبتمبر عام ١٨٧٥ لرآسه هيئة اركان حرب الجيه المصرية في بلاد الحبشة

(٢) نشر جانب كبير من الابحاث الجغرافيه للضباط المصريين في جيش اسماعيل باشا بمجلات اركان الحرب العسكرية والمجله الجغرافية الخاصة بالجمعيه الجغرافية الملكية ومؤلفات الضباط الاميركيين أفراد هذه البعثة وأهمها Loring A. Confederate Soldier in Egypt -1884

الحرب على كفاءتهم الممتازة في الحملة المصرية بالحبشة وفي حروب الدولة العثمانية ضد بلغاريا والصرب . وقد استشهد ستة في المائة من عددهم في ميادين القتال وسقط اثنان في المائة في الاستكشافات الحمرافية السودانية من الامراض الفتاكة ومعظم من تبقى منهم انتفع بمواهبهم واجتذبتهم المناصب الكبيرة اليها كالمصانع الفنية والمديريات واقاليم السودان . وكانت جهودهم في استكشاف البقاع الاستوائية والسودان ورسم الخرائط وتحديد الحدود مثالاً يقتدى به . فانه لما تم فتح دارفور (١٨٤٧ م) اصدر الخديو امراً الى الجنرال ستون بتجهيز حملة عظيمة لاكتشاف اراضيها واراضي كوردفان فعين الجنرال فرقتين من الضباط جعل الاولى تحت رآسة الكولونيل كولستون (Colston) ومعه الصاغ أحمد حمدي والملازمون عمر رشدي ومحمد ماهر ويوسف حلمي وخليل فوزي والدكتور الطبيعي العالم بهوند Pfund [1] ثم تقلد الماجور بروت Prout قيادة الحملة بسبب مرض الكولونيل المذكور وقام اعضاؤها بالعمل ثلاث سنوات في الاستكشاف ورسم خريطة كوردفان بالتفصيل وخريطة حول مرّه بدارفور والطرق الواصلة اليها وخريطة لجهات مكركة وبيام بيام وملحقاتها وجهات خط الاستواء . وقد عثرنا على صورة للتقرير الذي رفعهُ الجنرال ستون الى الخديو اسماعيل باشا في ١٦ اكتوبر ١٨٧٦ مبيناً فيه خلاصة النتائج الجغرافية والعلمية التي تمت بمعرفة ضباط حملات الاستكشاف في أواسط افريقيا خلال الاعوام ١٨٧٤ و ١٨٧٥ و ١٨٧٦ فاذا هي تشتمل على ما لا يقل عن سبعة وعشرين كشفاً جديداً أهمها [2]

١ استكشاف دقيق للنيل الابيض من غندوكرو الى بحيرة البرت

٢ — استكشاف النيل الابيض من الخرطوم الى غندوكرو وتعيين خمسة مواقع بالارصاد الفلكية

٣ — استكشاف بحيرة ألبرت عام ١٨٧٦ بمعونة جيسي الايطالي

٤ — تحقيق مجرى نهر النيل بين بحيرة فكتوريا ومرولي واستكشاف بحيرة ابراهم

٥ — استكشاف واتمام خريطة الطريق بين الدبة وماطول وبين الدبة وأوبال

٦ — استكشاف مديرية كوردفان وبلغت اطوال خطوط الاستكشاف ستة آلاف كيلو متر وقد وضع الماجور بروت تقريراً صافياً لهذا العمل

٧ — استكشاف الطريق بين دنقلة على النيل والفاشر عاصمة دارفور برآسة الكولونيل بوردي واللفتننت كولونيل ماسون وخمسة ضباط مصريين

٨ — استكشاف مديرية دارفور وجزء من منطقة دار فرتيت الى حفرة ديرالنحاس وشيكا الى الجنوب وعمل خريطة لها وتقرير صاف

---

(١) راجع كتاب حقائق الاخبار عن دول البحار — لاسماعيل سرهنك باشا — الجزء الثاني ص ٣٣٨

(٢) راجع كتاب The Khedive's Egypt لمؤلفه Edwin de Leon الطبعة الثالثة عام ١٨٧٧ ص ٤٢٩ و ٤٣٠ و ٤٣١ و ٤٣٢

٩ — استكشافات جيولوجية ومعدنية للمنطقة الواقعة بين الرودسية وقنا على النيل والمنطقة الساحلية للبحر الاحمر بالقرب من القصير ورسم خريطة جيولوجية بالتفصيلات وقام بالجزء الاكبر من هذا العمل المستر ميشيل بمساعدة ضابط مصري من هيئة اركان الحرب والمسيو اميليانو الايطالي والاخصائي في المعادن

١٠ — استكشاف المنطقة الواقعة جنوبي غرب زيلع بالقرب من تاجورا طبوغرافيًّا وجيولوجيًّا ورسم خريطة تفصيلية لها

١١ — استكشاف ومسح المنطقة بين بربرة وحبل دوبار ورسم خريطة لها وقد قام بهذا العمل اليوزباشي عبد الرزاق نظمي وبعض الضباط المصريين

١٢ — استكشاف واتمام الخريطة للطريق الصحراوي بين اسيوط وعين الاجية . وقام بهذا العمل الماجور ديوهولي Duholy يعاونهُ ضابط مصري من هيئة اركان الحرب

وغير ذلك من الاعمال الفنية التي تسجل لهذا الجيل من العسكريين الناهين . وكان الضباط اثناء قيامهم بتلك المهام النبيلة يعتمدون على مرتباتهم العسكريه الضئيلة بينما تمتع غيرهم من المستكشفين الاجانب بما اثراهم طول حياتهم . لكن كان من وراء اعمال هؤلاء الضباط البواسل ان رفع العلم المصري على المناطق الاستوائية الى ما وراء بحيرة فكتوريا بانزا والصومال ومناطق البحيرات وغيرها من المناطق الساحلية التي كانت تابعة للدولة المصرية في وقت من الاوقات

﴿ الثقافة العسكرية ﴾ وفي سنة ١٨٧٣ وافق سمو الخديو اسماعيل على اقتراح ستون باشا بانشاء مطبعة عسكرية يكون مقرها في نظارة الحربية فقامت في بادىء الامر بطبع المنشورات والتقارير ثم تقدم عملها واتجه الى احراج الخرائط المتقنة الملونة والكتب . ومما يؤسف لهُ ان هذه المطبعة كانت في مقدمة ما اتجهت اليه لجنة مراقبة المالية عام ١٨٧٨ فأوصت بالقضاء على آلة الطباعة باشرة العلم والحصارة . ومع نتيجة هذا الحكم القاسي ظلت آلة الطباعة تقوم بمصروفاتها معتمدة على ايرادها مما كانت تخرجهُ من المؤلفات وبيعها حتى ألغيت نهائيًّا عام ١٨٨٢ وتحولت آلاتها الى المطبعة الاهلية . وبجانب المطبعة العسكرية التي كانت تخرج صحيفتين حربيتين هما « جريدة اركان حرب الجيش المصري » والاخرى « الجريدة العسكرية المصرية » انشئت مكتبة نفيسة تحوي كتبًا قيمة في الفنون الحربية وألحق بها متحف حربي للاسلحة والتحف والتذكارات الخاصة بالجيش [1] وكانت المجلة الاولى تنشر مباحث قيمة للجنرال ستون باشا ولمحمد مختار افندي (باشا فيما بعد) وحماد بك عبد العاطي المدرس بالمدارس الحربية وعبد الرزاق نظمي (بك) وعبد الله بك فوزي من ضباط اركان الحرب

(١) راجع كتاب عصر اسماعيل للاستاذ المؤرخ عبد الرحمن بك الرافعي الجزء الاول صحيفة ١٨٩ و ١٩٠

﴿ جيش اسماعيل ﴾ والآن وقد انتهينا من رسم صورة عامة لأهم عناصر الجيش المصري في ايام اسماعيل وهيئة اركان حربه فلنذكر اهم الوحدات التي كان يتكون منها الجيش نقلاً عن حقائق الاحصار

الوحدات العسكرية	قواتها
١ — فرقة حرس مركبة من ٤ آلايات مشاة بقيادة الفريق راشد باشا حسني	١٦٠٠٠ جندي و ٤٢٧ ضابطاً
٢ — الفرقة الاولى مركبة من ٤ آلايات مشاة بقيادة الفريق عثمان باشا رفقي	١٦٠٠٠ جندي و ٤٢٧ ضابطاً
٣ — الفرقة الثانية بقيادة اسماعيل باشا كامل	١٦٠٠٠ جندي و ٤٢٧ ضابطاً
٤ — الفرقة الثالثة بقيادة محمد باشا حسرو	١٦٠٠٠ جندي و ٤٢٧ ضابطاً
٥ — اربعة آلايات خيالة بقيادة ابراهيم باشا الفريق	٤٠٠٠ جندي و ١٧٩ ضابطاً
٦ — اربعة آلايات مدفعية برية بقيادة علي باشا رضا	٦٠٠٠ جندي و ٢٣٣ ضابطاً
٧ — ثلاثة آلايات سواحل بقيادة حورشيد باشا	٣٤٠٠ جندي و ١٥٩ ضابطاً
٨ — اورطتان من المهندسين بقيادة الامير الاي احمد ثابت	١٨٠٠ جندي و ٥٣ ضابطاً
٩ — هيئة اركان الحرب بقيادة الجنرال ستون باشا	٣٠٠ جندي و ٦٩ ضابطاً
١٠ — قلم مهندسي الحربية بقيادة المرعشلي باشا	٨٠ جنديًّا و ٤٠ ضابطاً
١١ — بلوك الصنايعية . بغو باشا	٤٥٠ جنديا و ١٤ ضابطاً
١٢ — ورشة التزويه ابراهيم بك شوقي	٦٠٠ جندي و ٢٥ ضابطاً
١٣ — ورشة الدخيرة : حسين باشا الطوبجي	٣٥٠ جنديًّا و ٢٦ ضابطاً
١٤ — مستحفظين بيادة وسواري	٣٠٠٠ جندي و ٧٧ ضابطاً
١٥ — بوليس حربي	٥٠٠ جندي و ٢٠ ضابطاً
١٦ — مدرسة اركان الحرب	١٠٠ طالب و ٦ ضباط
١٧ — مدرسة المهندسين الطوبجية	٢٥ طالباً و ٢ ضباط
١٨ — مدرسة الخيالة	٢٥، طالباً و ٥ ضباط
١٩ — مدرسة المدفعية	١٠٠ طالب و ٤ ضباط
٢٠ — مدرسة الطب البيطري	٤٠ طالباً و ١ ضابط
٢١ — مدرسة المشاة	٤٠٠ طالب و ٨ ضباط
٢٢ — مدرسة الخطرية	٣٠٠ طالب و ١٤ ضابطاً
٢٣ — مدرسة اولاد الجنود	٨٠٠ طالب و ٢٠ ضابطاً

سير الزمان

خواطر حول نزول

الملك ادورد الثامن

عن العرش

نظرات ومقابلات في العصر

الشرق والغرب

لسليم خياطة

فلسفة المعارضة

في نظام الحكم الدمقراطي



الدكتور بيارد دودج رئيس جامعة بيروت الاميركية ، فالاستاذ يوسف اقتيموس رئيس جامعة متخرجيها ، فالدكتور فارس نمر باشا ، فالدكتور عبد القادر العظم مدير الجامعة السورية بدمشق ، فتمثال الدكتور صروف

[صور الاهرام]

خواطر حول نزول

الملك ادورد الثامن عن العرش (١)

ان الاجانب الذين يزورون انكلترا، قلما يفهمون ما ينطوي عليه النظام الملكي البريطاني من المفارقات، ولا سيما اذا كانوا من بلدان جمهورية. فالملك الانكليزي محرّد من السلطة بحيث لا يستطيع ان يختار زوجتهُ الاّ بموافقة رئيس الوزراء، ولكنهُ في الوقت نفسه لهُ من المكانة في نفوس فريق كبير من الشعب وحياته الاجتماعية، لا تدانيها مكانة اي حاكم بأمره في اوربا. وليس من المبالغة في شيء ان نقول ان الملك وامراء البيت المالك في انكلترا يحتلون في حياة شعبهم العامة والخاصة مقاماً لا مثيل له في سائر البلدان الملكية بل ليس في بلدان اوربا الملكية ما في انكلترا من ولاء للاسرة المالكة وتدلّه رومانطيقي بها. ولكن الانكليز انفسهم لا يرون هذا التناقض، فيثيرهم مثلاً ما يرونهُ من تعلّق الالمان بهتلر، كأنهُ سيدوكارهم اتباع، او ما يقال عن سعي بعض الروسيين لتأليه ستالين، جاهلين ان موقفهم من الملك والملكة والاميرتين الصغيرتين والدوقات، لا يختلف عن موقف الالمان والروس، الاّ في انعدام المسوّغ لهُ

ثم ان الاسرة المالكة في انكلترا، على الرغم من زيارة المناجم والمدارس والمستشفيات، ابعد عن الدمقراطية الصحيحة من كثير من الاسر المالكة الاخرى. فليس بالنادر في ستوكهولم ان ترى في الحديقة العامة رجلا مديد القامة نحيف البنية، يحيّيك وقد يقف ليتحدث معك. ثم تعلم اذا كنت لم تعرف من هو انهُ الملك جوستاف الخامس ملك السويد. والمشهور عن الملك كرستيان العاشر ملك الدنمارك انهُ كان في حداثته كثير الاختلاط بالشعب ولا يزال. وكذلك كان الملك البرت الاول ملك البلجيك السابق، والملك ليوبولد الثالث قبل مصرع زوجهِ. حتى في النمسا التي كانت قبل الحرب من اشدّ الامم تمسكا بالتقاليد وقواعد السلوك الرسمي، لا يزال الناس يذكرون الامبراطور فرنسوى جوزيف متنزهاً في الحدائق، متحدثاً فيها مع اقل الناس، ويذهب بعضهم الى ان هذه الذكرى من اقوى البواعث على نشاط الحركة الملكية في النمسا

ولكن هذا لا يقع في انكلترا. نعم ان اعضاء البيت المالك، يبذلون ما في وسعهم للاتصال بالشعب من طريق الحفلات العامة كوضع الحجر الاساسي في كلية او متحف، او زيارة المناجم والمناطق المنكوبة، او عيادة المرضى في المستشفيات او افتتاح الاسواق الخيرية، ولكن الشعب قلما ينسى، ان حضرة صاحب السمو الدوق او حضرة صاحبة السمو الدوقة هناك. فالصلة بين البيت المالك في

(١) ملخصة عن الكاتب الاميركي وليم روكرمن في مجلة هاربرز

هذه الحفلات موسومة بسمة من التكلف . وكأن آيتها: « هوذا الملك او من ينوب عنهُ، يقوم بما عليهِ ! » . ومن غرائب المفارقات ، ان الملك الانكليزي الوحيد ، الذي كان ديمقراطيًّا حقًّا ، واستطاع ان يتجرّد من هذا التكلف عند اتصاله بشعبهِ ، كان كأنهُ طاهرة شاذّة في حياة بريطانيا الاجتماعية ، فاضطرّ الى النزول عن العرش بعد حكم دام أقلّ من أحد عشر شهراً

ان الصورة القائمة للنظام الملكي البريطاني، ليست وليدة التقاليد المرعية في القرون الوسطى، كما يظن ، بل هي وليدة أواسط القرن التاسع عشر على الاكثر، ومصنوعة بطابع الملكة فكتوريا على الغالب . ان خلق هذه السيدة النشيطة العنيدة التي حكمت انكلترا أكثر من ستين سنة كان أبعد أثراً في تطوُّر النظام الملكي البريطاني ومقامهِ ووظيفتهِ ، من أسرة كاملة من الملوك الانكليز الاقحاح كانت أمانيه النشأة والتربية والطبع ، تميل الى التحكّم ، فلما لم تجد منفذاً لهذا الميل في ميدان السياسة ، عمدت باندفاع المهووسين الى البحث عن منفذ فوجدتهُ في وظيفة البيت المالك الاجتماعية . نعم ان للملوك والملكات والامراء والاميرات وظيفه اجتماعية حيث يوجد بيت مالك ولكن هذه الوظيفة تقتصر في الراجح على الارياء وتمتدُّ الى الحاشية ومن يلوذ بها

اما الملكة فكتوريا فلما أدركت حدود تحكُّمها السياسيّ ، اعتصمت ساطعة مطلقة على افكار الشعب وعاداتهِ ، ولا سيما ما كان منها متعلقاً بالحياة الخلقية . ولم تحصر سيطرتها في حدود أسرتها وحاشيتها ، بل شملت بها فريقاً كبيراً من الشعب ولو ان الشعب البريطاني ، منحها شيئاً من السلطان السياسي ، لكي ينفد من هذا الاستعباد الخلقي الاجتماعي لكان ذلك خيراً لهُ

ان خلق الملكة فكتوريا وحكمها الطويل ، رفع آراءها في وظيفة البيت المالك من الناحية الاجتماعية ، الى مستوى التقاليد المرعية الجانب او القواعد الاساسية . فالملك بحسب رأيها ليس رمزاً سياسيًّا فقط ، بل هو صورة مثالية لما يجب ان يكون عليهِ سلوك شعبهِ

فالأسرة المالكة ، بهذا التحديد الجديد ، ليست أسرة كسائر الأسر ، لها نقائصها ومواطن المؤاخذة عليها . بل هي رمز اجتماعي سامٍ ، لا يرتقي اليهِ النقد . والملك الانكليزي ليس رجلاً بل مثالاً متصفاً بجميع الفضائل التي اتصف بها الرت زوج الملكة فكتوريا ، وقد نزهت عن كل ضعف . فهو زوج كامل وابن بار ووالد حكيم ومثال تام للانسان الكامل -- أو هكذا يجب ان يكون في ما يبدو من حياتهِ للعيان . لهُ ان ينحرف عن هذا الصراط المستقيم ، ولكن ذلك يجب ان يكون بمعزل عن الناس . فالمقياس ليس ما يفعله الملك ، بل ما يفعله جهراً

اما الملكة فالقلب النابض في هذا النظام، وعليها يقع الجانب الاكبر من عبء الوظيفة الاجتماعية التي اسندتها الملكة فكتوريا الى البيت المالك . وعلى ذلك يجب ان تكون الملكة، مثالاً للمرأة الكاملة كما تصوّرتها فكتوريا ، عفة وولاءً ومحبة وطاعة وعلاوة على ذلك يجب ان يكون دم الملوك جارياً

في عروقها وان يكون دماً المانيًّا اذا أمكن والاّ فليكن دماً اركيًّا او يونانيًّا او من دم آل رومانوف

وانصافاً لرجال المال والاعمال الانكليز وهم حكام بريطانيا الحقيقيون الآن، يجب ان نقول انهم لم يتقيدوا بقيد الدم الملكي، فانهم اذا وجدوا فتاة من الارستقراطية الانكليزية او غيرها من الارستقراطيات الاوربية، قد ملكت قلب مليكهم او ولي عهدهم، قبلوها ملكة او أميرة عليهم، ولكن على شريطة ان تكون متصفة، بالفضائل الاخرى، لان الصورة الملكية الراسخة في اذهانهم، تنهار او تمحي من دونها

ولعلّ اقوى البواعث على رسوخ هذه الصورة، ان رجال المال والاعمال في انكلترا يحسبون الاسرة المالكة صورة مثالية لاسرهم كما يعونها فالطبقة المتوسطة الانكليزية اتجهت الى قصر بكنهام قبل قيام هوليوود وديوع الصور المتحركة. لانها رأت في بكنهام لوحةً تشاهد عليها حياتها كما تودها ان تكون. الآن التاجر الاميركي يتجهُ بعد كدهِ وكدحهِ الى ما تحرجهُ هوليوود ليرى فيهِ ما يتوق اليهِ من مثل الجمال والحب والتسلية، حالة ان همّهُ الانكليزي يتجه الى بكنهام ليرى فيهِ ما يبعيهِ من الفضيلة. فالانكليزي يحسّ عندما يمجد الاسرة المالكة ويسند اليها جميع الفضائل انهُ يمجد نفسهُ وزوجهُ وعندما يهتف حتى يبحّ للاميرتين الصغيرتين، انما يهتف لبناتهِ ممثلات فيهما على نحو ما يفعل روّاد السينما عند ما يرون روبرت كولمان او جريتا غاربو او شرلي تمبل. هنا فتاة ترى في كولمان مثالاً لحسنها، وهناك رجل يرى في غاربو صورة للمرأة التي يتمناها، وهنالك اب وام يريان في شرلي تمبل انفسهما الصغيرة

كان ادورد دوق ورر، اقل اعضاء الاسرة المالكة الانكليزية، استعداداً للاندماج في هذه الحياة الملكية الرسمية المتكلفة، التي صنعتها الملكة فكتوريا الحدود والقيود. الاّ ان هذا التنافر كان مقتصراً على الناحية الاجتماعية دون السياسية. اذ ليس ثمة ما يحمل على الظن بان الملك ادورد كان يتطلع الى تخطي حقوقهِ الدستورية او التعدي على حقوق الوزارة والمجلس النيابي. وقد ثبت الآن، فساد القول بان نزولهُ عن العرش كان نتيجة نضال بين التاج والبرلمان. وذلك لسبب بسيط وهو ان الملك ادورد لم يكن يولي السياسة عناية كافية تحمله على خوض النضال في ميدانها

فالتنافر الذي قام بين حلق الملك ادورد وحياة الملك كما رسمتها جدة ابيه فكتوريا، كان محصوراً في وظيفة النظام الملكي من الناحية الاجتماعية

كان الملك ادورد الثامن، طبعاً وخلقاً اقرب الى جدّهِ الملك ادورد السابع منهُ الى ابيهِ الملك جورج الخامس. حتى مراسم حياة القصر التي خضع لها ونهض بها على اوفى وجه، لم تكن تخفي نزعة مستقلة فيهِ الى معيشة مطلقة من هذه القيود. فقد ركبت في طبيعتهِ وخلقهِ عناصر، من شأنها ان ترفع صاحبها الى مقام الزعامة في ناحية من نواحي السياسة او الفن او الاجتماع، لو لم يكن ابن ابيهِ

ولكن ادورد ولد في قصر ، فكانت هذه القيود ثقيلة عليه ، وزاد الطين بلة ، ان النضال الدائر في نفسه ، بين نزعته المستقلة والقيود الملكية المفروضة عليه ، كان معروضاً على الجمهور . وقد اقتضت مكانته الملكية ، ان يتحرك دائماً والعيون متجهة اليه ، فكان لهُ في شبابه وحسن سلوكه ما حببهُ اليهم . فاذا اضفت الى ذلك حاشية ، هي من ضرورات الحياة في القصور ، تطري في اخلاص وغير اخلاص وتعمى بالسخيف والجليل من الامور ، وتداهن وتتملق ادركت ان فتىً مرهف الاحساس كالرنس ادورد لا يمكن ان ينجو من التضعضع والتحول الى آلة رسمية ، يزور وينحني ويبسم للمصورين ، الاّ باعجوبة

وجاءت الحرب الكبرى فكانت تلك الاعجوبة . والواقع ان ادورد ونزر وليد تلك الفترة من تاريخ العالم ، التي يعرف ابناؤها باسم « حيل الحرب » . فهو مثال حيّ ، لتلك الشخصية التي وضعها بويل كاورد في احدى مسرحياته - شاب مرهف الاعصاب ، تأخذه اطوار مختلفة من البشاشة والعبوسة ، والتأمل والتعقل والاندفاع ، ولكنهُ مع ذلك محبب الى الناس هذا الجيل من الشباب ليس بالجيل الضائع كما يوصف ، لان افرادهُ على الرغم مما اصابهم لا يزالون يرنون الى مثل عليا ، من السلام والمساواة والعدل الاجتماعي ولا سيما العدل الاجتماعي . وعلاوة على كل ذلك ، انهم مخلصون ، ويمقتون الرياء والنفاق ، فاذا استحكمت ازمة لم يجبنوا عن تأييد معتقداتهم والتضحية في سبيلها

ونزول الملك ادورد عن العرش ، عمل من هذا القبيل . فاننا اذا جردنا حديث هذا النزول عن ملابساته السياسية الثانوية ، تبين لنا انهُ كان عملاً روحيًّا قام بهِ رجل ثائر على بيئة اجتماعية ، قدعتهُ منذ حداثته . ومن بواعث الاسف ان تكون النواحي السياسية والعرامية قد حجبت في هذه القصة معناها الحقيقي

ان نزول الملك ادورد عن العرش ، لم يكن ثورة ملك على وزرائهِ او برلمانهِ ، بل كان ثورة أعظم شأناً وأبعد مدىً ، لأنهُ كان ثورة ملك على نظام الملكية كما هو في انكلترا من الناحية الاجتماعية . انها ثورة الرجل في ادورد الثامن على الملك فيهِ ، على الرمز المتمثل في شخصهِ . ولو لم يكن الشعب الانكليزي محافظاً الى أبعد حدود المحافظة ، حتى حرب عمالهِ ، لكان أمضى عمل من هذا القبيل الى تحوُّل روحي واجتماعي كبير الشأن فيهِ

والعريب ، ان النزاع الدستوري كما قيل ، كان ذا شأن ثانويّ في هذه الدرامة الروحية . وكذلك كانت المسز سمبسن . لم يكن شأن المسز سمبسن في هذه المسألة الاّ شأن كثيرات من النساء ، يعتنَ الجرأة في قلب الرجل ، فأقدم على ذلك العمل الخطير ، على التحرُّر . والراجح ان ادورد لولاها ، لعجز عن الاقدام ، ولكن هذا لا يعني ان المسز سمبسن كانت الباعث على نزولهِ عن

العرش ، اذ لولا هذه الثورة المضطربة في نفسه، لتخلى عن المسز سمبسن كما أرادهُ وزراؤه وأهلهُ ان يفعل .فقد قضى حياتهُ شأن كثيرين من الشبان الذين حاصوا غمار الحرب الكبرى يبحث عن القوة التي تعينه على فك القيود ، الى ان اتفقت لهُ المسز سمبسن فكنتهُ بتأثيرها مما يعي . وكل من يعرف شيئاً عن هذه الانقلابات الروحية ، يدرك ان العوامل الخارجية قد تتيح لها فرصة الظهور ولكنها لاتحدثها . فالرلمان والمسز سمبسن كان عرضين في تطوُّر شخصية تبحث عن حقيقتها

الآ ان هذا لا ينفي ان هذا العمل الشخصي ، لهُ معزى اجتماعي . وليست هذه الثورة بالظاهرة الجديدة في انكلترا . بل ان جانباً كبيراً من أدب انكلترا ، اعراب عن ثورة دائمة في نفوس فريق من الشبان ، ولعلَّ كارليل وبطلر وشو وولز ولورنس وهفلوك اليس في مقدمة الكتاب والادباء الذي أحادوا الاعراب عنها . وقد بدت هذه الثورة في الحياة الاجتماعية ، في اشتراكية شو والنهضة النسوية وحركة العمال . وما حدث في البرلمان الانكليزي يوم ١٢ دسمبر شبيهٌ بما حدث في كثير من البيوت الانكليزية في خلال الجيلين الماضيين . ان ادورد وزر ليس اول الذي تحدوا صورة الحياة الاجتماعية الانكليزية كما رسمتها الملكة فكتوريا ، بل هو اقرب الى آخرهم. انهُ ليس ملكاً ذهب الى المنفى ، بل هو ملك انضمَّ الى جيش الثوّار

كانت انكلترا أسبق الامم الى تحقيق الدمقراطية السياسية . وقد سلكت الطريق المفضي الى الدمقراطية الاقتصادية منذ وضع لويد جورج ميزانيتهُ المشهورة سنة ١٩٠٩ على وعورته والتوائه . ولكن الصورة التي رسمتها الملكة فكتوريا للملك الجالس على العرش وللملكته ، تخرجهما عن كونهما رجلاً وامرأة ، الى جعلها في نظر عامة الشعب أقرب الى الآلهة منهم الى الناس . هذه الصورة تجعل الهوّة بين الملك وسواد الشعب هوّة كبيرة ، واليها يرتدُّ كثير من النفاق والتعالي في حياة الانكليز الاجتماعية ولا سيما في الصلة بين ما يعرف بطبقة الاعيان من جهة والطبقة المتوسطة وما دونها من جهة اخرى، واليهما كليهما يردُّ القول بأن هذه الدمقراطية السياسية الكبيرة لا بد ما يكون من ان تكون دمقراطية اجتماعية

فاذا كان نزول ادورد الثامن عن العرش باعثاً على تنبه الانكليز الى هذه المفارقات في حياتهم العامة ، واذا تمكن الملك جورج السادس بما أثر عنهُ من الدعة الحقيقية ، والرغبة الصادقة في خدمة الامة ولا سيما في نواحي حياتها الاقتصادية والاجتماعية ، وتقرَّب هو ومن حوله، من الشعب بحيث يحسُّ الشعب انهُ منهم كما يحسُّ الدنماركيون والسويديون — اذا حدث هذا فان أثر نزول ادورد الثامن عن العرش يكون اعظم من أثر بقائه عليه، ولا يستبعد حينئذ ان يقول المؤرخون في المستقبل ان يوم ١٢ دسمبر سنة ١٩٣٦ (يوم النزول عن العرش) كان أكبر شأناً في تاريخ انكلترا من يوم ١٦ مايو ١٩٣٧ (يوم التتويج)

نظرات ومقابلات

في المصر

لسليم خياط

الشرق والغرب

أراها واحداً لا ينقسمان . وفي الواقع ، ليس هناك لا شرق ولا غرب منفصل أحدهما عن الآخر. هما في تلاق دائم في كل نقطة على الارض يمتزجان، وكل نقطة على الارض غرب بالقياس الى الشرق وشرق بالقياس الى الغرب . وليس هذا في الاتجاه الموقعي على الكرة فحسب ، بل هذا يجري حكمه على الانسان الساكن عليها ايضاً . من العبث والحماقة قولنا أن الشرق شرق والغرب غرب ، قولنا أنهما مفترقان لا يجمع بينهما صلة

ليس ثمة شيئان اثنان يتشابهان شبهاً تاماً كان كلاً منهما هو الآخر . ولكن بين كل شيء وشيء صلة مهما اختلفا ، تضعف وتقوى تبعاً لتقارب المميزات والطروف الاصلية الجامعة. حتى بين الانسان والحجر توجد صلة ، هي صفة الوجود . غير ان بين الانسان والانسان قرابة وثقى لا تنفصم فتجعله واحداً في نوعه بأهم ما فيه وما يمتاز به — وذلك مهما تباين وأينما كان ، أفي اواسط آسيا أم في معالم ام في محاهل القارتين الجديدتين وان بين الشرق والغرب المصطنعين ، المشطورين كالبطيخة المعدة للالتهام ، المحدودين بحسب ما كان من تعريف الجغرافية الرسمية ، جغرافيه « المدارس » (١) الاستعمارية وشعرائها الفقهاء — إن بين هذا الشرق والغرب بأهلهما ومدنياتهما من الصلات الانسانية والاجتماعية ، من التقارب في الظروف الاصليه والكيان ، من وحدة الاصول وامتزاج الفروع ؛ ما يجعلهما قريبين متشابهين ، صلات احدهما بالآخر تكاد تكون من القوة كصلة اية دولة او شعب غربيين بأية دولة أو شعب غربيين آخرين بل إن الرجعي الانكليزي و «البطّاش» الياباني ربما كانا احدهما أقرب الى الآخر من الاول الى مفكر انكليزي حرّ ، او من الثاني الى عامل ياباني راق

***

تربط الشرق والغرب ، على اعتبارهما الاصطناعي الراهن ، كلُّ عروة قوية تجعل الشبه بينهما

(١) اي : الفرق وأهل المذاهب والنظريات

جوهريًّا وأوثق من أوجه الاختلاف . اول هذه العُرى الانسان نفسه ، وهو الذي قسّم الارض الى شرق وغرب بالاستناد الى التفريق الحاصل بينه او لاجل التفريق بينهُ فالانسانية كلها حلقة واحدة قائمة بذاتها ، مصروبة حول الارض ، وتقيّد كل بقعة تقع غربي الاخرى بكل بقعة تقع شرقيها . ثم بعد الانسان ، شبكة مكينة من الروابط الطبيعية والاجتماعية والوقائع العالمية المستمرة . هي شبكة تصيع معها التحديدات المكانية الحديثة والقديمة ، ويبقى فيها المكان مطلقاً من اي تحطيط او تفريق كان يتوهمهُ ويدعو اليهِ أي رهط

ما الفرق بين الصيني والالماني ؟ الفرق في لون البشرة فقط . لكن هل للصيني بشرة وليس للالماني شيء منها ؟ كلاَّ ! وما الفرق الجوهري بين اسكتلنديّ يعبد او يستعمل إلهاً ثلاثيًا وبين مسلم هندي يعبد إلهاً واحداً وعدة اولياء ؟ لا فرق ! كلاهما يعبد أو يستعمل حقيقةً أو وهما ، وهذا التباين بينهما سطحيٌّ يقتصر على الشكل وعدد رموز الحقيقة أو الوهم الضمني . والعربي الذي يريد البعض ان يفرقوا بينهُ وبين الشرقي على أنهُ أسمى أخلاقاً وخيالاً ، فيمَ نرى لهُ الزيادة الحقيقية في السمو ؟ فهل من فرق يُؤبه لهُ بين عادات جنكيز وتيمور وهولاكو التي تذكرها باقشعرار لما صحّت بهِ من مدنية ومن ملايين البشر ، وبين ما صحّت بهِ فراعنة العرب الماضون من مدنية ومن ملايين في جحيم الحرب الكبرى ، هذا الجحيم الحقيقي الذي كنا نرى كثيرين من العربيين العربي العقول والاطوار يناغونهُ بألوان ملوّنة من الكلام والتلفيق ؟ هل بين أفظع ما رُوي عن تيمور من الحوادث وبين مئات الالوف من الذين قُبروا في « فردون » ما يجعل أقل تمايز بين أعمال الأولين والآخرين في الهمجية المنظمة على مقياس واسع — اللهم الاّ الاختلاف في شكل وسائل الابادة التي استعملت في كلا العصرين ؟ لقد كان رجال الاستعمار الانكليزي يبشرون بين أولاد بلادهم قصة « بؤرة كلكوتا السوداء » ، فينغرس فيهم أن أولاد الهنود أثناء أناس برابرة ، فهم أحط منهم ؛ وهم من جبلّة أخرى . وطبعاً لم يكن هؤلاء السادة يعلّمون أطفالهم شيئاً عن مذبحة « آمريتسار » ، حيث قتل ثمانمائة رجل وامرأة وطفل من الهنود بالبادق والرشاشات في حوالي خمس دقائق على ما يروى . كما وانهم كانوا لا يذكرون حفر بؤرة سوداء حقيقية ، وذلك يوم حُشدت أسراب من فلاحي « مبلاه » في جنوبي الهند داخل قطار أغلقت جميع منافذه ، فماتوا اختناقاً

في رأيي ، أن ابن البكيني وابن بيوبورك لا يفترقان فيما هو جوهري أصلي من طبع الانسان وأحواله وتركيبه . وأرى أنهُ يكاد يكون للانسان في كل بلد نفس العواطف والمطالب والاهواء والقابليات العقلية الأساسية ، تتراوح ما بين حدّ أدنى وحدّ أعلى في درجة عامة جامعة لا تشمل ، طبعاً ، التطورات الفرعية ولا إنحراف المميزات الخاصة او ترقيها . وتكاد تحيط بهِ

في أغلب العالم نفس الصفات العامة في ظروف البيئة الطبيعية وفي خصائص المدنية والحضارة ونفس القواعد والخطوط والتطورات الرئيسية الواسعة في أنظمة الحكم والأنظمة الاقتصادية، ثم في التركيب الاجتماعي، وفي الأفكار والتحركات والمبادىء والمعتقدات الاجتماعية

إن لم يختلف النظام الاقتصادي قلّ الاختلاف الهام بين مجموع الناس الذين يعيشون فيه وبه. لكن حتى ولو اختلف هذا النظام بقي الانسان، فيما نلاحظ ونعرف من حياته في شتى الحقب التاريخية والأوضاع الاجتماعية، متشابهاً في اصوله، في مطالبه الحيوية، في أحكام ضرورات البقاء عليه، وفي جماع غرائزه وعواطفه من تأثر بالحب والبغض والجوع والالم والغضب والغيرة والامومة والحمال والموت وما شاكل، وذلك وإن اختلفت مظاهر التعبير عن هذه الأحاسيس وأشكالهُ، أو تباين الاتجاه التهذيب فيها ومقدارهُ ونوعهُ

غير أنا نجد في هذه المظاهر والاشكال وتباين الاتجاه ومقدار التهذيب في الغرائز والعواطف الانسانية ونوعه مقياس ترقي الانسان وتأخره أو انحطاطه

فان رجلاً يدفعهُ طلب الحياة إلى العمل من مثمر وإبداعيّ أرقى طبعاً من ساكن الكهف الذي كان يقتات بالنبوت، ومن المهرب وقاطع الطريق، ومن الذي يتنعم بأرباح الحرب. وأمٌّ تعبر عن حبها لطفلها بالاعتناء به على اصول علمية اكثر تهذيباً في عاطفتها من أمٍّ تعبر عن حبها بتصرف خرافي حشي قد تمرضه أو تقتله، وامٌّ لا تفرّق في حنوّها بين الذكر من اطفالها والانثى اسمى جداً من ام تضطهد اناثها. وإن حبًّا مشتركاً متبادلاً بين رجل وامرأة أرفع من حب الاول لامة جاهلة او لامرأة كالقينة، ومن حب الثانية لسيد يتمتع بها او لعاشق محترف تتمتع به فحسب. وإن التأثر بجمال رسوم ميخائيل انجلو ارقى كثيراً من التأثر بأيقونة بيزانطية. وطهور غريزة القتال في قالب مهذب من مباراة رياضية او تنافس في اي ميدان من ميادين التفكير والعمل اسمى من طهورها في ميدان حرب وحشية او سلوك إجرامي. ورجل حر يجادلك بالمنطق والبرهان وأصول الاحتكام يختلف جداً عن فاشيستي يعمد معك الى المؤامرات الحميدية والدسائس الدامية ولعة المسدسات

إن في هذا التهذيب واختلاف الشكل والاتجاه في تظاهرات العواطف والغرائز سر أفضلية شخص على شخص وتقدم جيل ومدينة على جيل ومدينة. ومن يقتشون عن «الانسان الجديد» ومن يطلبونهُ فلا يجدونهُ، ومن يتكرونهُ ويشتمونهُ أو يعشقونهُ خيالاً ويتغزلون به ومن يضربون بقبضتهم على الطاولة بتشاؤم عنيف وفلسفة عتيقة عن «حقارة الجبلة الانسانية وأبدية الطبيعة الانسانية التي لا تتبدّل» (مثل الاديب الفرنسي «آندره روسو» في سلسلة مقالاته التي نشرها في «الفيغارو» سنة ١٩٣٢ — ٣٣) كل هؤلاء لن يجدوا «الانسان

الجديد » . ولكنهم يجدون حتماً « الانسان المتجدد » في هذا الارتقاء التهذيبي والاتجاهي المستمر على سُلم التكامل

***

وعلى هذا ، فالانسان في كل مكان وزمان واحد ، وهو في كل زمان ومكان مع ذلك مختلف. هو أبداً قديم وأبداً جديد . هناك جذور عميقة تجمع كل الناس ، وهناك اغصان تختلف عن الجذور ، ويختلف بعضها عن بعض ايضاً . وهناك كذلك اشجار تتنوع . ولكنها كلها من تربة واحدة ، وكلها في حديقة الانسانية جميلة ، او طيبة الثمر ، او مفيدة بأي شكل من الاشكال . كلها يستحق أحسن الاعتناء الممكن بها ، لتصير أحسن ما يمكن ان تكون ! كذلك أمر البشر ، حسبما يبدو لي

كل انسان اخو الآخر احب ام كره أي رجل لو تعرّى عن مكتسباته وبان على اصله او طفولته يختلف كثيراً ، بأعصائه وتركيبه وكيانه من هيكل وعضل ونفس ، عن اي آخر . الناس مهما اختلفوا ، وتلفون وربما كان الامبراطور شارل الخامس اكثر رقاعة من درويش افغاني ، كما ان قول الشاعر كيبلنغ بأن « الشرق شرق والغرب غرب » لا يعدو ان يعني احد أمرين : فإما هو قول مبتذل وسفسطة هراء للسوك (ويبدو لي ان هذه هي الحقيقة) ، وإما هو سكس وهمي يحاول تقطيع العالم وتفريقه الى اجناس وطبقات لا يؤلف بينها شيء الا القطيعة والشحناء ، وهي محاولة (صحّت من الشاعر ام لم تصح) لا تنتهي الى شيء ، لمنافضتها طبيعة الاتجاه البشري ، سوى السلوك المبتذل ! هذا ، مع عظيم احترامنا لهذا الاديب العبقري ، وخصوصاً لقصيدته الشهيرة : « إذا » ، التي تلائم كل انسان في اي زمان أو مكان

بيد اني ، عند ما اقول أن الشرق والغرب واحد ، لا اقصد أن الفروق لا توجد بينهما . بل اقصد انها موجودة . لكنها لا تقوم بينهما كسور الصين ، ولا كشيء اصلي ، ولا كقانون أزلي مبرم لا يتبدل ، ولا كطابع تناقض نميت في محل اختلاف طبيعي عادي يقبل الالتئام والتعادل والتناسق ، طابع يحكم على الشرق في انفصاله وانحطاطه عن الغرب بأن يكون أمةً له

الغرب والشرق مختلفان لان طروفهما الفرعية والثانوية (ولا اعني بالثانوية التقليل من شأن هذه الطروف ، بل وضعها في مرتبة واقعية ، صنف معين حسب) قد تنوعت . قد كانت طروف[1] الشرق في يوم ما مؤاتية له أن يسود الغرب ، كما عادت فآتت هذا فيما بعد ليسود

(١) ليست أعني « بالطروف » هنا حالات مطلقة لاوضاع عمياء حسب . بل المقصود هو ذلك ، ولكن فوق ذلك أيضاً ، نتيجة عمل ارادة الانسان فيها ، وجهوده وفكره بحيث تتحول من طروف « عامة » معينة الى طروف أخرى « مشمولة »

الشرق . غير ان هذا التبدل إن هو الاّ تبدل في طروف وأوضاع اجتماعية وتاريخية يقع في المقدور البشري والممكنات الحادثة تغييرها ايضاً ، بحيث يتحوّل الشرق والعرب (مع وجودٍ وبقاء وتطور نحو الاحسن في الاختلافات الظرفية الفرعية) الى كلٍّ متآلفٍ ، بمعنى انهما يرتبطان ويتوحدان من حيث يتعاونان على الحياة ويخدمان بعضهما بعضاً ، عوضاً عن أن يقوم بينهما حرب وتفريق عدائي اعطاعي باسم قاعدةٍ مصطنعةٍ الازلية ، قاعدة (أوحتها إلى الشاعر حالات سطحية موقوتة بحقبة تاريخية معينة ، فطمها وصعاً أبديًّا الى يوم القيامة) لا تؤدي إلاّ إلى تسويغ ترتيبٍ استعماري ساد عزيزاً

وهكذا نرمي من القول بأن العرب والشرق واحد كون الشرقيين والعربيين لا يختلفون اختلافاً أصليًّا أساسيًا يجعل من المستحيل تآلفهم ضد عداوة مشتركة ، عداوة الطبيعة وبدور الشر الاجتماعي ، او يجعل الفوارق بين البشر مختلة مفقودة السبب حتى تصح بين العربي والشرقي ، مثلاً ، في مرتبة الفارق بين الحيوان والانسان أو بين الحجر والنبات . والحق أننا لو أنعمنا النظر في اختلاف الجزئيات من اقليمية وغير اقليمية لوجدنا أن التباعد بين الجنوب والشمال أظهر منهُ بين الشرق والعرب . فالصقلي يفرق عن السكاندينافي في نظري أكثر مما بين المصري عن الألماني . لكن كل هذا في التفريق خلط لا يؤبه لهُ . فهو قد يكون سمجاً ، مثلا ، لأن يتخذ ابن جاري الاسمر الطويل القامة قِصر قامة شقيقه الأشقر ، أخيهِ من أمهِ وأبيهِ ، حجة لهُ على جعله عنده خادماً مرهقاً « بملاش » . وهذه هي النتيجة المنطقية لبعض نواحي « النيتشية » ، ولآراء الكونت « دي جوبينو » السلالية ، وللسياسة « الجنسية » الرجعية الهدامة التي تستند الى قواعد نظرية لها في تلك النواحي وتلك الآراء

***

الخلاصة ، الانسانية كلها واحدة متحدة في طلب حياةٍ أرقى وأسعد . وكل فارق في هذه الحالة يصبح : أما ميزةً وطنيةً وشعبيةً جميلة ، وإما مجرد علامة واسم

حاشية على « الشرق والغرب »

لما رأى ابن الرومي خنازاً « يدحو الرقاقة » ، أخذ يتأمل كشاعر ذكي في كيف يتسع الرغيف من كل أطرافه حلقةً بعد حلقة ، وقارن ذلك بحجر يقع في الماء ويرسل الدوائر واحدة تلو الأخرى . وقد يكون من ذكائهِ أيضاً بأنهُ فكر وقتذاك بأن الحياة أيضاً دوائر تتفرج

الواحدة فيها عن الأخرى ، بل كُرَات محسمة تتبطن بعضها بعضاً حتى اللانهاية من جهتي الداخل والخارج لدائرة كل كرة . قد يكون خطر بالهِ بعد ذلك ان كل انسان ، بل كل شيء على الاطلاق ، حلقة بذاتهِ ينطوي على حلقات حلقات وتنطوي عليهِ حلقات حلقات ، وأن كل بضعة أناس ، في عائلة او شركة أو جمعية أو قرية او غير دلك ، يؤلفون حلقة تشتمل على الانسان الواحد ، كما ان حول كل وحدة من « بضعة أناس » حلقة أوسع : كالدولة مثلاً حولها العالم ، وحول هذا الكون ، وحول الكون ما لم نكتشفه بعد أو يمكننا الجزم بهِ من دون أن نكون مصحكة العلم !

***

ثم لعل شاعرنا الفيلسوف في الطبع قد عرف ، وهو يجاري هذا التأمل البسيط ، أن كل شيء منفصل ، كل شيء حلقة محدودة بحلقات ، فأدركتهُ بعد ذلك خاطرة عبقرية على سذاجتها ، خاطرة دوّنها ابن خلدون على ما ذكر في قول معناه : « كل شيء مهما اختلف مع غيره فهو مؤتلف ومهما ائتلف فهو مختلف ! » وأخيراً عساه لو ادرك زماننا وسمع زميلاً له « بربريًّا » من اقاليم الطلمات العربية يصيح : « العرب غرب والشرق شرق . . . لا يجتمعان ! » - عساه كان يقول له : « خسيء شيطانك البليد ! الشرق والغرب في كل نقطة على الارض . وساكنها في كل بقعة انسان يستطيع ان يتحول ويتغير ويتقرب ، وهو بهذه الاستطاعة واحد ونسيبٌ بعضه لبعض ، فكيف بما وبما تناوله عندكم من هذه السيارات والصيارات والقاطرات والباخرات وجميع جنياتكم التي قددتموها من ميّت الحماد ؟ عجباً من فكرك القاصر ، أو تجهل الشطرنج !. »

ولكان كل الحق مع شاعرنا فيما يفرع بهِ صاحبه . ذلك لانهُ ، وهو المنشد الملهم ، والغربي الشرقي ، يدرك أن العواطف والغرائز (الممتدة مع الانسان من زمن الكهف والنبوت) وقد اختبرها جيداً ، هي عروة واحدة تجمع بين الشرق والغرب ، وأن المجتمعات والمدنيات المتوزعة بينهما قامت على أساس واحد من نشوء ووظيفة وحكومة وتشكل ، وأن أظهر مظاهرها الجامعة ، وهي أديانها ، كانت دائماً ، ورغم تلوّن صورها وطقوسها ، واحدة في اسباب النشوء ودوافع التعبير وفي الوظيفة . واحدة في ذلك ، فلا تجمع حتى بين ما تم نموه من مدنيات الغرب والشرق فحسب ، بل أيضاً بينها وبين حضارات المجتمعات الابتدائية عند قبائل افريقيا وجزر الباسيفيكي مثلاً

فلسفة المعارضة

في نظام الحكم الديمقراطي

لا تدرك الامم الفائدة من نظام الحكم القائم على المناقشة الاّ اذا توافرت لها الاساليب التي تمهد الطريق لتطبيق النتائج التي تسفر عنها المناقشة . لذلك كان النظام الحزبي اساس الحكم النيابي حيث يكون الخلاف بين الاحزاب صحيحاً يتناول الشؤون الحيوية ، فاصطدام الرأي بالرأي لا بدّ ان يقدح شرراً يضيء . فالحاجة الى اقناع الغير ، تقتضي نوعاً من الرياضة العقلية . والاقطاب الذين يسعون الى تعزيز آرائهم بالحجة ، يفعلون ذلك لانهم يعون اولاً ان يستوضحوا هذا الرأي وثانياً ان يفوزوا بتأييد غيرهم لهُ . فاذا كانت الدولة قائمة على فلسفة سياسية واجتماعية متسقة الحواشي ، فليس ثمة غير التحليل ، سبيلاً الى وزن الآراء والمفاضلة بينها

هذه هي الحجة الاساسية التي يسوّغ بها نظام الحكم الديمقراطي فالحكومات الدكتاتورية لا يسعها ان تعرض قواعدها الاساسية ، لمحك التحليل والنقد ، لان اساسها ان هذه القواعد فوق كل نقاش وهي مصطرة بالمنطق المستوحى من طبيعة كيانها ان تحسب كل نقد موجه الى أسسها ضرباً من ضروب السعي الى تدميرها . فللروسي ان ينتقد انتاج مصنع من مصانع السيارات الضخمة التي انشئت في روسيا حديثاً ، ولكن ليس لهُ ان يهاجم الاشتراكية الماركسية وهو آمن مطمئن . وللالماني ان تتمسك بأن اوربا لا يسعها ان تخلص عمار حرب اخرى ، ولكن ليس لهُ ان يحسب اضطهاد اليهود ، عملاً شديد القسوة ، او النزعة الدولية ميلاً طبيعياً الى التفاهم . وللايطالي ان يبدي ما يعنّ لهُ من الآراء في اكتشفات الاثرية ولكن ليس لهُ ان يؤيد من مزاعم القول بأن الدولة الفاشية ، ستار يحمي وراءه الرأسمالية الفارّة من وجه الديمقراطية الاقتصادية . فالدكتاتورية ، بطبيعتها لا تسمع الاّ الصوت الذي تحب ، واسلوبها في ذلك سهل كل السهولة ، ذلك انها تحجب كل صوت آخر

الاّ ان الانسان في جهاده الطويل ، تعلّم ان الرأي اذا قمعهُ هنيهة فلن يدوم القمع . ولولا ذلك لما قاومت المسيحية على ما منيت به من الاضطهاد الوثني في عهدها الاول . ولا الافكار الحرة على المسيحية المتزمتة في العصور الوسطى فكل رأي جديد في التاريخ ، يعبر عن حاجة صحيحة بعدة العور واسعة المدى في الطبيعة البشرية ، لا بد من ان يعور على كل سعي ، لحصره وقمعه وليس ثمة ريب في ان ظهور الحق ، عمل بطيء وطريقه طريق وعر ، ولكن الازدراء به ، والتحامل عليه ، افضيا في ما نعرفهُ من شؤون التاريخ ، الى اعلاء الذين ابوا ان يروه

فالأمة المنظمة تنظيماً ديمقراطياً صحيحاً تستطيع ان تصون كيانها من مساوىء الحكم

الدكتاتوري ، وانما يجب ان تبيح حرية المناقشة ، وان تسهّل انتقال اداة الحكم من يد حزب الى يد حزب آخر . فكلُّ دليل تقيمهُ على وجوب النظام الدمقراطي ، هو دليل تقيمهُ كذلك على وجوب المعارضة

والأساس النفسي لهذا الرأي ليس بعيد التناول . فالناس يختلفون في معيشتهم ونشأتهم ورغباتهم . فإما ان تقدع الحكومة رغبات الناس المخالفة لرغباتها ، وإما ان تسلّم بها . والنموُّ الاجتماعي عرضةٌ لتنظيم الاجتماع على اساس الرغبات التي تساور الناس فالرأي يعرَض على الجماعة بقدر ما ينطوي عليهِ من احساس الجماعة بحاجتها اليهِ والزعماء الذين يؤمنون بآرائهم لا يسعهم ان يقفوا مكتوفي الايدي دون الدعاية لها والسعي الى فرصها وتحقيقها

فالمناقشة في الحكومة الدمقراطية ، هي السبيل الذي يسير عليهِ الناس الى تحقيق رغباتهم . وليس الحزب السياسي في النظام الاجتماعي الدمقراطي ، الاَّ بمثابة « سمسار » آراء ، تنشق في أدهان اقطابهِ ونفوسهم ، فيسعى ان « يبيعها » للجمهور اي ان يقنع الجماعة بصحتها وضرورتها. فهو لذلك يختار من الآراء والمذاهب ، ما يستميل الجماعة الى تأييده ، اذ ما الفائدة من آراء لا تحسُّ الجماعة انها لازمة لحياتها كما تريدها ، وعند ذلك يعمد الحزب الى بسط هذه الآراء في ثوب جذّاب معتمداً في ذلك على فنون الاقناع والاستهواء ، وهدفهُ اقناع الجماعة بأن حق هذا الحزب في تسلّم مقاليد الحكم ، اكبر من حقّ الحزب المقابل

هذا الاسلوب ينطوي بطبعهِ على نقائص فهو بطيءٌ . ولم يعرف في تاريخ الحكم النيابي ، ان حزباً بسط آراءه مجرّدة عن الزخرف معتمداً على عقل الجماعة دون شعورها في المواربة بينها وبين آراء الحزب المقابل والاختيار بين آراء الفريقين والعالم ان الحزب يبالغ في تصوير الفوائد التي تنجم عن تطبيق آرائهِ ، وقلما يتورّع عن اقتراف في قالب يزعم انهُ جزءٌ من نظام الكون الذي لا يتبدل . وهذه نقائص حقيقية . ولكن مع ذلك لم يعرف البشر نظاماً آخر خيراً من النظام الحزبي في الحكم النيابي ، لاجراء التحوُّل السلمي في حياة الجماعة

الاّ ان نجاح هذا النظام يقتضي شيئاً اساسيًّا وهو ان لا تكون الهوّة بين رأيي الحزبين كبيرة ، بحيث يمتنع الفهم المشبع بروح التساهل ، لانهُ اذا كان الاختلاف كبيراً بحيث يمتنع الفهم والتساهل كالفرق بين الشيوعيين وخصومهم في روسيا فالنظام الحزبي مستحيل

ثم ان فائدتهُ تقلُّ الى ادنى حدّ اذا تعددت الاحزاب . لأن هذا التعدد يحول دون وضوح القصد الذي تتجهُ اليهِ الخطط السياسية . فكثرة الأحزاب في فرنسا الآن - وفي المانيا وايطاليا قبل قيام النظام الفاشستي فيهما من شأنها ان تحل السياسة القائمة على المناورة الحزبية ، محل السياسة القائمة على نضال الافكار والمذاهب الاساسية . والنتيجة اللازمة لذلك ، اجتناب الخوض

في المسائل الاساسية اذ من المتعذر جمع طائفة واحدة من الاحزاب على صعيد واحد منها . وهذا يفضي الى المساومة وقلة الاسحام والصعف . ذلك ان تعدد الاحزاب يقتضي انشاء وزارات مؤتلفة ، والوزارات المؤتلفة ، قلما تعنى بالآراء الاساسية ، التي تبنى عليها خطة سياسية منسجمة ، عنايتها باجتناب الاخطار التي قد تفضي الى سقوطها . وكل حزب في كل وزارة مؤتلفة ، يصرف جانباً كبيراً من تفكيره ، الى تأثير مسلكه في جمهرة الناخبين ، وعلى قدر ما يفكر الحزب في مصلحته الانتخابية ، يصعب ولاؤه للوزارة المؤتلفة ، فيضيق دونه الوقت ، وتعوزه الحرأة في معالجة المشكلات الاساسية

فالنظام الدمقراطي يقوم على قواعد واضحة كلّ الوضوح او جلّه . فالامة يجب ان تكون متفقة على الاهداف العليا لحياتها القومية . وليس بين طوائفها من اختلاف في الرأي يبلغ مبلغ الاشياء التي يفصل المرء ان يموت في سبيلها بدلاً من خسرانها . على هذا الاساس يختلف الرأي في سبل التحقيق فقط وما هو من قبيلها . وهنا يجب ان يكون الاختيار واضحاً كلّ الوضوح للجمهور . فيعلم انه اذا اختار هذا الحزب فقد اختار معه طريقة معيّنة . فالمبادىء تقترن باسماء الرجال وتبديل الرجال الذين في مناصب الحكم يعني تبديلاً في المبادىء . فاذا توافرت هذه القواعد ، استطاع النظام الدمقراطي ان يسدي للجماعة خدمة كبيرة الشأن

فاذا كانت الفروق بين ابناء الامة في ما يخصّ التنظيم الاجتماعي ، فروقاً لا نوع ، فهذه الفروق يمكن حلّها حلاً سلمياً بالاتفاق بعد البحث والنقاش

في هذه الحالة تكون الدمقراطية النيابية خير نظم الحكم التي تنطوي على امل الاستقرار . ولكن نجاحها مرهون بقيام حزبين متكافئين ، بينهما فرق كاف يجعل الاختيار المطروح على الجمهور واضحاً ، على ان لا يكون الفرق بعيد الهوّة ، بحيث ينكر كل حزب الآخر تنكّر العريم لعريمه ، ويراه غير أهل لتقلد الحكم ويسعى الى منعه بالقوة

اذا صحّ ذلك فالحكومة والمعارضة ، سدى النظام الدمقراطي ولحمته . كلٌ منهما لازم للآخر . فقيام المعارضة على اساس انها جديرة بالاحترام جدارة الحكومة به ، لانها قد تصبح هي الحكومة بين آن وآخر ، هي الصفة الاساسية التي تميز الدمقراطيات من الدكتاتوريات

فما وظيفة المعارضة ؟

قيل ان دزرائيلي وصفها بقوله المشهور : «وظيفة المعارضة ان تعارض» . وهو قول يكاد يكون جامعاً مانعاً ولكن في حدود فهم كلمتي « ان تعارض » على وجههما الصحيح

فمن الثابت في تاريخ الامم واخلاق الشعوب ، ان هيئة منظمة من الناس ، لا تستكين الى اقصائها عن مقعد الحكم ، وانها تندفع بطبيعة الحال الى احصاء الاخطاء والهفوات على الهيئة

المنافسة لها المتربعة فيه . ولكن من الثابت ايضاً في تاريخ نظم الحكم ، ان النقد السابيّ لا يستميل الناخبين والحزب الناقد لا يفوز بمقاعد الحكم لمجرّد انهُ هاجم الحكومة القائمة

فوظيفة المعارضة الصحيحة في الحكم النيابي ، نقد اعمال الحكومة القائمة ، على اساس برنامج سياسيّ اجتماعيّ تقوم المعارضة بتطبيقه اذا وليت الحكم ، ويستطيع اقطابها اقناع الشعب بانهُ خير من برنامج الهيئة المتربعة في دستهِ . فعلى المعارضة ان تقنع الناخبين من خلال نقدها ان تقلّدها الحكم ، يفضي الى نتائج متعذرة على الهيئة المنافسة لها ، لان الفلسفة السياسيه والاجتماعية التي تستند اليها الحكومة مقصرة عن فلسفة المعارضة ، ولان الحكومة ارتكبت اخطاء في تطبيقها

فحزب العمال فاز في انتخابات سنة ١٩٢٩ في انكلترا لان الناخبين كانوا مقتنعين ، ان حكومة المحافظين ، كانت عاجزة عن فهم مشكلات السلام الدولي والمشكلات الاجتماعية الناشئة عن الحضارة الصناعية ، وان حزباً يستند الى نقابات العمال ويستمد أقطابهُ من رجالها اقدر على فهم هذه المشكلات من حزب الاسياد . والفوز العظيم الذي أحرزهُ المحافظون سنة ١٩٣١ نشأ عن خيبة امل الناخبين في ما رجوهُ من حكومة العمال من ناحية وعن اقتناعهم بأن حكومة تفهم الرأسمالية تستطيع ان تنقذ البلاد من الأزمة التي اخذت البلاد الانكليزية بخناقها حينئذٍ من ناحيه اخرى

ولعلّ المثل يمثل على المبادىء التي اوجزناها في ما تقدّم تاريخ انكلترا السياسي منذ سنة ١٩٣١ الى الآن . ان المعارضة الرسمية ، عارضت ما وجدت الى ذلك سبيلا ، ولكن معارضتها لم تكن انشائية ، اي لم تكن مستندة الى مبادىء تنبع من فلسفة سياسية اجتماعية متسقة الجوانب يمكن ان تشعر الناخبين بأن تطبيقها يفضي الى حالة خير من الحالة القائمة . وذلك لتضعضع أحزاب اليسار في انكلترا في السنوات الاخيرة وتفرق كلمتها واضطراب مبادئها . والانتخابات الفرعية تؤيد ذلك . فان المؤيدين لممثلي الحكومة القومية فلوا قلةً تذكر الا ان الناخبين مع تبرمهم بالحكومة القائمة لم يبلغوا بعد درجه من الاقتناع بأن المعارضة تستطيع ان تنهض بأعباء حكم قائم على مبادىء وقواعد خير من مبادىء الحكومة القائمة وقواعدها

فالمعارضة الانكليزية في الست السنوات الاخيرة قد « عارضت » ولكن معارضتها لم تكن دليلاً على انها تملك فلسفة سياسية اجتماعية ، تجعل ولايتها للحكم خيراً يتطلع اليهِ في بضع السنوات القادمة . والمعارضة للرئيس روزفلت ، من اليمين ومن اليسار تجري هذا المجرى عند تشريحها

ولا يمكن ان يكون ايّ نقدٍ لاية حكومة نقداً فعالاً الا اذا اتصف بصفتين . اولاهما : ان يكون نقداً للخطط العامة ، نابعاً من شعور عام سائدٍ في جمهور الناخبين . وثانيهما : ان يكون ممثلاً في المجلس النيابي بقوة تفسر الحكومة القائمة على أحد ما تقولهُ المعارضة بعين الاعتبار

اما في ما يتعلق بالصفة الاولى ، فمن الواضح ان حكومة من الحكومات لن تبلغ مبلغاً من الاجادة

يعصمها عن النقد . بل ان الشعور بان الحكومة ادركت هذه المرتبة، يفضي الى التراخي وعدم الاهتمام بشؤون الجماعة المحكومة ولكن يقابل هذا ان الحكومة تستطيع ان تتجاهل نقد ناقديها اذا كان ذلك النقد اعراباً عن رأي او خطه لا يدركها الجمهور ولا يعطف عليها. فمن العبث ان يهاجم الاشتراكيون الاميركيون الرئيس روزفلت لان مشروعاته لم تبلغ الدرجة التي يبغونها هم من التطرف . لان هذا الرأي لا يعطف عليه جمهور الناخبين الاميركيين . من العبث كذلك ان يزعم المحافظون الاميركيون ان مشروعات الرئيس روزفلت بلغت مبلغاً خطراً من التطرف، لان الشعب الاميركي في الغالب، ممتنع بوجوب تبديل موسوم باسمه العدل الاجتماعي فهجوم ارباب المال والصناعة على الرئيس ، من دون ان يصحب هذا الهجوم برنامج انشائي لاصلاح بعض ادواء الاجتماع الاميركي ، عبث في عبث الآن ، ولاسيما لان الحوادث الاخيرة في اميركا اثبتت إفلاس مهاجمي روزفلت هؤلاء في معالجة هذه الادواء

اما في ما يتعلق بالصفة الثانية ، فمن الواضح ايضاً ان النقد لا يؤدي الغرض المقصود منهُ ، الا اذا كان وراءهُ في المجلس النيابي قوة يعتد بها فكل مناقشة تعقبها اكثرية حاسمة للحكومة القائمة تضعف من عناية الجمهور بالشؤون المطروحة على بساط البحث . وتصبح الحكومة ترى المعارضة ، مرتبة لا بدّ من احتيارها بدلاً من ان تحسبها تشريحاً لخططها لا بدّ لها من اقامة وزن له . فالجمهور فلما يعنى بجملة ملاكمة ، اذا ادرك ان احد المتلاكمين لا بدّ متفوق على خصمه

ثم ان الجمهور يودّ غير واعٍ ، ان يدرك ان هذه الانتقادات التي توجهها المعارضة الى الحكومة ، هي خطوة نحو خطوها المعارضة نحو مقاعد الحكم . وليس ثمة معارضة تستطيع ان تنشىء حولها من الاحترام لاقوالها الا اذا اثبتت انها تكسب رويداً رويداً تأييد الرأي لها . فاذا كانت قوتها ضئيلة بحيث لا يعتد بها تعذر عليها ذلك ، واكثر ما تصاب به معارضة ان لا يعتد بها . لانهُ اذا فقد حزب قدرته على الهجوم فعالما ضاع سرّ وجوده في اذهان الناخبين ، على نحو ما وقع لحزب الاحرار الانكليزي

وهذا لا يعني ان الحكومة التي لا تجد امامها معارضة ممثلة في قوة فعاله في المجلس ، يحق لها تدبير الاذن الصماء الى اقوال المعارضين . لان هذه الحالة قد تفضي ، وهي لا تدري ، الى اتساع الهوّة بينها وبين الشعب فوزارة لويد جورج سنة ١٩٠٨ ووزارة مكدونلد القومية سنة ١٩٣١ ، من احدث الامثلة على ذلك . فكلتا الوزارتين انقذت انكلترا من ازمة عصيبة ، فحسبنا ان تفوقهما الانتخابي سيدوم لان الامة ولاريب ستؤيد مرشحيها ، اعترافاً بما كان للوزارة من فضل في اختيار الازمة . وهذا فيه خطأ في فهم الجماعات ، لان احكام الجماعات تستند على الاكثر الى ما يحركها الآن دون ما حركها في الماضي البعيد او القريب

حديقة المقتطف

الشاعر والالم

للشاعر الفرنسي الفريد دو موسيه

نقلها احمد ابو الخير مندي

أمين تقي الدين

بقلم الياس ابو شبكه

نقلا عن مجلة « الجمهور » البيروتية

أغنية الليل

مترجمة عن كتاب نيتشه

نقلها احمد فهمي

الشاعر والألم

للشاعر الفرنسي الفحل الفريد دو موسيه

[نقلها : احمد أبو الخير مندي]

١ — مهما يكن أساك الذي في صباك تكابده
وحذر تلك الحروح الكريمة تتسع
تلك الحروح التي ملائكة الشر أدمت بها فؤادك :
فلا شيء يسمو بنا مثل الآلام الفادحة .
ولكن لا تطمئن أيهذا الشاعر إن مسّك الألم
ان صوتك في الناس يبقى كطيما ويُكْتَم ،
انما احلى الاناشيد اداها الى القنوط ،
وان منها لخالدة ، وهي زفرات حارة صادقة

٢ — اذا البَحَع[1] وقد أضناه السير الطويل
انقلب في عَبَش الاصيل الى قصبه ،
تسارعت اطفاله الجائعة على الشاطىء ،
تظن اذ تراه على بعد يهبط الماء ،
انها قد ظفرت بالفريسة وتناهشتها ،
فعَدَت الى ابيها تتصايح من طرب ،
تهز مناقيرها فوق حواصلها المستبشعة .
أما هو فقد أمّ في حملو وئيد صخرة عالية ،
فوارى تحت جناحه المُسْدل صغاره ،
ذو صيد عموس يجيل في السماء انظارَه .
ودماؤه تسيل من صدْع صدره متدفقة ،
وقد فتش اعماق البحار بلا طائل :
ان المحيط كان حالياً والساحل اجردَ ،

(١) طائر مائي كبير له حوصلة كبيرة ومنقار طويل منتصب غريب ويقال انه يجرح طعامه الذي اكله من جوفه ليطعم به صغاره ، بل يزعمون انه يمزق صدره ليسقي اولاده دمه . لهذا كان البحع مرآة حب الامهات والتضحية والبذل

فلم يحضر لهم من القوت سوى مهجته ،
كئيباً صموتاً على الصخرة مستلقياً ،
مُقسّماً بين صغاره احشاء أب ،
يتشاغل بحبه الاسمى عن اوجاعه
وينظر الى دمه من صدره الدامي يتدفق ،
فيتخاذل ويصرع فوق سماط[1] احتضاره[2]
ثملاً من سكرات اللذة والحنان والفزع .
ولكنهُ أحياناً وسط النصحية السامية ،
وقد سئم ان يموت في عذاب لا آخر له ،
قد هالهُ ان يتركهُ اولادهُ بالحياة عالقاً ،
فينهض ويبسط في الهواء جناحه ،
ويصرب قلبه في صرخة وحشية ،
فيشهق بالليل شهقة الوداع المحزن حتى ان
طيور الماء تجلي عن الشاطىء ،
وابن السبيل على الساحل المتسكّع ،
اذ يشعر بالموت مجتازاً يسلم الى الله[3] ويسترجع[4]
٣ — ايها الشاعر كذلك يفعل فحول الشعراء »
فانهم يهيجون أهل الارض حيناً ،
ولكن المآدب التي يعدونها في افراحهم للناس
تشبه معظمها مآدب السجَع .
فهم اذ يتحدثون عن الآمال الخائبة ،
وعن الاحزان ، والنسيان ، والحب ، والشقاء ،
فما تلك باغانٍ تطرب قلوب الناس .
انما انشادهم شبيه بسيوف ،
ترسم في الهواء دوائر تبهر العيون :
ولكنها لا تنفك عن قطرة دم بها ناشبة .

---

(١) السماط مامد من الطعام او المائدة (٢) الاحتضار برع الموت (٣) اي يسلم الى الله امره او يموض امره الى الله (٤) اي يقول انا لله وانا اليه راجعون

امين تقي الدين

بقلم الياس ابو شبكة

(نقلا عن مجلة « الجمهور » البيروتيه)

ما أشبه امين تقي الدين بولي الدين يكن ، ما اشبه حياة هذا بحياة ذاك ، وما اشبه شعر الاول بشعر الاخير . درج ولي الدين مع الرفاهية والترف ، ومات في خصاصة وشرف ، ودرج امين في بسطة من العيش ، على حرير الحياة ومات على حسكها كالوردة تنمو في بيتها الاخضر وتتناثر على اشواكها ، ولكنهُ مات عزيز النفس عالي الجبين كما عاش

كان امين تقي الدين يحب لبنان كما كان ولي الدين يحب مصر ، ولكم تغنى بهذه البقعة من الارض ، فأول شعره كان اغنية للبنان وآخر شعره اغنية بهِ

واديك والسهل كسرّ المنى يدرك بالروح ولا يمتلك
سبحان من خبأ فيك الصفا وسلّ من قلب الصفا جدولك

وكان امين تقي الدين اشد اللبنانيين تفاخراً بهذا الجبل وبنيه !

اذا وطنية باهت بقوم ارى لبنان ارفعهم جبينا
اشد الحب ما يدعى هياماً فما يدعى اذا بلغ الجنونا
سلي ام اللغات فكل قطر وتحناه لها الفتح المبينا
اقمنا مجدها أنى اقمنا وكنا دونهُ الحصن الحصينا

ولقد امتزج حبه بسماء هذا البلد ومائهِ فجاء شعره صافياً كهذه السماء عذباً كهذا الماء ، فشعر امين شعر النفس المرسلة على سجيتها . لا تعنت ولا إعمال ولا كلفة

دعوتهم فلبينا كأنا رجعنا للصبا لما دعينا
احب من الكهولة وهي حق خيال للطفولة زار حينا
وأشهى من ليالي الحب عيد نظمت به بنيك المخلصينا

صباك ، وأنت في الخمسين ، غض وشاب بنوك دون الاربعينا
اذا اعددت نفسك للمعالي فأعدد في الصبا الحلق المتينا
اجل العلم تربية المبادي كذا علمتنا وكذا رينا

فهذا الشعر الصافي لا يصدر الاّ عن نفس صافية ، وايمان حي ووجدان امين وهذه الديباجة النقية كهذا المرج الصريح ، لا تشقى العين في بسيطه الممتد ولا الاذن في سكونه الجميل

ولكانت صروف الدهر جهمت بيانه كما جهمت حياتهُ ، لو لم يكن جباراً في روحه ، وهو القائل :

ليس من عدة الفتى للمعالي حلق في الحطوب غير جليد

كان ذلك اد الامين على قمة الشباب يغالب الحطوب بصبر الرجل وجلد الطموح فاذا رافقهُ الهم ركن اليه ثابت العزم قوي اليقين بنفسه :

ويك يا هم قد ابحتك نفسي فأتو منها الى مراس شديد

على ان هذا الهم تقي يحرق في نفسه عشر سنوات ولم يطلّق هذه النفس التي استباحها كما استباح الشيطان حيرات ايوب حتى لين مراسها الشديد وسلح منها صرخة المعلوب:

لهفي على العمر والاماني ولّت كما اقبلت ملاحا
حبأت ياليل فيك همي يالك من حبر الصباحا

فبين هذه الصرخة المعلوبة وتلك الصرخة العالية عشر سنوات ، ومن عشر سنوات الى اليوم بقي امين تقي الدين يحيء «همه» عن الاعين شمما واباء. قال بالامس:

أنا والهم صاحبان كلانا صادق الود حافظ للعهود
ماافترقنا حيناً من الدهر حتى جمع الدهر بيننا من حديد
يسهر الدهر صامتين لئلاّ يكشف الليل سرنا لحسود
قال لي صاحبي ، وقد لمح الفجر مطلاً يرنو لنا من بعيد
وارني في النهار من اين اسري فأني خدن الليالي السود

وقال اليوم :

خبأت ياليل فيك همي يالبل من خبر الصباحا

قف قليلاً متأمل هذا البيت . فمنذ عهد طويل وهذا الشاعر يحجب همه عن الناس لانه قوي جبّار يرأ بنفسه ان تكشف ضعفها لاعين الشامتين فمن جبّر الناس ، من خبر هؤلاء الشامتين عن هذا الضعف؟ ان نفساً أبية وخلقاً أنوفاً لا يبذلان كما تبذل النفس المتسكعة والخلق الدنيء وان يكن الصبح للناس فالليل للشاعر ، فمن سير هذا الاخير في طرق هؤلاء ؟ ومن وضع سؤدد الشاعر موضع الرق من الدهماء؟ أحطمة من حطم الحياة البائسة تحدر الكرامة الى موطىء الادلاء فتتكشف عن عناصر ليست منها لتمشي في مساخر الناس مطعونة دامية ؟ أتكون هذه الكرامة رهناً لهذه الحطمة وهي في صناديق الارقاء وخزائن المتسولين ؟

قال ولي الدين يكن :

مكانك الافق ، فما ازلتْ بدلت عنهُ الارض ام بدلتْ

يا ملك الله ، ارضى الملك ملك الثرى من بعد ملك الملك

ان تؤت حيراً بينهم يحسدوكْ وان تحد بالفضل لا يحمدوك

دانيتهم لكنهم ابعدوك

وشعر امين كشعر ولي الدين فيه حرسهُ واسحامهُ وطبعهُ وتلك الكآبة الطافية عليه ، كآبة الحنين الى الماضي والالم من الحاضر . فيه شجو البيان المرسل وترف اللغة في ايقاع عذب شجي كهذا الذي يصدر عن عور النفس الشاعرة إبان انسلاحها عن قيود المادة الثقيلة الى احواء الحلم الحميل

وقد يتعبك شعر ولي الدين بمسحة بديعية تشيع في معظمه ، اما شعر امين فقد يطربك حيث يتعبك غيره ، فالقافيه ليس مؤطأ لها كالكلام من جسمها كما في شعر ولي الدين ، على انها في مكانها ، دائماً في مكانها ، فلا هي دخيلة ولا مزهوة تبشر بقدومها وترهى بسمها ولا تجيء الاّ في زفة

ليس في شعر امين تقي الدين فكرة غريبة او صورة لم تألفها عيناك ، ولكن فيه احساس من ذلك ، فيه عاطفة صادقة مسكوبة في بيان سائغ مصقول كغدير صاف لا تتعب العين في رؤية الحصيات الآمنة في قعره . والصدق اجمل مزايا الشاعر

اغنية الليل

مترجمة عن كتاب بيتشه : هكذا قال زرادشت

[هاها محمد مهدي]

ها هو الليل مرخٍ سدوله . وها هي الينابيع الفوّارة قد علت أصواتها وما روحي غير ينبوع فوّار ! !

ها هو الليل مرخٍ سدوله . وفي هذا السكون تستيقظ أناشيد الحب وما روحي غير أنشودة محبّ ! !

شيء لا يستقر . بل شيء غير قابل للاستقرار . هو كامنٌ في نفسي يبحث عن مُتَنفَّسٍ لهُ في القول . انهُ شوق الحب المستعر في حوانحي وهو الذي يتكلم بلغة الحب ! !

أنا النور : آه . ليتني كنت الليل . لكن هذه هي وحدتي يحيط بها النور !

آه ليتني كنت حالكاً كالليل . اذن كنت أرتشف النور بنهمٍ من منابعهِ !

وكنتُ أباركك ، حتى أنت أيتها الأنجم المتلألئة . أيتها الحاجب المشعة في الذرى فانعم بلمحاتٍ من ضيائك .

ولكنني أعيش في النور المنبعث من حناياي وأرتشف ثانية اللهب المندلع من كياني

أنا لا أتذوق سعادة الآخذ قط . ما أكثر ما أوحت اليَّ أحلامي انهُ لخيرٌ وأحلى أن أكون سارقاً من أن أكون آخذاً !

ان فقري لأن يدي لا تستريح أبداً من الإعطاء وان عيبي أني أعرف السؤال في العيون وأتبيّن ليالي الرغبة بنجومها .

آه . ما أشقى هؤلاءِ الذين يمنحون ! أوه . يا لكسوف شمسي ! آه .

أيتها الرغبة من أجل الرغبة ! أوه . أيها الجوع المزمجر وسط فيضٍ من الشبع !
انهم يأخذون مني ولكن هل أنا أمس صميم نفوسهم ؟ ! ان بين الأخذ
والعطاء هوّة سحيقة وأضيق مكانٍ فيها هو آخر ما يمكن عبوره ! !
لقد نبت الجوع من بهاء جمالي . حتى ليسرني الآن ان أوقع بمن أنيرهم
بل يسرني أن أسرق من أمنحهم عطاياي . وهكذا صرت جوعاً الى الشر !
ها أنا أقبض يدي في الوقت الذي تمتدُّ فيه يدٌ تلتمس العطاء !
متريّثاً كما يفعل ماء الشلال هنيهة قبل ان ينحدر
هكذا أشعر بالجوع الى الشر ! !
ان ثرائي ليفكر في هذا النوع من الانتقام . وهذا البغض
قد نبع من حالك وحدتي
لقد أمات المنح نشوةَ المنح في نفسي وأصبحت فضيلتي وقد أنهكها فرط السخاء !
ان من يعطي لهو في خطر يهددهُ بفقدان مياه حياته !
ومن يحمل دأبه توزيع الاحسان لا بد ان يصاب قلبه بالقسوة ويدهُ بالغلظ
ليس من شيء الاّ من دوام توزيع الاحسان .
ان عيني لم تعد تفيض بالعطف على السائلين . ويدي أصبحت جامدة
لا تحسّ ارتعاش الايدي المفعمة بالعطايا .
أين ذهبت دموع عينيّ ؟ ! بل أين رقة قلبي ؟ ! آه
ما أشد وحشة من يمنحون . وما أقسى صمت من ينيرون !
ان كثيراً من الشموس تدور في الفلك
وانها لتخاطب كل صقعٍ مظلم بلغةٍ من النور
ولكنها عندي ليست الاّ صامتة ! !

آه ان هذه عداوة النور لكل شيء ينير
يسير في طريقه محرداً من كل شفقة
جائراً على كل شيء يضيء ! غير مكترث للشموس .
وكذلك تسير كل شمس !
الشموس تسير في أفلاكها كالعاصفة — تلك مساراتها
انها تتبع مشيئتها الجامحة — لا يدبض فيها شعور !
آه . أنت أيتها الكائنات المظلمة ! أنت وحدك يا كائنات الليل
تمتصين الحرارة من الكائنات المضيئة
وانك وحدك التي تشربين الليل وتغشين نفسك من صرع الضياء ! !
كفى ! ها هو الحليد قد أحاطني . وان يدي لتحترق وهي تلمسه .
كفى ! ان ظمأ أحسه في صميمي وما هو الا تشوق الى ظلمك
ايهُ الليل . كفى . فيجب ان أكون النور والظمأ لكل ما في الظلام .
وان أكون الوحدة!
ايهُ الليل . والآن قد اشتقت رعتي كينبوع متدفق . اني أرغب في الكلام !
ايهُ الليل وها هي الينابيع الفوارة قد علت أصواتها
وما روحي غير ينبوع فوار !
ايهُ الليل وفي هذا السكون تستيقظ أناشيد المحبين
وما روحي غير أنشودة محب ! !
هكذا قال زرادشت

باب الأخبار العلمية

« صدمة الانسولين » قد تشفي من الجنون

اصبح اسم « الانسولين » اشهر من ان يعرف . فهو حلاصة الغدة الحلوة (البنكرياس) التي تحفظ اعراض البول السكري وتطيل حياة المصابين به . وقد أحرز باتنغ مكتشفه جائزة نوبل الطبية جزاء له على اكتشافه ومنحهُ ملك الانكليز رتبة فارس ولقب « سر »

وقد اثبتت المباحث الطبية الحديثة ان « الانسولين » قد يكون سبيلاً الى انقاذ المصابين بضرب من الجنون او الخبل (شيروفرينيا) من خبلهم وجنونهم علاوة على فائدته العظيمة في حالات البول السكري

وقد اكتشف ماهرد ساكل احد اطباء فينا الى هذا الاكتشاف اتفاقاً على ما روى لجمعية الطب النفسي الاميركية . ذلك ان احد مدمني المورفين كان يعالج في احد مستشفيات فينا وكان مصاباً بالبول السكري فأعطي الانسولين لتخفيف اعراض هذه الاصابة فأصيب بما يعرف عند الاطباء بصدمة الانسولين وهي حالة مناقضه لحالة الديابيطس (البول السكري) . ففي حالة الديابيطس يتجمع السكر في الدم والجسم عاجز عن استهلاك ما يحتاج اليه منهُ . أما في حالة « صدمة الانسولين » فيكثر ما يستهلكه الجسم من السكر الذي في الدم حتى يقل مقداره عن المقدار السوي اللازم

فلما عولج المصاب باصابة السكر الى دمه من « صدمة الانسولين » ظهرت عليه دلائل التحسن في حالته العقلية

وهذا طبعاً يذكرنا بما تم لفاجنر يورج في فينا ايضاً عندما اكتشف فعل الملاريا في شفاء الشلل العام أو الشلل الجنوني الناشيء عن الاصابة بالحلق (السفلس)

فلما تبين الدكتور ساكل ذلك في هذا المريض عالج المصابين بالاضطراب العقلي من جراء ادمانهم المخدرات بالانسولين مع انهم لم يكونوا مصابين بالبول السكري فأعطاهم جرعات كبيرة منهُ ليصابوا بحالة « الصدمة » فتحسنت حالتهم العقلية تحسناً يظهر الآن انه ليس بالوقتي

وقد أيد فريق من اطباء اميركا رواية الدكتور ساكل . فقد تحسنت احوال ٣٠ في المائة الى ٥٠ في المائة من المصابين الذين عالجهم الاطباء الاميركيون تحسناً يظن انه دائم وانما لا يمكن القطع الآن في هذه الناحية لان حداثة العهد بهذا العلاج لم تتح للاطباء مدة كافية لتتبع احوال الذين ظهرت عليهم اعراض التحسن وانما يعرف ان هذا التحسن دام في بعض الذين عولجوا ثلاث سنوات حتى الآن

ووجه الخطر في هذا العلاج ان استعمال جرع كبيرة من الانسولين لاحداث « الصدمة »

قد يفضي الى اصابة الذي يتحرعها بحالة خطرة تعرف باسم « هيبوحليسيميا » أي هبوط مستوى السكر في الدم وقد تفضي هذه الحالة بسرعة الى الوفاة الاّ اذا عولجت حالاً بحقن محلول سكري مناسب في العروق على العالب او باعطاء محلول السكر شرباً والاول اسرع فعلا بحكم الطبع

غاز الهليوم لا يلمهب

كشف أولاً في الشمس وتكاد أميركا الشمالية تحتكره

ذكرنا فاجعة المنطاد هندسرج ان غاز الهليوم الذي يقول الدكتور اكنر انه لا يستغنى عنه في المواصلات الجوية بالبلونات لم يكشف اولاً على الارض بل كشف اولاً في حوّ الشمس. والشمس كما لا يخفى تبعد عنه ٩٣ مليوناً من الاميال أو نحوها

ففي سنة ١٨٦٨ لاحظ باحثان انكليزيان كان احدهما لوكير محرر مجلة نايتشر المشهور وهو من اشتهر بعد ذلك باسم السر نورمن لوكير ان طيف الضوء الواصل الى الارض من اكليل الشمس يبدو فيه خط لامع لا نظير له في خطوط الطيف المعروفة على الارض ثم ثبت ان هذا الخط يظهر في طيوف الاضواء الواصلة الينا من نجوم كثيرة فقال لوكير حينئذ — وكان علم الحل الطيفي لا يزال في مهده — ان منشأ هذه الخطوط الطيفية عنصر لم يكشف على الارض بعد واقترح اطلاق اسم هليوم عليه واصل هليوم هليوس أي الشمس وظل هذا العنصر غير معروف على الارض حتى اواخر القرن التاسع عشر وكشفهُ السر وليم رمزي الكيمياوي البريطاني في غازات الهواء النادرة اذ كان يبحث عن غاز يدعى كرتون

ومقدار الهليوم في الهواء قليل جداً فهو لا يزيد على جزء من ١٨٥ الف جزء وكان معظم المستعمل منهُ للبحث العلمي يستخرج من بعض المعادن المشعة باحمائها . ثم ظهر ان هناك مقادير غير يسيرة منهُ في الغازات المنطلقة من ينابيع المياه الحارة وفي الغاز الخلقي أو الطبيعي الخارج من بعض الاماكن في قشرة الارض

ولم يجر ذكر استعماله للبلونات الاّ سنة ١٩١٤ عند ما اقترح السر رتشرد ترلفول ذلك على مجلس المخترعات في وزارة البحرية البريطانية ناياً اقتراحه على ما هو معروف عن الهليوم من خفة الوزن وعدم القابلية للالتهاب وعهد حينئذٍ للاستاذ مكلن الكندي على ما تذكر في البحث في وضع طريقة لاستخراجه من الغازات الطبيعية

ومعظم ما يعرف عن مصادر هذا الغاز النفيس موجود في الولايات المتحدة الاميركية وكندا وكانت طريقة استخراجه عسيرة كثيرة النفقة فكان ثمنهُ عالياً ولما كان ذا قيمة كبيرة في المواصلات الجوية وفي الشؤون الحربية التي تستعمل لها البلونات حظرت اميركا اولاً تصدير الهليوم من بلادها حتى للجامعات اولاً ثم لما اتقنت وسائل استخراجه واكتشف مصادر كثيرة للغاز الذي يحتويه رخص ثمنه وقيل حديثاً انها قد تبيع منهُ لالمانيا ما تحتاج اليه لملء البلون الجديد الذي يحل محل الهندبرج

البروتيلين يشفي مرضاً اجتماعياً

من أعجب المكتشفات الطبية الحديثة ان ست عشرة حبة من دواء جديد يعرف باسم بروتيلين تشفي المرض الزهري الذي سببهُ ميكروب « الحوبوكوك » وهو مرض كثير الانتشار في معظم البلدان ويصاب به في الولايات المتحدة الاميركية نحو مليوني مصاب بين رجل وسيدة كل سنة ويفضي الى اصطرابات واصابات أخرى منوعة في النساء والرجال والاطفال

وقد عرف قراء المقتطف ان « البروتوزيل » و « البروتيلين » مادتان متقاربتان جداً في التركيب الكيمياوي أولاهما صبغ أحمر والثاني مسحوق أبيض . والاول يمكن الجسم من التغلب على ميكروبات « الستربتوكوكس » التي تسبب تسمم الدم وحمى النفاس وغيرها . ولكن الدكتور جون كولستون المتوفر على دراسة أمراض المسالك البولية في جامعة جونز هبكنز الاميركية المشهورة في العالم أجمع بكليتها الطبة حرب الثاني بالاشتراك مع فريق من علماء تلك الكلية في معالجة « السلان » باعطاء المصابين أربع حبات كل يوم مدى أربعة أيام فشفي ٨٥ في المائة من الذين عولجوا كذلك

***

وثمن هذه الحبات يبلغ ثمانية قروش صاغ والبروتيلين هذا اسم تجاري لصبغ يعرف عند الاطباء باسم « سلفاياميد » واسمهُ الكيميائي (بارا — أمينو - بنزين — سلفوناميد)

ومن بصعة أشهر سمع الدكتور برين لونج أحد علماء جامعة جونز هبكنز بتجارب تجرب في لندن بهذه المادة فذهب اليها ليطلع نفسه عليها وعند عودته شرع في تجربتها في المصابين بتسمم الدم . وكان يساعده في تجاربه هذه الدكتورة الياور بلس . ثم اتجها الى تجربة تأثير البروتيلين في « المنيجوكوكوس » وهو الميكروب الذي يسبب التهاب الدماغ السحائي . ولما كان « الحوبوكوكس » مسبب السيلان قريباً من « المنيجوكوكس » سبب التهاب الدماغ السحائي ولما كان الدكتور لونج مشغولاً بتجربة تأثير « البروتيلين » في هذا الميكروب الاخير اقترح على الدكتور كولستون تجربة « البروتيلين » في المصابين بالسيلان فاشترك كولستون مع طبيبين آخرين في هذه التجارب فتوصلوا الى النتيجة المتقدمة . اما يحتني الدكتور كولستون ومساعداه ان تباع حبوب البروتيلين من دون ضابط لانها قد تعري المصاب بأحد جرعة منها اكبر مما يجب مدفوعاً الى ذلك برغبته في الشفاء ورخص ثمنها . فاذا كانت الجرعة أكبر مما يجب أفضى تجمع البترين والكبريت — وهما قوامها — في الدم الى فقر الدم (الانيميا) فالوفاة ولا يعلم حتى الآن ما تأثير هذه المادة في منع السيلان . وهذا الكلام ملخص عن مجلة « تيم » ولم نر حتى كتابة هذه السطور بسطاً للاكتشاف في مجلة علمية او طبية

معالجة النزلة الرئوية (النوصونيا)
بأحد مركبات الكينا

صرح الدكتور ماكلا كلن ساعور اطباء مستشفى الرحمة بمدينة بتسبرج الاميركية بان مركباً جديداً من المركبات المستخرجة من الكينا صنع بالتركيب الكيمياوي في معهد ملون وجرب في معالجة حالات النزلة الرئوية الحادة فظهرت فائدتهُ

هذا المركب يدعى « هيدروكسي اثلابوكوبرين » وقد جرب اولاً في الفيران والارانب والكلاب قبل تجربته في البشر

وقد انقضت سنتان والدكتور ماكلا كلن يجرب هذا المركب الكيمياوي الجديد في حالات النزلة الرئوية الحادة وكان معدل الوفيات في مائة حالة عالجها في الشتاء الماضي ٢٧ في المائة مع ان المعدل المألوف في مثل هذه الحالات في مستشفيات بتسبرج ٤٥ في المائة

ولكن الدكتور ماكلا كلن حذر في حكمه شأن العالم المحقق فقال ان هذه المادة مركب من مستخرج من الكينا وقد ظهرت فائدته في النزلة الرئوية . لكن استعماله السري لا يمكن ان يحقق قبل ان يدرس الاطباء في مختلف الارجاء فعله في طائفة كبيرة من الحالات

وتناول هذه المادة سهل جداً فانها تؤخذ حبوباً كأنها كينا وقد يتناول المريض جرعات كبيرة منها تبلغ ٤٠٠ الى ٨٠٠ قمحة او اكثر من ذلك في اسبوع وتبلغ الجرعة العادية للبالغين ١٢٠ قمحة في اليوم

يعود البحث عن مركب من مركبات الكينا لمعالجة النزلة الرئوية الى مشاهدات احد العلماء الالمان سنة ١٩١١ ذلك انهُ لاحظ أن احد مركبات الكينا المعروف باسم (اثيل هيدروكورين) او (أوبتوكين) فعال في قتل مكروب النزلة فلما جرب في بعض المصابين بها اصيب بعض الذين عولجوا بعمى وقتي

فشرع الباحثون في المانيا واليابان واميركا ولاسيما في معهد ملون الاميركي في البحث عن مركب من مركبات الكينا يكون له هذا الفعل ولكنهُ لا يسبب حالة العمى الوقتي وقد جربت المركبات التي استنبطت في معهد ملون الاميركي وعددها ستة وسبعون مركباً في ٢٠ الف فأرة خلال اربع سنوات قبل الفوز بهذا المركب وقد ثبت من تجربته في البشر انهُ لا يحدث اي اضطراب بصري

ولم يظهر حتى الآن اي دليل على ان هذا الدواء يتنافر مع المصول المستعملة في بعض حالات النزلة الرئوية وسهولة تناوله تمكن الطبيب الممارس من استعماله في المراتب الاولى من اصابة الرئتين بالميكروب (النوموكوكس)

ومن الملاحظات الجديرة بالذكر ان فائدة هذا المركب تكون على أتمها اذا شرع في استعماله في اليوم الثالث من الاصابة لا في اليوم الاول ولا في اليوم الثاني ولم يعرف سبب ذلك بعد

ضرب جديد من دقائق المادة
في الاشعة الكونية

في أنباء اميركا العلمية ان ضرباً جديداً من دقائق المادة قد كشفهُ العالمان فدرماير واندرس وثانيهما حائز جائزة نوبل الطبيعية لسنة ١٩٣٦

هذا النوع الجديد من المادة لم يطلق عليه أي اسم بعد ولا هو يتفق مع سائر ما يعرف عن دقائق المادة المختلفة كالبروتون والالكترون والنوترون

وفي اثناء تجارب كان هدان العالمان يجريانها ظهرت لهما ظاهرات لا يمكن تفسيرها بأي دقيقة من دقائق المادة المعروفة وكان لا بد من فرض وجود دقائق اخرى لتفسيرها. ولكن الصفات العجيبة التي يجب ان تتصف بها هذه الدقائق لتفسير ما رأياه حملتهما على التريث قبل اعلان النتيجة . ويقال على لسان الدكتور اندرس ان هذا البحث كان أعقد وأصعب بحث طبيعي تولاه حتى الآن

هذه الدقائق الجديدة تحمل شحنة كهربائية من رتبة الشحنة الكهربائية التي على الالكترون والبروتون . فمنها ما هو موجب ومنها ما هو سالب وكل دقيقة منها اثقل وزناً من الالكترون ولكنها اخف من البروتون. والراجح ان مدى كيانها على الارض قصير لانها لا توجد الا في الاشعة الكونية

وقد استنتجت جميع هذه الخواص استنتاجاً من دراسة الاشعة الكونية

ومن عرائها انها تخترق الواح البلاتين من دون ان تفقد طاقتها وكثافة البلاتين تفوق كثافة الماء عشرين صعفاً وكثافة الرصاص صعفين

انسولين جديد باضافة الزنك اليه

قال السر فردريك بانتنج مكتشف الانسولين ان التجارب تجرب الآن بأنسولين جديد قد تفضي الى اثبات تفوقه على الانسولين المستعمل في علاج البول السكري . فقد اضيف الى الانسولين المألوف قليل من الزنك وجربت به التجارب فظهر ان فعله بعد اضافة الزنك اليه في تقليل مقدار السكر في الدم اطول كثيراً من فعل الانسولين الذي لا زنك فيه

ولكن هذا الانسولين الجديد لم يجرب بعد تجارب وافية واسعة النطاق في المصابين بالبول السكري حتى يستطاع الحكم النهائي عليه

***

وقد نشأت فكرة اضافة الزنك الى الانسولين من اكتشاف دنماركي وهو ان اضافة مادة « بروتامين » من سبرمات بعض السمك تطيل مدى فعل الانسولين وقد وصف السر فردريك بانتنج هذا الاكتشاف الدنماركي بقوله انهُ اكبر خطوة في معالجة البول السكري بعد اكتشاف الانسولين

بين العقل والجنون

مشاهدات غريبة

ذكر الدكتور محمد حسين ولاية الطبيب بصحة بلدية الاسكندرية وبصو جماعه نشر الثقافة في كتاب صدر لهُ من عهد قريب بالعنوان المتقدم بعض مشاهدات في الاصابات العقلية والعصبية اخترنا منها ما يلي :

أين مركز الكون ؟

لا ريب أنك ستحار في الاجابة عن هذا السؤال ولكن امرأة من نزيلات احدى مستشفيات الامراض العقلية تؤكد ان الشامة التي على خدها الجميل هي مركز الكون فما رأي علماء الفلك ؟

يقرأ سابحاً

يشرف منزلي على شاطىء البحر في محطة سبورتنج . . . وقد استوقف نظري مراراً رجل بدين يمضي الساعات الطويلة في الصباح والمساء في تمرير الشناء سابحاً في البحر كأنما خلق ليعيش في الماء وقد رأيت في حركاته وسكناته مراراً في أمر عجيب وكنت أراقبهُ باهتمام ولشد ما كانت دهشتي عند ما رأيتهُ يوماً وسط الماء راقداً بيده كتاباً الى أعلى حوفاً من ان تبللهُ الامواج وقضى مدة في قراءة هذا الكتاب وقد ثنى رقبته الى الخلف ليتسنى لهُ ذلك ولما خرج من البحر استلقى على بطنهِ فوق الرمال وهو يلعب برجليهِ ويديهِ كالطفل

حديث الطفل

أصيب طفل بالحمى التيفودية وهو في السابعة من عمره فأثرت في قواه العقلية وأحدث تشابهُ نوبات صرع . وأغرب ما حدث لهُ انهُ أصبح يكرر ما يريد ان يقولهُ مرتين . فاذا أمرتهُ ان يأكل الطعام أمامك مثلاً «أنا شبعان. أنا شبعان» وهكذا

تصيد الراعث

ايها سيدة تصيد الراعيث تشعر وتوثق ارجلها بخيط واحد الى بعد ستمتر من الرعوث والرعوث واحيراً تحمل الخيط رسيلًا وتشعل النار من طرف الخيط الاسفل . تتلدد برؤية ضحاياها وهي تحترق

عيونه وأذنانه وفمه

في ذيل صفدع

وصف الدكتور اسكار شوتيه احد اساتذة كلية امهرست الاميركية تجربة عجيبة جربها بصغار الضفادع اذ قطع ذيل احداها فلما شرع الذيل ينمو ثانية زرع فيهِ الخلايا التي تؤلف اصول العينين في صغار الضفادع فما نسيج العين في الذيل نمواً سريعاً وكانهُ اثر في نسيج الذيل الناحي فصنع للعين عدسة بل كان نسيج العين الاصلي يحمل في طياته جواهر تحفز النسيج الذي حوله الى تكوين اذنين وفم فتكوّن في الذيل فعلاً بداءة اذنين وفم

الصوف الصناعي

من كاسيين اللبن

في خطبة القاها الدكتور هارولد يوري حائز جائزة نوبل الكيمياوية لكشفه الايدروجين الثقيل والماء الثقيل قال ان استخراج صوف صناعي من كاسيين اللبن «وهو المادة الحمية فيه» مستطاع وان علماء ايطاليا قد صنعوا هذا الصوف وان رجال فرقتين من الجيش الايطالي يرتدون ملابس مصنوعة منهُ

وقال الدكتور يوري ان مسوحات من هذا القبيل يمكن ان تصنع من قطع اللحم التي لا يسهل مضغها فيحول بعض ما فيها من المواد الى نسيج يرتديه العواني في الربيع او الرجال في السهرات

تعيينه في المثانة

نشر الدكتور حيارمن في المجلة الطبية الاميركيه كلمه عن حالة غريبة قال : حضر لعيادته في ٧ يوليو سنة ١٩٣١ مريض اعرب عمره ٤٠ سنة يشكو منذ خمس عشرة سنة ألماً في المثانة وتعسراً في التبول مع تكراره وقلة البول فيه وأنهُ ادخل من يومين تعباً صعباً الى المثانة على امل ان يشفيه من العلة المزمنة فيها

وقد دل بحث البول على وجود كريات حديدية بكثرة فيه وأظهر فحص الاشعة والمنظار وجود التعبان في المثانة وبعد محاولات عديدة تمكن من القبض عليه بكلاليب المنظار واخراجه منها

وبلغ طول التعبان نحو ١٨ بوصة و٤٥،٧ السنتمتر وشي المريض

احصاء غريب

يزيد عدد سكان الولايات المتحدة الاميركيه واحداً كل ٣٥ ثانية دلك ان ولادة تقع كل ١٤ ثانية ووفاة كل ٢٢ ثانية ويدخل اميركا من الخارج مهاجر اليها كل ١٤ دقيقة ويغادرها مغادر كل ١٤ دقيقة ونصف دقيقة

عار البيرة في بعض السرم

عار النيون مشهور في عصرنا لانهُ يستعمل في الاعلانات التجاريه على المحارن اذا يألق بضوء أحمر عند ما يوضع في أنابيب معينة ثم يخترقها تيار كهربائي . ولكنهُ نادر على الارض . الآ ان الدكتور « مبرل » أحد علماء مرصد جامعة هارفرد أثبت انهُ كثير في عالم النجم وان مقدار في ما بعض السدم الغازية التي داخل مجرتنا يساوي مقدار الأوكسجين فيها

انقراض الجنس في الضفادع

شوهد انقلاب الجنس في كثير من الحيوانات المائيه الارضيه (البرمثية أو القوارب) كالضفادع وغيرها . وقد جمع كرو سنة ١٩٢٠ عدداً كبيراً من الضفادع انتقلت من اناث الى ذكور وعلل ذلك بحصول اختلال في نسيج المبض فيها نسيج مولد للسرمات بدلاً منه وروى العالم المشار اليه ان بعض هذه الضفادع عملت فعلا عمل الذكور وامكنها ان تلقح وتخصب الاناث وكان النسل الناتج كله اناثاً وهو بالضبط ما يتوقع (لسبب علمي يتعلق بأسأليب الوراثة لا محل لبسطه هنا)

بحث نفسي اجتماعي في

عالم السدود والقيود

تأليف الاستاذ عباس محمود العقاد

سواء أكان السجن معهداً للعقاب او الانتقام، ام داراً للاستشفاء، ام مدرسة للتهذيب والاصلاح، وسواء أزعم الحكام والمشرعون انه خلوة يختلي به المذنب ليحاسب ضميره عما اقترف، ام وسيلة توقظ العوامل الانسانيه الكامنه في النفس عن طريق الحجر، ام مطهراً يتطهر به الضمير بنار التكفير، سواء اجعل السجن لهذه الاغراض ام لسواها، فانهُ يبقى جحيم عذاب يتقلب على جمرها مخلوق فرصت عليهِ القوانين الوضعيه القصاص ولا يسلم من حرقها الا رجل سمت بهِ ثقافتهُ وارتقت بهِ روحهُ الى مصاف الكمال

روّاد السجون واحد من ثلاثة، شرير مفطور على الاجرام لا يصلحهُ التعذيب ولا الانتقام، ومدفوع اليد دلت بهِ القدم فهوى فان قدّرت له النجاة فانما ينحو نفس محطمة واعصاب متخاذلة، ورجل حارت عليه الاحكام فكان الجور مدعاه الى استمرار همته وانارة بحوثه وتصلبه في عقيدته

كنت احسب السجون تنمي روّادها بمقدار الحقد الذي يتمدد مع تمادي السنين ويمرر اثره كلما اوغل المرء في الاندماج بالاوساط الاجتماعية. حسبت ذلك حقيقة ثابتة في النفس البشرية وقد قدر لي ان اتصل حياتي السياسية بالايواء الى السجن ثم الافلات من حبل المشنقة، وكنت كلما حال السجن بخاطري او عرضت حالات المسجونين امامي، اشعر بالوخم من دياك العذاب القديم وأحس بالغصة الدافعة الى الاستسلام من اولئك الاشرار الذين سعوا الى الزج بي في هاتيك العيابات، وكنت اساسي ما افادني حياة السجن من تعلم الالتفات الى حياة المسجونين، ومراقبة احوالهم، ودرس نفسياتهم، والاعتبار بأدوائهم ونوازلهم وما علمتني ايضاً من الثقة بالنفس والاعتماد عليها وحدها؛ ومن إباء الانقياد لارادة الفرد او السخرة للجماعة المتحزبة. فاعتماداً على هذا الحسبان، قرأت كتاب « عالم السدود والقيود » وفي نفسي توق ملح الى دعدغة اجدها فيه تسكن في نفسي ألماً مرمماً ووجيعة من اناس صلوا شاماً كثيرين غيري لم ينج اكثرهم من اعواد المشانق، غير اني لم الق في الكتاب شيئاً مريراً من ذلك، ولم يشعرني مؤلفهُ الفاضل بوطأة الالم على نفسهِ وحتوم كابوسهِ على صدره، ولا تحفزه الى الانتقام والتشفي من الحكام او السجّان أو القادة او غيرهم، فما سبب ذلك يا ترى والاستاذ العقاد كما يعرفهُ كل الناس، أبي النفس، مرهف الحس، دقيق الشعور الى أبعد الحدود؟

قد أقترب من الحقيقة اذا أعدت ذلك الى ثلاثة أسباب :

الاول : ان مقام الاستاذ العقاد في السياسة مقام الملهم لا المستلهم ، والقائد لا المقود ، وشتان بين رجل صاحب رسالة وعقيدة في الحرية والاستقلال يلهمها الناس ، وبين آخر يستوحي اصحاب العقائد ليساعدهم في اداعه رسالتهم سواء في الحرية والاستقلال او في سواهما

والثاني هو تسامي روح العقاد عن هنات المجتمع ووضاعته ، وترفعه عن أحداه منحيرته ، ودأبه في تسديد خطاه وتوجيهه صوب قلة الحياة

والثالث هو المقدرة على التحول من جهة الى جهة معاكسة مع المعرفة ما بين الجهتين من تقارب تباعد هو ذا ما أحسبها أسباباً لتنحي المؤلف عن السير على الاوتار الاربعة في حياة السجن ، وقد يكون هناك أسباب دافعة لم يذكرها المؤلف او تحاشى ذكرها ، وقد تكون كثيرة منها على الالم واحتقاراً لهُ ، وقد تكون معاملة طيبة من السجانين حصّنوه بها فأستهُ وطأة القيود وثقل الحجر ، وسواء أكان هذا ام ذاك ، فان الذي لا شكّ فيهِ ان لتسامي الروح المقام المقدم في هذا الكتاب ومحدثنا عن قلق اعراض أو رحصائص هذا المؤلف الثمين أو أوي الحادثة التالية

حدثني أحد المعجبين من سياسة الاستاذ العقاد قال : ان تحت من تحير هذا الرجل المخوف الذي لا يعرف الملاينة ولا الانحراف حتى عن سبيل العاصفة الهوجاء ، والذي تم قسمات وجهه وانطواء عليهِ نية العنجهية والكبرياء ، والذي تتعلق كل كلمة من كلماته رجع صدى القوة الصارمة والحق الصريح ، فاني أتحير لروح الانسانية تشع في فصول كتابه كلها ، وروح الكتلة اللطيفة ، وتسكب الطريفة ، والسجية اللاذعة تفيض بهِ ، وسألني تعليل ذلك ، فابتسمت وأجبت بان هذا الذي ذكرت يا صاح ليس سوى مظهر بسيط من مظاهر العبقرية التي تجمع بين طرفي الامر الواحد بسهولة وعدم تكلف فالعقاد العصب الحيار هو بعينهِ العقاد اللين السلس ، والعقاد الالوف المتكبر هو هو الحنون المتواضع ، وحسبهُ رفعة وسموّاً حدبهُ على المجتمع المريض فيواسيه تارةً برفق ولين وتارة أخرى بالمصع والمشار تحدوهُ في الحالين نفس مفطورة على الحب وحسبهُ أنهُ دخل السجن وخرج منهُ بروح واحدة لم يتقلقل او يتبدد انما أضاف الى دخيرة معرفته بالحياة معرفة طائفة من الناس بعيدة عن الناس تأوي بقعة في الارض جدباء قاحلة من الرحمة والرأفة

تتكفل للقارىء صفحات كتاب « عالم السدود والقيود » بان يستعرض عالم السجن كما استعرضهُ المؤلف دون ان يقيم مثله فيهِ تسعة شهور ، ويقرأ فيها خلاصة ما رأى السجين واحسّ وفكر ، كما يقرأ قصة الذهاب بهِ الى سجن « قره ميدان » ورحلته الى هذا المكان الواحد الذي « كأنهُ العالم باسره بارضهِ وسمائهِ ، والذي كأن العالم الخارجي حرفاً لاحق مضاف اليهِ »

« والذي هو شط والدنيا كلها شط آخر يتقابلان ويتناظران » يقرأ فصولاً مستقلاً احدها عن الآخر استقلالاً تامًّا ومرتبطاً في الوقت ذاته بما حوته ارتباطاً فنًّا عجيباً ، وهي بين هذا الاستقلال والارتباط كاعضاء الجسد الانساني الذي يشيع فيها الروح الالهي

قلت ابرز خصائص الكتاب « الروح الانساني » وهو شائع في فصوله يربطها بعضها ببعض كما ترتبط نغمات الموسيقى الوترية الهادئة وتدنيها الناعمة ، نغمات الموسيقى النحاسية او تجعل من تعدد اصوات الآلات وحدة كاملة ، وقد احدث شيوع هذا الروح في فصول الكتاب قصة منسجمة متلاحمة محبوكة معقودة براعة المؤلف القصصي ، لذلك اقر بالعجز عن التدليل المادي عن خصائص الروح بالذات لانها تدرك بالزكانة والفطانة اما الدلالات على روح النكتة والفكاهة والسخرية فمركزة في كل فصل ، اسمع ملخص الواقعة التالية

ضبط السجان سجينين ريما ثماني عشرة قطعة من دائر القرشين في معمل السجن واتقنا صنعها حدّ الاتقان ، مع السرعة وقلة الاوان وشدة الحذر من الرقباء ، فتوهما ان جزاءهما التزييف خمس سنوات ، فالتفت احدهما الى زميلهما العتاد السجين سائلا « اصحيح ان الحكاية فيها خمس سنوات » قال الاستاذ : « طاب لي ان اداعب مهارة هذين الشيطانين ، واحببت اشرح لهما ما اعتقد الفارق بين التزييف في الخارج والتزييف في داخل السجن وقلت لهما ان المزيف في الخارج يختلس حق الحكومة وحق الناس واما المزيف هنا يختلس ما هو مختلس بطبيعته ومستحق للمصادرة عند ضبطه وليس على هذا عقوبة اكثر من عشرين او ثلاثين جلدة فاطلق احدهما يدعو لي بالطمأنينة وارتغاء المراتب والصحة والعافية وكل شيء . . . « قلت هداك الله يا صاح ، ولكن هذه الدعوات الصالحات هل تراها « عملة صحيحة » عند صيارفة السماء ؟! »

قصة ثانية « . . . ان الاطباء قرروا بعد ايام من دخولي السجن وجوب وضعي في مستشفاه ومعاملتي في اختيار الطعام والفراش واوقات الرياضة معاملة المرضى « ولكن ماذا حدث بعد هذا القرار ؟ هل نقلت الى المستشفى كما يقضي العدل والنظام ؟ كلاّ ! انما الذي حدث انهم اعتبروا الحجرة التي انا فيها ملحقة بالمستشفى وانقضى الاشكال ! ! ! »

قصة ثالثة « . . . . واختلسنا على صاحبنا . . . . حتى باح لنا بذلك القسم ، فاذا هو آيات يكررها القائل ثلاث مرات ، هو متوضيء فتحصل المعجزة . . . . وقد رأيناه فعلا يحر للنمل خطا على الحائط ويتلو القسم فيرجع النمل عن الخط او يسقط دونه ، وجربنا نحن القسم فصحّت التجربة وايقنا برهة اننا نملك سرًّا من اسرار السحر المتصرف في خلق من خلائق الله حتى خطر لنا يوماً ان نرسم الخط ولا نتلو القسم . ثم راعنا الاّ ان تصح التجربة بغير تلاوة كما صحت بالوضوء والتلاوة ، فعرفنا السر ولكنا اسفنا على السحر الذي فقدناه »

السائد في ادهان بعض الناس ان الذكاء طبيعة في طوائف النمل ، فجرياً على هذا التخمين وامتحاناً لتجربة النمل السالفة طاب للاستاذ العقاد ان يمتحن هذا الذكاء ولكن بغير وضوء وآيات

لقد ساعدته اسراب النمل وطوائفها الفاطنة في شعوق عرفه في السجن على اتيان التجربة التي اسفرت ، على ان هذه المخلوقات الموصوفة بالذكاء انما تعمل بغير « تفكير » كانها من الآدميين

قصة رابعة : حصر الواعظ ليقظ السجناء المسيحيين ، وكان يروق الاستاذ العقاد ان يشهد هذه الحلقات ويسمع الوعظ ، « فيطيب لي ان ارى التوراة منقولة الى عالم الخيال الفطري ، والتصوير الشعري ، والتمثيل الفني الذي لا تكلف فيه » « وكان من عادة الواعظ اذا فرغ من شرحه ووعظه ان يصلب الى احد السجناء ان ينهض للصلاة والدعاء ويجهر بما يخيش في نفسه ونفوس زملائه » « ولا احسب احداً منهم — اي السجناء — كان يجيد الكلام في دعائه وصلاته كما كان يجيده رجل من اصراهم بالشر واولاهم بالعقاب واسوئهم سيرة بين السجناء ، وان شهدوا له بالبراعة والذكاء وهو تاجر مخدرات مشهور » « سمعته مرة يصلي ويذكر خطايا الخاطئين وآثام بني الانسان . فسألت عنه فقيل لي هذا فلان صاحب الحيل المعروفة في ترويج المخدرات وكنت سمعت عنه وعن قضاياه واحاطته في ايقاع ضرعاه . واعرافهم بتناول السموم وادمانها . فعلمت لو كان هذا المصلي الخاشع يدعو الله ليستجاب دعاؤه لما دخل السجن ولا قام مقامه هذا للصلاة فيه ولكنها حيلة جديدة من حيله الكثيرة ، ولعلها ايضاً من حيل التخدير »!!

وقس على ذلك في الهكم والسخرية والنكتة وما اليها الشيء الكثير ، اما دقة الملاحظة ، وقوة الاستلماح والبراعة في الاستقراء ، والخصافة في الحكم فاكثر من ان تحصى اقتصر على اقتباس بعضها

« في معلم السجناء عاطفة مصرية لاحظناها في جمع المصريين على تباعد الطبقات والاقاليم ونعني بها « عاطفة العائلة » وما يتفرع عليها من رعاية الارحام والاسنان »

مر حين من العائدين في حريمة السرقة لطفل واقف في فناء السجن يبطر ترحيله الى سجن الاحداث « فرفع الطفل رأسه وناداه بلهجة المسكنة التي يستشعرها الصغير في عيشه أهله وقال لهُ « حوعان » فتمهل اللص العائد هنيهة ثم قال لهُ « مدا أصنع لك يا ابني وانصرف .... ثم عاد بعد دقائق ومعهُ رغيف سرقهُ من المخبز فمسهُ بصمين وأعطى الطفل بصمته . . . . »

مثل آخر تلاحي شيخ فان وفتى عارم مشهور بالشر والعربدة . فسبهُ الشيخ سبًّا لا يطيقهُ فتى من سنه فما صنع الفتى المسبوب الا ان بدا عليه الدهش والتردد ثم هزّ رأسه وقال لمن معهُ « انظروا الى الرجل الشايب يعيب ولا يخجل » وقال للرجل الشايب « لو غيرك قالها لقتلتهُ »

« وهذه على التحقيق ظاهرة اجتماعية ملحوظة في اخلاق الامة المصرية بأسرها ، سببها فيما أرى قدم العهد في هذه الأمة بحياة الأسرة والحياة الاجتماعية والبيتية على اجمالها »

على هذا الضرب البارع من الاستقراء والاستنتاج يقيم الحجة على ان السجون تبلد الاذهان وتعمي البصائر ولا تنال النفوس بتهذيب او اصلاح ، ويقص قصته فتى قتل اخته استدرجهُ رفاقه الى شرح الواقعة فيسردها بالتفصيل فيقول الاستاذ العقاد عنهُ « فلو انه كان يتكلم عن ذبح شاة او دجاجة لما اختلف الامر ولا تبانيت اللهجة ، ولا كان أقل من ذلك مبالاة بما يقول واسترسالاً في النكات والمزاح كما عنت به صحابه وتعمدوا احراجه واستفزاز طبعه وليس هذا كله من العيرة على العرض والنخوة للكرامة ، فان العيرة على العرض تثير الغضب والنقمة ولا تخلق البلادة ولا تعمي الانسان عما صنع بعد هوادة الثورة وسكون الهياج ويقظة النفس للذكرى والاستعبار والاسف على ما كان من سفك القتل والاضطرار اليه »

يستدل الاستاذ مؤلف كتاب «عالم السدود والقيود» على طبيعة المسجونين من الفكاهات التي يتفكهون بها والغناء الذي يعنونهُ فيتحدثون عما عرفوا الحير والمحبة الانسانية في نفوسهم ، فيأتي بالبينات على ان اهل الخير وهم قليل الموجود يشعرون في اعلبه واعمه — عن معدن وصيع او معدن مشوب ، وان لم يحر لنا ان نقول ان الخير فيهم معدوم ، وان جلاءهم ميئوس منهُ »

يضيق بي المجال اذا تناولت فصول الكتاب جميعها . فصل « الطعام وطالب الجسد » و « بعض التخصيص » و « الجريمة والعقاب » و « بعض الاصلاح » جديرة بالدرس العميق ، جديرة بالرجال المتصدين للاصلاح الاجتماعي سواء أكانوا كتّاباً ام نواباً ، قصاة ام حاكمين ان ينعموا نظرهم ويطيلوا تبصرهم فيها لانها حريمنارة يهتدون بنورها الى انقاذ عشرات الآلاف من المسجونين تصيب السجون وتطمها الى امراضهم الطبيعية ادواء خلقية لاخلاص لهم منها ولا رجاء من شفائهم من عللها الطبيعية والاكتسابية

بودي ان لا اهبط فقط بكل اديب وأديبة قراءة كتاب «عالم السدود والقيود» بل كنت اتمنى لو استطيع وسعي ورسمه على طلاب الادب فرضاً فيتطعمون بالروح الانساني المحض ويتذوقون الادب العالي الرفيع ولا يفوتني هنا ان انوه بالكتاب العظيم الذي وضعه الاستاذ العقاد في « سعد زغلول » لاني اعتقد ان فصوله الاولى من أبرع وأمتع واسمى ما كتب كاتب في الدروس الوطنية وفي تحليل الشخصية المصرية ، وانهُ في مجموعه ككتاب في ترجمة الزعيم سعد زغلول يبز اكثر الكتب من نوعه التي وضعها اميل لدويج وأندريه موروى واوكتاف ابري ويساوي كتب انتعان سفايج عميد كتاب التراجم في هذا العصر في عمق الدرس ودقة التحليل

التنويه وحده بقيمة كتاب « سعد زغلول » أتم ، والاشادة باقداره الادبية والاجتماعية فرض على كل كاتب ، وعندي ان الانصاب والتماثيل مع روعتها لا تمثل عظمة زغلول الرجل كما يصورها على حقيقتها الطبيعية الحية كتاب « سعد زغلول »

حبيب زحلاوي

المتنبي أيضاً !

كتاب المعهد الفرنسي بدمشق

انها لسنة المتنبي . سنه طهر فيها الشعر فصل أمير من أمرائه بالمكانة اللائقة به في هذا العالم، تلك المكانة الأوحدة بالانحلال لسطوه المادة على الأنفس

وقد عرض المقتطف بالنقد لحل ما ألف في المتنبي أخيراً سواء في اللغة العربية أو اللغات الافرنجية وهذا مؤلف جديد باللغة الفرنسية تخرجهُ المعهد الفرنسي في دمشق [1] رغبة منهُ في ان يشارك أبناء العربية في احيائهم لذكرى المتنبي واشادتهم بفضله

يحتوي المؤلف على ست مقالات لطائفة من المستشرقين تسوق زبدتها لقراء العربية : يطلع علينا الاستاذ ماسينيون Massignon في المقال الأول بآراء تحمله أول الأمر مستهجنة النواحي في الحقيقة ، ويحمل قوله ان المتنبي المولود في المئة التاسعة في الكوفة نشأ في هذه المدينة وفي البادية في جو قرمطي محض وان هذا القرمطي رعة لم يرعو كل الارعواء وان غلب على أمره ثم انهُ لم يرض كل الرضا نشيعه أمراء الشام الحمدانيه فاضطرّ ان تتحر بمنظوماته في اناقة وفحة خاصتين بمذهب الاسماعيلية

ذلك الرأي الذي أتى به المؤلف وانطلق يؤيده بالشواهد المختلفة فدل على قرمطية المتنبي بألفاظه وصوره واعتقاداته وتهكمه حتى بالله وهنا نرى ان الاستاذ ماسينيون ذهب في الاستشهاد ببيان المتنبي مذهباً فيه شيء من الغلو ، فاستشهاده مثلاً بهذا المصراع

أغالب فيك الشوق والشوق أغلب

على ان المتنبي كان يعمد الى الطباق المعنوي على الطريقة القرمطية مسئلة فيها نظر . ذلك ان قرّاء الشعر العربي القديم انما يرون في هذا المصراع تركيباً لطيفاً اتباعيًّا متعارفاً

وصفوة القول ان مقالة الاستاذ ماسينيون عاليه في الطاقة ، ولا يفوتنا ان نذكر ان الدكتور طه حسين بك انتفع بها في تأليف كتابه الاخير « مع المتنبي » (مصر ١٩٣٦ ، راجع ص ٥٣ ، ٦٤ ، ١٥٤ ، ١٦٦)

وفي المقال الثاني يصف لنا الاستاذ سوفاجيه Sauvaget مدينة حلب ايام سيف الدولة . فيخبرنا أنها لم تكن على حاب عظيم من الاتساع ولا المدينه لتمزق نواحي الشام وعدم

(١) Al Mutanabbi Memoires de l'Institut Francais de Damas Beyrouth 1936

استقرارها وقلة اطمئنان اهلها . ولم تكن التجارة لترفع من شأن تلك النواحي لانها كانت في ذلك العهد محتصرة بسبب النضال الذي بين المسلمين والنصارى. فحلب المحموسة بين التخوم البيزنطية والممتلكات الاخشيدية ، مسالك البدو لم تقو على صرف منتجاتها الاَّ الى جانب من الشام الشمالية. واما المدينة نفسها فكانت على الحال التي كانت عليها قبل الفتح الاسلامي ايام ملك الروم . ولم يضف اليها سوى الجامع وقصر سيف الدولة

والمقال الثالث موقوف على عروبة المتنبي . وفيه يدل الاستاذ ليسرف Leecrf على ان المتنبي وقف للشعوبية وقفة الحازم الفاتك واعلن ان الاروبة العربية ولا سيما اليمانية لا تعدلها اروبة. وان الامم انما يضخم شأنها بسلها الوراثي وكرمها الطبيعي وشجاعتها وفتوتها، والامة العربية تجمع هذه الخلال الى حد بعيد جداً . ثم اعلن ان هذه الامة يفسدها ويسفط همتها عبيد من العجم يتحكمون فيها . فالمتنبي بهذا وضع الحجر الاساسي للعروبة الفعّالة التي تعتمد على الماضي الزاهر لتشد من ازرها في الحاضر . وهي حال نفسها اليوم في البلاد العربية

واما المقال الرابع فقد اجمل فيه صاحبه الاستاذ بلاشير Blachere الكتاب الذي الفهُ في المتنبي في اللغة الفرنسية وهو الذي أشرنا اليه في فصل مؤلفات المستشرقين بهذا الباب في مقتطف ابريل من هذه السنة

وفي المقال الخامس سرد الاستاذ جودفروى دومامبين Gaudefroy-Demombynes اسماء محمد المتنبي وفي رأيه ان شاعرنا بلغ القمة بثلاثة اشياء . اما الأول فعبقريته وعروبته إذ ارتد الى المقدمين من الشعراء الاولين في اسلوبه ولغته وعلومه في النضال عن القوم والاروبة وفي « حماسته » وفي مدحه للشجاعة والسماله وفي انتصاره للعرب ووقوعه في الاعاجم وأما الثاني فخياتهُ المصطربة « الرومانتيكية » التي كثر فيها الطعن والضرب فردته بطلاً من ابطال الشعر العربي كما جدده وفي مقدمتهم عنترة وعمرو بن كلثوم . وأما الشيء الثالث فبلاغته اذ في شعره من الحرارة والروعة ما لا يصيبه الناس الا عند الفحول من الشعراء الاقدمين فضلا عن ان المتنبي عرف كيف يضمن هذا الشعر القديم الاتحاد افكاراً حسيمة فجاءت طائفة من ابياته آيات الشعر المحكم الرصين

بقي المقال السادس . . يبحث صاحبهُ الاستاذ كانار Canard في اتصال شعر المتنبي بالحرب التي كانت قائمة بين بيزنطه والعرب . وخلاصة البحث أن ما قاله المتنبي في حوادث تلك الحرب بعيد عن ان يكون مستنداً تاريخيًّا للغلو الذي فيه ارضاء لسيف الدولة . وانما على المؤرخ ان يراجع هذا الشعر ليفهم الزمن الذي وقعت فيه الحرب وليجعل للحوادث الواقعة حقّها اطاراً فنيًّا جذاباً

ب . ف

القانون الدولي الخاص المصري

تأليف حامد زكي — الطبعة الاولى ١٩٣٦ — ٧٥٢ ص من مطبعة المقتطف

« آفة التأليف الاسراع فيه ، وخير التأليف ما جاء ثمرة بحث وتفكير طويلين » تلك حقيقة ناصعة لا يجحدها الا المكابرون . . . . ويؤلمني ان أقرر هنا ان جانباً كبيراً من المؤلفين المصريين قد أهمل المبادىء السليمة السابقة . فهم من حاول القفز الى القمة مباشرة متعامياً عن جميع العقبات الماثلة في طريقه . . » . بهذه الكلمات صدر الاستاذ حامد زكي مؤلفه وكم أصاب في تصديره إذ ان في مصر طائفة من الكتبة يطبون التأليف سواء كان أدباً او علماً وافقاً بالباب منقاداً للقلم

ودلالة على ما صدر به مؤلفه احرز الاستاذ حامد زكي الدكتور في العلوم القانونية والاقتصادية والسياسية من جامعة باريس وأستاذ القانون المدني والقانون الدولي الخاص بكلية الحقوق في مصر كتاباً جمع بين البحث والدقة وبين الروية والتقصي . والكتاب ينطوي على خمسة فصول مطولة : الأول في موضوع القانون الدولي الخاص وتعريفه ، والثاني في تنازع القوانين ، والثالث في تنازع الاختصاص ، والرابع في الجنسية المصرية والموطن والدين ، والخامس في حالة الاجانب (المقيمين بمصر) . وتحت كل فصل من هذه الفصول تندرج ابواب عدة لكل منها مكانته ، ولا يسعنا هنا ان نعرض لها بالجملة والتحقيق ان كتاباً مثل هذا حليق بأن يقرأ من ألفه الى يائه اذ فوائده جمة ومناحيه عميرة

الا انه لا بد من ان نشير الى ميزات ثلاث يختص بها كتاب الدكتور حامد زكي . اما الميزة الاولى فتجلي الروح المصرية فيه ، اذ نرى المؤلف ينتصر للقضاء المصري والعدالة المصرية ويندد بسطو الاجانب ويدفع اقوالهم الواهمة ثم ينطر الى القانون الدولي الخاص على انه قانون وطني مصري لا على انه قانون دولي عام او مقارن . واما الميزة الثانية فسهولة مطلب الكتاب من حيث وضوح مسائله واستقامة منهاجه وتلاحق فقره ، وفي هذا لطالبه كلية الحقوق خير عظيم . واما الميزة الثالثة فاستقلال ذهن المؤلف وحرأته على قول ما يبدو له حقاً وصحيحاً . وليكن مثلنا على هذا ما ذهب اليه المؤلف عند الكلام على قانون الاحوال الشخصية للمصريين عامة (ص ٦٠١) من « ان الاصوب هو الاخذ جملة واحدة باحكام تشريع وضعي حديث كالتشريع السويسري مثلاً منقحاً بما يلائم عادات اهل البلاد والغالب المتعارف على معتقداتهم ، وذلك اسوة بما حصل في تركيا الحديثة حتى بشأن الاحوال الشخصية الخاصة بالمسلمين » [1]

ب . ف .

---

(١) حل ما يؤخذ على هذا الكتاب النفيس مادة اغلاط مطبعية معدودة وقعت في الالفاظ الاعجمية (مثلا ص ١٤٦ ، ١٨٨ حاشيه ، ٤٨٣ ، ٤٩٧ حاشيه ، واخرى لغوية (مثلا ص ٥ آخر سطر ، ص ٩٩ س ١٧ ، ص ٤٨٨ س ١١ ، ص ٤٨٤ س ٧ ، ص ٤٩٩ س ٢)

ديوان حافظ ابراهيم

ضبطه وصححه وشرحه ورتبه الاساتذة أحمد أمين واحمد الزين وابراهيم الابياري طبع في جزأين : الاول في ٣١٨ صفحة والثاني في ٢٦٢ صفحة قطع المقتطف — طبعة دار الكتب المصرية

حافظ شاعر عبقري دوّت نغمات نايهِ في آفاق الأقطار العربية ، ورنّ صدى ألحان قيثاره في العالم الاسلامي ، نيفاً وثلث قرن ، في حلاوة جرس ، وطلاوة لفظ ، وحسن تأليف ، وجمال تنسيق ، بزّ في ذلك جميع شعراء عصرهِ سوى شوقي كما يقول هو :

لم أخشَ من أحد في الشعر يسبقني الاّ فتىً مالهُ في السبق إلاّهُ
ذاك الذي حكمت فينا يراعتهُ وأكرم الله والعباس مثواهُ

ولست بسبيل التعريف بحافظ الشاعر وقد عرفهُ الناس وأنا ما ازال في المهد صبيًّا ، غير اني لا اجد مندوحة عن ان ألمّ بأطراف حياته في اسطر : فلقد قضى شطر حياته الاول فقيراً معدماً ، يضطرب في نواحي الحياة فلا يصحبهُ سوى الفشل والملل ، متصعلكاً لا يجد ما يقوم بأوده فيستشعر الالم والحسرة في نفسهِ ، ويطلب العلا فيخفق مرة بعد مرة . . . وفي الشطر الثاني يجد الرزق والاطمئنان في وظيفه في دار الكتب . وحريٌّ به ، وقد ذاق مرارة العيش ولذع الفقر ، ألاّ يفرط فيها فيهوي الى قرارة البؤس مرة اخرى . وحالت الوظيفة — كما هي دائماً — بينهُ وبين ان ينفّث عن نفسهِ بعض ما يتأجج فيها من آلامه وآلام وطنهِ وآمالها ، فانطوى على ألم يتغلغل في صميم فؤاده ، فكفّ كثيراً مما كنا نصو اليهِ من حماسة مشتعلة ووطنية متسعرة . ولقد وجد لهُ الاستاذ احمد امين عذراً نقره نحن عليهِ...وحافظ لم يتخرج في مدرسة سوى تلك التي خلقها لنفسهِ من عباقرة الجيل وأفذاذه من العلماء والادباء والسياسيين ، فلم يدرس دراسة منظمة ، ولم يقرأ قراءة مرتبة ، ولم يبحث بحثاً فيهِ الاستقراء والاستنتاج ولكنهُ كان كالنحلة تمتص رحيق الزهرة التي تقع عليها لتتمثله . وكان حافظ يقول الشعر في مناسبات — شأنهُ في ذلك شأن سلفهِ — ينشره حيناً او يدسهُ على هون إن خشي كيد الكائدين ، حرصاً منهُ على رزقهِ ، وإشفاقاً على نفسهِ ان تذوق الهوان والذلة . وكان رحمهُ الله — متهاوناً مهملاً ، لا يأخذ نفسهُ بنظام ولا يعني بترتيب ، فانثر شعره ومزق ، ولفتهُ الايام في ملاءة النسيان ، الاّ ما نشرتهُ الصحف او ما حفظهُ اصدقاؤه ، ولو اننا ندبنا حافظاً نفسهُ ليجمع ما تبعثر من شعره للقي عناء وجهداً دونهُ كل عناء وكل جهد ، ولأصابهُ الكلال والملل ، فما بال الذين قاموا عليهِ !

وها هو ديوان حافظ في طبعتهِ الجديدة الانيقة المرتبة يجذب النفس ويستهوي القلب ويغري بالمطالعة والامعان فيها ، ثم هو في ضبطهِ وترقيمهِ يفيد الطالب والمتأدب معاً كما يعين الاديب على بغيته ويوفّر عليهِ مشقة البحث والتقصي ، وهذه منة اخرى للاساتذة . ولقد نظرتُ في الديوان نظرة عجلى فراعني ان يفلت من بين ايدي الاساتذة بعض اخطاء أضرب مثلاً منها : في صفحة

من المقدمة في الجزء الاول ذكر البيت الآتي ضمن ابيات كان حافظ ينشد فيها سوء حظه وصيقة أمله وهو ما يزال صبيًّا لم يطرّ شاربهُ بعد ، وهو : —

وللموتِ ، مالي قد أراه مُباعداً وحُلّ مرادي أن أُوَسَّد حالاَ

ولعل صحة المصراع الاخير هو « وحلّ مرادي أن أوسد حلاَ » (بالحاء المهملة) والحال حانب القبر والبئر وما حرى مجراهما وفي هذا المعنى يقول الشريف تولب

عدتْ وعدا ربٌّ سواه يعودها وبُدِّل أحجاراً وحالَ قليبِ

والمعنى بهذا أدق وأرق وأفصح وأقرب للمعنى المراد من الابيات ، وهذه التفاتة سريعة نرجو من الاساتذة ألاّ يعلولها . وليست هذه الاخطاء ، وان كنت لا اطلها الاّ بعض سهو الانسان ، مما يصح من قيمة المجهود الفذّ او مما يحط من قدره

ولقد ظهر ديوان حافظ في ثوبه القشيب وديباجته الرفيعة ليشعرنا ويشعر العالم العربي أن كرم وزارة المعارف العمومية المصرية لم ينقطع فيضه عن حافظ في مماته ولا هو انقطع عنهُ في حياته ، فلقد عطف عليه المرحوم احمد حشمت باشا وهو ناظر للمعارف وعينهُ في دار الكتب في سنة ١٩١١ فاستقرّ بعد اضطراب وهدأ بعد تقلقل ثم . . . ثم خلفهُ صاحب المعالي علي زكي العرابي باشا فأمر — وهو وزير المعارف أيضاً — فجمع شعرهُ في سنة ١٩٣٦ ليكون ديواناً كاملا أنيقاً يعيي الادباء عن التحط وينزع عنهم الشك ، فكأن وزارة المعارف قد طوقت جيد شاعر النيل بمن لن يضاهيها الجيل الحاضر ولا الأجيال من بعده ما دامت العربية السمحاء ولا يسعنا — نحن اسرة المقتطف جميعاً — الاّ ان نشكر لوزير المعارف فضله على الناطقين بالضاد في هذه الناحية الأدبية وللاساتذة الذين اشرفوا على اخراج الديوان وانا لنتجه الى الوزارة طالبين ملحين ألاّ تقطع سيلها الفياض في هذه الناحية ولها من الله حسن الجزاء

كامل محمود حبيب

الفارابي

تأليف الدكتور الياس فرح . جونيه (لبنان ١٩٣٧) ١١٤ ص من قطع المقتطف

اذا لمست في هذه الرسالة رأياً طريفاً او بحثاً مستفيضاً عميقاً خرجت من قراءته قليل الحظ مما تلمست . ذلك انها رسالة تبدل اشياء عن الفارابي دون ان تذهب في العرض والاستدلال والاستخلاص مذهباً اتسعت نواحيه وعلت طرقه . غير هذه الرسالة — على تواضعها — انها تسوق الى القارىء العربي حاشداً فاخراً من حواشي الفلسفة الاسلامية العربية إذ فيها معالجة استقصاء لشؤون المعلم الثاني بطريقة سهلة وافية ويعلب على المؤلف طريقه المدرس فترى قلمه يجري مجرى المعلم الذي لا يخطو خطوة الاّ وقد احكم الأولى . وعسى ان يواصل الخوري الياس فرح استاذ الفلسفة العربية في معهد الفرير بجونيه التصنيف في الفلسفة العربية فيخرج مثل هذه الرسائل المفيدة التي بها يستطيع القارىء العربي العادي ان يتعطن الى تراث اجداده في عالم الفكر والتأمل

ب .

من حديث الشرق والغرب

تأليف الدكتور محمد عوض محمد طبع بمطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

لقيت الدكتور محمد عوض أول ما لقيت في عالم الفكر قبل أن ألقاه في عالم الحسّ. وكان ذلك من زمن بعيد عرفتهُ فيهِ قوي الناء في أسلوبهِ العربي ثم تتابعت الأعوام واذا بي في النادي المصري في لندن منذ ثلاثة أعوام أقدم الى مصري طويل القامه أسمر اللون اسمهُ الدكتور محمد عوض . . .

ومنذ شهرين وقع في يدي كتاب اسمهُ (من حديث الشرق والغرب) لصاحبنا الدكتور عوض فقرأت منهُ ما مكنتني الظروف أن أقرأ . . وطويتهُ على ان أعود اليهِ في فرصة مواتية وطرف قريب . واليوم اذا برئيس تحرير المقتطف الفاضل يكلفني الكتابة عن هذا الكتاب فأراني لا أجد سبيلاً الى عصيان أمرهِ مع ان الكتابة عن الكتب من أشق الاشياء على الكاتب الذي يتحرى الصدق في كتابتهِ لأنها قد تعصب الناس منهُ وتثيرهم عليهِ . الاّ ان الأدب الحق لا يعبى بمثل هذا العصب ما دام ذلك في سبيل الأدب

اما من ناحية أسلوب الكتاب الفني فالدكتور غني عن أن أزكيهِ بكلمة . فقد عرف عنهُ نقاء الاسلوب واشراقه حتى فيما يتعرض له من مباحث العلم ومسالك البحث . وكتابه « سكان هذا الكوكب » شاهد على ما أقول أما الفكرة في الكتاب فقد كنت أتوقع من الدكتور الفاضل أن يكون أعمق بحثاً في بعضها مما كان . ويخيل اليّ أن المؤلف راعى في كتابه جانب العبارة اكثر مما راعى جانب المعنى فلم يصل بنا الى أعماق من الفكر وكان كما حدثنا هو صادقاً عن الناس في موضوع « في طريق المثال » حيث يقول (ونحن دوو أحلام صحلة . لا نجد في البحث العميق الأعناء ونصباً وسيبقى مدى الدهر قانعين بالظواهر تخدعنا وتقنعنا)

خذ مثلاً مقالته (مناظرة بين بحر ونهر) فهي لم تعد أن تكون موضوعاً انشائيًّا يصرح طلبة المدارس باستظهاره . وكأن المؤلف الفاضل أحسّ أن المقال ما هو الاّ نوع من المناظرات التافهة التي كان يكتبها الحلبي في كتابه (نسيم الصبا) والتي زخرت بها كتب الانشاء حيناً فكتب على هامش المقال كلمة لا تحليه من عدر . .

والكتاب مزيج من قصص ومشاهدات وخطرات . أما القصة فقد كان المؤلف الفاضل بعيداً عن التوفيق فيها . و (عبث القضاء) شاهدنا على ذلك فهي لم تعد أن تكون حكاية عن شاب هندي تعلم في انجلترا وأحبّ فتاة روسية في فرنسا ومات قبل أن تزف اليه من أحبّ . أما ما تستلزمهُ القصة من درس أو مفاجأة طريفة أو تحليل نفسي أو تصوير حلقي فلم يكن (لعبث القضاء) من ذلك نصيب

اما مشاهدات الكتاب ففيها كثير من صدق النظر واتساع المرئيات ولعلّ ذلك راجع الى ولع الدكتور بالسفر واهتمامه بالرحلة. فهو يتخذ من صغير المشاهدات عظيم الحكم وكبير المواعظ. وموضوع (في طريق البعال) يؤيد ما نقول. فقد خطر لي خاطرة وأنا اصعّد في جبال الالب او اتسلق جبال منطقة البحيرات في شمال انجلترا وجنوب اسكتلندة وذكرت حينذاك قول الشاعر

بصرت بالراحة الكبرى فلم أرها تنال الاّ على جسر من التعب

بقي عليّ أن أقول كلمة في تشبيهات المؤلف فقد أعرم بها غراماً. وأسبح مألوفاً أن ترى في كتابه مثل هذا (وأصحت كأمل اليائس لا يرتاد على المدى الاّ بعداً) والبحيرة (تشبه الحسناء حين تسيقط من النعاس) والمصابيح (كأنها أشباح اليمين وسط دياجير الشك). وقديماً أعرم ابن المعتز الشاعر الخليفة بالتشبيهات فأبدع فيها. فاذا كان الدكتور عوض اعرم بالتشبيهات فهل لنا أن ننتظر منهُ الابداع؟

اما وصفه للبحر فهو ما لم يعرض له كاتب عربي بهذا البيان الجميل ولعله اذا سار على الضرب كان لنا منهُ كاتب عربي وصّاف للبحر يعادل «كونراد» الانكليزي مؤلف رواية Youth وغيرها من قصص البحر الرائعة

محمد عبد العي حسن

الحكيم وليلى

تأليف فيق حسن الشرتوني — مطبعة صادر ببيروت — صفحاته ١٥٩ قطع المقتطف نمط ٢٤ ابيض

هذا كتاب اجتماعي يبحث في أسلوب قصصي — ولا نقول انهُ قصة بالمعنى الفني المتواضع عليه بين نقاد الأدب — المعضلات الروحية وما يلابسها من مشكلات الاجتماع الحديث كالخروج الى المراقص والملاهي والخلاعة والمعالاة في معاقرة المشروبات الروحية فيها والتبذل في الرقص والتنزه والفسوق وما الى ذلك من النواحي الادبية في الاجتماع العصري كالتربية وتنشئة الاولاد وغيرها

والبحث مسوق في قالب حوادث تدور حول سيدة تدعى ليلى تتمثل في حياتها وحياة من تعاشرهم المشكلات التي تقدم ذكرها. أما تأمل المؤلف فيها فأجراهُ على لسان الحكيم، وهو على الغالب تأمل سمتهُ الحكمة وقالبهُ الارشاد الروحي، ولولا نزعة قوية في المؤلف الى الوقوف موقف الواعظ او الخطيب على المنبر والى التعميم في معظم الاوصاف التي يوردها لكان الكتاب من حيث هو عرض قصصي لموضوع اجتماعي أقرب الى الاصول الفنية المتبعة في مثل هذه الاحوال. ثم انا لا ندري ما الباعث القاهر على رسم صورة الصابة في عقلها اقل ما يقال فيها انها تنطوي على تلميح في غير محله ولو حذفت من الكتاب لما سقط معناه ولا اضطرب سياقهُ

كتاباته نفيسة في التربية

١ — طرق التدريس المثلى ٢ — التربية على طريقة دالتن

التربية في معناها الاسمى ، ثقافة واختبار . لاعنى لاحدهما عن الآخر فاذا قصرتها على الثقافة ، فقد تخرج من المدرسة الى ميدان الحياة شباناً وشابات ، اصلح لصوامع النساك وأديرة الراهبات . والاختبار اذا لم يقم على مفهوم صحيح لحقائق الطبيعة والحياة والنفس والاجتماع ، فقد تلتوي نتائجهُ . ذلك ان التربية عملٌ اجتماعيٌّ ، وليس بعمل ذهنيٍّ صرف والهدف الذي تتفق في سبيله مئات الملايين من الجنسيات في مختلف الامم ليس صقل الذهن فحسب ، بل تنشئة «الرجل» كما يبغيه و« المرأة » كما تريدها ولا بدّ لتحقيق هذا الغرض العالي ، من تدريب الملكات العقلية والخلقية معاً ، وهو التدريب الذي يؤهل الرجل والمرأة للفهم والتعاون

فالتربية بهذا المعنى ، اقلّ ما تكون اتصالاً ببرامج التعليم وحده واشدّ ما تكون اتصالاً بشخصية المعلم. «واذا صدق على القضاء ما قيل من ان القانون الناقص اذا طبقهُ قضاة ذوو كفاية كان اصلح للامة من قانون كامل يطبقهُ قضاة عديمو الثقة ، فمثل هذا الحكم على التعليم اصدق، لان التعليم ليس مجموعة قواعد ونصوص ، وانما هو قبل كل شيء تفاعل حيوي بين شخصية المعلم وشخصية المتعلم» (مقدمة التربية على طريقة دالتن للاستاذ الفاضلي صفحة ر)

فاذا استقرت في الذهن هذه الفلسفة « الكلية » للتربية ، أدركنا الفائدة العظيمة التي يجنيها المشتغلون بها والمهتمون على مقدّراتها من كتب وضعها أعلام المربين في هذا الموضوع وتولى نشرها فريق من أعلام المربين عندنا

ان « كتاب طرق التدريس المثلى » من تأليف الپروفسور محلي قد تولى نقله وشرحهُ الاستاذ احمد سامح الخالدي مدير الكلية العربية بالقدس وأستاذ التربية فيها والمؤلف ليس مجهولاً عند عامة المعلمين فهو أستاذ مشهور بآرائه العلمية ومن مؤلفاته (ادارة الصفوف «الفصول») الذي أخرجهُ الاستاذ الخالدي من بضع سنوات فلاقى رواجاً كبيراً في الاوساط التهذيبية في الشرق العربي ولا يزال مرجعاً هامًّا في هذا البحث

أما الكتاب الحالي فمختصر وهو يحتوي على ارشادات وأوامر ونواه لفائدة المعلمين والمتعلمين ولكن اختصاره لا يعيبهُ فقد اشتملت تحتهُ على مقاييس عامة شاملة في جميع نواحي التدريس يحذر بالمعلمين والمعلمات ان يعموها وينفذوها ولكن بعد تأمل عميق واختبار وتجريب. وفي الكتاب اشارة الى الطرق الاصولية المعروفة في التربية وبعض الطرق الحديثة ، كطريقة المشروع ومنهاج الحركة ، ونظام دالتن ونظام وونتكا ، وتسميع الجماعة وتوجيه الدراسة

كلُّ فقرة من فقرات هذا الكتاب ، تنطوي على درّة عالية من درر الارشاد العملي والتوجيه النفسي للمعلمين في مختلف الاحوال والحالات

واذا كان كتاب «طرق التدريس المثلى» كتاباً عامًّا شاملاً لمواضيع مختلفة، من دون ان يحل شمولهُ واختصارهُ بدقتهِ وحصيف ارشاده، فان كتاب « التربية على طريقة دالتن »، يتناول بالبحث المفصل طريقة من طرق التعليم الحديثة، استحدثتها هيلين باركهرست وقاعدتها ان اجتماع الطلاب فصولاً كبيرة، لا يقيم وزناً للفروق الذهنية والنفسية بينهم، وادن فيجب ان يأخذ المعلم بعين الاعتبار قدرة كل طالب على حدة، وتعيين عمل لهُ خاص بهِ، يتفق ومقدرتهُ الذهنية وجلده على العمل، لان هذه الطريقة تمكن الطالب من النمو نموًّا صحيحاً، لا يعيقهُ سبقهُ سائرَ الطلاب فيستهين، ولا تخلفهُ عنهم فيتطرق الى نفسهِ الهم والحزن

واصغ هذا الكتاب هيلين باركهرست مبتكرة الطريقة، ونقلهُ الى العربية زكريا ميخائيل حريج معهد التربية والمشرف على اصدارهِ الاستاذ اسماعيل القباني احد اساتذة معهد التربية بمصر. قال الاستاذ اسماعيل في مقدمتهِ « وقد اخترنا البدء بهذه الطريقة لاسباب عدة فاما السبب الاول فهو ان مبتكرة الطريقة ومؤلفة الكتاب بدت عندما شرعت تفكر فيها معلمة عادية في مدرسة ريفية باميركا. وقد واجهتها طروف خاصة فأعملت الفكر لتنظيم مدرستها على وجهٍ يلائم تلك الظروف، مسترشدة في ذلك بنتائج اطلاعها ومشاهداتها، فتوصلت الى طريقتها هذه ووجدت من تشجيع السلطات المشرفة على مدرستها ما مكنها من تطبيقها. وما زالت تعدلها وتكملها في ضوء التجارب، وتستقصي نتائجها العملية، وتوضح اسسها البيداجوجية حتى اقنعت بفائدتها رجال التربية كافة. واصبحت هذه الطريقة الآن في طليعة طرق التربية المعدودة في العالم . . . .

ولسنا في حاجة الى القول بان مكتبة المعلم في مصر وسائر بلدان الشرق العربي لا تستغني عن هذين الكتابين النفيسين

هول العالم

بقلم وربه مسعد — صفحاتها ٢٨٥ صفحة كبيرة

سلسلة مقالات نشرها كاتبها في « المقطم » يصف فيها رحلته في سنة ١٩٣٦ الى اميركا بلاد العجائب وايطاليا الفاشستية فوصف بدقة وأمانة كل ما شاهده في البلاد الاميركية من معالمها وولاياتها ومتاحفها ودورها وصحافتها وخص الجزء الاكبر بالولايات المتحدة ومحادثته مع رئيس جمهوريتها ووزرائها كما افرد فصلاً خاصًّا لعاصمة الصور المتحركة هوليوود وقال ان في هوليوود وضواحيها نحو ٥٣ شركة للصور المتحركة لكل منها « ستوديواتها » وافرد عدة صفحات لوصف ايطاليا الفاشستية وما شاهده فيها من النظام التعاوني الحكومي ولخص العقيدة الفاشستية من عدة وجوه وتكلم عن التربية الفاشستية ومقابلته لغداسته الباباوعن عظمة مدينة الفاتيكان

فالكتاب وصف صحفي مشوق لما تحويه هذه البلدان من طرائف وعجائب وغرائب

محسنة مصرية كبيرة

مذكرة حياتها ومبراتها المنشورة بمعرفة الوصاة بك دار المطبوعات الراقية

تعوّدنا ان نمجد اعمال الغرب والعربيين في محال التحدث بالمبرات والهبات التي تنفق على الاعمال الخيرية وتشجيع العلم واعانة البائسين لان أثرياء اميركا وأوربا صربوا المثل في هذا الباب الخيري العظيم على مقدار ثرواتهم وما تدره اموالهم من خير عميم

ولقد اعتاد عظماء الشرق ولا سيما كرام المسلمين منهم على وقف الاوقاف ورصد ريعها للاعمال الخيرية وحصص بعضهم اوقافه لاستمرار الاقبال على العلم في الازهر الشريف ومساجد مكة المكرمه والمدينة المنورة والقدس الشريف وجامع الزيتونة في المغرب مما جعل سير العلم متواصلا في تلك المساجد ويبطل ما دامت الاوقاف تدرّ خيراتها متصوّعة بمسك احاديث واقفيها

وفي يوم ٢٣ من ربيع الاول سنة ١٣٥٥ توفيت الى رحمة الله سيدة بهية محسنة هي السيدة حفيظة هانم رستم حلمي الالفي حرم المرحوم يوسف بك نجيب محدث الصحف بأعمالها الخيرية ومبراتها العظيمة وانتهزت الجمعية العامة للمحافظة على القرآن الكريم بالقاهرة فرصة هذه الذكرى فأقامت لها حفلة حافلة في دار جمعية الشبان المسلمين في يوم الاربعاء ٢٣ من ربيع الاول سنة ١٣٥٦ الموافق ٢ من شهر يونيه سنة ١٩٣٧ حضرها جمع حافل من اهل العلم والفضل

ومما يصح ذكره والتنويه به هنا لكون أحد وثائق طبعة للفقيدة العظيمة انها انفقت في حياتها جميع ما تملك من مال ومجوهرات وعقار في القاهرة والاسكندرية على الجمعيات الخيرية ويقدر ذلك بنحو مائة الف جنيه مقسمة على النسبة الآتية :— ١٦ قيراطاً للجمعية الخيرية الاسلامية ينفق ريعها على مستشفى الجمعية المنشأ بجهة العجوزة بالجيزة بمصر واشترطت ان يكون انفاقه على المعالجة بالراديوم وجعلت هذه الجمعية الحرة على املاكها . وخصص ٤ قراريط لجمعية المحافظة على القرآن الكريم وقيراطين للانفاق على الطلبة الفقراء الذين يقدمون على الازهر الشريف من الصين واليابان والحبشة وقيراطين لجمعية الاسعاف العمومية بالقاهرة

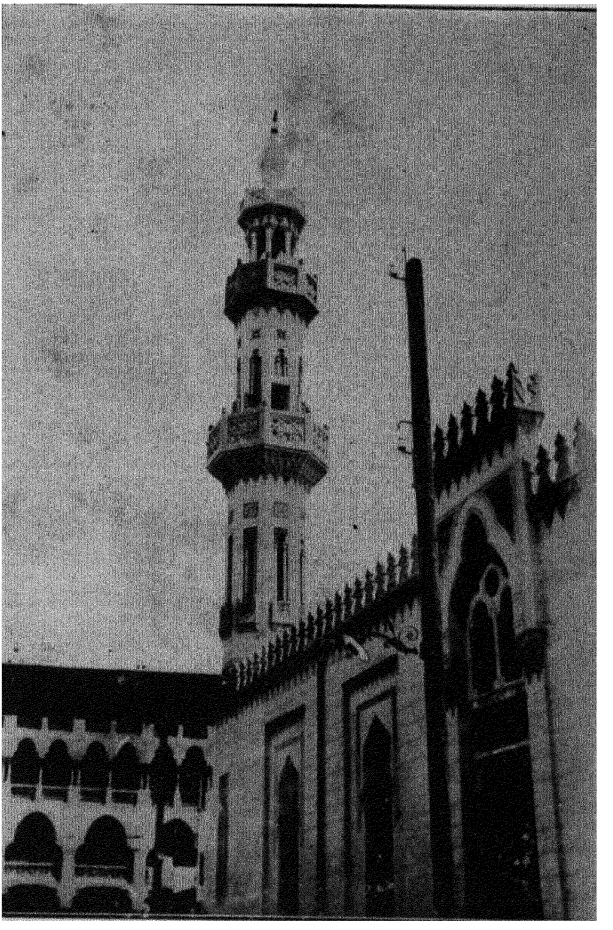
وهذا علاوة على انشائها مستحدثاً فخماً في مصر الجديدة بلغت نفقاته نحو تسعة آلاف جنيه وألحقت به مكتبة دينية وخصصت فيه مكاناً للسيدات ووقفت عليه اوقافاً خاصة لاستمرار الانفاق عليه

وأهدت الى جمعية الاسعاف بالقاهرة سيارة فخمة صنعت خصيصاً في مصانع رينو المشهورة كاملة المعدات وهي تجوب القاهرة وعليها قطعة نحاس سجل اليها اسم المحسنة الكريمة

ووقفت منزلين كبيرين بشارع الهرم ثمنهما عشرة آلاف جنيه على الاعمال الخيرية وأهدت الى دار الكتب المصرية خزانة من صناعة شرقية قديمة وفيها مختارات من الكتب والتحف وأوصت بأثاث عرفتي نوم واستقبال كبيرتين من الصناعة الشرقية النادرة المثال من صنع المدرسة



المحسنة الكبيرة المرحومة الحاجة حفيظة هانم رستم حلمي الالفي
حرم المرحوم يوسف بك نجيب المتوفاة في يوم السبت
٢٣ ربيع الاول سنة ١٣٥٥—١٣ يونيو سنة ١٩٣٦



واجهة جامع حضرة صاحبة العصمة الحاجة حفيظة هانم رستم الالفي
على شارعي سعيد ونجم حمادي بمصر الجديدة أنشأته سنة ١٣٤٩
هجرية الموافق سنة ١٩٢٩ — ١٩٣٠ ميلادية

الالهامية لوضعها في معرض النماذج التابع لوزارة الصناعة والتجارة ليستفيد منها الصناع في الاعمال الدقيقة استفادة عملية وتاريخية وقد وضعت فعلاً في المعرض الدائم

هذا عدا مبراتها على الجمعيات الخيرية الاخرى والعائلات والافراد وعدا ترعاتها في الحجاز في كل عام حجت فيه وكانت تفقد المحتاجين وتعدق عليهم خيراتها ومبراتها

وان نظرة سريعة على توزيع أملاكها تبين لنا مقدار الحكمة في رصد أموالها على علاج المرضى بأحدث وسائل العلاج الراديوم الذي لا يتيسر العلاج به الا للاغنياء الى المساعدة على استمرار مدارس المحافظة على القرآن الى التوسع على الطلاب الشرقيين في اثناء مكثهم في مصر واعترافهم من مناهل العلم بالازهر الشريف الى مساعدة وسائل الاسعاف بترويد جمعية الاسعاف بسيارة فخمة ورصد حظ من المال عليها كل ذلك يدل على حكمة وبعد نظر في عمل الخير وهذا الامر يعود النصيب الوافر فيه الى مشورة مستشارها الامين وشقيق قرينها الحاج يعقوب عبد الوهاب بك ومن رجع اليهم في الرأي كعالي جعفر ولي باشا. وانا نحن ذكرنا في هذه الكلمة مختصراً مما قامت به المغفور لها من الاعمال الخيرية نحد واجباً علينا ان نشير الى ما قام به المغفور له قرينها المرحوم يوسف بك نجيب عبد الوهاب المتوفي في ٢٠ شوال سنة ١٣٥١ — ٢٨ فبراير سنة ١٩٣٢ فقد خصص رحمة الله عليه قسمته على الجمعيات الآتية ا — جمعية العروة الوثقى ب — جمعية ملجأ ابناء السبيل ج — جمعية المؤاساة الاسلامية بالقاهرة د — جمعية المؤاساة الاسلامية بالاسكندرية هـ — جمعية المؤاساة الاسلامية بالسويس و — جمعية الاسعاف العمومية بالقاهرة ز — جمعية الاسعاف العمومية بالاسكندرية

فلتمطر شآبيب الرحمة على حدث هذه المحسنة الكبيرة وزوجها الكريم ونرجو ان يكونا قدوة طيبة للقادرين من الاغنياء في الشرق عامة ومصر خاصة م. ر.

اليابان — بلاد الشمس المشرقة

وطد الاستاذ محمد عبد القادر صبيح العزم على اصدار كتاب في كل شهر يسميه كتاب الشهر والكتاب الذي بين ايدينا هو ثالث مؤلف يصعه المؤلف وصف به اليابان او بلاد الشمس المشرقة وقال ان كلمة اليابان غريبة عن مسامع من تطلق عليهم لان لهم عند انفسهم اسماً آخر هو داي نيبون وهو مشتق من لفظة صينية تنطق جي بن ومعناها ارض الشمس المشرقة. ثم ذكر كيف جاءت كلمة اليابان وان امبراطور اليابان يسمى الآن تنو بدلاً من ميكادو ونفوذه مستمد من قوة الحب الذي نشأ بينه وبين شعبه وان القوم يقدسون امبراطورهم حتى لا يجوز لانسان ان يحدق فيه واذا مر في الطريق انحنى القوم سراعاً واغلقت النوافذ والابواب وجميع ابواب الكتاب مكتوبة بقالب ممتع يلذ القارئ مطالعتها فوصف عادات اهاليها والزلزال المخيف الذي حدث سنة ١٩٣٢ ودمر العاصمة وكيف جددت واستبدلت بمعالم القدم آيات الفن الهندسي في البناء. وتكلم عن الحكومة والتعليم والصحافة وخص المرأة اليابانية ونهضتها

فهرس الجزء الثاني

من المجلد الحادي والتسعين

١٢٩ عقل الانسان بين الكيمياء والكهرباء

١٣٥ أنصير من احل الرقي غدا ؟ (قصيدة) للمرحوم الدكتور يعقوب صروف

١٣٧ المنسوجات الأثرية للسيد حاستون ويت . نقله محمد عبد العزيز

١٤٥ فولتير . للكاتب اميل لدفح نقلها كامل محمود حبيب

١٥٣ الفكر واللغة : لحورحي شاهين عطية

١٦١ حشرة سان يوزي : للدكتور محمد منير بهجت

١٦٧ كيمياء الفيتامينات

١٧٢ المدرسة والطالب والوطن : للدكتور تشارلس وطسن

١٧٨ اراحة الستار عن تمثال الدكتور صروف في جامعه بيروت الاميركية

١٨٥ الفعل الرباعي : لأنيس فريحه

١٩٢ رحلة جغرافيه عمرانية لوضعي زكريا

٢٠٢ سواح عسكرية في عصر اسماعيل لعبد الرحمن زكي

٢٠٦ سير الرمان * خواطر جون روس الملك ادورد الثامن عن العرش نظرات ومقابلات في العصر السليم خاطه فلسفه المعارضه في نظام الحكم الدمقراطي

٢٢٥ حديقة المقتطف * الشاعر والالم للشاعر الفرنسي الفحل الفريد دُوْمُوسِيه نقلها احمد أفندي الحضري مدرسي امين تقي الدين نقلها الياس أنطون شكة أغنية الليل مترجمه عن بيتشه نقلها محمد فهمي

٢٣٣ دب الاحجار الطبية * « صندوق السولين » مد دعي من الخمون . عار الطبيون لا يلتهب . البورنة لين يتقي مرض السماعيا . معالجة الدل الرئوية بالسوموبيا) . ضرب جديد من دقائق المادة أسولين جديد فاضاء الزائد البنفسجي بين العقل والخمون . سيمان مأدبان وم في دبل صعدع . الصعف السفاعي . تعلن في المتاد . احصاء غريب عار الدود في بعض السنه انقلاب الحمس في الجادح

٢٤٠ مكتبة المقتطف * عالم سندوس مه . المنتبي أحمد ا . القانون الدولي الخاص المصري . دون حافظ ابراهيم . الدري . من حدث الشرق والعرب الحكيم وليبي . كتابان بعنوان في البريد . حول العالم بحسب مصوره البيرة . اليابان بلاد الشمس المشرقه

وكلاء المقتطف ومحلات الاشتراك

في القاهرة ادارة المقتطف بشارع القاصد ثمرة ١	بباب اللوق
في الاسكندرية والبحيرة والمنوفية مصطفى افندي سلامه	في دمنهور
في القليوبية والمنوفية مصطفى افندي سلامه	في دمنهور
في الغربية والدقهلية والمحافظات مصطفى افندي سلامه	في طنطا
في الفيوم — الشيخ محمود مليجي	بالفيوم
في المنيا — ابو الليل افندي راشد	في المنيا
في اسيوط — تامر افندى سيف	باسيوط
في جرجا — الشيخ عبد الهادي احمد	في طهطا
في بيروت — سوريا — جورج افندي عبود الاشقر	ص.ب. رقم ٩٢٩
في طرابلس الشام	عبد الله الياس حصني
في دمشق — المهاجرين	الاستاذ عمر افندي الطيبي
في شرقي الاردن — عمان	فهمي افندي يوسف
في القدس الشريف ويافا وحيفا	الخواجات بولس سعيد ووديع سعيد
	اصحاب مكتبة فلسطين العلمية
في حمص — سورية —	الخوري عيسى اسعد
في الناصرة فلسطين	فريد عوده زعمط
في حلب — شارع السويقة — السيد عبد الودود الكيالي صاحب المكتبة العصرية	
في صيدا	نقولا افندي حريصي داغر — صيدلية الهلال
في حماه	السيد طاهر افندي النعساني

في البرازيل

Snr. Miguel N. Farah
Caixa Postal 1393
Sao Paulo Brazil

في الارجنتين

Mr. N. J. Nazer
Avenida de Mayo 1370
Buenos Aires, Rep. Argentina

في الولايات المتحدة والمكسيك وكندا وكوبا

Mr. N. Arida
c/o Al-Hoda
55 Washington St.
New York. U. S. A.

صدر كتاب

اسماعيل المفترى عليه

صورة رائعة

لشخصية اسماعيل وعصره وما آثره في السياسة والاجتماع والعلم

لقد انتصف القاضي كرايتس لاسماعيل من شانئيه وما وجه اليه من تهم وفرى املتها الاغراض السياسية والمالية

تولى اخراجه بالعربية الاستاذ فؤاد صروف رئيس تحرير «المقتطف» بسماح المؤلف وترخيص دار النشر الانكليزية

يجب ان يكون هذا الكتاب جزءا من التربية الوطنية في المعاهد المصرية

طبع اتقن طبع وجلد افخم تجليد

وثمن النسخة ٣٠ قرشاً صاغاً يضاف اليها اجرة البريد

المقتطف

المركز الحيوية في الجسم

للدكتور شوشه بك

لورنس في الميزان

للدكتور عبد الرحمن شهبندر

عين العرب الى بني أمية

للاستاذ يعقوب صروف

رواية الأزمات الاقتصادية

للعوامل الانسانية في استمكانها والمراجعة

يونيو ١٩٣١

مجلة الشرق

ادبية سياسية مصورة

انشئت للدعاية عن الشؤون البرازيلية ومآتي النزلاء الشرقيين في البرازيل تصدر باللغة العربية مرتين في الشهر — صاحبها ومحررها الاستاذ موسى كريم ويشترك في تحريرها طائفة من اكبر ادباء العربية في البرازيل

وبدل اشتراكها ٢٤٠ قرشاً صاغاً

وعنوانها Journal Oriente

Caixa Postal 1402, S. o Paulo, Brazil

التربية والاخلاق

تأليف يعقوب فام

استاذ في التربية من جامعة ييل وسكرتير قسم الصبيان في جمعية الشبان المسيحية بالقاهرة

تناول البحث في التربية العملية ونظريات التربية والتربية الجنسية وتطبيق ذلك على البيئة المصرية

ثمنه ١٠ قروش وتطلب من مكتبة سابا بالفجاله ومن المكاتب الشهيرة

مجموعة مقتطف

مؤلفة من خمسة وثلاثين مجلداً من المقتطف من السنة الاولى الى السنة ٣٥ كاملة مجلدة تجليداً متيناً معروضة للبيع

اعلان مهم للمزارعين

استعملوا

الاسمدة الازوتية الاكثر فائدة لجميع زراعاتكم

نترات الجير الالماني الابيض اللون

الذي يحتوى على ١٥ ر ٥ فى المائة آزوت

نترو سلفات الالماني

الذي يحتوي على ٢٦ فى المائة آزوت

سلفات النشادر الالماني

الذي يحتوي على ٢٠ ر ٦ فى المائة آزوت

اطلبوها من

محل ثابت ثابت

الوكيل العام لنقابة المعامل الالمانية للاسمدة الازوتية

بالقاهرة : بشارع المناخ بملك فرنسيس

تلفون ٢٣ ـ ٤٤ عتبه ، تلغرافياً : الثبات

بالاسكندرية : بشارع اسحق النديم نمرة ٢

تليفون نمرة ١١ ـ ٣٤ ـ تلغرافياً « الثبات »

المقتطف

مجلة علمية صناعية زراعية

لمنشئيها

الدكتور يعقوب صروف و الدكتور فارس نمر

قيمة الاشتراك في القطر المصري جنيه مصري واحد وفي سورية وفلسطين والعراق ١٢٠ غرشاً سورياً وفي الولايات المتحدة ٦ دولارات اميركية وسائر الجهات ٢٦ شلناً

اشتراك الطلبة والمدرسين — قيمة الاشتراك للاساتذة والطلبة الذين يرقون طلبهم بقيمة الاشتراك وبشهادة من رئيس المدرسة تكون ٨٠ غرشاً مصرياً في مصر و٩٥ غرشاً مصرياً في الخارج

الاعداد الضائعة الادارة لا تعد بتعويض المشتركين ما يضيع من اعدادهم في الطريق ولكن تجتهد ان تفعل ذلك

المقالات لا تقبل المقالات للنشر في المقتطف الا اذا كانت له خاصة ولا يعد قلم التحرير بارجاع المقالات التي لا تنشر فعلى من حفظوا انفسهم نسخاً من المقالات التي يرسلونها

العنوان — المقتطف بالقاهرة — مصر

AL-MUKTATAF

An Arabic Monthly Review of Current Science and Literature.

Published in Cairo Egypt

Founded 1876 by Drs. Y Sarruf & F Nimr

EDITED BY F SARRUF

SUBSCRIPTION PRICE · Egypt & the Sudan 1 L.E. or 5 Dollars

Foreign 120 P.T. or 6 Dollars

مؤلفات صحية يجب ان تكون

في كل بيت

لا يستغني عنها الوالدون والوالدات في تربية اولادهم وتنشئتهم على اقوم القواعد الصحية والنفسية : وهي

الوقاية افضل من المعالجة ٨ صاغ

اسرار المراهقة في الفتى ٥ صاغ عدا البريد

اسرار المراهقة في الفتاة ٣ « «

وهي تطلب من مؤلفها الدكتور شخاشيري

شارع فم الخليج نمرة ١١ مصر القديمة

حكايات للأطفال

بقلم الأستاذ كامل كيلاني

مطبوع بالحروف ومضبوط ضبطا كاملا ومحلى بكثير من الصور الملونة البديعة. أسلوب عصري سهل، طريقة مبتكرة في تعليم صغار الاطفال

يصلح لرياض الأطفال والمدارس الأولية والسنة الأولى الابتدائية

يطلب من المطبعة العصرية لصاحبها الأستاذ إلياس أنطون الياس. ومن المكاتب الشهيرة

خمسة في سيارة

وهو حديث رحلة الى جزء عزيز قليل من غرب اوربا

بقلم

الاستاذ سامي الحريدني المحامي

رحلة تختلف عن سائر الرحلات فيما تتناوله من المباحث التي تعلق بذهن كل رجل وامرأة

من ابناء العصر الحديث

ثمنهُ عشرة قروش صاغ ويطلب من جميع المكاتب بمصر

ظهرت « رسالة النسبة »

للاستاذ مير ضومط

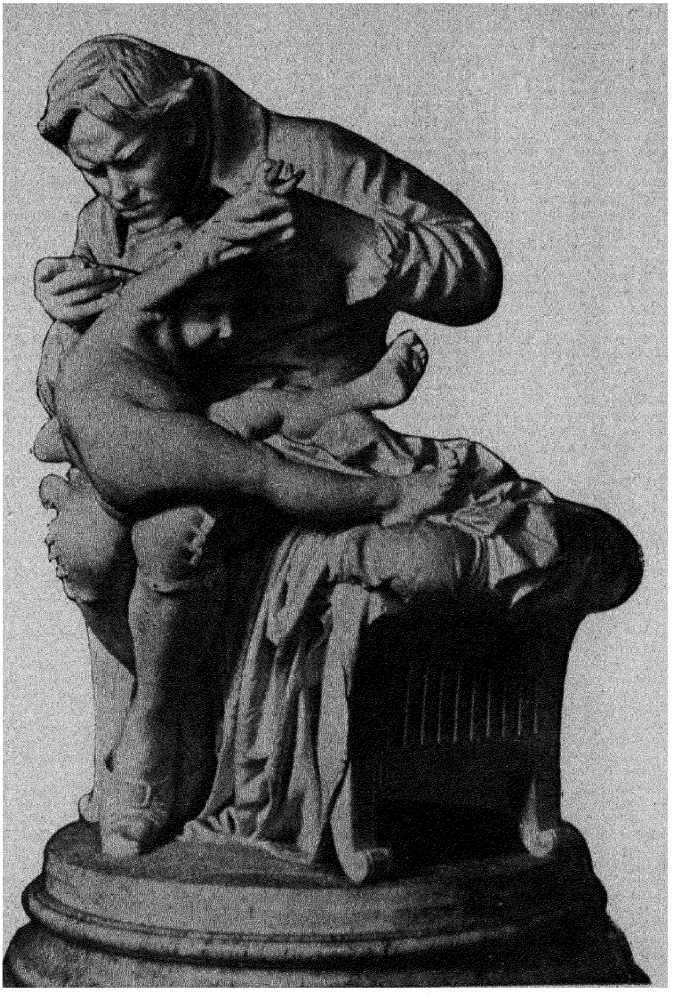
نقدم هذه الرسالة الى القراء اتماماً لرغبة المؤلف قبل وفاته وخدمةً لابناء اللغة العربية التي كانت ولا تزال في تقدم مستمر

وبما ان عدد النسخ المطبوعة من هذا المؤلف النفيس محدود فعلى الراغبين في اقتنائه ان يبادروا بطلباتهم الى ادارة المطبعة الاميركانية في بيروت

مؤلفات الاستاذ ضومط

الكتاب		عروش مصرية
١	فك التقليد في علم الصرف (وقد اشترك في تأليفه الاستاذ بولس الحولي)	١٥
٢	الخواطر العراب في النحو والاعراب	٢٥
٣	الخواطر الحسان في المعاني والبيان	١٢
٤	فلسفة اللاغة	١٣
	هذه الكتب الاربعة تكوّن سلسلة كتب مدرسية في علوم اللغة حدرة بان تدرس في ارقى مدارس البلدان العربية وجامعاتها	
٥	فلسفة اللغة العربية وتطورها مجموع مقالات طبعت بمطبعة المقتطف والمقطم بمصر	١٥
٦	سفر التكوين . من كتبه ولما كُتب	٤
٧	اللغه العربية . مقامها بين اللغات السامية	٢
٨	رسالة في النسبة	٥ ١/٢

اطلب هذه الكتب من اقرب مكتبة اليك
او من المطبعة الاميركانية في بيروت



تمثال جنر مكتشف طريقة التطعيم ضد الجدري
وهو يطعّم ابنهُ

المقتطف

مجلة علمية صناعية زراعية

الجزء السادس من المجلد السادس والسبعين

١ يونيو سنة ١٩٣١ — ١٥ محرم سنة ١٣٥٠

اساطين العلم الحديث

هري موزلي : اكتشاف خواصه العناصر

لم يكن من آثار الحرب الكبرى سوى اضعاف شعلة الذكاء في هري موزلي لكانما دلك لاضعافها نبأ باشعاع جريمة اقترفها الناس الآخرون ملكين

احتفلت الدوائر الادبية العالمية في اوائل ابريل الماضي باراحة الستار عن تمثال روبرت بروك الشاعر البريطاني الشاب الذي مات في طريقه الى ساحة الوغى في غليبولي ودفن في جزيرة سكيروس احدى جزائر الارخبيل اليوناني ولكن قلَّ من يذكر ان عالماً بريطانياً شاباً قتل فعلاً في شبه جزيرة غاليبولي فلم يذكره الا بعض اساطين العلم الذين يعرفون ان المبدأ الذي كشف عنهُ في علم الطبيعة الحديث كان افعل اداة في ايديهم لاكتشاف العناصر المجهولة والصعود الى سماء الذرة. هذا العالم الشاب هو هري موزلي

من نصيب بعض الناس ان يقوموا في حداثتهم بعمل خطير ثم ينحصر بعض حياتهم

الرطب في كارثة من الكوارث . هذه هي سيرة موزلي الذي بلغ مدى حياته العلمية اربع سنوات فقط اخرج في اثنائها ما ادهش الثقاة. وقبل ان يذيع اسمهُ وتدرك قيمة مباحثهُ حق الادراك واراهُ التراب شهيد وطنيته

ففي صيف ١٩١٤ لما كانت مدرسة العلماء البريطانيين معنية بالبحث عن اسرار العناصر دخل احد تلاميذ الاستاذ تونزند بأكسفرد عليهِ ليودعهُ . كان هذا الفتى مسافراً الى استراليا لحضور مؤتمر المجمع البريطاني لتقدم العلوم . تصحبهُ امهُ وهي الآن زوجة الدكتور صلّس استاذ الجيولوجيا بجامعة اكسفرد . وصل الى استراليا يوم ذاع بأ اعلان الحرب بين انكلترا والمانيا . وكان الفتى يود لو اتيح لهُ الانضمام في الحال الى الجيش البريطاني ولكن المواعيد السابقة التي كان مرتبطاً بها حالت دون ذلك فاشترك في سدني وملبورن في اجتماعات العلماء وقرأ في احدها — برآسة رذرفورد — رسالتهُ في « طبيعة العناصر » . وهرع بعد نهاية المؤتمر عائداً الى وطنهِ ليتنظم في الجيش . فعرض عليهِ ان يشتغل في احد معامل البحث التابعة للحكومة فرفض مؤثراً الخدمة في الميدان . وفي تلك الايام العصيبة لم يدرك رجال الجيش انهم بقبولهم طلبهُ يعرّضون للهلاك عقلاً من اعظم العقول العلمية التي انجبتها انكلترا — بل العالم — في العصور الحديثة . فألحق بفرقة المهندسين الملكيين وفي ١٣ يونيو سنة ١٩١٥ ارسل مع الجيش الذاهب الى غليبولي

كان الفتى صريحاً شجاعاً متواضعاً فكان محبوباً من رؤسائهِ واخوانهِ في الخنادق والمضارب . وكان يبعث الى امهِ من ساحة الوغى رسائل ملؤها البشر والايناس. صارباً فيها صفحاً عن مصاعب الحرب ومخاطرها في ساحة الدردنيل. بل على الضد من ذلك كان يملأ رسائله بمشاهداته الطبيعية في تلك البلاد الغريبة التي تعلوها غمامة الحرب المظلمة. لانهُ كان كأبيهِ يحب الطبيعة ويجد في مشاهدة ازهارها وأطيارها لذة لا توصف

ومضت الحال على ذلك مدة شهرين .ثم انقطعت رسائلهُ . وتلا ذلك النبأ المؤلم جاء من احد اخوانهِ الضباط قال:— اكتفي بأن اقول ان ابنك ياسيدتي مات موت الابطال — ملازماً مركزه الى النهاية. اصيب برصاصة في رأسهِ فمات في الحال . وبفقده فقدت الفرقة ضابط اشارات ممتازاً وصديقاً لا يعوَّض. فعملهُ كان في نظرهِ مقدّماً على كل شيء آخر. ولم يسمح قط لادق التفاصيل بالمرور تحت عينيهِ من غير ان يمنحها كلَّ عنايتهِ »

فلما ادرك ذلك الضابط هول المأساة التي أصيب بها العلم اذ نعى هري موزلي الساقط في ١٠ اغسطس ١٩١٥ على مقربة من خليج سوفله وهو يخاطب ضابط فرقتهِ بالتلفون. ولكن طائفة العلماء ادركت ذلك فقال مِلِكن فيهِ : « . . . . . بحثٌ علمي قليل النظير سوف

يتاح لهُ الخلود في تاريخ العلم الحديث لما اتصف بهِ من المعية في التصور وبراعة في التنفيذ والامتحان وخطورة في النتائج المنيرة لسبل البحث التي اسفر عنها . قام بهِ شاب في السادسة والعشرين ففتح امامنا النوافذ لنلمح ما هو جار في عالم الذرّات بوضوح ووثوق لم نحلم بهما من قبل. ولو لم يكن للحرب الاوربية من اثر سوى اطفاء شعلة الحياة في حياة هذا الشاب لكفى ذلك لوصمها بأنها اشنع جريمة اقترفها الناس في التاريخ». وقد كان موزلي في مماتهِ كما كان في حياتهِ وفيًّا للعلم اذ ثبت انهُ اوصى في وصيتهِ التي كتبها في ميدان الحرب بكل ادواتهِ العلمية وماله الخاص للجمعية الملكية لتستعملها في توسيع نطاق البحث العلمي

* * *

ولد سنة ١٨٨٧ وكان ابوهُ هنري تندج موزلي استاذ تشريح المقابلة بأكسفرد مشهوراً بقوتهِ الجسدية ومقدرتهِ على تحمل اعباء التعب الجسدي والعقلي . فأجهد نفسهُ كثيراً في البحث واصيب بتصلب الشرايين فمات قبل ان يبلغ ابنهُ الخامسة من عمره (١٨٩١) . فنشأ الفتى بعناية امهِ نشأة جديرة ببيت العلم الذي ولد فيهِ فلما كان في الثالثة عشرة من العمر تمكن من دخول مدرسة ايتن . وكانت حياتهُ في المدرسة حياة فتى انكليزي سليم العقل والجسم ولكن ميلهُ الى العلوم الرياضية ظهر لما كان في التاسعة فلما امتحن ثبت انهُ يعرف مبادىء علم الجبر مع انهُ لم يتعلمهُ قط . والظاهر انهُ كان يجلس في حداثته بعدَ دروسه الخاصة اذ كانت احتاه الكبريان تتعلمان علم الجبر. فتعلم اصوله من غير ان يدري . وهذا النبوغ في الرياضيات كان ذا اثر كبير في نجاح مباحثهِ الطبيعية بعدُ

وبعد ما قضى خمس سنوات في ايتن دخل كلية تريتي في اكسفورد للتخصص في العلوم الطبيعية. ولكنهُ مع ذلك كان ذا عقل المعي متعدد النواحي لانهُ قبل دخول اكسفرد كان قد تفوّق في درس الآداب القديمة . ولم يكن ذلك جديداً فيهِ اذ يظهر ان اسرة ابيهِ وأمهِ كانتا مشهورتين بذكاء افرادها وتفوقهم العقلي. فجدُّهُ لابيهِ كان عالماً رياضيًّا طبيعيًّا فلكيًّا مشهوراً وجدّه لامهِ كان متفوقاً بعلم البحار وخصوصاً الاصداف والمحار من حيواناتها واحتهُ الكبرى تفوقت في اكسفرد في علوم الاحياء. فبحثت بحثاً خاصًّا في الخياشيم الاثرية في احد الاسماك. وقبيل تخرج موزلي من اكسفرد كان قد صمم ان يقف حياتهِ على البحث العلمي . فرار الاستاذ ردرفورد (اللورد رذرفورد الآن) في جامعة منشستر فوجد فيهِ هذا المعلم النافذ البصر مثلاً محسناً نادراً للباحث العلمي المطبوع. فاقترح ان ينضمَّ اليهِ للبحث في ظاهرات الاشعاع فطار موزلي فرحاً وعاد الى بيتهِ ومسألة البحث العلمي تحت اشراف رزفورد تستهويهِ من بعيد. فلما تخرج من اكسفرد بعد سنة لم يلبث ان حضر احتفال الجامعة وتسلم شهادتهُ منها

حتى حزم امتعتهُ وتوجه الى معمل رذرفورد في منشستر. فوجد في مباحثهِ من اللذة المستهوية ما حمله على اعتزال منصب المحاضر الذي عرض عليهِ في جامعة اكسفرد، لكي ينفق كل دقيقة من وقتهِ في تجاربهِ

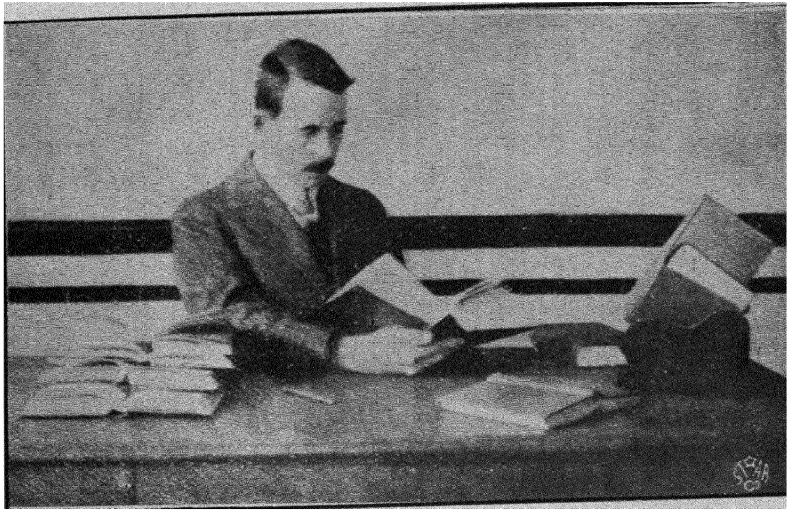
* * *

كان من حظ موزلي ان يمرن على البحث العلمي تحت اشراف باحث المعي — الاستاذ اريست ردرفورد فلما جاء اليهِ من جامعة اكسفرد بيَّن له هذا نوع البحث الذي يجب ان ينصرف اليهِ اولاً وهو احصاء عدد الكهارب التي تنطلق من ذرّات الراديوم في اثناء انحلاله. فكان عند حسن ظن معلمهِ بهِ. وفي اجتماع الجمعية الملكية الذي عقد في السنة التالية اعلن ان كل درة من الراديوم تطلق ما متوسطهُ كهرباً واحداً قبل انحلالها. وكان السر وليم كروكس الكيماوي العظيم حالساً في كرسي الرآسة فأصغى الى المحاضر الفتى مشدوهاً ولما ختم كلامهُ هنأهُ الرئيس براعتهِ في توضيح موضوع عويص كهذا الموضوع

ثم عرض لمسألة علمية دقيقة وهي تعيين مدى الحياة لاحد منبعثات عنصر الاكتينيوم وهو من العناصر المشعة ومدى حياة المنبعثات منهُ قصير جداً. فاستلزم البحث استنباط ادوات دقيقة حساسة جداً لقياسهِ. فهاز بحلّ المسألة مع الاستاذ فايانس Fajens البولوني استاذ الكيمياء الآن في جامعة موبيخ بالمانيا. اذ اثبتا ان متوسط مدى الحياة لذلك المنبعث الاكتينيومي الخاص انما هو جزء من خمسمائة جزء من الثانية!

وفي السنة التالية اقبل على مسألة اخرى دقيقة اذ حاول ان يعرف هل ثمة حدٌّ ما لقوة الشحنة الكهربائية في جسم معزول يحتوي على الراديوم. ذلك ان الراديوم يمضي في اطلاق كهاربهِ - وهي درات الكهربائية السلبية — فترداد بذلك شحنة كهربتهِ الايجابية. فهل ثمة حدٌّ لقوة هذه الشحنة الايجابية؟ فثبت لموزلي ان الراديوم بمقدمهِ المتوالي لطائفة من الكهارب يصبح ضغطهُ الكهربائي — اي الفرق بين قوة الشحنة الايجابية وقوة الشحنة السلبية — مائة الف فولط. وان هذا الضغط يمضي في ازدياد حتى يتوقف اندفاع الكهارب منهُ

وفي ذلك الاثناء وصل الى دوائر البحث الطبيعي بأفور جديد للعلم. ذلك ان ماكس فون لاوْ الاستاذ في جامعة زوريخ كشف عن خاصة جديدة للبلورات لدى تعريضها لاشعة اكس. فاشعة اكس المكونة من امواج اقصر جداً من امواج الضوء (هي اقصر منها نحو عشرة آلاف ضعف) تتولد من وقوع كهارب على لوح معدني في انبوب كروكس. وانها اذا صوّبت الى بلورات من الملح العادي الصافي تفرقت كأن البلورة لوح محزَّز يستعمل لتفريق اشعة الضوء grating. وقد اقبل السر وليم براغ وابنهُ على هذه الطريقة فاستعملاها



هري موزلي في مكتبه

لمعرفة بناء الذرات داخل البلورات [١] وذلك بامرار اشعة اكس في شرائح رقيقة جداً من الاملاح وتصويرها لدى خروجها بالفوتغراف . فتتبع موزلي مباحث براغ وابنه ثم استنبط طريقة لتصوير اشعة اكس المولّدة بوقوع الكهارب على لوح معدني في انبوب كروكس والمارّة حينئذٍ في بلورات . هذا هو مواة البحث العلمي العظيم الذي جعل موزلي عنانة صارب الرمل في الكيمياء الحديثة وبها كتب اسمه في عداد العلماء الخالدين

ذلك ان رذرفورد قبيل ظهور مباحث فون لاو كان قد ذهب في بناء نواة الذرّة مذهباً جديداً فقال ان معظم كتلة الذرّة انما هو في نواتها . وان هذه النواة مكوّنة من ذرات عنصر الايدروجين الايجابية ومعها من الكهارب ما يكفي لجعل الذرة متعادلة تعادلاً كهربائيًّا [٢] وكان قد وصل في تجاربه الى قياس شحنة الكهربائية الايجابية في نواة الذرّة . ثم تساعده تلميذيه جيجر Geiger ومارزدن Marsden تمكن من حساب عدد الشحنات الايجابية في ذرات الذهب وبعض العناصر الاخرى فوجد ان هذا العدد يساوي نصف الوزن الذري تقريباً . فكلما زاد وزن العنصر الذري زاد عدد الشحنات الايجابية على ذرته

على ذلك بنى ردرفورد نظرية جريئة ادقال : ان الشحنة الكهربائية في كل عنصر يجب ان تختلف باختلاف وزنه الذرّي . فهل تتأيد هذه النظرية بالامتحان الدقيق ؟

هذه هي المسألة التي عهد بها موزلي — ابرع تلاميذه واكثرهم المعية . فدعاه للتشاور معه على وضع خطة للعمل . فبحثا في جميع وجوهها بحثاً دقيقاً وكان موزلي يعرف كما تقدّم ان الكهارب الواقعة على لوحة معدنية في انبوب كروكس تولد اشعة اكس . وان بركلا Barkla الاستاذ بجامعة لندن كان قد كشف عن طريقة لتعيين طول امواج اشعة اكس وقوة نفوذها باقامة الواح من الالومنيوم لامتصاصها . فنال على ذلك جائزة نوبل الطبيعية سنة ١٩١٧ . وكان على موزلي بحسب رأي استاذه ان يصنع الواحاً مختلفة من معادن مختلفة ويطلق عليها الكهارب لتولد اشعة اكس منها ثم يجري على طريقة باركلا للموازنة بين اشعة اكس التي تولدها العناصر المختلفة ومن ذلك يتوصل الى معرفة طبيعة الشحنة الكهربائية في نوى الذرّات

ادرك موزلي خطورة المسألة من البدء وكثيراً ما تحدّث الى امه في موضوعها على قلّة رؤيته لها . لانه كان يقضي معظم وقته في معمله . واذا كانت العبقرية قدرة الانسان على توجيه العناية الى عمله فموزلي عبقري متفوّق . ولم يندر ان يلقاه الطلاّب المبكّرون

(١) راجع مقالة العلم امس واليوم مقتطف مايو صفحه ٥٢٩

(٢) بحسب هذا الراي لذرة الذهب مثلا عشرة كهارب خمسة منها متحدة بذرات الايدروجين في النواة وخمسة منها تدور حول النواة وهكذا تتعادل الشحنات الكهربائيتان في الذرة

خارجاً من معملهِ في الصباح بعد ما قضى الليل كله فيهِ منصبًّا على البحث الذي بين يديهِ . فهل مثل بليغ على رجل يعمل بحماسة دينية ولا يطلب جزاءً الاَّ الفرح الناجم عن الانصراف كلَّ الانصراف الى العلم

اخذ ابوباً من اناييب كروكس وعلّق فيهِ امام القطب الساميّ لوحاً معدنيًّا . ثم اطلق من هذا القطب تيَّاراً من الكهارب فلما وقعت على اللوح تهيّج وولّد اشعة اكس الخاصة بهِ . فجمعت هذه الاشعة في شعاعة دقيقة وصوّبت الى بلّورة قائمة امام آلة سبكترسكوب (آلة حلَّ النور) فصوَّر الطيف الحاصل منها . وهكذا استنبط لنفسهِ طريقة لدرس اشعة اكس تفوق طريقة باركلا وذلك بادخال نتائج المباحث التي قام لها فون لاوْ وبراغ

فلما فاز في ذلك صنع الواحاً مختلفة من عناصر معدنية مختلفة مبتدئاً من الالومنيوم ليتمكن من درس اشعة اكس الخاصة التي يولدها كل عنصر منها

وللحال بدأت المصاعب تعترض سبيلهُ . ففي كثير من الاحيان كان زجاج الانبوب يمتص اشعة اكس الموجهة في شعاعة الى البلورة خارجهُ . فاصطر ان يفتح في جانب الانبوب فتحة خاصة لخروج الاشعة . ولكن كان يلزم ان يعطيها بمادة لا تمتص الاشعة وتقفل الفتحة قفلاً محكماً . لان الانبوب يجب ان يكون مفرغاً في داخلهِ . فاتخذ قطعاً من غشاء رقيق جدًّا من امعاء الثور واستعملهُ لهذا الغرض . ولكن صغط الهواء من الخارج عليهِ وفراغ الانبوب من الداخل كان يمزق الغشاء فكان موزلي يعيد قفل الفتحة بقطعة اخرى منهُ ويعيد افراغ الانبوب من الداخل ويبدأ بتجاربه من جديد — عمل مملٌّ يثير الاعصاب ولا يقوى عليهِ الاَّ شغوف بالبحث . ولما طنَّ انهُ قد تغلّب على كل المصاعب وجد ان لابدَّ من وضع كل الادوات التي يستعملها في تجربتهِ في اناءٍ مفرغ منعاً لا متصاص اشعة اكس . فقام بما هو مشهور عنهُ من الهمة والذكاء بهذا العمل المعقّد

وقضى ستة اشهر لا يعرف للراحة معنى فتمكن في خلالها من درس ٣٨ عنصراً بهذه الطريقة — من الالومنيوم الى الذهب — فوجد ان كل عنصر يولّد اشعة اكسية مختلفة في طول امواجها عن الاشعة التي يولدها عنصر آخر . ووجد انهُ كلما زاد وزن العنصر الذرّي قصرت موجة الاشعة الاكسية التي يولدها وزادت قوة نفوذها للاجسام . ورتب نتائج مباحثهِ في رسوم بيانية فوضع للعناصر ارقاماً تقابل مكانها في جدول منديليف الدوري ووضع امام كل رقم منها مقلوب الجذر المكعب لاطوال اشعة اكس الخاصة بكل عنصر تقابله فثبت له انهُ اذا رتبت العناصر بحسب طول الامواج في اشعة اكس الخاصة بها صار في الامكان تعيين العدد الخاص لكل عنصر منها لان هذا العدد يكون كالجذر المالي من طول

الامواج بالقلب وهو دائماً عدد صحيح . واطلق على هذه الاعداد اسم «الاعداد الذرية» وهي من ١ الى ٩٢

بعد ذلك عاد موزلي الى اكسفرد ليسكن مع والدته : فاعدَّ لهُ الاستاذ تونر بد غرفة خاصة للبحث في معملهِ الطبيعي حيث تمكن من العمل في هدوء واستقلال . هنا تمّ بحثهُ الخطير اذ قال لنفسهِ : — ما هو المعنى الذي تدل عليهِ هذه الارقام وهذه البيانات ؟ فسمع الطبيعة تهمس في اذنيهِ : — ان في الذرّة « كمية » اساسية تزداد ازدياداً مطرداً منتظماً كلما انتقلنا من عنصر الى العنصر الذي فوقهُ ! ان هذه « الكمية » لا بدَّ ان تكون الشحنة الكهربائية الايجابية على نواة الذرّة

وفي سنة ١٩١٢ لما كان موزلي في السادسة والعشرين من عمرهِ اذاع نتائج بحثهِ ملخصاً اياها في ما دعاهُ « ناموس الاعداد الذرّية » وهيَّأ للعناصر جدولاً جديداً اقرب الى طبيعة العناصر الاساسية من جدول مندليف ونفح العالم بخريطة لعناصر الكون مبنية على الاعداد الذرية الاساسية لا على الاوزان الذرية . كان جدول مندليف قد خدم العلماء خمسين سنة وها هو ذا شاب المعي يبني خريطة جديدة لتكون مفتاحاً جديد للعلم

فالايدروجين في جدولهِ كان العنصر الاول وعددهُ (١) والاورانيوم العنصر الاخير وعددهُ (٩٢) . وليس وراء الاورانيوم عنصر آخر . هذه هي المرة الاولى التي يجرؤ فيها عالمٌ على التصريح بمثل هذا . فموزلي قال انهُ لا يوجد في الكون عنصر غير هذه العناصر الاثنين والتسعين . وكان الباحثون في نصف القرن السابق قد اكتشفوا نحو سبعين عنصر لتنزل في ١٦ مكاناً من الاماكن الخالية في جدول مندليف . فاثبت موزلي بناموسهِ وجهازهِ ان معظم هذه العناصر ليس عناصر قط . كعنصر « بيوبيوم » الذي اكتشفهُ اوغاوى الياباني ليحلّ في المحل الفارغ من الجدول الدوري الذي بعد المنغنيس فاثبت رمزي ان هذه الدعوى فاسدة . وطلَّ الامر معلقاً . الى ان جاء موزلي فاخذ لوحةً منهُ وصوّب اليها الكهارب في انبوب كروكس وصوّب اشعة اكس المتولدة منها الى بلورتهِ وسبكترسكوبهِ فاستخرج لهُ عددهُ الذرّي ووجد ان لامكان لهُ في « جدول الاعداد الذرية » . وهكذا بنى وجود عناصر الكوروبيوم والنبيوليوم والكسيونيوم والاستيريوم

اضف الى ذلك ان جدولهُ احدث اتساقاً في ترتيب العناصر لم يكن ممكناً من قبل في جدول مندليف . فوجد مثلاً ان عدد الوتاسيوم الذرّي ١٩ وعدد الارغون ١٨ مع ان المعروف عن وزنيهما الذريين يجعل ترتيبهما عكس ذلك . وهكذا صحح مواقع الكوبلت والنكل . واليود والتلوريوم في الجدول مثبتاً ان الاعداد الذرية هي اشياء اساسية في الطبيعة لان الاخذ

بها حلَّ كثيراً من المشكلات القديمة وكشف عن كثير من المجهولات

ولما سمع الاستاذ جورج اربان Urbain الاستاذ في جامعة باريس بنبإ اكتشاف موزلي هرع الى اكسفرد للاجتماع به. فاربان المثّال والموسيقي والثقة في العناصر النادرة كان قد تحير في بعض العناصر التي عثر عليها في الركازات السكندیناوية وفي رمال كارولينا الشمالية وبعض غرابيت جبال الاورال . فبين عنصري الباريوم والتنتالوم كان خمسة عشر عنصراً متشابهة الصفات حتى يكاد يتعذر فصل الواحد عن الآخر . وهذه العناصر الخمسة عشر تعرف « بالاتربة النادرة » . واجه منديليف مشكلتها لما شرع في اعداد جدوله الدوري فقال ان تعيين موقعها من اصعب المسائل في الجدول الدوري لانهُ لم يجد لها مقاماً فيه

ولم يوفَّق بعدهُ احدٌ لحل مشكلتها. فقال كروكس : ان الاتربة النادرة تحيرنا في مباحثنا وفي نظرياتنا وتقلقنا في احلامنا . انها تمتد امامنا كبحر مجهول ، هازىء ، مضلّل ، متمم رؤى وممكنات غريبة »

اما جدول موزلي فكان فيه امكنة لكل هذه العناصر من عدد ٥٧ الى ٧١ وكان وجودها هناك طبيعيًّا لا تعمُّل فيه ولا اصطناع . فدرسهُ لطيوف اشعة اكس التي تولدها هذه العناصر حلَّ هذه المشكلة القديمة المعقده. وهذا في حد ذاته عمل علمي عظيم

وذهب اربان الى موزلي واعطاه كتلة من الركاز امترجت فيها مقادير ضئيلة جدًّا من عدد مجهول من عناصر «الاتربة النادرة » وقال له قل لي ما هي العناصر التي في هذه الكتلة فلم يطل موزلي انتظار الاستاذ . بل تحول الى جهازه العريب ومضى في عمليته بالطرق التي وصفناها فوق ثم عمد الى دفتره وقام ببضعة حسابات رياضية معقدة ثم التفت الى الحكيم الفرنسي مبيناً سرَّ الكتلة الصغيرة التي قضى في مرجها شهوراً — اذ قال لهُ ان العناصر التي فيها تمثل الاعداد الذرية ٦٨ و ٦٩ و ٧٠ و ٧١ وهي عناصر الاربيوم والتوليوم والاتربيوم واللوتيسيوم

دهش اربان — ولكنهُ اراد ان يمتحن العالم الانكليزي بسؤال اصعب وأدق . فالتفت اليه وقال : هل تستطيع ان تبين لي المقادير النسبية في هذه الكتلة من العناصر المختلفة التي تتركب منها ؟ وجه اليه هذا السؤال وهو يظن ان هنا حجر العثرة . ولكن موزلي اجاب بدقة تركت العالم الفرنسي مشدوهاً فعاد الى فرنسا يتعى بألمعية هذا الفتى . فلما اتصل به نعى موزلي كتب الى السر اريست رذرفرد ذاكراً زيارته له في اكسفرد قائلاً : اني عجبت واعجبت لما زرته في اكسفرد اذ وجدت شابًّا حديث السن قادراً على ان يتم عملاً عظيماً كهذا . ان ناموس موزلي حقق في بضعة ايام نتائج بحثي المتواصل مدى عشرين سنة »



المعركة اليومية في الجسم البشري

قائد في معارك الصحة والمرض رسم خطط الهجوم والدفاع

للدكتور علي توفيق شوشه بك مدير معامل الصحة العمومية (١)

بدأ الدكتور شوشه بك محاضرته بتعريف العدوى والمرض بقوله ان المناعة اما طبيعية وراثية — كالامراض الطفحية التي تصيب الانسان ، مثل الحصبة والحمى القرمزية ولا تصيب سائر الحيوانات وكذلك بعض امراض تصيب الحيوانات كالطاعون البقري وكوليرا الخنازير ولا تصيب الانسان — او مناعة جنسية — كالحمى القرمزية فهي لا تصيب الاجناس ذوي البشرة السوداء الا نادراً مع ان الاجناس البيضاء شديدة التعرض لها — او مناعة فردية — كالحمى الاسبانيولية تدخل بيتاً واحداً فيصاب بها بعض افراد الاسرة ولا يصاب البعض الآخر رغم اتصالهم المباشر بالمصابين — والمناعة الفردية ليست مطلقة بل هي نسبية تختلف باختلاف الاحوال والطوارىء وتتوقف على الاستعداد الشخصي وقوة مقاومته للمرض وهذه المقاومة تتأثر بعوامل جوية كثيرة كالحرارة والبرد والجوع والتعب. ثم انتقل الى الاحوال الموائمة لنماء الميكروبات وتكاثرها او لاضعافها وابادتها. ووصف العداء بين الجسم والميكروب وان الجسم «يشمه في تكوينه ونظامه احدى ممالك العالم لانه يتكون من خلايا اشبه ما تكون بالكائنات الحية ... وكما ان لكل مملكة حدودها الطبيعية من جبال وسواحل بحرية وحيوش تمتاز ووسائل ممنوعة لصد العدو او الفتك به — كذلك مملكة الجسم لها حدودها ... ووسائلها في الكفاح والقتال». ثم وصف الحواجز التي تمنع وصول الميكروبات الى داخل الجسم واهمها الجلد والغشاء المخاطي والاهداب في بعض التجاويف التي تتحرك حركة موجية فتقذف ما يستقر عليها من الميكروبات والاجسام الغريبة واجهاز المعدة والامعاء. ولكن اذا نفذت الميكروبات هذه الحواجز ودخلت الجسم فما هي العدة التي اتخذها الجسم لمكافحتها — هذا موضوع الجانب الثاني من المحاضرة والى القراء بعضه :

﴿ الخلايا البالعة ﴾ الجسم البشري كسائر الكائنات الحية يخضع لقوانين الطبيعة . وكل كائن حي يعمل لحل وهضم كل ما يدخل اليه من مواد عضوية او غير عضوية وذلك بواسطة عملية الهضم وتحويل هذه المواد الغريبة الى اخرى تدخل في تركيبه او ببنائه . هذه العملية تشاهد في ابسط صورها في الحيوانات المركبة من خلية واحدة وهي التي نسميها الاميبا. فهذه الاميبات تزحف بواسطة ارجل تطلق عليها اسم الارجل الكاذبة جادّة في البحث عن غذائها المكوّن من الميكروبات والطحالب فتأخذها في داخلها وتهضمها . ولما كانت عملية الاغتذاء هذه قاصرة على الالتهام فالبلع فقد اطلقنا عليها اسم الخلايا البالعة او البلعميات كما اننا اطلقنا على هذه العملية اسم «البلعمة»

(١) من محاضرته في مؤتمر المجمع المصري للثقافة العلمية وقد نشرت رمتها في كتاب المجمع السنوي

وليست عملية البلعمة قاصرة فقط على هذه الحيوانات الدنيئة بل يكاد يكون في كل حيوان بعض من الخلايا ما زال محافظاً على هذه الصفة . فمثلاً توجد في جسم الانسان خلايا الدم البيضاء والخلايا المبطنة لتجاويف البطن والصدر والاوعية الدموية والليمفاوية وهي خلايا لها قدرة على التهام الاجسام الغريبة وبلعها وهضمها . اما وقد عرفنا انهُ يوجد بالجسم خلايا لها قوة بلع المواد الغريبة عنهُ فلنعد الآن الى نقطة دخول الميكروبات الى الجسم

دعونا اذن نتصور ان واحداً منا قد وخزتهُ ابرة، فاذا كانت الابرة نظيفة فان الانسان يشعر فقط بالالم الوقتي ومن ثم يلتئم الجرح وينتهي الامر . ولكن الحال تختلف اذا كانت الابرة ملوّثة تحمل بعض الميكروبات وقدر لها ان تنفذ من الجلد الى داخل البدن فاذا كانت هذه من الميكروبات الباطلة الرمامة التي تتغذى على المتخلفات النباتية او الحيوانية هان الامر لانها تموت او تتحلل بواسطة خلايا الجسم الحية اما اذا كانت من الميكروبات الرصية التي تتذوق الدم وتستمرئه وتعرفت حلاوة ما يحتويه البدن من محاسن العداء فاستطابتهُ وتعففت عن غيره من الطعام — نقول اذا كانت كذلك فلها شأن آخر اذ لا يمكن لخلايا الجسم ان تتخلص منها بسهولة لانها تتميز عن تلك بسمومها التي تراحم بها الخلايا فتعطلها وتشلها عن القيام بواجبها

﴿الحرب بين الميكروب والخلايا﴾ وصل بنا الحديث الى ان الميكروبات وهي اعداء الجسم قد تمكنت من اختراق الحواجز الامامية والاستقرار في الجسم ولم يبق امام قوة الدفاع وهي الخلايا الا ان تمتشق حسامها وتخوض غمار حرب ضروس لا رحمة فيها ولا شفقة، حرب للحياة او للموت، لا تختلف في معداتها وآلاتها عن حرب الجيوش البشرية كما ان جنودها لا تنقصهم آيات البطولة والتضحية والآن اسمحوا لي ان اروي لكم قصتها كما نراها تحت الميكروسكوب

تدخل الميكروبات مملكة الجسم فتجد نفسها في ارض جديدة غريبة عنها فتجمع امرها وتلمّ شملها ثم تسطو على الخلايا المجاورة لها تنتزع منها غذاءها ثم تتكاثر على طريقتها بالانسلاق الى اثنتين ثم الى اربع وهلمَّ جرًّا وبعد ذلك الاستعداد تبتدىء في هجومها فتنفث من احشائها سمًّا قاتلاً ترمي بهِ افراد المنطقة التي احتلتها، واذ ذاك لا تستطيع الخلايا ان تقف مكتوفة اليدين بل تعمد على الفور للدفاع عن نفسها فتقذف عليها سيلاً من المصل الدموي يهون من مفعولية هذا السم ويخفف من حدتهِ . ثم تتحلى المعركة الاولى عن قتلى واشلاء من خلايا الجسم ، ثم تتحلل هذه الاشلاء الى عناصرها الاولية كما يتحلل كل حي عند مماتهِ وتحملها مياه الوطن الى كل جهة من جهاتها كانها نذير بالخطر الذي يتهدده وبالكارثة التي

حلت به ، ولا يلبث ان نرى الحماة تخرج من معاقلها وما تلك الحماة وما هؤلاء الجنود الا الخلايا البيضاء او البلعمات التي ذكرناها والتي يقع عليها عبء الدفاع عن ارض الوطن اذا لا يمضي زمن طويل حتى تتعدد الاوردة الشعرية فيزيد مقدار الدم صوب المنطقة المصابة وعند ما تصل البلعمات السابحة في مجرى الدم الى تلك المنطقة تنتقل اليها وتدخل الى ميدان القتال زاحفة كما يزحف الاميبا فرادى في اول الامر ثم جماعات بالمئات وبالالوف ، وعندئذ تصبح الحرب سجالاً فالميكروبات تنفث سمومها والجسم يعرقل عملها بسيل من المصل فتنفتح المنطقة المصابة وتحمر وذلك ما تعرفونه بالالتهاب . ثم تقترب البلعمات رويداً رويداً من العدو وتأتيه من امامه ومن خلفه ومن الجناحين وتحوطه من كل النواحي ، ثم يأتيها المدد من آن لآخر فتزداد عدداً وتشتد حصاراً عليه ثم تبني سوراً منيعاً حوله يفصله عن باقي الجسم والى هنا تكون قد انتهت المناوشات والمناورات وتبتدئ بعدئذ المجزرة البشرية فتتقدم كل بلعمة الى الميكروب الذي امامها تطبق عليه بجسدها حتى تبتلعه في جوفها لتقتله وقد ينجح الكثير من هذه البلعمات في قتاله وقد يموت البعض شهيد الواجب

ولكن العدو لا يستسلم لليأس ولا يسلم بسهولة بل يعود الى تنظيم صفوفه من جديد بعد ان يملأ ما بمحاربين آخرين بدل العشرة مائة وبدل المائة الفاً هذا من ناحية الميكروب اما من ناحية الخلايا فانها ايضاً تصلها النجدة والمدد وتستأنف المعركة من جديد على اقصى ما يكون من الشدة ، ولكن الى متى تستمر فرق الجيوش امام بعضها بعضاً تتطاحن وتتقاتل بل الى متى تحتمل المملكة هذه الحرب ؟ لا يمكن ان تستمر الحال طويلاً وادن لا مندوحة من التعبئة العامة لكل محارب وكل من يمكنه حمل السلاح

الآن تهرع كل بلعمات الدم الى القتال على جناح السرعة وتخرج الرديف منها والمخزون من مستودعات الطحال ونخاع العظام الى ميدان القتال — وهنا نسمع دقات ناقوس الخطر و« الجسم في خطر »

لقد حشد الجسم الآن آخر رجل في تكناته للقيام بآخر مجهود فاما نصر واما هزيمة وهل يتم له النصر يا ترى ، من يدري ربما كان كذلك لان العدو وان كان قد زاد عدداً الا انه لم يتوغل كثيراً في ارض الوطن بل اصبح محصوراً في مكانه

واذا كانت مملكة الجسم قد حربت حرب الخنادق ولم تفاجأ فيها كثيراً فلم يبق بدٌّ من تغيير خطة الحرب كما يفعل كل قائد ماهر في مثل هذه الاحوال

الآن تبتدئ المملكة في تضحية جزء منها لكي يسلم المجموع ومن ثم يقع تنفيذ هذه المهمة على عاتق البلعمات ايضاً فهي تبتدئ في اتلاف النسيج المصاب اولاً بقتل الخلايا

وثانياً بهضمها وتحويلها الى عصيدة سائلة فينشأ عنهُ تجويف مملوء بهذا السائل — اوتعلمون ما هو هذا التجويف ؟ هو الحراج الذي يطهر في موضع حصار الميكروبات ، والسائل هو دلك الصديد الاصفر المكوّن من انسجة مهضومة وآلاف من البلعمات وملايين من الميكروبات ، ثم يأخذ هذا الحراج في الازدياد وكلما ازداد حجماً ازداد ليناً وميعاناً حتى اذا لمس احس الانسان بترجرج السائل فيهِ . وليت عمل البلعمات يقف عند هذا الحد بل انها تتجه صوب الجلد فتتلفه وتهضمه من اسفل حتى ترق طبقته وتحدث ثغرة فيه فيندفع الصديد الى الخارج ومعهُ الميكروبات

الآن والآن فقط قد طرد العدو خارج المملكة بعد معركة حامية كان النصر فيها عالياً فقد كلفها ثمناً عالياً وتضحيات في افرادها ولكن كل دلك يهون ما دامت المملكة قد انقذت

وهنا يهدأ بال الجسم على مصيرهِ وكيانهِ ولكن البلعمات — هؤلاء الحماة الاشداء لا يهدأ لهن بال وفي الجسم جراح فيعمدن الى عملية الاندمال لانهن ابناء المملكة البررة وعدتها في الحوادث والملمات ويجب عليهن ان يطهرن ميدان القتال من جثث اعدائها ومن اشلاء مواطنيهن حتى يمكن للجلد ان يتجدد ويسد الثغرة ويكون دلك باحداث ندبة تبقى على ممر السنين والاعوام كنصب تذكاري ينبئ بمكان المعركة والنصر الذي فاز بهِ الجسم صد اعدائهِ المغيرين

بعد ما وصفت لكم المعركة الاولى قلت لكم ان البلعمات تهترب رويداً رويداً من العدو وتأتيه من امامه ومن خلفه ومن الجانبين وتحوطه من كل النواحي وتحاصره الى ان تبنى من نفسها سوراً منيعاً حوله يفصله على باقي الجسم ولكنهُ قد يحدث ان يكون العدو من شدة البأس والقوة ما تمكنهُ من ان يحطم جزءاً من هذا السور وتتسلل بعض جنوده الى داخل المملكة فما العمل اذن — هل تتركه المملكة يتسلل في احشائها فيعيث في البلاد فساداً يودي بحياة كل من يقابله في طريقه من الاحياء — ام هل اتخذت المملكة اهبتها لمثل تلك الكوارث — نعم — انها لم تكن غافلة عن دلك منذ نشأتها لان في داخليها حصوناً وقلاعاً ملأى بالجنود على اتم استعداد لمثل هذا اليوم العصيب وتلك الحصون والقلاع هي العدد اللمفاوية المنتشرة في جميع انحاء الجسم على طريق المجاري اللمفاوية ، فاذا ما اخترق العدو حواجزها الطبيعية وتخطى خط الدفاع الاول فان مجاري الليمفا تحمله اليها ويلاقي حتفه فيها وذلك لانها عبارة عن تكنات ملأى بالبلعمات المقاتلة

ولكي اقرب ذلك الى الفهم اقول ان اغلبكم يعلم انهُ عند حدوث بعض الجروح في اليد او الذراع ينشأ عن ذلك ورم صغير مؤلم تحت الابط وما ذلك الورم الصغير الا عبارة عن غدد ليمفاوية تهيء نفسها للدفاع عن الجسم فتمتلأ البلعمات التي تقف في سبيل الميكروبات المغيرة عليهِ

ولكن قد يحدث ان العدو، بفضل قوته وضعف مقاوميه قد يتخطى ايضاً حط الدفاع الثاني كما يحدث احياناً في الحروب البادية اي ان القلاع (العدد الليمفاوية) لا تقوى على صد غارات الاعداء المهاجمة، فاذا يكون العمل بعد ان اصبح العدو الآن حرًّا طليقاً في حركاته، لا حدود امامهُ تقاتله ولا حصون تعرقلهُ، بل هو ينساب في البلاد سارّاً في طرقها الرئيسية اي في الاوعية الدموية ملتمساً الغذاء والحياة لينمو ويتكاثر فيها . ادن الويل الويل لهذه المملكة البائسة التي تصبح فترى ان في كل زاوية من زواياها وفي كل مقاطعة من مقاطعاتها اجنبيًّا يدبقها الهلاك والردى

ولكن اذا كان هذا هو الحال في ممالك الامم الا انهُ ليس كذلك في مملكة الجسم البشري القوية المنظمة وما ذلك الا لانهُ لم ينصب بعد معين دفاعها ومازالت تحتفظ بوسائل اخرى للدفاع — ان في دمها الذي يجري من قمة رأسها الى اخمص قدمها ومن طرفها الايمن الى طرفها الايسر من الوسائل ما هو اشد قوة واكثر فعلاً من الوسائل الاخرى التي شاهدناها الى الآن وهذه الوسائل المدخرة للايام العصيبة اي عند ما يتسمم الدم وتتسعر النيران فيه — قلت الدم والاخرى نا ان بهول مصل الدم اي ذلك الجزء المائع منهُ الذي يمكن فصله بعد تجزئه من الخلطة الدموية - ان هذا المصل يحتوي على مواد مهلكة تبيد الميكروبات سماها العلامة (بوخنر) الذي كان اول مكتشف لها (الالكسين) والتي يمكن ان يعبر عنها بالعربية بالمواد الداحرة وبالطبع لا يمكننا مشاهدة عملية قتل الميكروبات كما نشاهد ظاهرة الدامات تحت الميكروسكوب ولكن يمكن تتبعها بواسطة التجربة وذلك انهُ اذا اخذنا جزءا من المصل الدموي وأضفنا اليه قليلاً من الميكروبات الحية ثم اخذنا من هذا الخليط نماذج في فترات متعددة وزرعناها على البيئات الملائمة لنمو هاته الميكروبات رأينا ان عدد الميكروبات النامية على المستنبت يقل شيئاً فشيئاً حتى ينتهي الامر الى عدم العثور عليها لانها تكون قد ماتت وأبيدت من جراء تأثير المصل فيها — كذلك توجد في المصل مواد اخرى اقل فعلاً من المواد الداحرة وهي لا تهلك الميكروبات وتقتلها ولكنها تشل حركتها فقط وتجمعها بعضها على بعض كتلاً كتلا مدة اياما من المرح داخل البدن وفي الوقت نفسه مسهلة للدامات الهامها وتدميرها — هذه المواد هي التي اكتشفها كل من «حرور وده هلم» ويطلق عليها اسم (الاجلوتينات او الملرنات)

﴿ الوقاية النوعية ﴾ ان البدن لا يقف حيال العدوى عند حد الاستعانة بوسائله الطبيعية في مكافحتها بل هو قادر ايضاً على تجديد ما فقده من المواد الواقية ومن اللدامات المكافحة التي تكون قد سقطت في ساحة القتال اثناء الدفاع ولكن عملية التجديد لا تقف

عند حد الاستعاضة فحسب بل انها تنزع في العادة الى التعويض المفرط — وانهُ لمن اعجب النظم في الكائنات الحية ما نشاهدهُ فيها عند مقاومتها للعدوى كيف انها تتعلم أن تقاوم بنوع خاص صنف هذه العدوى . فمثلاً اذا كانت العدوى حمى تيفودية وجه البدن كل قواه الى تحضير المواد الواقية ضد ميكروب التيفود وان كانت العدوى كوليرا مثلاً قام البدن بتحضير المواد الواقية ضد حمات الهيضة الاسيوية وهكذا اي ان الوقاية تصح كما يعبر عنها « وقاية نوعية »

﴿ الخلاصة ﴾ والخلاصة اننا حقًّا مدينون الى مقاومة وقدرة خلايا الجسم والحري الى الخلايا الاكالة (اللعمات) في الدفاع ضد الميكروبات وسمومها القتالة . وهذه الخلايا لا تقوم بعملها الجليل الذي وصفناه الاَّ لان تلك هي وظيفتها التي اختصت بها بين افراد مملكة الجسم البشري ولولا هذه الاداة الواقية لاندثرت البشرية منذ زمن طويل

ولقد عرفتم الآن كيف ان الجسم يبيد في حياته اليومية الملايين من الميكروبات من دون ان نشعر بذلك ومن دون ان يعلن عن نفسه او يفتخر بعمله انهُ في حرب صباح مساء مع اعدائه مضحياً بالآلاف من افراده في سبيل الحياة ، ولكنني اشعر انكم تتساءلون فيما بينكم قائلين اذا كان الامر كذلك فلماذا اذن تحدث الامراض المعدية بكثرة . ولماذا تنتاب الانسان الاوبئة بين حين وآخر — والجواب على ذلك هو انهُ في بعض الاحيان يكون هجم الميكروبات بشدة وقسوة بحيث يحرّ الجسم وريسة امامها قبل ان تأتيه النجدة من جنوده . على انهُ اذا كان هناك سبب آخر يجب ان تعرفوه وتتخذوا الحيطة لهُ فذلكم السبب هو تقصير الجنود ونقص مهمات الدفاع والكفاح . والمعروف ان نقص وسائل الدفاع يكون عادة في الممالك الضعيفة وكذلك الحال في مملكة الجسم الضعيفة فان وسائل الدفاع لديها تكون ايضاً ناقصة — اولا تلاحظون ان نسبة الامراض المعدية بين الفقراء اكثر منها بين الاغنياء — ولمَ ذلك ؟ اليس لان افراد هذه الطبقة هم بكل اسف ضعاف في تركيب بنيتهم ، ضعاف في احسامهم لسكناهم في المازل الضيقة التي لا تتخللها الشمس ولا يدخلها الهواء ، ضعاف لغذائهم القليل الضئيل ضعاف بتعبهم ونصبهم في الاعمال الشاقة المضنية التي يحب ان يقوموا بها لكسب معاشهم . فاذا عرفنا ذلك اصبح لزاماً علينا ان نقوّي اجسامنا ونزيد في مكانة ابداننا كي نعطي جنوده القوة والنشاط للكفاح والدفاع

فالى العمل بنظام والى الراحة بقسط وافر ، والى الخلاء حيث الشمس والهواء ، والى الرياضة البدنية حسب مقتضيات المزاج — اننا بهذه الوسائل نكون حقًّا قد قمنا بالواجب علينا نحو اجسامنا وهيأناها للدفاع عن اعدائها



لورنس في الميزان

للدكتور عبد الرحمن شهبندر

معرفة لورنس بالعربية

اللغة العربية اصعب على الاوربيين من اللغات الاوربية على ابناء العرب . ولئن قام عدد من المستشرقين يجيدون اللغة العربية في المحابر وبين طيات الكتب فان الذين يعرفونها منهم حية في الافواه قليلون . ولم يهتم لورنس لعربية «ضرب زيد عمرواً» اهتمامه لعربية القبائل في المضارب . واذكر اني سمعتهُ مرة واحدة يبحث عن اصل كلمة عربية في المعاجم وذلك عقيب ليلة في القاهرة قضاها في فندق كبير مُسِيءٍ ولم يذق فيها طعم الكرى من شدة اللدغ فقلت لهُ ان الاحياء التي تعيش طفيلية على غيرها ثقيلة ومزعجة خصوصاً ما كان منها من دويبات المراشف التي تمتص الدماء الزكية فاقرَّ كلامي وقد زعم ان البقّ لم ينتقل وحده من الشرق الى العرب بل نقل اسمه معهُ الى بلاد الانكليز . واخبرني المجاهد السوري الباسل نزيه بك المؤيد العظم انهُ سمع لورنس يتكلم العربية مع قبائل الحويطات في سنة ١٩١٨ وكانت لهجتهُ بدوية قلّما يجيد مثلها اجنبي ولعل ذلك نشأ عن تمرينهِ المديد في ايام الثورة . وهذا ما كتبهُ لورنس عن معرفتهِ باللغة العربية في كتاب ارسله الى صديقهِ جريمر :

« قرأت وانا في جامعة اكسفورد قبل سفري لاول مرّة كتيباً في النحو العامي وفي غضون السنين الاربع التي تلت ذلك اضفت الى هذا الموجز النحوي معجماً لا يستهان بهِ من كلمات دات فائدة في الابحاث الاثرية اجمالا — اربعة آلاف كلمة

« ثم اني في السنتين الاوليين من الحرب ما تكلمت كلمة واحدة من هذا المعجم تقريباً، وبالنظر الى اني لم اتعلم احرف الكتابة والقراءة — ولمّا اتعلّمها — فاني كدت انسى هذا المعجم كله بطبيعة الحال . فلما انضممت الى «فيصل» كان عليَّ ان اباشره من جديد بلهجة جديدة مختلفة كل الاختلاف . وباتساع حملتنا كنت انتقل من لهجة الى اخرى بحيث اني لم استقر في مكان لاتعلّم واحده منها على الاصول . وكذلك فان تعلمي كان بطريقة الاذن — من غير علم باللغة المكتوبة — فكان تعلمي خطأ وكان اساتذتي خدّامي فكان في

انفسهم من الحرمة لي ما منعهم من الاستمرار على تنبيهي الى اغلاطي وقد استسهلوا ان يتعلموا عربيتي على ان يعلموني عربيتهم واحياناً كان تحت تصرفي اثنا عشر الف كلمة وهذا معجم لا بأس به في الانكليزية ولكنهُ لا يكفي في العربية . لانها لغة واسعة جدًّا . وكنت أركب هذه الكلمات بعضها مع بعض بصرف ونحو من اختراعي . وقد دعا فيصل عربيتي (تشرُّداً مستمرًّا) فكان يستغربني للكلام تلدُّداً ولم اسمع في حياتي رجلاً انكليزيًّا اتقن اللغة العربية اتقاناً يوهم سامعيهِ لمدة خمس دقائق انهُ من ابناء قطر من الاقطار العربية »

خطط لورنس الحربية

تحاور عدد الجيش العثماني في شمال الحجاز في المدينة وما يتصل بها من المواقع السكرية على السكة الحديد الحجازية الى محطة (تبوك) ثلاثين الفاً، وكان هذا الجيش مزوّداً بأمضى السلاح ولا سيما بالمدفعية السريعة الطلقات البعيدة المرمى مما كاد يثني عزم الدول عن النصيّ في الحرب مع الحلفاء ، وكان على قيادته رجل عيد من اهل الشكائم المستعصية التي لا تخضع للنصيحة عرفته في دمشق واسمه فخري باشا ، وقد استحوذت عليهِ وعلى رهط الاتحاديين من زملائه الاعتبارات السياسية فصرفت ادهانهم عن الاعتبارات الفنية لانهم صموا آذانهم عن سماع التقرير المهم الذي رفعته هيئة ضباط الاركان حرب التي امّت (المدينة) في سنة ١٩١٧ بعد ما درست وضعها الحربية درساً فنيًّا دقيقاً فكانت النتيجة التي اوصت بها وجوب اخلاء (المدينة) والمواقع السكرية على خط السكة الحديد حتى (معان) واستخدام هذا الجيش اللجب في تأييد الحملة على مصر عبر ان الدين استولت عليهم فكرة « الجامعة الاسلامية » الليدة تعذرت عليهم رؤية النتائج المضرة التي يجنيها اهل العز فاستسلموا للعاطفة بدلا من التسلم للمنطق ووصلوا ان يطمروا جيشاً قويًّا تحت جدران (المدينة) ارضاء للمتحمسين على سحبه لتقوية الجبهة في سيناء وادكانت فرنسا تصد الالمان حلفاء المسلمين عن اراضيها بالتونسيين والجزائريين والمراكشيين وانكلترا تفتح عاصمة العباسيين بالهنود وتشن الغارة على فلسطين بواسطة سكة حديدية بناها المسلمون كان الجيش العثماني في شمال الحجاز يموت من الجوع والمرض في سبيل فتوى اصدرها خير الدين افندي الاركوبي من الاستانة « بالجهاد المقدس » . وهكذا حقق فؤاد هذا الجيش واطعمهم الملتهبة الحطة الباردة التي احتطها لورنس تحقيقاً تامًّا قال لورنس في كتابه « ثورة في الصحراء » صفحة ٦٦ وعليا ألاّ نكتسح (المدينة) لان الترك لا يخشى منهم ضرراً ما داموا فيها وهم اذا كانوا في معسكرات الاسر في مصر كلفونا طعاماً وخفراً . ويهمنا ان يبقى اكبر عدد منهم في (المدينة) او في اي مكان

سحيق آخر وامنيتنا هي ان تستمر سكتهم الحديد على عملها البسيط بعي ان تبقى في قيد الحياة فقط مع اكبر خسارة يتحملونها وارتباك يعانونهُ . وتجرهم حاجتهم الى الطعام على ملازمة السكة الحديد، فأهلاً بهم وسهلاً في مدة الحرب في سكة حديد الحجاز وفي سكة حديد شرق الاردن وفي سكة حديد فلسطين وسورية ما داموا قد سلموا تسعمائة وتسعة وتسعين جزءاً من الالف من مجموع العالم العربي . ومتى استجدَّ في التركي ميل الى الجلاء على عجل كي يتمكن من الارتكاز في البقعة الصغيرة التي يستطيع السلط عليها فعلينا حينئذ ان نعيد اليه ثقته واطمئنانه بتقليل الحملات التي نوجهها عليه فيكون حمقه والحالة هذه حليفاً لنا لان صالته المنشودة هي الاحتفاظ بما يمكن من ولاياته القديمة ، وهذا الفخر بميراثه الامبراطوري سيبقيه على وصعته الحاضرة السخيفة بعي انهُ كلهُ حواب معرّضة للهجوم من غير جهة امامية »

واوصل برهان يقدمهُ لورنس على نجاح خطته المستندة الى الضبط الحسابي البارد وفشل خطة الاتحاديين المضطرمة بنيران الاهمال الطليق من الوازع العقلي ان الثلاثة والعشرين الفاً من الجنود العثمانيين المقاتلين في (المدينة) في سنة ١٩١٧ اصبحوا في نهاية الحرب نحو اربعة آلاف اسير في مصر ، واما السكة الحديد الجحارية فقد اكلت الاحضر واليابس وكلفت سورية وفلسطين عاباتهما وحاباً كثيراً من اشجارها المثمرة وكانت للبدو مشعلة يلتهون بها ومخرباً يتصعون منهُ ومدرسة يتعلمون فيها الكر والفر

لورنس والحضر من اهل سوريا

لقد حمل (حريفز) على السوريين حملة منكرة ولم يكن لورنس راضياً عن الحضر اجمالاً بل كان قاسيا معهم بحب البدو ، وعندي ان هذا الحب كان من العوامل الكبرى التي ساقته رغم طبعه الملول القلّب الى السير في الحرب حتى النهاية . واني اخشى كثيراً ان يكون كل منهما قد بنى من الحوادث الفردية التي لقيها قاعدة عامّة فظلم شعباً بمجرد اختبارات موضعية شاذة ، وهذا كثيراً ما يصيب السياح ويعلل التناقض المعيب في الاخبار التي دوّنوها عن البلدان التي زاروها . فمن ذلك ان (لورنس) لما وصل الى (وادي السرحان) مع بعض رفقائه الدماشقة وذلك بعد انقطاع في البادية البيداء اسبوعين كاملين فرأوا الواحات الكثيرة والمياه القريبة من سطح الارض جاء واحد منهم اليهِ وذكر لهُ

الخطط الزراعية الواجب تطبيقها لغرس الاشجار واحياء الارض الموات وجمع الغلال لخدمة الحكومة العربية القادمة ! قال (لو...) في كتابه « ثورة في الصحراء » معقباً على هذه الخطط الوهمية « وان مثل هذا الخيال الوثاب هو من خصائص السوريين الذين يسهلون لانفسهم قبول الاحتمالات الممكنة ثم يتقدمون بمثل هذه السرعة ليلقوا على اعناق غيرهم التبعات الحاضرة العالقة باعناقهم » ثم قال لرفيقه السوري « يا فلان ان ساقتك تتثاقل بالجرب » فاجابه « نعم ويا للاسف ولكننا في المساء عند تمايل الشمس سنسرع في طلي جلدها بالمرهم » وفي اثناء الرحلة التالية ذكّره لورنس بالجرب فاجابهُ صاحبنا ان مسألة الجرب هذه ولّدت في نفسه فكرة جديدة كاملة وهي « ان الشام متى سقطت بايدينا اسسنا فيها دائرة رسمية للبيطرة نعتني فيها بالابل والخيل والحمير حتى الغنم والمعير مع هيئة من جراحين ماهرين وبني مستشفيات مركزية فيها طلاب للدرس في المناطق الاربع ويكون في جملة الموظفين مفتشون متنقلون ومحابر للبحث والتنقيب الخ . . الخ » . . اما الناقة التي كانت تقله فلم تكن قد حصلت بعد ويا للاسف على الاسعاف الضروري لها . وفي اليوم السادس هلكت

وعندي ان (لورنس) مفرط فيما ذهب اليه من ولع السوريين بالاوهام وفرارهم من التبعات ، بل دلتني تجاربي في البلدان الاجنبية التي زرتها على انهم ربما كانوا اقرب الى التطبيقات العملية من غيرهم . واني لا انكر ابداً ان بعض النفعيين الوصوليين منهم سواء كانوا في الوطن ام في المهجر لا يشرّفون سورية كثيراً وهم يستحقون المعائب التي الصقها بهم (حريفر) ولكن الذي لا يسمح به التاريخ ابداً هو ان تلصق مثل هذه الهنات الفردية بشعب كامل يطلب الحياة الحرة من اشرف وجوهها وقد بذل في سبيلها من الغالي والرخيص ما ينوء به اي شعب آخر في الشرق او في الغرب وقد رأينا في ايام الحرب العالمية بعض افراد في ارقى امم الارض كانوا عوناً لاعداء بلادهم عليها لكن حكمنا على تلك الامم لم يتغير ، لان العبرة بالشعب مجملاً لا بالافراد الشواذ . وفي الشرق اقطار تشكو من عقوق ابنائها الذين بنوا لحمهم وعظمهم ودمهم من ترابها ومائها وهوائها اصعاف اصعاف ما تشكو من جميع الاجانب النازلين بها

وعلى كل حال فالبدو الذين جاء (لورنس) لتحريرهم هم احرار في المهد ولا يقدر الحرية احد مثلهم وقد حادثت في الصحراء في سنة ١٩٢٦ زمرة منهم من قبيلة بني صخر عددهم خمسة فقلت لهم لو قدر لكم ان تعودوا الى عالم الذر ثم خيرتم قبل مجيئكم الى الدنيا فأي حياة تحبون البدوية ام الحضرية ؟ فأربعة منهم فصلوا البدوية من غير تردد وأجمعوا على ان البداوة اذا كان وراءها كفايتها — ابل وبيوت شعر واوطاب لبن ! — ضمنت للمرء استقلاله في منزله

وحريته في تنقله من غير اسر لاحد، وهكذا فشظف العيش مع الحرية اوقع في قلوبهم من اليسر مع الاسر

ومما تحس الاشارة اليه ان الكولونل لورنس اختلف في الرأي مع السوريين في (وادي السرحان) فقد ذهبوا الى وجوب ترك العقبة وشأنها والسفر توًّا من النبك حيث يقيم المجاهدون الدروز اليوم الى دمشق الشام ، لكن لورنس كان عالماً بوجود جيش لجب من الترك في حلب لاجل استرجاع العراق فاذا ما هدَّد العرب الشام زحف هذا الجيش بخيله ورجله لانقاذها ، اما الجيش البريطاني فكان مقيداً بجانب (عزة هاشم) لايستطيع حراكاً وازال الجنود في بيروت متعذر لفقد المواصلات ، وهكذا ارتأى (لورنس) ان مثل هذه الحملة التي اقترحها السوريون اذا ذهبت الى الشام باءت بالفشل واصمحلت معها الثورة العربية من الباب الى المحراب ، فاستعمل لورنس الدسائس لارجاعهم عن عزمهم ومما فعله انهُ قال لعوده اني تايه يا عودة اذا جعلنا دمشق هدفنا فان الكسب والشهرة يذهبان الى النوري الشعلان بدلاً منك وقال للشريف ناصر ان الواجب يقضي بمهاجمة العقبة ثم ملقه بالاشادة بأصله وشرف بيته وعرَّض بأصل السوريين على الطريقة التي تستفز العرب عادة وتثير الضغائن بينهم والتي كانت في تاريخهم وتاريخ حلافتهم بلاءً لا يعادلهُ بلاء . واخيراً تمثل هذه الاساليب التي جارت على البدو ولم يعطف لها السوريون تعلب رأيه عليهم ، على ان بعضاً منهم بقي مصرًّا على السفر تمالاً وطلب من (لورنس) اسعافه بالمال فوعده وهو غير مؤمن بنجاحه، ومما اشترطه عليه ان يعطي من المال الذي يحمله جزءاً للشريف (ناصر) ففعل وهكذا غادر هؤلاء المجاهدون وادي السرحان الى حبل الدروز فكان لهم مع « ابناء معروف» حديث طويل تحققت فيه نبوءة لورنس

تطوّح لورنس

قبلت الحكومة البريطانية المطالب التي تمسك بها الحسين بن علي وهي استقلال العرب ليس في الحجاز وما اليه من البلدان العربية القريبة فقط بل في اجزاء كبيرة من القطرين السوري والعراقي وحدَّدت هذا القبول بجملة معترضة هي السم في الدسم اذ قالت (من غير اخلال لمصالح فرنسا حليفتنا) وهذا الشرط الموصوع بين هلالين ستر تلك المعاهدة السرية المعقودة بين انكلترا وفرنسا وروسيا باسم معاهدة «سايكس — بيكو» وفيها تم الاتفاق على ضم بقاع واحداث مناطق نفوذ في بقاع اخرى . ولم يحجم (المستر جريفز) عند ذكرها ان

يقول « والواقع انها لا احتمال معها لتحقيق اية حرية صحيحة » ولم يكن المندوب السامي عالماً بها ولا الحسين بن علي. اما الاعتذار الذي قدَّمه بعض الكتَّاب عن هذا التناقض المعيب في السياسة البريطانية بقوله ان الذي حدث انما هو وجود دائرتين في وزارة الخارجية البريطانية استقلت كل منهما بواحدة من هاتين المعاهدتين من دون ان تكاشف الاخرى فهو من سقط الكلام ولا يليق ان يقال حتى عن الصين في اعظم ايام تكتمها وانتشار الفوضى في ربوعها ناهيك بأن ينسب الى اعرق دولة في التنظيم السياسي وانسجام الخطط الخارجية. ومما هو حري بالتدوين ان المندوب السامي البريطاني في مصر لما تناول امراً بعقد اتفاقه مع الحسين بن علي ارسل انذاراً الى حكومته شديد اللهجة قال فيه انها بتأييدها القضية الوطنية في بلاد العرب تعمل عملاً محفوفاً بأعظم الاخطار واشد المهالك لان حُرِّية العرب قد تنمو في احد الايام فتصير الغول الذي افترس صانعهُ في رواية (فرانكشتين)

ومن حمل الضرغام للصيد نازه تصيده الضرغام فيما تصيدا

فلما حدثت الثورة في روسيا في ربيع سنة ١٩١٧ نشر البولشفيك صورة هذه المعاهدة فتناولها الترك ووزعوها في الاقطار الحساسة ذات التأثير في المصالح الانكليزية. ورأيتها في القاهرة في تلك الايام (السير مارك سايكس) يعود من لندن ليخفف من سوء وقعها في الاوساط العربية وما قد تحدثه من رد الفعل فاجتمع بنا وبالمرحوم رفيق بك العظم وبآخرين من اخواننا فلم تكن دهشتنا من حديثه دون دهشته من قسوة اجوبتنا. وذكر (المستر جريفر) ان (نوري باشا السعيد) لما اطلع عليها دخل على (لورنس) وسأله اي العهدين سترتبط به انكلترا فاجابه بعد تردد بمساءٍ عميق ستحافظ انكلترا على كلتيهما لفظاً ومعنىً وان العهد المتأخر ينسخ المعاهدة المتقدمة

لكن تأمله المساءي من هذه المواربة اللفظية وخوفه من الغدر المصمر للعرب وقلة ثقته بالحضر من ابناء سورية والعراق والحكومات التي يؤلفونها كل ذلك في نظر (المستر جريفر) حمل لورنس على تطوح كاد يكون انتحاراً مقصوداً فغادر (وادي السرحان) في اليوم الثالث من يونيه (حزيران) سنة ١٩١٧ مع نفر من حرسه ولم يعد الاَّ بعد مرور اسبوعين زار في خلالها (دمشق الشام) ووصل في الشمال حتى (رأس بعلبك) وقد صرّح لكثير من اصدقائه عن هذه الرحلة التطوحية التي بلغت نحو اربعمائة ميل انهُ ما تستر في اثنائها قط بشيء سوى الظن بان مثل هذا الجنون لا يقدم عليهِ احد فيهِ مسكة من العقل على انهُ اضطر ان يؤجل رؤيته المواقع المحصنة الى وقت الطلام

والذي يلوح لي من جميع ذلك ان النفس الطموح الوثابة في (لورنس) كانت كلما

احست بفشل في الخطة او خيبة في الامل اقدمت على عمل اشد خطراً للتعويض عما شعرت بما لحقها من العيب . وقد قام يوسف بك العظمة وزير الحربية على عهد الحكومة الوطنية بدمشق بعمل فدٍ محفوف بالاخطار على هذا النمط فذهب الى ساحة القتال في (ميسلون) ووقف — وهو اكبر موظف في الجيش — في الصف الاول بين المحاربين يقاتل بمسدسه حتى قتل : انهُ فعل ذلك للهواجس النفسانية المرّة التي استولت عليهِ من بعد ما نشر خصومهُ في المراكز الدقيقة ان الجيش الذي يريد ان يحارب به اعظم دولة عسكرية على وجه الارض مسلح بخمسة آلاف بندقية وخمسين مدفعاً وان لكل بندقية مائتين واربعين رصاصة ولكل مدفع ثماني واربعين قنبلة فقط ! فنفسه الكبيرة لما شعرت بالتبعة العظيمة من كشف هذه الاسرار التي وصلت الى اذن الاعداء طلبت راحة لها في الاقدام وأعمال البطولة فذهبت الى ساحة المجد والشرف حيث تمتعت براحة الموت. وان انسَ لا انسَ وداعه لنا في مجلس الوزراء وذلك عقيب القرار السري الذي اصدره المجلس الحربي الاعلى برئاسة الملك بأن جيشاً هذا سلاحه وهذا عتاده لا يستطيع الوقوف في جبهة حربية لظامية اكثر من خمس دقائق. قال يوسف بك العظمة في جوابه عن هذا القرار « ابي بعد فضح اسرار الجيش لم يبق امامي غير الذهاب الى الجبهة فالوداع الوداع » . وذكر (جريفز) عن لورنس انهُ ما احجم عن الانتحار الاّ لان ذلك يكون افراطاً في الاهتمام بالموت وهو لم يرصه لنفسه بل حل ما سمح به هو ان يتعرض للخطر الدائم على ان يكون من السلامة قيد انملة فقط مع تمني الكارثة في كل حين

تقصير (لورنس) في بث الدعاية للجيش العربي

ومما يعاب على (لورنس) تقصيره في بث الدعاية للجيش العربي وسكوته العميق عن الثورة العربية وغاياتها في إبان اشتعالها . وهذا واضح لمن تتبع اخبار الحرب العظمى في المدوّنات وامهات الكتب فاذا ما ذكر الحسين واولاده والسوريون والعراقيون والبدو على ابواب (المدينة) او تخوم الشام فانما يذكرون على سبيل النادرة المستملحة ، على ان عملهم الباهر الاخير في احتلال (درعا) ودخول (الشام) حمل الجنرال (اللنبي) على الاعتراف من غير اقل تلجلج بالمساعدة الثمينة البالغة التي قدّمها العرب للحلفاء . ولما كان للدعايات شأن عظيم في عصرنا هذا حتى قيل ان المانيا انما قهرت في الحرب العالمية بدعاية الانكليز فالتبعة على (لورنس) من قصوره في تقديم التقارير الضافية عن الاعمال التي كانت تجري في جزيرة

العرب هي تبعة عظيمة وهي ايضاً درس بليغ لكل امة تطلب الحياة الحرة بالبذل الثمين من غير تنظيم سياسي يبشر في العالم اخبار هذا البذل

تردُّد لورنس

مما اعيب على لورنس تردده في الامر وعدم استقراره على الرأي فقد حدث في ربيع سنة ١٩٢١ ان عقد مؤتمر في فندق (سميراميس) في القاهرة برئاسة المستر (ونستن تشرتشل) دعي اليه من الرجال الذين عرفتهم السير (برسي كوكس) المندوب البريطاني على العراق والجنرال (ووترستيلر) والكولونل (لورنس) و (جعفر باشا العسكري) واللورد (رجلان) و(ساسون افندي) ومعهم (المس جرترود بل) المستشرقة الاثرية المعروفة ورئيسة القلم الشرقي في العراق. فدعاني السير (برسي كوكس) لتناول العشاء معهُ في الفندق فقلت فرصة سانحة جدًّا لمعرفة ما تمكن معرفتهُ مما يجري في الخفاء وراء الجدران. والتقيت بعد العشاء بصديقنا القديم الكولونل (لورنس) وهو بمرتبه الملكية وعينيه المتوقدتين فجرى بيننا حديث ادبي سألته في نهايته هل كان مسروراً بما يجري في المؤتمر فاظهر لي على التحقيق اشمئزازاً عظيماً وبمرة جلية ومما قالهُ لي «ليتني لم احضر الى هذا المكان ولم اجتمع بهؤلاء الناس ولا رأيت هذه الوجوه وما احلى عودتي من حيث اتيت» مما دلَّني على ان رغائبهُ التي عهدناها فيه ايام الثورة لم تجد آداناً مصغية. وبقيت هذه الفكرة مطبوعة في نفسي الى ان اطلعت على رسالة بقلمه تنم على رصانته الصريح عن المستر (تشرشل) المحافظ المشهور والاستعماري القح في معالجة الشؤون العراقية فعجبت كل العجب من هذا التناقض الغريب

ومن هذا التردد وعدم الاستقرار ما ذكرته فيما سبق من قبوله ان يسافر الى العراق لافساد الجيش العثماني بالرشوة وافقاد الجنرال (تونزيد) المحصور في كوت الامارة ولكنهُ حالما انتبه وجدانه الى ان مثل هذا العمل ليس شريفاً تراجع شأن كثير من الرجال الذين لا يعرفون الشر الاَّ اذا نبهوا اليه في حين ان النفوس الروحانية الرقيقة سبّاقة الى معرفة الشرور من غير المنبهات الخارجية، ولعلّ صغر سنه وقلة تجاربه وميله للتطوح كل ذلك دفعه يومئذٍ الى ركوب هذا المتن، واما ما اعتذر به عنهُ المستر (جريفز) من حرصه على الالقاء بالنوري الشعلان وقبائل الرولا فهو في نظري «تعليل بعيد الوقوع»

واطلعت على بعض معاملات خاصة خائرة تتعلق باناس عرفهم (لورنس) كل المعرفة وكان بوسعه ان يحول دون هذه المعاملات ولكنهُ استسلم للدعايات الكاذبة واجاز لنفسه

السكوت عنها . وفي الرسالة الآتية التي كتبها الى صديقه المستر (ريتشاردس) في ١٥ تموز (يوليو) سنة ١٩١٨ ما يدل على ذهنية متقلقلة مضطربة وقد جاء فيها :

« اما انا فقد اقتلعت من منبتي بعنف شديد وغرست على عمق بعيد في عمل كبير لا اتسع له حتى صرت ارى الاشياء كلها وهمية . وقد القيت وراء ظهري كل شيء عملته حتى الآن واعيش لصًّا يسترق الفرص أنى سنحت وحيثما رأيتها . والغالب ان جماعتي اخبروك ان هذا العمل هو اشعال ثورة عربية على الترك فعليّ والحالة هذه ان استر مطهري الافرنجي والاّ ابتعد عن الهيئة العربية جهد طاقتي . فانت ترى ان هذا مسرح اجنبي على الممثل ان يلعب عليه ليل نهار بلباس مبهرج ولغة اعجمية وثمن الفشل في التمثيل ينصبّ على رأسه اذا هو لم يجد دوره

« لقد اصبت في ظنك ان العرب راقوا لخيالي : فمدينتهم هي تلك المدينة القديمة التي تخلصت من اصنام المنازل ومن معظم الزخارف التي تسرع مدينتنا الى الاكتساء بها وانحيل القلة في الماديات انحيل صالح ويشمل على ما ارى نوعاً من القلة في الاخلاقيات ايضاً : فالعرب يفكرون آنيًّا في الحالة التي هم عليها ويسعون للانسياب في الحياة من غير ان يدوروا الزوايا او يتسلقوا الهضاب . . . . ليس في طاقتي ان انحيل ما قال لك قومي عني ، وانا حتى الآن كنا نهيء الاساس الذي تبنى عليه الثورة فقط ولما نقف على حافة العمل ، ولست ادري انرجح ام نخسر ولا اعرف متى نضرب ضربتنا ، وكل ذلك رواية تمثيلية ولا يستطيع المرء ان يتناول بعقيدة ايمانية ثابتة الاحلام التي يحلمها في يومه . انا اذا ما نجحنا فاني اكون قد أحدثت استخدام المادّة التي اعطيتها واما اذا خسرنا فسنستمر على حفر الاسس . . . ان هذه الرسالة بلاهة وغاية ما ترمي اليه طلب التغيير من حال الى حال وهو بلاهة ، لاني ابدل مسكني كل يوم وعملي كل يومين ولغتي كل ثلاثة ايام ومع ذلك ابقى دائماً غير راضٍ . واني اكره ان اكون في الامام واكره ان اكون في الوراء ولا احب التبعة ولا اطيع الاوامر ولا اخير يرتحى مني الآن مطلقاً . وكل ما اتطلع اليه سكون مديد كالمسهل يطهرني ثم تفكير عميق واتخاذ قرار حازم في اتجاه منهج للمستقبل »

سننشر في الجزء القادم المقال الاخير وهو مسك الختام لهذه المقالات التاريخية الشائقة البليغة

وقفة الوداع

حبستُ الدمعَ فارداد انهمارا ... وفاض فخلتهُ في الخدّ نارا
كماء النار في خدي وقعاً ... وأقسى منهُ فوقهما انحدارا
بنفسي من بكيتُ لهُ فراقاً ... ومن افراقهِ بعتُ الوقارا

* * *

تنزّى القلبُ فاستوجستُ شرّاً ... فقلتُ اصبر فقال كفى اصطبارا
فقلتُ وما اعتزمتَ فما تأنى ... وحلّق ما استشار ولا استجارا
مضى خلف القطار فهل أحسوا ... بما عاناهُ مَن ركبوا القطارا
أيدري أيهذا الركب أني ... أودّع فيكَ قلباً مستطارا
وهل يدرى الذي أقللتَ أني ... أسيرُ وراءه أناً سارا

* * *

ترفّقْ أيها النائي اختبارا ... لقد خلينني أحبا اصطرارا
أحسُّ كأنني في الارض وحدي ... وأن الارض قد أصحت قفارا
فما عيبي برائية سروراً ... ولا روحي تحسُّ لها قرارا

* * *

تعلّم يا هزار الروض مني ... أنا لحن النواح ولا فخارا
فغيري من بقلّد حين يبكي ... ولكني أنا الباكي ابتكارا

محمود ابو الوفا



صورة رمزية لروح الاكتشاف والاختراع

مقتطف يونيو ١٩٣١ — امام الصفحة ٦٦٥

منطق الاكتشاف والاختراع

حديث اخّاد لاسرار العقول المبتدعة التي نفحت العمران باعظم المكتشفات والمخترعات

للمنطق وجهان من وجوه التطبيق الاول هو منطق الاستدلال والتحقيق وبهِ تمتحن الحقائق وتنظّم . والثاني منطق الاكتشاف والاختراع وبهِ يكشف عن حقائق جديدة . فلننظر الآن في منطق الاكتشاف والاختراع

قد لا يستطيع الانسان ان يزيد بالتفكير المنطقي قدماً الى قامتهِ ولكن لا ريب في انهُ يستطيع ان يكشف عن حقائق مجهولة ويبدع ادوات ووسائل اذا اجاد استعمال الفكر . فاذا وجدتَ في بلدٍ ما عقولاً مبدعة فقلْ ثمة شيء جديد تحت الشمس

ونحن كلنا مكتشفون ومخترعون في نواحينا الصغيرة المتواضعة . وتكون هذه الناحية فينا على اقواها واطهرها في حداثتنا اذ نكون احراراً في السير وراء عقولنا المتحيّرة المتسائلة عن كلّ ما تجهلهُ — وما اكثر الامور التي تجهلها ! فاذا تخطينا دور الحداثة اخذنا نستند الى ما تعلمناهُ ونعتمد على ما ابدعتهُ عقول الافذاذ من رجال الفكر

والغرض من هذا المقال النظر في طرق التفكير التي تنطوي عليها عمليات الاكتشاف والاختراع

اذا نظرنا الى التاريخ نظراً مشارفاً رأينا ان اعظم المخترعات اسطها لانها كانت خطوات العقل المبدع الاولى في طريق الاستنباط . وقد تمت لما كان الجنس البشري في حداثتهِ . ولعلنا نضع في رأس القائمة استنباط العجلة او الدولاب . فالدولاب لا يزال هو هو في مبدإه سواء كان قطعة من جذع شجرة اسطواني الشكل او عجلة من عجلات السيارات الحديثة حارحهُ اطار من اللستك وعند محوره كريات صغيرة وزيت لمنع الاحتكاك على محوره . والناس في هذا العصر يتنقلون وينقلون ما يحتاجون اليهِ على العجلات . ومع ان هذه العجلات من صنع الانسان لكنها لا تشتمل من الاختراع الاول الاّ على مبدإه

فالعجلة هي رمز للصناعة والتنقل . ومع ذلك لا نستطيع ان نرفع نصباً تذكارياً لمخترعها بصفتهِ محسناً الى الانسانية لاننا لا نعرفهُ . ولا نعرف كذلك هل اخترعت العجلة ثم أُسدل عليها ستار النسيان فاعيد اختراعها ثانية وثالثة . على ان جهلنا اسم ذلك المخترع او

اولئك المخترعين لا ينقص من قيمة العمل الذي ينطوي على استعمال الخيال استعمالاً مبدعاً فان فيه قبساً من شعلة العبقرية

اوخذ مثلاً بعض المخترعات البيتية التي تستعمَل كلَّ يوم وكان الانسان البدائي يعرفها ويمارسها كالدباغة والخياطة والحدادة والطبخ والطحن والحبر وصهر المعادن وبناء الزورق ومجذافه والقوس وسهمها والخيام والفؤوس والنبابيت والصنابير والابر والسكاكين والسطوح المنحنية والعتلات (العَتَلة : الرافعة او المحل) كل هذه المخترعات لمخترعين مجهولين. ولكنها تثبت ما في خيال الانسان البدائي وتفكيره من قوى الابداع التي حررت على قواعد من المنطق فاصبحت في عصر العلم منشق اللولب والعدسة والبوصلة والثرمومتر (ميزان الحرارة) والبارومتر (مقياس ضغط الهواء) والفرملة والمكرسكوب والتلسكوب والآلة البخارية والمغناطيس المكهرب والتلغراف والتلفون والفونغراف والصور المتحركة والراديو واشعة اكس

اضف الى كل اولئك وجوه التطبيق والاتقان التي تضاف كلَّ سنة الى المخترعات الاساسية يصبح مشهد الارتقاء البشري سلسلة محكمة الحلقات من مبتدعات الخيال المبدع . ان مصلحة تسجيل المستنبطات الجديدة في الحكومة الاميركية تخرج كلَّ سنة ستين الف اجازة للمستنبطين — اي بمتوسط مائتي اجازة كلَّ يوم

الاكتشاف والاختراع ! هما ناحيتا التفكير المبدع . فكيف يختلفان ؟ الباحث يكشف مبدأً جديداً من مبادىء الطبيعة او يكشف عن علاقة بين سببٍ ومسبَّبٍ كانت مجهولة. ولكنهُ يخترع (او يستنبط) أداة تكون وسيلة لتوسيع نطاق البحث او لاستخدام القوى الطبيعية

فنيوتن اكتشف مبدأ الجاذبية وناموسها . وغاليليو ناموس الاجسام الساقطة. وباستور علاقة الجراثيم وروس ان البعوض (انوفيليس) ينقل جراثيم الملاريا . ومورتن ان الاثير يخدّر وينوّم . فكل هذه الاموركائنة في الطبيعة وهي تتباين من حقائق مفردة الى نواميس تشمل حركات الاجرام . فكلما كانت قبلما جاء الباحثون المبدعون فرفعوا الغطاء الذي كان يحجبها عن عيوننا الفكرية

اما المكرسكوب والتلسكوب وغيرهما من ادوات العلم فمخترعات اي انها اشياء لم تكن فخُلقت . وقد يندمج الاكتشاف والاختراع في عمل واحدٍ . فمبدأ المخاطبات اللاسلكية وادواتها الاولى ظهرت في وقت واحد . على ان الاكتشاف يتقدم الاختراع عالباً . ثم يفضي الاختراع الى مكتشفات اخرى . فلولا التلسكوب والمكرسكوب وغيرهما من آلات القياس والتدوين الدقيقة لما تمكن العلماء من كشف المذهب المكروبي ونظرية النسبية وتحقيقهما

والمكتشفات ترتبط عادة بالاسباب والنتائج العامة في عالمي الطبيعة والعقل . واما المخترعات فتطبيقات عملية . وكلاهما يقتضي قوة ابداع في الخيال والفكر

الحاجة والاستطلاع

قيل ان الحاجة تمنق الحيلة . وان الحاجة ام الاختراع . والواقع ان الحاجة في هذا العصر قد تلبس ثوب الرغبة في الربح او الرفاهة . ومن اشهر الامثلة على ذلك اكتشاف مبدإ ثقل الاجسام في الماء الذي اكتشفهُ ارخيدس احد المكتشفين العظام في التاريخ القديم. ويقال ان الملك هيرو ملك سيراقوسة بصقلية ارتاب في صائغهِ الذي عهد اليهِ في صنع تاج من الذهب الخالص وظن انهُ قدصنعهُ من ذهب مخلوط بفضة او نحاس وانهُ يطلب ثمنهُ على انهُ ذهب خالص فطلب الى ارخيدس ان يبيّن لهُ هل التاج ذهب خالص او ذهب خليط من دون ان يصاب التاج باذًى . فاكبَّ ارخيدس على هذه المسألة حتى كلَّ ولم يهتدِ الى حلها فلجأ الى حمامهِ طلباً للراحة من الكدّ الذهني واتفق ان الحمام كان ملآناً ماء ساعة غطس فيهِ ففاض الماء على جوانبهِ ومن هنا تبينت له طريقة لحلّ مسألة التاج فخرج عارياً وهو ينادي وجدتها ! وجدتها ! دلك انهُ اكتشف حينئذٍ طريقة لتطبيق مبدأ الثقل النوعي باكتشافهِ ان قدر الماء الفائض في الحمام — اي القدر الذي يفيضهُ الجسم الغاطس — يتوقف على كثافة مادة الجسم. وللحال اخذ ارخيدس يجهز كتلة من الذهب الخالص وزنها كوزن التاج تماماً وغطسها في وعاء ملآن ماء وقاس قدر الماء الفائض . ثم اخرجها وملأ الوعاء من جديد وغطس فيهِ التاج فوجد ان مقدار الماء الفائض لدى تغطيس التاج يزيد على القدر الاول فحكم بان ثقل التاج النوعي اخف من ثقل الذهب النوعي وعليهِ فالتاج ليس ذهباً خالصاً . بل هو خليط من ذهب ومعدن آخر اخف من الذهب

وتنشأ المكتشفات والمخترعات من طلب المعرفة عن طريقة حب الاستطلاع. وفي هذا الطلب يتعرض صنفان من المسائل : — اولاً — ما سبب الكسوف والخسوف والسرطان والمدّ والجزر والاحتبار والصدإ والانفجار والعمى اللوني والجنون ؟ والجواب نظرية والبرهان عليها — وهو الاكتشاف والصنف الثاني — كيف نحقق غرضاً معيناً : كيف نجتاز نهراً او نجفف مستنقعاً او نقيس الزمان او نتخاطب على مسافة ؟ والجواب جسر وسيفون وساعة وتلغراف وتلفون وراديو — وهو الاختراع

وما نريد ان نوضحهُ في هذا المقام — وهذا هو الجانب المنطقي او الفكري في الامر — ان الاكتشاف يتناول المبادئ والاختراع يتناول التطبيق . وقد يكون احد العملين بعيداً

عن الآخر في الزمان والفكر وقد يندمج احدهما في الآخر حتى يتعذر فصلهما . ولكن وراء الاكتشاف والاستنباط المقدرة على تعرّف مشكلة تتطلب الحل والبراعة في توجيه السؤال الذي يفضي الى اكتشاف او استنباط يكون ذا اثر في التاريخ والعمران

لنضرب على ذلك مثلاً بالستيريوسكوب وهو نظارة معروفة توضع امامها صورتان لشخص واحد فيظهر الشخص مجسَّماً كأنك تنظر اليه حقيقة لا كأنك تنظر الى صورته الفوتغرافية المسطحة . فهذه الآلة بنيت على السؤال الآتي : كيف نرى الاجسام مجسَّمة ؟ وكان لا بدَّ من عقل مبدع وخيال نافذ لتوجيه هذا السؤال وادراك ان رؤيتنا الاجسام مجسَّمة تنطوي على مسألة تتطلب حلاً . فالعقل العادي يسلّم بانا نرى الاجسام مجسَّمة ولكن السر تشارلس هويتستون — وغيره — اكتشف ان صفة التجسيم في البصر تنجم عن ان كل عين من عيني الانسان تتلقى من الجسم الصلد المرئي اشعةً تريها جانباً يختلف قليلاً عن الجانب الذي تراه العين الاخرى والعقل يوحّد بين الصورتين الواصلتين اليه فيظهر الجسم للعين مجسَّماً . فاذا احدثت صورتين لجسم واحد تختلف احداهما عن الاخرى اختلافاً طفيفاً كأنك تنظر اليه بعين واحدة ثم بالعين الاخرى ، ثم وضعت الصورتين على لوحة ونظرت اليهما بحيث ترى كلُّ عين الصورة الخاصة بها فهذا يكفل رؤيتك الشخص مجسَّماً . هكذا بنى هويتستون ستيريوسكوبهُ ثم حسّنهُ دافيد بروستر ثم اتقنهُ غيرهما — وفي هذا المثل يتضح لنا ان الاكتشاف والاستنباط سارا جنباً الى جنب

وقد مضى الستيريسكوب كلعبة يتسلى بها الناس في مجتمعاتهم البيتية ولكنهُ ادّى خدمة علمية جليلة . ولا يزال المشتغلون بشؤون الصور المتحركة يؤملون استنباط طريقة تمكنهم من تطبيق مبدإ الستيريوسكوب على السما فترى صورها مجسَّمة كانا نشهد التمثيل في مرسح. ولا يزال الطبيب ينظر الى صور اشعة اكس ليرى العظام المصورة فيها مجسَّمة

باعث الاختراع

ان ذكر السنما يعيد الى الذهن اكتشاف مبدأ آخر يعرف علمياً بالمبدإ (الستروبسكوبي) او تصوير الحركة . ونحن لا نعلم من اكتشفهُ اولاً ولكن يظهر انهُ كان معروفاً من بضعة قرون . واما السؤال الذي افضى اليه فكان : كيف نستطيع ان نرى جسماً متحركاً ؟ فكان الجواب عن هذا السؤال مؤلفاً من ثلاث مراتب (اولاً) اعرض امام العين لمحات من الجسم المتحرك متعاقبة سريعة منفصلة . (ثانياً) لتكن كل لمحة صورة هذا الجسم المتحرك في حالة تختلف قليلاً عما يسبقها وعما يليها . و(ثالثاً) ليكن بين الصورة والاخرى

فترة قصيرة معينة حتى لا تدمج اشباح الصور المتعاقبة بعضها في بعض فاذا تمكنا من تحقيق هذه الشروط الثلاثة تمكنا من رؤية جسم متحرك حركة سريعة. ولكن الصعوبة كانت قائمة في امكان تصوير الجسم المتحرك صوراً سريعة متعاقبة في حالاته المختلفة. فحلت هذه المشكلة لما استنبطت طريقة التصوير الشمسي السريع على فلم متحرك ومن ثم استنبطت آلة التصوير السينمائي وآلة عرض الافلام وهكذا نشأت الصور المتحركة وارتقت

فصناعة الصور المتحركة العظيمة بنيت كلها على هذا المبدإ الستروسكوبي. وترجع كلها الى ذلك العقل المتسائل الذي لم يكتف برؤية جسم متحرك بل وجد فيما يحدوه الى فهم هذه الرؤية وكيف يمكن احداثها

قلنا ان التطبيق العملي وحي الفائدة المادية من اهم البواعث على الاستنباط فصورة التخاطب على المسافة البعيدة التي رآها بل Bell بخياله دفعت به الى محاولة استنباط طريقة لتحقيقها فاخترع التلفون المبني على اكتشاف مبدإ القرص المتذبذب تذبذباً كهربائياً. اما اديصن فبحث في كل انحاء الارض عن مادة لمصباحه الكهربائي. ومع ذلك لم يحلم هرتز ولا رنتجن لما قاما بمباحثهما في الاشعة المجهولة (الاشعة اللاسلكية واشعة اكس) انهُ سيجيء يوم تستعملان فيه في الطب والجراحة والمخاطبات وكل ما هنالك انهما شعرا بدافع غريب لاستطلاع طالع هذه الامواج وقد بني على اشعة اكس سلسلة من التطبيقات تتباين من استعمال اشعة اكس في الجراحة والطب الى فوائدها الصناعية في امتحان قوة المعادن ومعرفة تركيبها الذري الى معرفة الصحيح والمزيف من الصور الزيتية القديمة

وقد يبعد مجال التطبيق والاختراع عن ميدان الاكتشاف فيكون فاتحة عصر جديد في التفكير ومن هنا نرى ان المكتشفات اعمق اثراً في تطور العمران من المخترعات

ومما يجب الاشارة اليه اشارة موجزة ان سبيل الاختراع هو في العالم سبيل التحسين والاتقان والتوسع والجمع بين مستنبطات مختلفة لابداع مستنبط جديد. فالمخترعات الاساسية هي في الواقع قليلة جداً واما الاشكال التي تتخذها فعديدة تكاد لا تحصى

خذ المطرقة مثلاً فهي مخترع اساسي ولكنها مع ذلك تنطوي على مبدأين كان لابدَّ من اكتشافهما قبل استنباط المطرقة وهما المبدأ القائل بأن المادة الصلدة القاسية تستطيع ان تخترق المادة اللينة وان الضربة اقوى فعلاً من الضغط. فصنع المسمار لاختراق الخشب وصنعت المطرقة لادخاله بالضرب عليه لا بالضغط عليه. ومن هذين المبدأين نشأت كل الادوات المستعملة في الطرق من مطارق اليد الى المطارق البخارية وغيرها

والسكين هو منشأ كل الادوات القاطعة التي تنطوي على وجوب كونها قاسية وذات

حدّ ماض. وماكنة الحياطة ليست الاّ اداة معقدة مبنية على المبادىء الآتية — تماسك دقائق الخيط واختراق الفولاذ للاقمشة وتحويل الحركة الدائرية الى حركة عمودية

وهكذا نرى ان قول « لا جديد تحت الشمس » يستطاع تأويله من ناحيتين. فاذا حسبنا ان معظم المخترعات انما ينطوي على بصعة مبادىء ومخترعات اساسية فقليل ما هو جديد تحت الشمس . ولكن جمع هذه المبادىء والمخترعات في اشكال طريفة لتأدية اعمال خاصة يجعل كلّ مخترع جديداً تحت الشمس

وطريق ارتقاء المخترعات طريق معروف — فيه تتحلى لنا القيود التي تنوء بها اكثر العقول فالمكنات الاولى وآلة الحياطة الاولى والسيارة الاولى والتلغراف الاول — كلها لعب اطفال ازاء ما يقابلها الآن رغم تفوق مستنبطيها فالمخترعات تبلغ مرتبة الاتقان بالتحسين المتوالي — وكل خطوة في هذا السبيل هي خطوة اختراع بحد ذاتها

الخيال . . . او الوحي . . .

والحجر الذي يتم به عقد الفكر فيسفر عن اكتشاف او اختراع مقتطَع من منجم الخيال او هابط من منزل الالهام

قد يحتم على الباحث ان يمضي سنوات متوالية في المشاهدة والتجربة ليؤيد صحة نظرية او ليصحح خطأ تسرب اليها . ولكن هذا لا يغني عن لمحة الوحي التي لا بدّ منها لاخراج النظرية من العدم الى الوجود . لو اتيح لنا ان نسأل داروِن كيف كشف عن مبدإ النشوء لما اجاب بغير هذا : — تأثرت بما شاهدته في اصناف الحيوانات من وجوه التشابه واسترعى انتباهتهُ ان وجوه الاختلاف كانت تتفق عادة مع بيئة كل صنف منها فظن ان لا بد من مبدإ عام لتعليل ذلك وكان مبدأ الخلق المستقلّ — اي ان كل صنف خُلق على حدة — مما لا يسلم به العقل العلمي فاستنبط المبدأ القائم على اثر البيئة وتنازع البقاء وبقاء الانسب لتعليل نشوء الانواع . ولكن كيف خطر مبدأ النشوء على ذهن داروِن ؟ انهُ لا يستطيع ان يبين لك ذلك . سمّه وحياً والهاماً او لمحة من لمحات العبقرية — او سمّه ما شئت فان تسميتهُ لا تعلل حقيقتهُ

ومما لا ريب فيه ان في كل اكتشاف او اختراع حلقة يتوقف عليها نجاح كل عمل فكري مبتدع . فكأنها عمل الجمع بين شيئين او معنيين على وجه جديد

فنيوتن من اعظم المكتشفين في التاريخ. كان الشيء الاول « وقوع التفاحة » وهو فعل عاديّ يعرفهُ كل الناس . فجمَعهُ الى شيء آخر « هو القوى الكونية » كقوة الشمس في حفظ السيارات دائرة حولها فخرج من الجمع بينهما بناموس الجاذبية. كم تفاحة نضجت على امها

وسقطت الى الارض قبل نيوتن. ولكن هذه التفاحة الساقطة امام عينيه اثارت عقله المبدع فأصبحت بحق ثمرة شجار العلم

وقد تمت مكتشفات فراداي الكهربائية العظيمة عن طريق التجربة . فهذه الكهربائية من جهة . وتلك المغنطيسية من جهة اخرى . فجمع بينهما وبذلك كشف عن القوى الكهربائية المغنطيسية التي نشأ منها المولد الكهربائي والمحرك الكهربائي وعليهما بنيت كل الصناعات الكهربائية العظيمة . واعتمد فرنكلين على المشاهدة والتجربة فجمع بين الصاعقة وانطلاق الشحنة الكهربائية فاستنبط قضيب الصاعقة . واجتمع لعلقمي ثلاثة عوامل هي المشاهدة والتجربة والصدفة — صدفة لمسه لفحذ صفدع بقضيب حديدي مكهرب — فلاحظ انقباضها — فأفضى كل ذلك الى مباحثه في كهربائية الجسم الحي التي كان لها اثر كبير في ارتقاء الفسيولوجيا ولولا خيال غلفني وعقله المدرك لذهبت هذه الصدفة في سبيل غيرها لا يقام لها وزن او خذ قصة غليليو . فان مشاهدته لحطرات مصباح معلق في كاتدرائية بيزا خلقت في عقله مبدأ استعمال الرقاص (او البندول) للتوقيت المبني على ان سرعة حركة الرقاص تنقص بزيادة طوله وتزيد بزيادة قصره . وجاء بعده مستنبط مصنع الساعة ذات الرقاص. فالمصباح المعلق كان في نظر سائر المصلين رمزاً دينيًّا وأما في نظر غليليو فكان اداة للكشف عن اسرار الطبيعة . وفي تلك اللحظة كانت الكاتدرائية معملاً طبيعيًّا له . ومن ثم مضى في مباحثه ومكتشفاته فاصطهد وسجن وحمل على نبذ آرائه ولكن طريقة التجربة والبحث انتصرت

ادوات الفكر

نقع في علم الطبيعة على اشهر الامثلة في تاريخ الاكتشاف والاختراع ولكننا اذا استقصينا فروع علوم الاحياء والاجتماع وجدنا امثلة لا تقل عما تقدم بلاغة في دلالتها ومن اشهر المكتشفات المبنية على التجربة في علوم الاحياء اكتشاف هرفي لدورة الدم (١٦٢٨) فكان ذلك باعثاً على اثارة روح البحث وتوسيع نطاقه ووضع نظاماً صحيحاً للخيال المبدع ربطه ربطاً محكماً بالحقيقة والدليل . فمضى الناس بعد ذلك التاريخ يبحثون بروح جديدة ومنطق صحيح . كان الخيال قبل ذلك وثّاباً لا يقوم بالحقائق التي يمكن تأييدها ولا يتصل بها وكان اكثر الاعتماد قبلاً على المشاهدة فصار على المشاهدة والتجربة . ومن بواميس الارتقاء العلمي انهُ حيث يعتمد البحث على المشاهدة فقط يزحف العلم زحفاً واما حيث يعتمد على المشاهدة والتجربة معاً فيكاد يطير طيراناً

واكتشاف هارفي خطير لانهُ كان دافعاً قويًّا لترقية علوم الاحياء . وهذا العلم كان

مثاراً لجدل كثير لصلته الشديدة بالناس. فكانوا يقولون: تجربة التجارب بالجوامد شيء واما تعريض النسيج الحي للتجربة فمناف لنظام الخالق. ومن هنا الاعتراض على تشريح الجثث للبحث الطبي. ولا تزال طائفة كبيرة من الناس مقاومة لتجربة التجارب في الحيوانات الحية

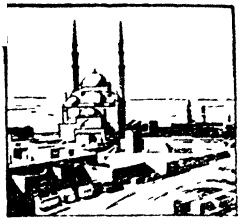
وعليه يستطيع ان نلخص ارتقاء المعرفة الحديثة في ثلاث خطوات (١) فوز الطريقة التجريبية (٢) تأسيس معامل البحث (٣) تشجيع البحث العلمي المجرد والعملي. هذه هي الخدمات التي ادتها العصور الحديثة لتوسيع نطاق الاكتشاف والاختراع وتنظيمهما. ولكنها كلها لا تحاذي العقل المبدع وانما تتيح لهُ فرصة الظهور

على ان المكتشفات والمخترعات لا تنحصر في الشؤون والاشياء الطبيعية والمادية. اذ ثمة مخترعات عقلية غرضها ان تكون ادوات للتفكير. فاللغة والنطق والكتابة والعدد كلها مخترعات ابدعها العقل المبدع ليرتفع عليها الى اعلى قمم المعرفة والفهم

فأصول اللغة والعدد صائغة في صفحات التاريخ المطوية. ولعل الصوت الاول الذي فاه به الانسان للتعبير عن شيء او علاقة بين شيئين هو اعظم المخترعات الانسانية على الاطلاق وتنويع هذا الصوت وتطيمهُ حتى يستطيع الانسان ان يعرب به عن كل حالاته النفسية والفكرية، عن افراده وجموعه، عن زمانه ماضياً وحاضراً ومستقبلاً، عن الصفات والعلاقات والمسائل وكل ما يقوم في ذهنه من صور — هو ابلغ مثل على العقل يبدع ادوات لخدمته. فاللغة اعمل ادوات التفكير

وما النطق والكتابة الاَّ اختراعين صميمين كما ان القوس والمحراث اختراعان وفي ارتقائهما تظهر الآثار التي تبدو عالياً في تاريخ اتقان المخترعات المادية. فالكتابة كانت اولاً صوراً وهذا في حدّ ذاته اختراع عظيم ولكن العبقرية تجلت لما استعملت الحروف للدلالة على الاصوات ومن مجموعها صنعت الكلمات للدلالة على الاشياء والمعاني. ولولا استنباط الابجدية لقضي على كل المخترعات القديمة بالاندثار الاَّ ما امكن نقله سماعاً فالكتابة توسع نطاق الذاكرة القومية وتكمل الذاكرة الفردية. والعالم الحديث مبني على مدوّنات الماضي

ثم ان العدّ والقياس والعدد مخترعات فكرية لا مثيل لها في الطبيعة ابدعها الانسان معواناً لهُ على التفكير. فالقياس اساس العلم. ان موازين القوى ومقاييس الزمان والمكان تمدنا بلغة مضبوطة المقادير. فمحن الآن لا نتكهن بل نحسب ونضبط. ومايصحُ في عرض البحار باستعمال السدس والبوصلة لقياس المسافات وضبط مسير السفينة يصح كذلك في كل نواحي الحياة. ولولا القياس الدقيق لتعذر خلق العلم الحديث. فعصر الآلة هو عصر الدقة. والآلة تحلُّ محل الطاقة الانسانية وتفوق نتائجها نتائج براعته. والمخترعات الفكرية هي ادوات التفكير التي لا يستغنى عنها



حنين العرب الى بني امية

لبندلى جوزى
الاستاذ في جامعة ماكو روسيا

وانهم معدن الملوك فلا تصلح الاّ عليهم العرب

لم تكد الخلافة تنتقل من بني امية الى بني العباس حتى اندفع هؤلاء ومن مالأهم ووالاهم او من اشتروه باموالهم واصطنعوه بعطاياهم من المؤرخين والشعراء والفقهاء المحدثين وسقلة الاخبار او من اصطروه الى ذلك بطرق الارهاب والتنكيل من الوزراء والكتبة وسائر طبقة المتوطفين في الطعن على الاسرة المعلوبة وتصوير اعضاؤها وحكمهم في اقبح صورة فلم تبق رديلة الاّ نسبوها اليهم او مثلبة الاّ الحقوها بهم[1] او القاب قبيحة الاّ نزوهم بها فصار معاوية في نظرهم « عدو الله وغلاماً مترفاً حدّاراً عنيداً لا يراقب الله في قتل الاخيار واسع الدنيا ضيق الآخرة قريب الثرى بعيد المرعى يجعل الظلمات نوراً والنور ظلمات »[2] ويزيد ابنهُ شر الناس اجمعين فاسقاً سكّيراً متهتكاً جائراً « كان فرعون اعدل منهُ في رعيته وانصف منهُ لخاصته وعامته »[3] والوليد بن عبد الملك « جباراً عنيداً ظلوماً عشيماً » وهشام « احول خشناً غليظاً جباناً بخيلاً » وسليمان « . . . اكولاً شرهاً يأكل كل يوم نحو مئة رطل »[4] والوليد بن يزيد « صاحب شراب ولهو وطرب وسمّاعاً للغناء متهتكاً حليعاً ماجناً » وهلمّ جرًّا وياليتهم اكتفوا بذلك لكنهم حاولوا ان يكفروهم ويخرجوهم عن دين السنة والجماعة ليقصوا عليهم في نطر الشعب البسيط فاخذوا يؤوّلون الآيات القرآنية حسبما شاءت اهواؤهم واغراضهم السياسية فقالوا ان الله لعنهم في كتابهِ بقوله « والشجرة الملعونة في القرآن ونحوّفهم بما يزيدهم الاّ طغياناً كبيراً (١٧ : ٦٢) وانهُ تعالى عنى بقوله « ليلة القدر خير من الف شهر » مدة ملك بني امية ووضعوا فيهم الاحاديث ولم يستحوا ان ينسبوها الى النبي والنبي بريء منها فقالوا ان محمداً قال « يطلع من هذا الفج رجل من امتي يحشر على غير ملتي » واراد بالرجل معاوية وانهُ قال « اذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه » واوردوا الحديث « المرفوع المشهور » « ان معاوية في تابوت من نار في اسفل درك منها ينادي يا حنان يا منان الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين »

---

(١) الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ١٠ ص ١٣ و ٣٠٠ (من الطبعة المصرية)
(٢) المسعودي : مروج الذهب ٢ : ٥٦ (من الطبعة المصرية)
(٣) » » » ٢ : ٦٨
(٤) كتاب العيون والحدائق في اخبار الحقائق ج ٣ ص ٣٤ (ليون ١٨٦٩)

الى غير ذلك من الاحاديث الملفقة والتهم الكاذبة التي تجدها مذكورة في رسالة[١] المأمون او المعتضد بالله التي امر بانشائها وقراءتها على المنابر يوم رأى الناس في عاصمته وبالقرب من قصره يقضون الليالي في استماع اخبار بني امية والتحدث بمآثرهم وعرهم العابر ويوم شاهد بنفسه حنينهم اليهم وانتظارهم خروج «السفياني» كما سترى بعيد ذلك . ثم هم لم يقفوا عند ذلك بل عمدوا الى تزوير الحقائق التاريخية المعروفة وصاروا ينسبون لانفسهم مآثر اعدائهم وينتحلون ما قيل فيهم من طيب الشعر والمديح فبدلوا اسم عبد الملك باني قبة الصخرة في القدس باسم المأمون لكنهُ عَزُبَ عن بالهم ان يبدلوا سنة بناء القبة اي سنة ٧٢ للهجرة بغيرها من سني خلافة المأمون فانفضح عملهم وظهر تلاعبهم حتى بالتاريخ ولما خيل اليهم انهم لم يتركوا حسنة لبني امية الاَّ واتوا عليها اخذوا يضطهدون من والاهم او ساعدهم او انتسب اليهم فامر المهدي سنة ١٦٠ هـ برد آل زياد الى نسبهم فردوا[٢] وامر المستعين سنة ٢٥٠ فاسقطت مرتبة من كانت له مرتبة في دار العامة من بني امية كباني الشوارب والعثمانيين[٣] الى غير ذلك مما يطول شرحه . على ان كل ذلك لم يكن ليقوى على محو آثار بني امية والحط من قدرهم وتنفير الامة العربية منهم فقد بقيت في اكثر البلاد التي فتحوها آثار خالدة واخبار مبعثرة تصوّر سياسة بني امية وشخصياتهم على خلاف ما حاول ان يصوّرهم اعداؤهم وبعض مؤرخي عصر بني العباس او من اعتمد عليهم من مؤرخي العرب . وهذه الآثار وتلك الاخبار كانت ولا تزال تذكّر العرب بهذا الدور المجيد من ادوار تاريخهم وتحلق فيهم حنيناً دائماً الى اصحاب هذا الدور . وانهُ يسرنا ان نرى ان بعض مؤرخي العرب ممن اشتغل بتاريخ العرب قد انتبه اخيراً الى ما ادخله اعداء بني امية على تاريخهم من التزوير فاخذ يعمل على كشف الحقيقة واعطاء كل ذي حق حقه واول من اقدم على هذا العمل الطيب هو الاستاذ الشهير J. Wellhausen[٤] ثم تبعه الامير Caetani[٥] واستاذ كلية بيروت اليسوعيين الاب H. Lammens[٦] وعضو اكاديمية بطرسبرج المتوفى حديثاً الاستاذ بارتولد وقليل غيرهم . على ان البحث في تاريخ بني امية وعصرهم لا يزال في اوله واذن لا يزال واسعاً لمن يريد ان يطرقهُ واملنا ان يمشي به مؤرخونا حتى لا يكون حتى في تفهم تاريخ امتنا والتنقيب عنهُ عالة على غيرنا من الاعاجم كما نحن عالة عليهم في جميع منتوجاتنا العقلية وهذا ما حملني على وضع هذه المقالة التي اتوخى منها القاء بعض النور على ناحية صغيرة من نواحي

(١) الطبري ١١ : ٣٥٤ — ٣٦٠ (٢) الطبري ٩ : ٣٣٤ (٣) ابن الاثير : التاريخ الكامل ٧ : ٤٦ (من الطبعة المصرية) (٤) طالع كتابه في الالمانية « الدولة العربية وسقوطها » وقد ترجم الى الانكليزية (٥) طالع على الاخص تأليفه في الايطالية : « تاريخ الاسلام » (٦) طالع تآليفه في الفرنسية عن « معاوية » و « يزيد » وغيرهما

هذا الدور التاريخي فان وُفّقت فيه والاّ فقد بذلت جهدي

لو تتبعنا اخبار بني امية بامعان لا يشوبه شيء من الغرض او التعصب السياسي من يوم انقطع حبل دولتهم وانتقل الحكم الى بني العباس الى ان تلاشت هذه الدولة فعلاً واسماً على يد هولاكو خان المغولي سنة ١٢٥٨ م لامكننا ان نستخرج منها حقيقتين لا غبار عليهما احداهما ان العرب على الاطلاق كانوا دائماً يحنون الى بني امية ويودون لو يعود الحكم اليهم وانهم كانوا يفضلونهم وسياستهم على بني العباس وسياستهم بل ان بعض الخلفاء العباسيين كانوا يقدرون اكثر خلفاء بني اميه حق قدرهم ويتمثلون بهم في امورهم وسياستهم ويتقربون ممن بقي منهم او من اتباعهم وموالبهم ولو تظاهروا احياناً بضدّ ذلك. ولنا على كل ذلك ادلة كثيرة لا يتسع المكان لذكرها كلها فلنقتصر ادن على بعضها

من اكبر الادلة على تعلق الامة العربية ببني امية وحنينهم اليهم بعد سقوط دولتهم محاولة بعض امراء الجيش الاموي وشيوخ اكثر القبائل العربية ولا سيما القيسية منها انتزاع الحكم من ايدي المغتصبين الذين استعانوا في احذه بالاعاجم وردّه الى بني امية . وقد طالت هذه المحاولات تتجدّد وتتمدّد الى اوائل العصر الحادي عشر ولقد كانت تنجح هذه المحاولات لو لم يكن امر الذين كانوا يعمون بنها «مشتتاً» ولو كان عليهم رأس يجمعهم (كما قال الطبري وأصاب)[1]

ان اول من انتقض على بني العباس وبيّض اي رفع الاعلام البيض اعلام الامويين هو حبيب بن مرة المرّي ومن كان معهُ من اهل الشام قال الطبري «وكان عبد الله بن علي (عم المنصور وقائد جيوش العباسيين) مشتغلاً بحرب حبيب بن مرة المرّي بأرض البلقاء او الثنية وحوران وكان من قواد مروان وفرسانه فبايعهُ قيس وغيرهم ممن يليهم من اهل تلك الكور الثنية وحوران »[2] وبينا عبد الله كان يقاتل حبيب بن مرة او قبل ذلك على رواية اخرى خلع ابو الورد محراة بن الكوثر بن رُفَر بن الحارث الكلابي «من اصحاب مروان وقواده وفرسانه» ودعا اهل قنسرين الى خلع ابي العباس «فبيضوا بأجمعهم» وكان سبب تبييضهم على ما رواه الطبري ان قائداً من قواد عبد الله بن علي عبث بولد مسلمة بن عبد الملك ونسائهم فشكا بعضهم ذلك الى ابي الورد فخرج من مزرعة له يقال لها زراعة بني زهر ... في عدة من اهل بيته حتى هجم على ذلك القائد فقاتله حتى قتله ومن معه »[3] وفي ذلك من الوفاء لبني امية والذود عن شرفهم ما لا يخفى على احد . ثم خلع اهل الشام وحمص وغيرهم فاصطر عبد الملك ان يصالح حبيب بن مرة ويؤمنه ومن معه ثم صالح اهل قنسرين

(١) الطبري ٩ : ١٣٩ (٢) الطبري ٩ : ١٣٩ (٣) الطبري ٩ : ١٣٧

والشام وآمنهم ولم يأخذهم بما كان منهم » خوفاً ولا شك من استفحال الامر

وفي هذه السنة اي سنة ١٣٢ هـ (٧٤٩—٧٥٠م) بيّض اهل الجزيرة ونقضوا حين بلغهم خروج ابي الورد وانتقاض اهل قنسرين ولو انتقضوا في آن واحد مع من انتقض من اهل الشام وقنسرين وغيرهم لاحرجوا جيوش بني العباس وربما قضوا على دولتهم الحديثة في البلاد العربية على الاقل لا سيما وان بعض قواد بني امية كابن هبيرة في واسط واسحاق بن مسلم العقيلي بسميساط وغيرهم في غيرها كانوا لا يزالون يقاتلون باسم بني امية وكان يخشى بأسهم فقد ذكروا ان اسحاق بن مسلم المذكور اقام بسميساط سبعة اشهر وابو جعفر محاصره وكان يقول « في عنقي بيعته فانا لا ادعها حتى اعلم ان صاحبها قد مات او قتل فارسل اليه ابو جعفر ان مروان قد قتل فقال حتى اتيقن ثم طلب الصلح وقال قد علمت ان مروان قد قتل فآمنهُ ابو جعفر وصار معهُ وكان عظيم المنزلة عنده »[١] ولما أمِنَ ابو جعفر جانب العقيلي وجنوده لم يبق امامه وقتئذ الاّ ابن هبيرة فوجه اليه حيله ورجله وبعد حصار طويل قبض عليه وقتله ثم اخذ يقبض ويقتل من بقي من شيعة بني امية حتى بلغ عدد القتلى على ما ذكروا سبعمائة الف في اقل من سنة . على ان ذلك لم يحتث من قلوب العرب وعلى الاخص قلوب سكان سوريا والجزيرة وفلسطين حب بني امية والتغني بأخبارهم والاشادة بذكرهم ولم تقعد بهم عن الخروج على « الاسرة المباركة » كلما كانت تسمح لهم فرصة

ففي سنة ٢٠٢ (٨١٧—٨١٨) بيض اخو ابي السرايا في الكوفة واجتمعت اليه جماعة[٢] وفي سنة ٢٠٩ (٨٢٤—٨٢٥) خرج نصر بن شبث وجماعته « وكادوا حد بني امية »[٣] فأرسل اليه المأمون جعفر بن محمد من بني عامر يدعوه الى الطاعة « فأدعى وشرط شروطاً منها ان لا يطأ المأمون بساطاً » فلم يجب الى ذلك وأصر المأمون الاّ ان يطأ بساطه اسوة بغيره ممن خرج عليه قبله فلما عاد اليه جعفر بن محمد بالخبر « صاح بالخيل صيحة فحالت ثم قال ويلي عليه (اي على المأمون) هو لم يقو على اربعمائة صفدع تحت حياته يعني الزط (فهل) يقوى على حلبة العرب » ؟[٤] فكتب اليه المأمون كتاباً يذكره ويتهدده ان هو لم يخلد الى الطاعة ومما جاء في هذا الكتاب ويحسن هنا ذكره قوله « ولا طأن بمن معي من انصار الدولة كواهل رماع اصحابك ومن تأشب[٥] اليك من اداني البلدان وأقاصيها وطعامها واوباشها ومن انصوى الى حوزتك من خرّاب الناس ومن لفظته بلده ونفته عشيرته لسوء موضعه فيهم »[٦] مما يستدل منهُ على ان عدد من لبى دعوة نصر بن شبث من العرب كان كبيراً وانهم اجتمعوا

(١) الطبري ٩ : ١٤٠ (٢) الطبري ١٠ : ٢٤٥ (٣) الطبري ١ : ٢٦٧
(٤) الطبري ١٠ : ٢٦٧ (٥) احتموا مختلطين (٦) الطبري ١٠ : ٢٦٨

اليه من اداني البلدان وأقاصيها» ولولا ذلك لما استطاع ان يقف في وجه جنود الخليفة «خمس سنين» كما روى الطبري ولما اصطر الخليفة ان يراسله ويتهدده ثم يتملقه ويستعطفه. والذي يظهر لي من حديث الطبري ان خروج نصر على الخليفة ووقوفه في وجه جيوشه خمس سنين كان داعياً لخروج غيره من عرب سوريا . فقد روى الطبري ان عبدالله بن طاهر ابن الحسين رجع من مصر سنة ٢١٢هـ (٨٢٧—٨٢٨) ومعه المتغلبون على الشام كابن السرج وابن ابي الحمل وابن ابي الصقر»[١] لكنهُ لم يبين متى وكيف تغلب هؤلاء على الشام[٢] ثم لم يمض خمس عشرة سنة على اخماد حركة نصر بن شبث حتى خرج في فلسطين ابو حرب اليماني «مدعياً انهُ اموي» ..فاستجاب له قوم من حرائي اهل تلك الناحية واهل القرى»[٣] اعتقاداً منهم بأنهُ «السفياني» المنتظر ولما كثرت عاشيته وتباعه من هذه الطبقة من الناس دعا اهل البيونات من اهل تلك الناحية فاستجاب له منهم جماعة من رؤساء اليمانية ورجلان آخران من اهل «دمشق» فصار حوله على قول بعضهم زهاء «مئة الف» او خمسين الف على قول غيرهم[٤] وفي كلا القولين مبالغة ظاهرة . ولولا ذلك ولولا ان اتباع ابي الحرب كان اكثرهم من الحرائين واهل القرى مما يستدل منهُ على ان حركته كان لها صبغة اشتراكية لما قويت جنود المعتصم على قتلها بهذه السرعة . كانت حركة ابي حرب اليماني على ما اعلم آخر حركة اريد بها القضاء على حكم بني العباس في سوريا مهد الدولة الاموية ومنشأ عزهم ومادة قوتهم اذ لم يذكر المؤرخون بعدها حركة من نوعها[٥] وليس في ذلك ما يدعو الى العجب لان دولة بني العباس فقدت بعد وفاة المعتصم حريتها واصبحت العوبة في ايدي امراء الجيش من الاتراك ولان اكثر البلاد العربية انفصلت عنها فعلاً ولم تعد تفكر الا في مصلحتها الخاصة واستقلالها عن مركز الخلافة على ان ذلك لم يكن لينسي العرب اعظم دور من ادوار تاريخهم واقرب دولة الى قلوبهم فظلوا يذكرون في ايام محنهم بني امية بحير ما تذكر بهِ الامم العظيمة العاثرة وينتظرون محيء «السفياني» كما لا يزال اليهود ينتظرون مسيحهم والمسيحيون محيء المسيح الثاني وانحاب زرداشت مخلصهم او بالاحرى مخلص العالم Saochyant وقد تحول هذا الانتظار الى عقيدة دينية[٦] وانتشر حتى بين

(١) الطبري ١٠: ٢٧٨ (٢) لا نعلم اذا كانت هؤلاء المتغلبين قد في ثورة اهل الشام في ايام الرشيد (الطبري ١٠: ٣١١ (٣) الطبري ١١: ٥ (٤) الطبري ١١: ٥ (٥) لخروج اسحاق بن اسماعيل مولى بني أمية في تفليس وليث بن نصر بن سيار في سمرقند سنة ١٩٠ غاية غير التي كانت لمن سبقهم ممن ذكرنا (٦) سمرد «السفياني» واحباره مقالة خصوصية نشرها على صفحات المقتطف (ان شاء الله) ولهذا لا نرى حاجة الى الافاضة في ذكره هنا على انه لا بد من التنبيه الى ان لا صحة البتة لقول مصعب بن ان خالد بن يزيد بن معاوية هو الذي وضع خبر السفياني وكره واراد ان يكون للعباس فيه طمع حين علمه مروان بن الحكم على الملك وتروح امه ورد السفياني قد رواه غير واحد وتتابعت فيه رواية الخاصة والعامة وذكر مكحولاً من اهل الشام

الاعاجم[١] وهو لا يزال شائعاً حتى اليوم في شنعان (في بلاد الهند) وبعض اطراف اسيا الوسطى عند الاسماعيلية. وقد تبين لي واما اطالع مؤرخي العرب وشعرائهم ان حنين العرب الى بني امية وانتظارهم ظهور احدهم كانا يشتدان ويقويان كلما كانت الامة تشعر بضعف الدولة العباسية وتراجعها امام اعدائها في الخارج والداخل وكلما كان خلفاء بني العباس يمسون شعورها القومي بتقديم الاعاجم عليها واعتمادهم عليهم في ادارة الخلافة يؤيد ذلك انهُ لما ساءت احوال الدولة واخذ حبلها ينتثر على اثر خروج مالك واصحابه المعروفين بالحرَّميين واقتحام الروم للثغور وثورة افريقية الى غير ذلك اخذ الناس يتحسرون على ذهاب ملك بني امية وما كان لهم من السلطة والبطش واخذوا يقابلون سياستهم على سياسة بني العباس فاغاظ ذلك المأمون فامر منادياً ينادي « برئت الذمة ممن ذكر معاوية بخير »[٢] على ان ذلك لم يمنع المحدّثين والقصّاص من جمع اخبار بني امية[٣] وطبعها في طول البلاد وعرضها حتى اصبح طبعها كما يظهر مهنة كطلب الحديث وصار له رواة متخصصون كما كان رواة لغنتر او لابطال الالياذة عند اليونان القدماء. ولم يمنع ذلك الناس من القعود على طرقات وفي مساجد بغداد ودمشق وغيرها لاسماع هذه الاحاديث والتأسي بها. يستدل على ذلك من الكتاب الذي امر المعتضد بالله بوضعه سنة ٢٨٤هـ (٨٩٧—٨٩٨م) ليقرأ على الناس. قال ابو جعفر الطبري «وفي هذه السنة عزم المعتضد بالله على لعن معاوية بن ابي سفيان على المنابر وامر بانشاء كتاب بذلك يقرأ على الناس فحوّفه عبيد الله بن سليمان بن وهب اضطراب العامة وانهُ لا يأمن ان تكون فتنة . . » وقال ايضاً « ان اول شيء بدأه به المعتضد حين اراد ذلك الامر بالتقدم الى العامة بلزوم اعمالهم وترك الاجتماع .. ومنع القصّاص من القعود على الطرقات ... وفي الجامعين .. وفي جمادى الاولى يودي في المسجد الجامع بنهي الناس عن الاجتماع على قاصّ او غيره ومنع القصّاص واهل الحلق من القعود

(ستأتي البقية) الاستاذ پ. جوزي

(١) ذكر المقدسي (ص ٣٨٤ من احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ليدن ١٩٠٦) ان سكان اقليم الجبال (في العراق العجمي) . . خوال (غلاة) حمالة لمرضون في حب معاوية وقال ايضاً (ص ٣٩٩) «ان في اهل اصفهان نصباً وغلواً في معاوية وان معاوية كان مرسلا»

(٢) كتاب العيون والحدائق في اخبار الحقائق ج ٣ ص ٣٧٠

(٣) لا يعلم هل سقطت هذه الاخبار الى هذا اليوم او لم تزل مبثوثة في ايدي اصحاب الغرض على انها يعلم ان كثيرين سودوها ودافعوا عن بني امية حين دفع منهم الحاسد صاحب كتاب (العثمانية) وكتاب (امامة المروانية) وكتاب (امير المؤمنين معاوية بن ابي سفيان) وقد اشعر له فيه من علي وابنه امامة بني امية ثم وضع كتاباً آخر اسماه (مسائل العثمانية) وكتاب (امامة ولد العباس) ضد بني العباس انظر (مروج الذهب للمسعودي) ٣ : ١٤٣

جفاء الطبيعة

الشمس تنزل في الغروب ، وقد تورّد خدُّها
لتقبّل الأفقَ البعيدَ ، وقد تسعّر وجدُها
تخفي الاسى خلف النخيـل
مثل ابتسامات العليـل
حتى اذا احتجبتْ تماماً خلف استارِ الأفقْ
وتراكضتْ زُمَرُ النهارِ ، وأسرعتْ زُمَرُ الشفقْ
نزل المساء برحله
وجرى الظلام بخيله
حطّت عليَّ كآبةٌ : كالسرِ حطّ وقد وهَى
لم أدرِ كيف تسلّلتْ للنفس مدّت ظلّها
أمِن المساء ولونه
يحكي الصليل بحربه
أم من أفانين الحياةِ ؟ وآهِ من تفكيرها !
دَوْماً تساورها الشكوكُ . . فآهِ من تعبيرها !
تدع النفوس على الثرى
من بعد مرتفع الذرى
لابدّ أن وراءها سرًّا وإني أرهبُ
مادا تريد كآبتي ؟ مادا تُسرُّ وتحجبُ ؟
النجم يبدو ساهيا
هلاّ يحس بما بنا ! ؟
وتبعثرتْ بعضُ النجوم كما تبعثرت الفكرْ
يلهو بها عدمُ القرارِ كأنها بعض الشررْ
نثرته انفاس الهواءِ
فطار من دون اهتداء
أوَ لستُ من هذي الطبيعة بعضها كالنجم منها ! ؟
فلعلّ اشجان النجوم تلفتها النفسُ عنها
فادا مضى شجن النجوم
نسري عن النفس الهموم !

وأتتْ على وجه الهلال سحابةٌ حجبت سناهْ
فشعرتُ أن كآبتي في القلب هدَّت من قُواهْ
فلعل ان مضت السحابهْ
تمضي عن النفس الكآبهْ

وجلستُ أدعو ذكرياتي من مراقدها الهنيَّهْ
كيما تطارد ما أحسُّ بهِ من الرُّهَب القويَّهْ
لكنها بعدت كما
بعد الخيال الى السما

وشعرتُ أني قد فُصلتُ عن الطبيعة والوجودْ
فزهتْ أساريرُ النجوم وحدَّثت من بعد صَمْتْ
تلك الربوعَ بنورها
وسمت بلاغة نورها

وزها الهلالْ. وكنتُ أحسبهُ سيطوَى بين يأسِ
وحَدَتْ مباهجَها الطبيعةُ بعد فقدٍ، ما لنفسي!
وقدت مباهجها ولما تهتد
لا اليوم يكشفها ولا قلب الغد

فهل الطبيعة لا تحسُّ بما تحسُّ، وما لها تأسى لها
أم أنها عافت مصاحبةَ الأناسي في الحياة؟ وما لها!
قد اعكرتني بعد ما
تركتني ارتشف اللمى

تركتني أرتشف اللمى حتى سكرتُ من الرضابْ
هل كان ذاك حقيقةً، أم كان أخيلةَ السرابْ
فانا الحزين من البداءة للازل
حتى الطبيعة ينطوي فيها الامل

فتملَّكي ما شئتِ أيتها الكآبةُ من فؤادي
ما دام حتى الأُمّ تمسُ في النجافي والبعادِ
فالطفل قد فقد الحنانْ
بين الطبيعة والزمانْ

حسن كامل الصيرفي



ديدرو في بلاط الامبراطورة كاترين الثانية الروسية



« ديدرو » وعصر الانسكلوبيذيا

صورة اقائد جنود الحرية الفكرية في العصور الحديثة[1]

— ١ —

ان ميزات اي عصر من عصور الانسانية هي اعم من ان تتمثل في شخص فرد من ابناء ذلك العصر . وليس من شك في ان القرن الثامن عشر كان يتسم بسمات هي اعم من ان تنحصر ضمن حدود سجايا « ديدرو » المعروفة عنهُ . ولكننا لسنا نعلو في القول حين نزعم ان « ديدرو » يمثل في شخصهِ نواحي روح ذلك العصر الاساسية خير تمثيل — فلقد كانت اهم ميزات القرن الثامن عشر المأثورة عنهُ هي حب الاستطلاع غير المحدود ، والتعطش الملحّ الى المعرفة، والشغف الملتهب بنماء الطرائق الفكرية، والايمان بمصير الانسان، والرغبة في القضاء على آلام الانسانية ، والثقة بقدرة العلم على قهر الطبيعة ، واليقين باستطاعة الانسان الاستغناء عما وراء الطبيعة — هذه كلها من اظهر سجايا ذلك العصر وهي ولا شك تتمثل في شخص « ديدرو » خيراً مما تتمثل في اي مفكر آخر من مفكّري ذلك الزمن

وحتى نستطيع ان نعي « ديدرو » حقّهُ من التقدير نضطر ان نتناول روح العصر الذي اتمّ فيهِ « ديدرو » اعماله العظيمة — فأصحاب العقول المبتكرة المتوقدة ما كانوا يرحون خيراً او شبه خير من فرنسا سنة ١٧٥٠ ، لان فرنسا ، كانت قد افلست افلاساً سياسيًّا واقتصاديًّا وساءت حالها الاخلاقية سوءًا ابدع « فولتير » في وصفهِ لما قال عنهُ : « ان الرذيلة في فرنسا قد امسكت يدها في ذلك العهد حتى عن تقديم فروض الملق للفضيلة » وكانت حياة فرنسا حينئذٍ تقوم على فكرة امتيازات الارستقراطية التي جعلت حقوق التفكير والفهم مسألة من المسائل التي تتطلب الحماية، وكانت الحرأة في التفكير معناها المخاطرة لمعاناة السجن او النفي. وايان تلفت الانسان في ذلك الزمن — قبل ظهور فلاسفته — وجد ان اصواءه تشوبها سحب مظلمة من اسباب المصاعب والويلات التي كان يتعرض لها

---

(١) من مقال للاستاذ هارولد لاسكي استاذ علم السياسة في جامعة لندن

كل صاحب فكر يسّر . الاّ انهُ في خلال الثلاثين سنة التي سبقت الثورة الفرنسية (سنة ١٧٨٩) اشتعلت في ذهن الشعب الفرنسي ونزعته ثورة فكرية تشبهُ في شدة حيويتها ثورة النهضة التي ظهرت قبل ذلك بنحو مائتي سنة — فلقد تفتحت اعين الناس على آمال ومكتشفات جديدة . وفقدت القيود التي كانت تضيق على روح الانسان في ذلك العهد شيئاً من قوتها على التقييد والضغط . وربما كانت تلك الآمال الحديدة لم تتحقق كلها ولا المكتشفات حددت بين دفتيها كل ما اختلج في اذهان اصحابها من طيوف احلامهم وأمانيهم . ولكن من دا الذي يدرس الآداب الاوربية خلال السنوات العشر الاخيرة من القرن الثامن عشر ولا يقع فيها على اثر من آثار قوة تلك الروح الحديدة التي هبت رياحها من نفسية الشعب الفرنسي في ذلك العهد ؟ وليس من شك في ان تلك الروح قد استجمعت قوتها ثم ضربت ضربتها الاخيرة فاذا ببناء نظم الاستبداد الديني والسياسي في ذلك العصر ينهار على ألاّ تعود له سيادتهُ الماضية الكادبة . واذا حقوق الانسان في ان يكون هو لا سواه ، سيّد نفسه ، قد اعلن اعلاناً لا تطيق الصبر على نكرانها اية قوة كانت ، واذا حق العقل في ان يتبع الهاماته ومكتشفاته اياً ان انتهت به ، وحرية التفكير للتفكير في اي لون من الوانه ، كلُّ هذه وامثالها من اسباب حرية النفس الانسانية قد ثبتت سيادتها تثبيتاً ترك خصوم الحرية منذ ذلك العصر مدافعين عن معاقل استبدادهم بعد ان كانوا مهاجمين . وفي الجملة فقد اتى على العالم في ذلك العصر فصل ربيع من التحديد بعد شتاء طويل من جمود الظلم والاستبداد

— ٢ —

اما « ديدرو » فيحتلّ في تلك الثورة الفكرية المباركة منزلة اولية لا تنكر

ولد سنة ١٧١٣ من ابوين من الطبقة المتوسطة وربي في احضان اليسوعيين على ان يخرج زهرة يانعة في رياضهم ، ولكن لا الكنيسة التي نشأ فيها ولا الفاتيكان الذي مهد له ابوه سبل دراسته ، استمالا نفس « ديدرو » . وانما الشيء الذي امتلك عليه قلبهُ وجميع نواحي اعجابه هو حياة باريز هناك عاش عشرين سنة عيشة الدرس والتحصيل المتواصلين مشهوراً في حيّ الكتّاب بنفوره من كل ما يقيّد حريتهُ وبراعته في الابداع ودماثة خلقه حتى قيل ان « ديدرو » لم يعرف له عدوٌّ قط

وكأنوف مثله في ذلك الحيّ تزوج وندم واتخذ خليلة او خليلتين لم يتركا في حياته أثراً ما . الاّ ان رسائلهُ الى خليلته الثانية من اهم المصادر لفهم حياته ونفسيته في تلك الحقبة . ولم يترفع عن عمل اي شيء للارتزاق من كتابة مواعظ لليسوعيين الى اقتباس بعض الرسائل الانكليزية وتحويلها والذي يلوح لنا ان الرجل كان اذا قرأ كتاباً استخلص لبابه ووعاه

في ذهنه وفي قلبه حتى ما يكاد ينسى منهُ شيئاً . وكانت له شهوة دائمة ملحة الى حب الاستطلاع ، فلقد قرأ وبحث في الفلسفة والدين والكيمياء والتشريح والطب والطبيعيات والآداب والدرامة وكان يحس الكتابة فيها كلها ويجيد في بعضها البحث العميق والتقصي العويص

ولقد كان « ديدرو » في ذلك العهد ممن يثيرون مطن رجال الوليس واللاهوت بصداقته لروسو وكوندياك وسرعة نجدته لكل بائس من رجال القلم ، كان دائم العمل دائم التحدث . ولو انهُ مات سنة ١٧٥٠ لراح مجهول الاسم الا كأحد رجال الفكر الذين كانت تبشر حياتهم بمستقبل بير فلقد كان وضع ، حتى تلك السنة ، كتابين او ثلاثة في الفلسفة ، ومجلداً آخر يحتوي على قصص مشوقة . اما العمل الذي اعدَّه للمرحلة الاولى في حركة القرن الثامن عشر الفكريه فهو انقطاعه لوضع انسكلوبيديا فرنسية على نسق ما وضعه « تشامبرز » الانجليزي ؛ فقضى في هذه المهمة عشرين سنة وجرح منهُ كاكثر داعية من دعاة الحرية . ان القلم ليعجز حقاً عن تصوير الصفات التي تكشفت عنها نفسية «ديدرو» كمحرّر لتلك الموسوعة . ولقد ابدى من الوان الشجاعة والصبر وصدق العزم والاخلاص ما يندر ان يبدو من اي انسان آخر . وفي سبيل شجاعته النادرة استحقَّ بثورة الكنيسة ضده ، وتهديد الحكومة لهُ . بل لقد استحقَّ في هذا السبيل انفصال بعض اصدقائه كفولير ودالمبر من حوله

ومشروع الموسوعة التي الفها وضعه حق في طليعة رجال نهضة الفكر في اوربا ولقد اكرمهُ «فردريك» ملك روسيا وكاترين امبراطورة روسيا التي كانت تعجب وتكرم كل ركة فكرية تقوم في خارج حدود بلادها . . . ويمتاز « ديدرو » بقدرته على جعل كل انسان عرفه صديقاً محبّاً لهُ ، فقد كانت لهُ القوة الطبيعية الكافية لارضاء جميع الناس وتخييبهم ، ويكفيك منهُ انهُ كان يرضي الامبراطورة كاترين في بلاطها الملوكي في ذلك العصر كما كان يرضي عين الرضى اي عامل في المصانع التي كان يدخلها مستفسراً عن كيفية ادارة آلاتها

وليس من شك في ان « ديدرو » لم يكن لهُ ما كان « لفولير » من سلطان على عقول عصره ، ولا هو ابتعث الى النهضة الاوربية ما ابتعثهُ فيها « روسو » من روح صبغت النهضة الاوربية بصبغتها ، وانما لما مات « ديدرو » سنة ١٧٨٤ كان حقاً على كل فرد ان يقول :- «قد مات اليوم رجل كان يعمل في الطليعة لاصلاح نفسية العصر ، وانهُ لولا تنظم ذلك الرجل لمعركة النهضة ، لما اثمرت ثمارها اليانعة المعروفة »

* * *

وديدرو هو احد اولئك النفر القليل الذين اشتركوا في بناء الفكر الانساني دون

ان يخلفوا من تراثهم الفكري شيئاً يحتذى ، او ان يضعوا طرائق تعرف عنهم وتنسب اليهم

وحتى يستطيع المرء ان يفهم « ديدرو » يجب ان يفهم اولاً خطر الموسوعة التي وضعها ويتبيّن مقدار خصب الملاحظات التي سجلها في كل ناحية من نواحي الفلسفة تقريباً . و« ديدرو » لم يكن فيلسوفاً عظيماً ولكنهُ صرف جل عنايتهِ الى الفلسفة ، ولم يكن نقادة ولكنهُ اثر في الرواية وفي المسرح وفي فكرة الفن ايضاً - وبالرغم من انهُ لم يضع شيئاً مبتكراً في النقد اللاهوتي الاّ ان الكنيسة اعتبرتهُ اقوى اعدائها بعد « فولتير » وقد كانت آراؤه السياسية خير ما كان شائعاً في عصره منها

ويصعب ان تجد اليوم اثراً واحداً من آثار « ديدرو » الادبية يصلح ليتداوله الانسان في هذا العصر بأكمله ، ولكن كل هذا لا ينفي مقدار خصب عقلهِ وغناهُ حتى ان المرء ليستطيع ان يستخلص من آثار قلمه مجموعة ممتازة لا تقلّ في جودة مادتها عن اية مجموعة اخرى من منتجات الفكر الحديث

ولقد وضعت موسوعات عدة قبل ان يضع « ديدرو » موسوعته هو ، وخاصة تلك المجلدات التي تنبأ فيها « بيل » Bayle عن مجيء عصر النهضة الفكرية . ولكن واحدة من تلك الموسوعات التي وضعت قبل « ديدرو » او بعده لم تحز ما حازته موسوعته من الخطر والشأن وليست تنحصر خطورتها في سمو المواضيع التي حوتها بين دفتيها من مثل موضوع « كوني » الذي يعد فاتحة عصر جديد في درس الاقتصاد ، ولا من مثل موضوع « ترجوت » الذي يعتبر مرجعاً في تاريخ علم اللغات . ولا هي تنحصر في ان « ديدرو » كان اول من فكر في اخراج كتاب يعالج فيهِ جميع نواحي المعارف الانسانية كما كانت تعرف في ذلك العصر ، وانما خطورتها انما هي في النزعة التي كتبت بها . وفوق كل ما ذكر فلقد ادرك « ديدرو » في موسوعتهِ كنه ما وصلت اليهِ جهود الانسان ، تلك الجهود التي عابت اهميتها الاجتماعية عن فطنة سائر من تقدمهُ من الباحثين

وموسوعة « ديدرو » هي اندار صارخ ارسله فريق من الناس يسعى لتحرير نفسه من قيود حكم مستبد وفلسفة دينية تعوق الارتقاء العقلي

وهي دعوة للمطالبة بحقوق الانسان غير المتناهية في حرية البحث ، والاصرار على ان العقل — لا الايمان — والفهم لا العقائد ، هما سبيل الحقيقة ، وليس من شك في ان موسوعة « ديدرو » لها اخطاؤها الكثيرة ، وفيها كثير من قلة التدقيق . وشيء من عدم الجهر بالحقيقة خوفاً من المراقبة . وغير قليل من النقل والانتحال . ولكن الانسان لا يقرأ صفحاتها الاّ ويشعر بان فيها كرامة عقل يسعى لاثبات حقوقهِ بحماسة أخّاذة . هنا نتيجة

تلك الثورة الفكرية التي في سيرها المجيد من ديكارت الى بيوتن وضعت المشاهدة محل الفرض، وتصوّرت الكون وحدة يمكن تعاليلها تعاليلاً معقولاً من غير توسط خارق للطبيعة . انها نقلت مركز العناية العقلية من القوى التي لا تفهم الى القوى التي نخضعها ونسيطر عليها . وجعلت العلم نتيجة للاختبار المحقق والبحث المنتظم لا الاستلهام والتصوف والتحكم . فالانسكلوبيذيا تسجل انتصار الروح العلمية . وفي ذلك النصر الباهر كان ديدرو المنظم والقائد

والروح الاجتماعية التي تسود الموسوعة ليست تنقص شيئاً في خطورتها عن خطورة الروح العلمية التي مرَّ ذكرها فيها . فحدة النزعة التي وسمت بها تلك الموسوعة هي في صميمها اعظم مما قد تبدو في ظواهرها ، وفي هذا العمل لا في سواه ، يمس الانسان لاول ما يمس تفسيراً شائعاً لنظرية « ماكون » التي تقرر ان زيادة المعرفة العلمية هي قياس علبة الانسان على بيئته ، وان فهم العلم على انهُ سبيل اسعاد الناس يجب ألاَّ تشوبهُ شائبة واحدة من عراقيل القيود والتحفظات المعرقلة للارتقاء . والقارىء يتلمس في موسوعة «ديدرو» اصرار واصعها على ضرورة سعي الناس لمنع شقاء الناس لا لتقليله فقط، كما انهُ يشدّد على ضرورة عناية المرء بهذه الحياة الحاضرة ورفض جعل الحياة الاخرى وحدها حافزاً للجهاد

ومن المدهش حقاً ان يصرف « ديدرو » كل ذلك القدر الذي صرفهُ من الدقة والتفصيل حول الفنون الصناعية . وهو يبدو هنا مبتدعاً مبتكراً ادرك ببصيرته شأن تطبيق العلم على الصناعة ومقدار اثر جهود الانسان العلمية في حياته الاجتماعية

و« ديدرو » لم يفتأ يتلمس في كل ما كتب اصلاحاً لنظم التشريع القديمة ، وقد كانت له آراء عصرية حول التنظيم الاقتصادي فهاجم الامتيازات وعدم المساواة بشدة لا تقل عن الشدة التي هوجمت بها سنة ١٧٨٩ « سنة شبوب الثورة الفرنسية »

اما رأيهُ في نظام الحكم فقد كان متأثراً دائماً بما كتبهُ مرة عن ان « الحكومة الفاضلة هي التي تجعل مصلحة العامل غاية لها ، لانهُ اذا شقي العمال شقيت معهم الامة »

والمرجَّح ان احداً لا يقلب صفحات تلك الموسوعة اليوم سوى جماعة الاخصائيين . ولكن لها حق الادعاء بأنها احيت روح الحرية والنقد كجزء من ميراث الانسانية الخالد . وذلك اللهب البسيط الذي اشعلتهُ عصور النهضة في القرون الوسطى والذي مستهُ ايدي رجال امثال « رابليه » و « مونتاني » و« بيل » — ذلك اللهب عينه انقلب بين ايدي « ديدرو » الى نار آكلة التهمت في شدتها غابة كثيفة من الجهل والظلام كان الناس يتخبطون فيها فلا يسترشدون في داخلها الى غاية تعرف

ومبادىء تلك الموسوعة ونظرياتها لها خطرها عند الناس ، لا من حيث ان اعداءها

سمحوا بنشرها على انها تحدٍّ لمبادئهم ثم عجزوا عن مواجهته ، ولكن لانها تكشف للناس عن معجز الارتقاء ، وعن ان العالم في ذاته كاف لتغير ذاته ، ولأنها تمزق سقوق الطرائق العلمية التي لا تطاول ، وتقرر مع تلك الحقوق ضرورة التسامح وواجب الانسان للرضوخ امام مطالب العقل ، وان البحث للبحث ، لا للفائدة والمنفعة الشخصية ، هو مصدر عزاء وسعادة ، وان حروب الفتح ترجع بالعمران القهقرى ، وانهُ من المستحيل على العقل النير ان يقبل التحكُّمات الدينية كمقياس للحقائق

هذه هي مبادىء النظريات في موسوعة «ديدرو» وهي مبادىء ونظريات شائعة عادية بيننا . ولكن يجب ألاّ ننسى انها انما هي شائعة اليوم بيننا لان « ديدرو » وجماعتهُ كانوا على أتم استعداد للتضحية بحريتهم في سبيل اذاعتها. ولقد عبأ « ديدرو» جيشاً لتعزيز حقوق الفكر في استقلال انتصاراته ، وجمع تحت لوائه كل امرىء من ابناء عصره ممن نحترم اليوم اعمالهم. فليس بالشيء الوهمي ان نشبه من اشتركوا في وضع الموسوعة بجيش في الميدان وان ننسب الى القائد الذي تولّى الاشراف على تلك المعركة فضل الانتصار والغلبة[1]

— ٣ —

ومهما يكن من شيء فليست عظمة « ديدرو » فيما قام بهِ من الاعمال وانما هي في الرجل الذي كانهُ « ديدرو» . وما من انسان عرفهُ في رسائله او في رسائل اصدقائه الاّ احبّهُ . فطبيعة «ديدرو» الطيبة وجرأته وفطنته واخلاصه اعماله وتهالكه على العمل هذه السجايا وأمثالها من صفات الرجل تربط المرء بهِ رابطاً لا تنفك له عرى

وليس من شك في ان « ديدرو » كانت تنقصه رقة المزاج ورقة المعاملة ، وكثيراً ما كانت تنزل بهِ حرارته واندفاعه الى غير مستواه . وهو ممن يرضخون للعزيمة بسهولة ، شديد الاهتمام بنفسهِ، سريع الانحراف الى الخشونة التي كانت سجية بارزة من سجايا عصره. الاّ انهُ كان ، كما قال فولتير عنهُ « يحمل في نفسه شيئاً سقراطيّاً، وكان يبحث في كل شيء يمسّهُ قوة وثابة، وكان يضع الحقيقة فوق كل شيء آخر. ولم يبد من انسان ما قط، ما بدا من « ديدرو » من شهوة ملتهبة الى المعرفة . ففي كل شيء بحثه كانت غايته الوصول الى قرارة ذلك الشيء . وكان له من قوة التأثير في الغير وحفزهم الى بذل اقصى مايمكنهم بذله في مساعيهم ما لا يضارعهُ فيها ستة رجال من اقطاب تاريخ الفكر الانساني »

وكان يجد السعادة في كل مكان في الاشياء البسيطة وفي الناس البسطاء ، وكان يحافظ

(١) لو لم يكن لديدرو من اثر سوى اتمام الموسوعة لكفاه هذا فخراً واثراً في التاريخ ولكن له آثار في الاجتماع والفلسفة والفن سوف نجعلها موضوع مقال مستقل في جزء تال

على كرامة احواله في الانسانية محافظة تامة، وكان بعض اشد البعض كلٌّ ما من شأنه ان يؤدي الى الفسوء او العموض او الى الجهل ، وقد ساعد على تقدم المعارف بكل ما امكنتهُ قواه من المساعدة

و «ديدرو» كان هو هو اياں نزل ، سواء كان في المصنع يتفهم من العمال سر مهنتهم ، ام في صالون مدام بيكر ، ام في حضرة امبراطورة روسيا حيث تشتدُّ به اسباب الجدال وتلجئهُ حاجة الاقناع الى ضرب حلالتها على ركبتها ، او في مسقط رأسه محتمعاً بأبيه فلا يملك دموعه من الحريان اد يضم اباه الى صدره . وفي سحنه حيث اعتاد روسو ان يتردد عليه . ان « ديدرو » في كل تلك الحالات وفي غيرها ، هو هو شدة تعطش الى الحياه والآراء، وشدة تحنب للاذى وشدة كرم . ولقد قال ماكون « ان النفس كلما كرم معدنها رادت امامها اسباب الرفق والرحمة ». واولئك الناس الذين قابلوا «ديدرو» لاول ما قابلوه في حياتهم لا بدَّ انهم وحدوا فيه من اسباب الفتنة ما اعتاد شباب اثينا ان يجدوه في سقراط المعلم الاول

و «ديدرو » هو من اوائل رحال القلم في تاريخ فرنسا ممن اعترُوا بالطبقة التي حرحوا منها وقط لم يسعوا ليعلوا بأنفسهم عن مستواها . وكان يتحلى حتى ايامه الاخيرة بالصفات لمعروفة عن طبقته المتوسطة ويعزى نجاحهُ في الحياة الى حبه للعمل ، وكان يحكم على النظم الاجتماعيه او لها حسب اثرها في الطبقة التي كان هو منها . وليس من شك في ان المورد الذي صدرت عنهُ فلسفته انما كان هو مورد حاجات تلك الطبقة وانتصار مبادئه لم تكن تعني اكثر من سد تلك الحاجات والمرء الذي يدرس مبادىء دلك الرحل العظيم لا يخطىء فيها الدعوة الى الغاء الامتيازات والى انتصار الحرية المدنية ، والحكومه التمثيلية ، وتطبيق العلم على الحياة العملية ، والوطنية التي تصع غايات السلام فوق ضرورات الحروب ، وغير هدا من حاجات الشعب مما كان يتسمعها من افواه امه والخاصة من اصدقائه لما كانوا يجتمعون في منازلهم ، يهمسون بها همساً ولا يجرؤون على البوح بها . ولكن الرحل الفد « ديدرو » رأى في هذه المبادىء والنظريات ما لم يستطع غيرهُ رؤيتهُ فيها . ولما شبَّ وهمَّ بالمناداة بها ألبسها من قوة معارفه قوة فعالة مؤثرة — وكما ان « روسو » عبر عن آمال العامة التي كانت تختلج في نفوسهم ولكنها تتجمد على افواههم ، فكذلك قد عبر « ديدرو » عن اماني طبقة اصحاب الاملاك الصغيرة الذين يشقون بالعمل ولكنهم لا يصبحون اغنياء قط

وتلك الاماني التي عبر عنها « ديدرو » ظهرت على مسرح السلطان والنفوذ عقب الثورة

الفرنسية ، وعلى ذلك « فديدرو » لهُ فخر العمل بكل قواه في سبيل وضع الاساس الفلسفي لحكومة الطبقة المتوسطة الصناعية

***

ولقد وضعت حول مشاكل الاجتماع واثر الصناعة فيها مؤلفات لا يستطاع مقارنتها بما وضعهُ « ديدرو » في هذا الشأن . كما انهُ قد وجد من الكتّاب من كان لروعة اسلوبهم اثر قوي في الاجيال التي اتت بعدهم فطلت اساليبهم تعري الناس عما تركوا وراءهم من آثار بالرغم من ان آراءهم قدمت والاغراض التي كانوا ينادون بها بليت و « ديدرو » ليس له شيء من روعة تلك الاساليب المشوّقة المعربة ، بل يوجد من المفكرين امثال ديكارت وبيون وداروين من اداعوا مبادىء هي من صميم الحقيقة حتى لقد غيرت الاساس الذي بنيت عليهِ معارف الانسان وشيء من هذا او ما يشبههُ لا يمكن ان يُستقصَى في كل ما ترك « ديدرو » من آثار

ولكن بالرغم من هذا كله فاسم « ديدرو » حيٌّ لا يموت . وينسب الفضل في خلود اسم ذلك الرجل الى ان دهرهُ قد ارتمى على عصره بأساب الخصب والبهاء ولان شخصيته القوية جعلتهُ زعيماً بارزاً في المعارك الرئيسية التي جرت في سبيل الحرية ، وهي معارك لا يسع المؤرخ العصري ان يغفل اثرها

و « ديدرو » لم يحظ بغير القليل من اسباب المكافأة التي ينالها عادة الرجال الذين ينجحون في الحياة . فالاكاديمية لم تكافئهُ باكثر من اعفائهِ من الانتخاب ! وحتى ايامهِ الاخيرة كان « ديدرو » يحتاج الى الجهد في العمل حتى يحصل على قوتهِ اليومي ، الا انهُ كان يعيش دائماً في عالم خاص بهِ من المبادىء السامية ، وكان يشعر في نفسهِ بفرح اشتراكه فيما يدعوه « هيي » حرب تحرير الانسانية والشيء الذي كان يشعلهُ في الحياة هو تطلعهُ الى الخلود الذي تقدره الاجيال المقبلة حين تعترف للذين اتوا من قبل بانهم قد خدموا الاجيال بعدهم اصدق خدمة

وحتى اذا اعتبرنا هذه الاماني مجرد احلام ، وما هي احلام ، فانها على كل حال — كما قال « ديدرو » — « احلام قد امتدت بامتداد حياتي وجعلتني مأخوذاً بشهوتها طيلة ايام تلك الحياة »

والواقع ان تلك الاماني لم تكن احلاماً خالية ، في حياتهِ سمع « ديدرو » انغام ثناء انغام عصره عليهِ وموسيقى تلك الانغام ما تزال تتردد اصداؤها في آذان الاجيال الحاضرة وحسب الرجل بذلك خلود اسم

يوسف مغا

ادغام النفس في الاشياء والناس

وأثرهُ في الدين والحنوّ والوطنية والفنّ

نرغب ان نشير اولاً الى ان هذا الميل الذي نطمع ان ندل على مكانه من حياتنا العقلية هو من الميول المعتدلة الوادعة ، ولكنهُ ، على دعتهِ واعتداله ، ليس اقلَّ لصوقاً بنا وملازمة لنا من كثير من ميول النفس القوية الحائشة — التي تقسرنا العنف على التفطن اليها والعناية بها كلما صادمت ما يرجُّها او يُزخر تيارها . فنحن اذ نعالج هذا الميل اذاً لا نعالج احد الميول الشاذة المضطربة التي يسهل على الفاحص النفسي ان يترسم خطاها ويشاهد آثارها ، اذ من المؤكد انهُ كلما بالغت الصفة النفسية في الشذوذ والانحراف كان من الهين افرادها ومعالجتها منعزلة — نقول اننا اذ نعالج هذا الميل لا نعالج احد الميول الشاذة ، انما نعالج ميلاً طبيعيًّا يكاد لطبيعتهِ ينفلت من بين اصابعنا كلما هممنا بهِ وحاولنا ان نقسره على الوقوف في مشهد من وعينا . ولذا فاني فيما سأعالجهُ سأعوّل كثيراً على خبرة القارىء ، اذ يستحيل ان نرسم صورة صادقة لهذا الميل ان لم يسعفنا القارىء باختباراته في هذه الناحية النفسية الخفية التي يكاد يستعصي الولوج اليها من الخارج ، ويكاد لا يصل اليها الباحث عن غير طريق الفحص الداخلي للنفس (الاستطلان)

اما هذا الادغام فالطبع لا يتم على نحو ما نشاهده من ادغام الاشياء المادية بعضها في بعض . انما هو هذه العفلة وهذا الدهول عن النفس اللذان يسمحان لشعورنا ان ينسلَّ ويتسرَّب الى ما يحيط بنا ويلاصقنا من حي او جماد محاولين ان نغمره ببعض صفاتنا الانسانية . اوهما يدعان بعض ما يحيط بنا يستغرقنا بصفاته ، فنشعر عندها ، على غير وعي منا ، كاننا اصبحنا بعض هذا الناس او بعض ذلك الشيء . او بتعبير آخر هو ان نستشعر هذه الوحدة العميقة التي ترتبط بالكون والتي يعيننا على تحسسها نسياننا انفسنا قليلاً وخروجنا عن حدود انانيتنا المطلقة . فاساس هذا الميل هو اداً الشعور بوحدة الاتصال بيننا وبين الاشياء التي تحيط بنا وتكتنفنا ، واستعارة بعض صفاتها او اسباغ بعض صفاتنا عليها ، فنحسُّ عندها كلها اياناً واننا اياها وكأنها اصبحت بضعة منا واننا اصبحنا بضعة منها

ترى صخرة ضخمة تتشبث بصدر جبل يشرف على هاوية عميقة ويبدو لك ان مركز

هذه الصخرة غير ثابت اذ تلاحظ انها ترتكز على سن من الصخر يهم ان يخلي مكانهُ . وانت بالطبع لا يهمك من امر هذه الصخرة شيء . ولكن بالرغم عن ذلك تشعر بان حاسة من القلق الغامض تشيع في نفسك . ويظلُّ هذا الاساس يستولي عليك كلما شهدت هذا المشهد الى ان تخلي هذه الصخرة محلها فيزايلك وقتها الشعور بالقلق كأن في استقرار هذه الصخرة على وضع ثابت استقرار لهذا القلق الذي كان يستولي عليك. وترى عموداً مائلاً يرتكز عليهِ بناء من الابنية فلا تتمالك ان تميل بجسمك في جهة تعاكس الجهة التي يميل فيها هذا العمود كأنك تحاول ان تسنده وتعدّل مركزه بحيث يقوم مستوياً على قاعدته فلا يعود يخشى عليهِ من السقوط

ثم تنظر الى ذلك الطائر يحلق في الفضاء هازئاً بهذا الحار العنيد الذي يكبّلك ويسمّرك الى الارض فتحس عندها بنشوة السرور تشيع في نفسك والعطة تعمرك حتى ليكاد هذا الاحساس يقفز عن اعصابك بما يشبه حركات ذلك الطائر هذه ومئات غيرها من الامثلة تشير الى تأصل هذا الميل في طبائعنا وتمكّنهِ منا . وعبرة هذا ان الانسان مهما قسرتهُ حقائق الحياة وتنازع البقاء على العكوف على نفسهِ والتوجه اليها في جميع اعماله ، فان فيهِ من الدوافع والميول الخفية ما يجعله اكثر انسانية مما يفرصهُ عليهِ النضال في سبيل الحياة

على ان هذا يبدو لنا اتمّ واجلى اذا اعتبرنا بعض الافعال التي يجريها اجابة لدواعي اتصالنا بالاحياء من الناس او ما يمتّ اليهم بنسب قوي . وفي الحقيقة ان محال هذا الميل ووجهته الاخيرة هو الانسان . والواقع انهُ عنصر قوي في نشوء الاديان وتكوينها وفي تركيز كثير من الفضائل الاجتماعية وفي الفنون على اختلاف وجهاتها

* * *

من اي الجهات تأثر الدين بهذا الميل الانساني الصرف ؟ ان تاريخ نشوء الخرافات يتكفّل بالاجابة عن هذا السؤال . فانهُ مما لا شك فيهِ ان ديانات الانسان القديمة نبتت في ثرى الاساطير التي حاكها خياله وبثتها اوهامه . فديانات الامم الحاضرة والامم الغابرة لها من الصلة بهذا الميل النفسي بقدر ما لها من صلات بالخرافات التي حاكتها مخيلة الانسان الاول . ولكن اين نجد الصلة بين ما ندعوه الادغام النفسي وبين خرافات الانسان القديم؟ ليس الجواب بعسير . ويكفي ان نرجع الى هذهِ الخرافات التي تركها لنا المصريون والكلدان واليونان في الاخص فنرى ان الاوصاف التي كانوا يسبغونها على ابطال خرافاتهم وآلهتهم هي اوصاف انسانية محضة . وآلهة اليونان باوصافهم ونعوتهم وعواطفهم هم اناس لا يختلفون عن سكان نيويورك والقاهرة وباريس. فهم آلهة يحبون ويبغضون، ويختصمون ويتراصون، يحقدون ويتصافون ، يطمعون ويقنعون ، يجدّون ويهزلون ، وهكذا مما له شبيه في حياتنا الانسانية

وديانة العبران الاولى متأثرة الى حد بعيد بهذا الميل . فاله العبران الاول اله قاس يحب شرب الدم والانتقام ويرتاح الى القسوة والبطش . وهذا يصف لنا الى حدٍّ بعيد نوع الحياة التي كان يحياها هؤلاء القوم البداة وما كان يعتلج في صدورهم من مختلف العواطف الحشنة والاحساسات العليظة ، لما كانوا يلاقونهُ من شظف العيش وما كانوا يتكبدونهُ من عناء وان الامم المجاورة حتى وقر في اذهانهم ان الههم لكي يستطيع ان يبسط عليهم حمايته يجب ان تكون له صفات الشدة والقوة والبطش وهي الصفات التي كانوا يشهدون آثارها شهوداً متواصلاً

واساس هذا كله الخوف والجهل . فالانسان القديم لما كان يرى اثراً من آثار الطبيعة لا يستطيع تفسيره تفسيراً طبيعيًّا كان يرتدُّ الى مخيلته ويحاول ان يجد صلة تربطهُ بهذه الاشياء التي تروعهُ وتقضُّ مضجعهُ من جهة وتلقي عليهِ ما تلقي من احساس بالغرابة والدهشة من جهة اخرى . فكان — لذلك — يُسبغ عليها من صفاته ونعوته ما يرى انهُ يلائم افعالها الشريرة والخيّرة . كان ذلك يسهّل عليهِ تصوُّر اعمال هذه الآلهة ويسهّل لهُ طريقة العبادة، اذ كان عليهِ ان يتوجه اليها بما يرضي هذه العواطف والاوصاف الانسانية التي اسبغها عليها وهو بعدُ لم يكن مختاراً في هذا ، لانهُ كان يستحيل عليهِ في ذلك الوقت ان يتصوّر عملاً يقوم بما لا يشبه الايدي الانسانية . فكل ما كان يحيط بالانسان القديم من اعمال الطبيعة كان له مثيل من اعمال هذا الانسان نفسه . وليس هذا العجز عن تصور افعال الآلهة منفصلة عن افعالنا الانسانية مقتصراً على الانسان القديم . فان ارقى الطبقات المهذبة الآن يصعب عليها ان تتصور صفات الله والملائكة على خلاف ما عهدناه في البشر . ويكفي ان نشير الى الصاوير التي خلفها الفنانون لله والملائكة على حدوان الهياكل والاديرة لندرك مبلغ تأصل هذا الميل فينا . والجدل الذي قام حول صفات الخالق وهل يصح ان تطلق عليهِ صفات انسانية أو لا يصحُّ هو اثر من آثار هذا الميل العميق المتأصل فينا . ولعل الحجج الاديان عمليًّا هو الدين الذي يُقرُّ بالواقع ويدرك ان مدارك الانسان اقصر وأكلُّ عن ان تتصور او تتوجه الى شيء لا يشارك هذا الانسان ببعض صفاته المحسوسة . وهذه الاديان الراهنة اكثرها استيلاء على اذهان اصحابها هي الاديان التي لا تتناسى الصفات الانسانية . فتقوم فيها الصفات والاعمال البشرية المعقولة مقام الصفات الغامضة المستحيلة. والذين صوروا لنا الجنة والنار على هذا النحو الذي نعرفهُ والذي نجد لهُ شبيهاً في حياتنا الارضية كانوا ادرك للحياة وافهم للطبيعة البشرية ممن حاولوا ان يأتونا باوصاف للعالم العتيد لا خبر لنا بها ولا معرفة

وليس من قبيل المصادفة ان تجمع اكثر الاديان على ان الله خلق الانسان على صورته ومثاله فان في هذه المشابهة بين الله والناس ما يدنينا من الله ويجعلنا افهم له واطوع لاوامره. والعبارات التي كان السيد المسيح يكررها على اتباعه من مثل: كونوا كاملين كما ان ابا كم الذي في السموات هو كامل لم تكن الا صدى لما كان يتردد في نفوس هؤلاء التابعين من شوق الى الاتصال بالله ورغبة في ان يعمرهم بصفاته

وخلاصة القول ان هذا الميل قد لوّن الاديان البشرية قديمها وحديثها بهذه الالوان الانسانية المحضة. ولذا فنحن لا نعدو الحقيقة اذا قلنا ان الانسان يضع نفسه في اديانه

***

اما العواطف التي تتأثر بهذا الميل النفسي فهي ذلك النوع من العواطف الذي تثيره فينا دواعٍ انسانية، وهو ما نسميه بالعواطف الاجتماعية: كعاطفة الحنو والرأفة وعاطفة الوطنية والحماسة. هذه العواطف واشباهها مردُّها ما نشاهده من نقص او عيب في احوال الجماعة التي نحيط بنا، فنحاول بالفعل او بالنية ان نزيل هذا النقص فعاطفة الحنوّ التي ذكرنا هي استهجان لما نشاهده من آثار البؤس والشقاء فيمن عدانا. وهي حالات لا نرغب في بقائها فيمن يحيط بنا اذا كانت صلتنا بهم صلة طبيعية لا يفسدها شيء من العداء او الفتور. فالانسان بفطرته يكره ان يرى آثار الشقاء في الغير ولكن لكي يشعر المرء بعاطفة الحنوّ شعوراً صادقاً لا بدّ له من ان يساهم الغير في الاحساس بالشقاء. والاّ فيكون مظهر الشفقة فيما مظهراً كاذباً والذي يعيننا على مساهمة الغير حس الشقاء ماذهنا اليه من سعة الخيال وهذا الميل الذي فطرنا عليه من قدرة على ممارسة احوال بواعثها ليست واقعة علينا مباشرة. وليس صعباً ان نستشعر الم الحرمان ولوعة الحزن في الغير مهما كانت العلاقات بيننا وبينه بعيدة والصلات مشتتة ويزداد تأثير منظر الشقاء بلوعاً وشدة فينا كلما كان في احوال الشخص المبتلى ما يشبه ما نحن فيه او ما كنا مررنا عليه في طور من اطوار حياتنا فالمرأة التي لم تذق مرارة الثكل وآلام الفجيعة لا يبلغ منها الحزن في مشهد الموت مبلغ المرأة التي ذاقت لوعة الثكل ومرارته. فالاخيرة اصبحت طريق الاحزان الى نفسها ممهودة ومعبدة ولذا فهي اسرع تأثراً وأكثر استعداداً لادعام نفسها في نفس اللائي فجعن بفقد عزيز. ونحب ان نلاحظ هنا ان المرأة — على الاجمال — اقدر من الرجل على الاسلاح من شخصيتها والاندماج في غيرها. فهون عليها — والحالة هذه — ان تتحسس الالم يعتلج في نفوس الغير. والذي يشهد مأتماً من المآتم يدرك ذلك جيداً. فهو هناك يكاد لا يسمع نأمة من غير النساء او يرى عبرة تسكبها غير عيونهن. اما الرجال فقد لا يرى احد منهم يندى له جفن. وليس

الفرق ان الرجل جامد العواطف متبلّد الاحساس الى هذا الحد : انما هو ان الرجل اقدر على تقدير الواقع واكثر التصاقاً بشخصيته من المرأة فلا يستولي عليه من الذهول والعملة عن النفس ما يستولي على المرأة

وعاطفة الوطنية، وأساسها الشعور بالمظالم الواقعة على الامة والرغبة في ازالتها ، مثل آخر يرينا كيف ان المرء يستطيع ان يحسّ اموراً ويستشعر احوالاً قد لا يكون له بها صلة مباشرة او يكون لها اليه سبيل. فالذين يتحمسون للوطن شاعرين أن في ازالة الحيف عنهُ ترفيهاً عنهم ومغنماً لهم ليسوا اكثر من الذين يتحمسون له وهم لا يشعرون بشيء من هذا او ذاك انما كل ما يشعرون به هو احساس كالذي يستولي عليا حينما نرى صبياً يتألم او يُظلم ، فنهبُّ لنصرته شاعرين كأن هذا الذي يقع عليه من ظلم ويصيبهُ من الم يصيبنا ويقع علينا. واساس هذا كله هو هذا الاحساس السليم الذي فطرنا عليه — الاحساس بما يحسّه الغير الى حد الذهول عن الواقع ونسيان المشاهد الملموس

ذانك مثلان من عديد الامثلة التي ترينا مقدار اثر هذه البرعة في حياتنا العاطفية ومبلغ ما تحدثهُ من تعميق في غور العواطف وتثبيت لاصولها في ثرى النفوس

***

ثم في الفنون ما هو اثر هذا الميل ؟ أترى انك اذا دهمت الى مرسح من مراسح التمثيل او جلست تصغي الى خطيب او وقفت امام احدى الصور الفنية الرائعة او في مشهد من احد الشوارع المشرئة تصحي بالرغم عنك غير الشخص الذي كنتهُ قبل ان تشهد هذه الامور، وتحسّ كأن هذه المشاهد التي تجري امامك والآيات التي تواجهك ليست بمعزل عنك مهما حاولت ان تنفصل عنها وتقف امامها موقف المرتاب الناقد الذي لا همهُ سوى الدرس والانتقاد ، او موقف المتلهي الذي يتطلب شيئاً يطارد به جيوش السآمة والملل. انت امام فرقة تمثيل هملت او مكبث او كليوباترا . فما هو موقفك هنالك ؟ أتستطيع ان تقول انهُ موقف من يود ان يستعرض حوادث هذه الرواية استعراض الصرّاف نقوده ليرى صحيحها من زائفها ؟ او تستطيع ان تقول انهُ موقف المتفكّه الذي يدرك ان ما يجري امامهُ هو من قبيل الرمز الى اشياء قد لا تقع مرة واحدة في الحياة ؟ ما بالك تقول هذه او تلك

ايها القارىء اذا كنت ممن اعتادوا الجلوس امام منصة التمثيل قد تكون نقاداً تحمل اقلامك وأوراقك وقد تدرك تماماً ان ما يجري امامك ليس الاّ خيال شاعر ، ولكن بالرغم عن هذا وبالرغم عما تفرضه عليك آداب الجلوس في المراسح قد لا تملك نفسك في بعض ادوار هذه الرواية او تلك ان تصرخ صرخة حانقة او تصفّق بيديك او تصفّر

خدّك او تنقض ملامحك وتتجهم او تشيح بوجهك هنا وهناك علامة على الاشمئزاز . فما الذي دهاك؟ هل اتاحد الممثلين وهل طاب اليك الحضور ان تجري هذه الامور لتنغص عليهم لذاتهم وتفسد عليهم متعهم؟ الحقّ انها ليست هذه ولا تلك انما هو هذا الميل العريب الذي انساك نفسك وجعلك راعماً تدغم نفسك في هؤلاء الممثلين فتبكي اذا كان ما يُبكي او تضحك اذا كان ما يضحك او تتجهم اذا كان ما يوجب التجهم . ومن هنا كان مقياس الاجادة في التمثيل هذه الغفلة عن النفس التي تعتري جمهور المشاهدين ، ومن هنا كان لا يصحّ ان يقال ان التمثيل لهو وتسلية وان جمهوراً تستغرقهُ رواية من الروايات الرائعة الى حد الذهول عن النفس لا يجوز ان يقال انهُ يلهو ويتسلى . والصحيح ان يقال انهُ يمارس الحياة العنيفة الرائعة ويروض عواطفه ومشاعره ويتعلم كيف يمقت الرذيلة ويمجد الفضيلة واذاً فالفن هو من على قدر ما يستولي علينا ويستغرق حواسنا ومشاعرنا

واليك هذا الخطيب : يكون في اول الامر متدفقاً كالسيل غنيًّا كالبحر، ولكن فجأة يرتج عليهِ ويستعصي عليهِ الكلام. وقد تطول مدة ذلك فتحسُّ عندها كأن عيمة تعشاك وتودُّ لو تخسف الارض بك وتعيك عن الانظار، كانما انت الذي يقف على منصة الخطابة واجماً ترمقهُ العيون وتتحداه الملاح بل قد لا تحجم ان تعطي وجهك بيديك تريد ان لا يراك احد . واذا فتح الله على خطيبنا وانحلت عقدة لسانه تنفّستَ الصعداء وأحسست كأن حملاً ازيح عن صدرك . وسرُّ هذا الك والخطيب الذي ملك عليك نفسك لسحر بيانه اصبحتما متدانيين متلاصقين الى حدّ ان تحسب نجاحه نجاحاً لك وخذلانه خذلاناً لك ايضاً ومن هنا ما استولى عليك من قلق في الاولى وارتياح في الثانية

ومجال هذا الميل في استحسان آيات الفن الصامتة : الطبيعية والصناعية هو مجال واسع. فنحن اذ نقف خاشعين امام جبل اشمّ او بحر خضم او شلال متدفق بشعر بارتياح عظيم قد لا يفسره الاّ ميلنا الى الصاق دواتنا مما يحفُّ بنا ، حينما تيسَّر لنا اسباب ذلك ، فنستشعر بعض صفاته فالجبل المتربع في بسيط من الارض قد يبعث فينا مرآهُ احساس الكبر والجلاء كأن نفوسنا كبرت وتضخمت الى جانبه. والبحر المسترخي استرخاء النائم قد يكون سبب روعته انهُ يبعث في نفوسنا احساس الخلود والابد فنقف امامه خاشعين خشوع المصلين . والشلال المربد المندفع نرى فيهِ معنى الاندفاع والحياة فيروعنا ومثل هذا يقال فيما يروعنا من كثير من آيات الفن التي سوتها يد الطبيعة او يد الانسان

شرقي الاردن اديب عباسي

صفحة من الادب العالمي

التوراة مستوحى الكتاب

ومقامها في ادب الغرب

ينزع كتّاب العربية في نهضتهم الحديثة الى قراءة التليد من نتاج ادمغة العربيين واقتباس ما يردونهُ حسناً وملائماً البيئة التي يعيشون فيها ، ويعصرون قراءتهم الادب العربيّ على مؤلفات الجاحظ وابن خلدون وابن عبدربه والاصبهاني والمعري والبحتري والفرزدق وجرير وغيرهم ، كأنّ في مضمون هذه المؤلفات غذاءً كافياً لقرائحهم وكأنّ قصارى ما يرغبون فيهِ تقوية لغتهم بالمترادفات ، فالاديب إداً من قدّر لهُ ان يكتب كتابة صحيحة مزخرفة بألوانٍ من الكلام العالي ، والشاعر من استطاع أن يجيد رمي القافية ، والفيلسوف من أدخل الى لغتهِ فلسفة الغير

لا نستغرب هزال المادّة في نتاج معظم كتاب اليوم الذين لا طاقة لهم على الدرس والمداومة لتغذية افكارهم ، فهم يقرأون ساعتين ويكتبون خمس ساعات او ثماني ، وجلّ ما يكتبون رجعُ اقوال قالها عصرهم نفسهُ مائة مرّة من قبلهم

نرى ادباء العرب يحيطون علماً بالكثير ممّا ولّدتهُ مخيّلات الاقدمين من اليونان ، الى العبرانيين ، الى اللاتين ، الى الفرس والعرب ، ونرى في ثقافتهم آثاراً من تلك الثقافات مطبوعة بطابع نفوسهم الخاصّ ، فهي « أساطير الدهور » لشيكتور هيغو عرفٌ طيّب من التوراة والالياذة ، وفي « الفردوس المفقود » لملتون وحيٌ مستمدّ من سفر التكوين ، وفي قصيدة لامرتين « سقوط ملاك » المتضمنة اثني عشر الفاً من الابيات وثبات متأثرة ببعض فصول تثنية الاشتراع وسفر الملوك الثالث وبعض فصول سفر التكوين ، وفي مطلع قصيدة « فوست » لغوته شبهٌ قريب بمطلع سفر أيوب

أما ادباء العرب في هذه الايام فلا نرى في منتوجات معظمهم إلاّ آثاراً عثّة من منتوح الادب الغربيّ الحديث لا تتناول شيئاً من حضارتهم إذ لا يعرفون أن يطبعوها بطابع خاصّ بل يرسلونها على عنصرها في شكل مشوّه دمم ، ثم هم يكتفون من الادب القديم بقراءة دواوين سلفائهم وأقاصيصهم لاعتقادهم أن في هذه الكتب ما يتعنّى به الاديب عن سواه

لا سبيلَ لنا أن ننكر أن الادب العربي لم يبلغ في عصر من عصوره ، منذ فجره الى اليوم ، ما بلغه الادب اليوناني واللاتيني من الرقي ، وقد لا نخطىء اذا قلنا إنهُ لم يرتفع في شيء الى مستوى الادب العبرانيّ ربيب الفلاسفة وأنبياء التوراة ، ففيمَ يشيح الادباء والمتأدبون في البلاد العربية عن تلك الذخائر الالهية المدفونة في مطاوي كتب اليونان والرومان والعبرانيين ،وهي على ثقة الدهور اصدقُ أدب أخرجته أدمغة البشر حتى اليوم؟

اية فلسفة من فلسفات الناس تضاهي في صدقها وعمقها فلسفة ابن سيراح ، واية شاعرية تصاهي في جمالها وروعتها شاعرية سليمان في نشيد الانشاد وشاعرية ايوب في سفره، واية شرائع من شرائع البشر أثبت وأسمى من الشرائع الانسانية الحبلة في بعض اسفار تثنية الاشتراع؟

اسمع هذه الشرائع : « إذا حصدت حصادك في حقلك فنسيت حزمة في الحقل فلا ترجع لتأخذها إنها للغريب واليتيم والارملة تكون . واذا خبطت زيتونك فلا تراجع ما بقي في الاغصان إنهُ للغريب واليتيم والارملة يكون. واذا قطفتَ كرمك فلا تراجع ما بقي منهُ إنهُ للغريب واليتيم والارملة يكون » . فهذه الشرائع السامية قد اوحت الى لامرتين أجمل مقطع في قصيدته الخالدة سقوط ملاك » ، فاسمعهُ يقول بلسان النبيّ الشيخ : « دعوا خبزكم على عتبة بيتكم للحائمين ، واتركوا بعض ثمارٍ على عصوها لعابري الطرق »

Votre pain
Restera sur le seuil pour quiconque aura faim.
Vous laisserez toujours quelques fruits sur la branche
Pour que le voyageur vers ses lèvres la penche.

ونكاد رائعة لامرتين هذه التي قال عنها ڤيكتور هيغو إنها رائعة روائع العصر تمزح جميع فقراتها بأسفار التوراة اما فكرة القصيده فقد استوحاها لامرتين من الآيتين الاوليين من الفصل السادس من سفر التكوين وهما : « (١) ولما ابتدأ الناس يكثرون على وجه الارض وولد لهم بنات (٢) رأى بنو الله بنات الناس إنهن حسنات فاتخذوا لهم نساءً من جميع من اختاروا »

كان الشاعر الانكليزي توماس مور قد نشر في العام ١٨٢٠ قصيدة رمزية في « غرام الملائكة » نسّبت الشاعر الفرنسي الفرد ده فيني الى قراءة التوراة فاذا به يطلع على الادب بقصيدته الخالدة « إلواء أو أخت الملائكة » التي ترمز الى انتصار الشرّ على الخير

استوحى الفرد ده فيني قصيدتهُ هذه من الآية (١٣) من الفصل الثالث من سفر التكوين وهي : «فقال الربّ الاله للمرأة ماذا فعلت . فقالت المرأة الحية أغوتني فأكلت». ومن الآية (٦) من الفصل السادس من سفر التكوين وهي : « فندم الربُّ انهُ عمل الانسان على الارض وتأسف في قلبهِ »

قال ده فيني في مقطع « الطوفان » من قصيدته هذه : « كانت الارض ضاحكة وفي نضارتها الاولى ، وكان كلّ شيء على الارض لا يزال طاهراً نقيّاً ، إلاّ ان الانسان كان شرّيراً ! فتأسف الله في قلبه وحوّل نظره عنهُ » . وجاء في الآية (٥) من الفصل السادس من سفر التكوين: « ورأى الربّ ان شرّ الناس قد كثر على الارض وانّ كل تصوُّر أفكار قلوبهم إنما هو شرٌّ في جميع الايام » . وفي الآية (٧) من الفصل نفسه «فقال الربّ أمحو الانسان الذي خلقت عن وجه الارض الانسان مع البهائم والدبّابات وطير السماء لاني ندمت على خلقي لهم »

وقال ده فيني في قصيدته : « أرى الحمامة في الحلَد تحمل غصناً » وجاء في الآية (١١) من الفصل الثامن من سفر التكوين « وعادت اليه الحمامة وقت العشاء وفي فمها ورقة زيتون خضراء فعلم نوحُ ان المياه قد جفّت عن الارض ». وقال في ختام هذه القصيدة: « وظهر قوس قزح في السماء إذ انتهى كل شيء » . وجاء في الآيتين (١٢ — ١٣) من الفصل التاسع من سفر التكوين « وقال الله علامة العهد الذي انا جاعله بيني وبينكم وبين كل ذي نفس حية معكم مدى اجيال الدهر . تلك قوسي جعلتها في الغمام فتكون علامة عهد بيني وبين الارض » .وقال الشاعر الفرنسي في المقطع الاخير من قصيدته هذه :« كرسقة لاطمها الهواء تحرّكت اعضاءها » . كأنهُ تذكّر عندئذٍ موت اوريال في النشيد التاسع من قصيدة مرحيل (الاناشيد) إذ جاء ما يلي : « وسقط ميتاً فغمر الدم جسده الجميل — رائعة الطبيعة — والتوى رأسه المثقل على كتفه كزهرة جميلة قطعتها شفرة المحراث فدحلت على الارض وماتت ، أو كاعشاب نهكتها العواصف فحنت رأسها المثقلة بالامطار »

***

قلنا ان معظم روائع الكتبة في العرب قد استوحوا مواضيعهم من اليونان والرومان ومن التوراة نوع خاص ، فملتون ، احد شعراء الانكليز العظام ، استلهم ملحمتهُ الخالدة « الفردوس المفقود » من سفر التكوين ، فالفردوس المفقود قصيدة ذات اثنى عشر نشيداً تتناول سقوط آدم وحوّاء

يُرى سطانائيل في الاناشيد الثلاثة الاولى عاقداً مجتمع ابالسة للائتمار على العالم الجديد الذي خلقهُ الله والاتفاق على فتحه ، الاّ ان الله يعرف بالخطة الجهنمية هذه فيعلن للملائكة سقوط الانسان وتصح عزيمته على ارسال ابنه لينقذه . ويتحهُ القارىء في الاناشيد الخمسة التالية الى حنائن عدن فيسمع حواء تطلع آدم على حلم اقلقها . في تلك الآونة يهبط الملاك رفائيل من السماء ويحذر آدم من فحاح الروح الشريرة على ان سطانائيل يكون في النشيدين التاسع

والعاشر قد انسل الى عدن واستحال الى حية، فيبدأ عندئذ مشهد التجربة وينتصر الشيطان ولكن الانتقام السماوي لا يلبث ان يحول جميع رفاق الروح الشريرة الى حيات فيذهب القنوط عن آدم ويدعو حواء الى ملاشاة غضب السماء بالصلاة

ويرى ابن الله في النشيدين الآخرين صارعاً الى ابيه لكي يغفر خطيئة الرجلين الاولين فيرضى الله بذلك ،الاّ انهُ يبعث الملاك ميخائيل ليقول لآدم وحواء انهما منفيان وان المرض والموت سيلحقان بهما من الآن فصاعداً

لم يقتصر هذا الموضوع العظيم على تاريخ اسرة او شعب بل هو تاريخ الانسانية جمعاء ومنذ مدرجها الى اقصى عهد من عهودها المقبلة، وهو بجملته مستوحى من هذه الآيات في الفصول الاولى من التكوين وهي (١ — ١) في البدء خلق الله السماوات والارض (١ — ٣) وكانت الحية أحيل جميع حيوان البرية الذي صنعه الربُّ الاله فقالت المرأة أيقيناً قال الله لا تأكلا من جميع شجر الجنة. (٦ — ٣) ورأت المرأة ان الشجرة طيبة للمأكل وشهية للعيون وان الشجرة منية للعقل فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت بعلها ايضاً معها فأكل (١٤ — ٣) فقال الرب الاله للحية اذ صنعت هذا فأنت ملعونة من بين جميع البهائم وجميع وحش البرية على صدرك تسلكين وتراباً تأكلين طول ايام حياتك (١٩ — ٣) بعرق وجهك تأكل خبزك حتى تعود الى الارض التي اخذت منها لانك تراب والى التراب تعود

ولقد زين ملتون موضوعه هذا بجميع زهرات الشعر القديم ، فاذا هو لا يزال واقفاً على احدى قمم الشعر التي لا يأمل ان يرقى اليها الاّ القليل من الشعر

كان الشاعر الالماني هردر يرى في الاسفار العبرانية شاعرية الهية لا يرى طلاً منها في الشعر الحديث، في شعر الشعوب المتحضرة، وكان يقول : « لماذا لا نستوحي الثقافة القديمة ونطبع هذه الثقافة بعادات العصر واخلاقه ؟ »

وكان غوته، صديق هردر واحد الادمغة العالمية، لا يملُّ قراءة التوراة التي كان يفضلها على جميع ما انتحتهُ المخيلات البشرية، ولقد استوحى فكرة قصيدته « فوست » التي قضى ستين سنة في نظمها والتي لقّبت في التاريخ الادبي بتوراة الالمانيين — لقد استوحاها من الاصحاح الثاني من سفر ايوب

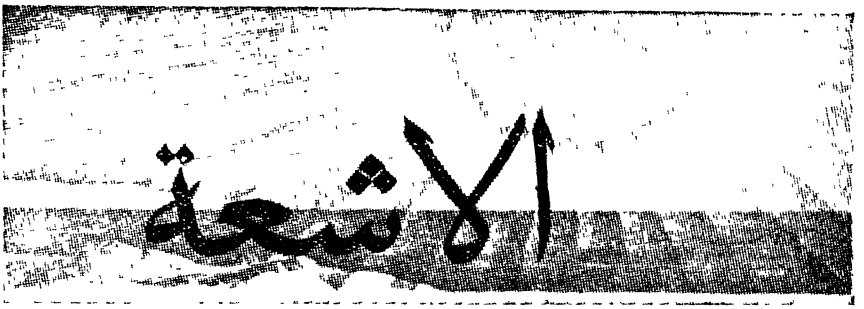
جاء في مطلع هذا الاصحاح ما يلي : «(١) وكان ذات يوم ان جاء بنو الله ليمثلوا امام الرب وجاء الشيطان ايضاً في وسطهم ليمثل امام الرب (٢) فقال الرب للشيطان من أين جئت . فأجاب الشيطان الربَّ من الجولان في الارض ومن التمشي فيها . (٣) فقال الرب للشيطان هل جعلت قلبك على عبدي ايوب. لانهُ ليس مثله في الارض. رجل كامل ومستقيم

يتقي الله ويحيد عن الشر. والى الآن هو متمسك بكماله وقد هيجتني عليه لابتلعهُ بلاسبب (٤) فأجاب الشيطان الرب وقال. جلد بجلد وكل ما للانسان يعطيه لاجل نفسه (٥) ولكن ابسط يدك ومُسَّ عظمه ولحمه فانه في وجهك يجدف عليك (٦) فقال الرب للشيطان ها هو في يدك ولكن احفظ نفسه» . فاليك مطلع الفصل الاول من « فوست »

حوار في السماء

السيد والشيطان مفيستوفليس يتراهنان على روح فوست السيد — اتعرف فوست ؟
مفيستوفليس — الحكيم ؟ السيد — اجل ، حادمي
مفيستوفليس — حقاً انهُ يخدمك بشكل غريب ، فلا شيء يحسب ارضيًا عند هذا المجنون حتى الطعام والشراب وأرى روحه تطوف في الجوّ دائماً ، تطلب من السماء اجمل كواكبها ومن الارض اسمى لذاذاتها . . .
السيد — بل هو يبحث عني في الظلام وقريباً اهديه الى النور . . .
مفيستوفليس — اتراهني على انك ستفقده من بين يديك؟ ولكن دعني اختبر الوسائل التي تمكنني من جذبه الى طرقي
السيد — تستطيع ان تنجح بتجاربك فيه مادام حيًا على الارض، فكل انسان يمشي معرض للضلال
مفيستوفليس — اشكرك اني ليلذ لي ان يكون لي شأن مع الاحياء ، فأنا كالهر الذي لا يأبه للفئران الميتة
السيد — حسناً ، لقد اذنت لك ، فابعد هذه الروح عن ينبوعها وسر في طريقك اذا قدرت ولكن ستثق بأن رجل الخير يعرف ان يسير طريق الله الصيقة ويتبعها
مفيستوفليس — لن يتبعها طويلاً ! سترى اني اريد ان يأكل التراب بلذة كابنة عمي الافعي وكبلع ، كبلع الشاعر الانكليزي العائش في يومنا هذا ، كبلع الذي لم ينشد الاحلام ولا الحب، وقصر شعره على اطراء العمل والنظام والبحر والمادة وأنشد جميع العناصر التي تمثل القوة المتطورة في العالم ، كبلع شاعر الواحة وشاعر « الخدمة » على حدّ قوله قد بنى قصائده « المادية » على اسس متينة هي التوراة

ولكي يتصح لقراء العرب وأدبائهم الذين لم تمهّد لهم سبُل الوصول الى كتاب العبرانيين او بالاحرى سمر الانسانية اجمع أنّ التوراة اصدق اساس لاي بناء ادبي كان بذكّرهم ان كليوباطرة ، ملكة مصر ، واشدّ رجالات عصرها تعشقاً للعلوم وتعمقاً في الآداب قد بلغ بها « الهوس » بالالياذة مبلغاً حدا بها الى تفضيلها على التوراة ، وقد اجمع الكل على ان هذا التفضيل إنما هو مبالغة طاهرة بيروت الياس ابو شبكة



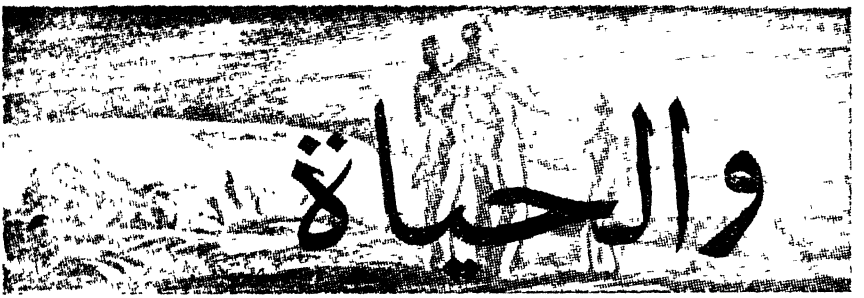
الشمس وفائدتها

بقلم الدكتور

غريب ان نذكر الشمس وفوائدها في بلاد الشمس حيث هي في متناول الجميع ولكن الواقع اننا لا نستفيد منها بقدر ما يجب ان نستفيد . فلهذه البلاد مواهب طبيعية لو علمنا كيف نستخدمها لكنا المثل الاعلى بين الامم في الصحة على الاقل . ويقول مثل ايطالي (اذا طهرت الشمس اختفى الطبيب) . وقد ذكر هيرودوتس المؤرخ اليوناني في كتبه يصف مشاهداته اثناء سياحته سنة ٤٣١ قبل الميلاد فقال: « وقد رأيت هناك شيئاً غريباً نهي اليه الناس فقد وجدت اكواماً من عظام الهياكل الشربة مكدسة في ناحية منفصلة ولاحظت ان عظام جماجم الفرس خفيفة حتى يمكن كسرها اذا ضربت بحجر صغير بينما وجدت ان جماجم المصريين سميكة وقوية حتى لا يمكن تهشيمها ولو رميتها بحجر كبير . وقد ذكروا لي ان سبب ذلك يرجع الى ان المصريين اعتادوا حلق شعور رؤوسهم من صغرهم فتقوّت جماجمهم بتأثير الشمس بينما جماجم الفرس خفيفة لانهم يحجبون اشعة الشمس عن رؤوسهم من صغرهم بلبس القبعة واني اعتقد صحة هذا السبب» . ويقول في موضع آخر ان المصريين يأكلون الاسماك واللحوم بعد تمليحها وتنشيفها في الشمس

وقد ذكر احد الاطباء اليونانيين عن هيرودوتس قوله « ان التعرض لاشعة الشمس ضروريٌّ في احوال الضعف ولتحسين الصحة وانهُ يجب الامتناع عن التعرض للاشعة التي تمرُّ من السحب وانهُ يجب تعريض جسم المريض للشمس مباشرة الاّ في الصيف وفي حالة المرضى الصعفاء ويجب تغطية الرأس اثناء العلاج » . وذكر ان سينا الطبيب العربي الشهير ان الاشخاص الذين يتعرضون كثيراً لاشعة الشمس والهواء الطلق لا يصابون بالامراض

واذا رجعنا الى ابعد من ذلك الى الانسان الاول الذي كان يعيش في الكهوف لاحظنا ان فتحات هذه الكهوف كانت تتجه دائماً اما الى الجهة الشرقية او الجنوبية لضمان دخول الشمس اليها وقديماً كان قدماء المصريين يعبدون الاله رع اله الشمس واهب الحياة والصحة



في الصحة والمرض

لبيب شحاته

كذلك اذا راجعنا تاريخ الامم القديمة كالفرس والبابليين واليونان واليهود وجدنا ان اكبر آلهتهم التي كانوا يعبدونها كانت آلهة تمثل الشمس. وكان قدماء اليونان يستعملون حمامات الشمس في العلاج وكان الرومان يراعون دائماً بناء جناح خاصّ بحمام الشمس في منازلهم

ثم جاءت العصور المظلمة فاندثرت كل المعلومات القديمة وعدنا لا نعرف عنها شيئاً حتى القرن الثامن عشر لما اخذ المشتغلون بالعلاج يفكرون في استعمال اشعة الشمس في العلاج واخذوا في درس خواصها وتأثيرها في احوال الامراض المختلفة وابتدأوا فعلاً في علاج القروح والجروح المختلفة بتعريضها لاشعة الشمس ومنهم من استعان بعدسات زجاجية لجمع الاشعة على الموقع المطلوب من الجسم

﴿تركيب اشعة الشمس﴾ كان كلُّ ما يعرف من اشعة الشمس الى ذلك الوقت هو الحزء الذي يرى بالعين فقط . فلما جاء العالم الفلكي الشهير نيوتن جرّب تجربة من ابسط التجارب وهي كما يصفها بنفسه اذ يقول : — في حجرة مظلمة عملت فتحة مستديرة في احدى النوافذ ووضعت امامها منشوراً زجاجيًّا بحيث ان اشعة الشمس التي تنفذ من الفتحة وتقع على المنشور تنكس على الحائط المقابل للمرفة وبذلك وجدت صورة ملونة لاشعة الشمس

هذه تجربة من ابسط ما يتخيله العقل ولكنها كانت اساس جميع ما يعرف الآن عن الاشعة وتأثيراتها المختلفة . ولما جرّبت هذه التجربة كان الاعتقاد سائداً بان الالوان التي ترى بعد مرور اشعة الشمس بالمنشور الزجاجي تحدث من تغييرات بالضوء عند مرورها ولكن نيوتن اثبت ان اشعة الشمس البيضاء مركبة من هذه الالوان وانها عند مرورها بالمنشور تنكسر بمقادير مختلفة فتظهر منفصلة وظاهرة وهي ما يسمى الطيف الشمسي

وفي سنة ١٨٠٠ اي في اوائل القرن التاسع عشر قام عالم يدعى هرشل واعاد تجربة نيوتن ووضع ثرمومتراً طبيًّا خلف المنشور الزجاجي على ١٢ سنتيمتراً تقريباً منهُ وبعد عن

آخر الطيف الشمسي من جهة اللون الاحمر بمقدار ٤ سنتيمترات تقريباً فوجد ان الزئبق داخل الثرمومتر ارتفع وبذلك اثبت وجود اشعة تحت الاشعة الحمراء في الطيف الشمسي لا ترى بالعين ولكنها ترفع درجة الحرارة . وبعد مضي سنة واحدة اي في سنة ١٨٠١ اعاد عالم آخر تجربة هرشل واستعمل عوضاً عن الثرمومتر مادة تتأثر بالضوء وهي ملح كلورور الفضة ووجد انها تتأثر ادا وضعت في الجهة الاخرى من الطيف بعد اللون البنفسجي وبذلك اثبت وجود اشعة فوق البنفسجية لها قوة كيماوية فعّالة . وفي سنة ١٨٧٦ اثبت بعض العلماء ان الاشعة البنفسجية لها تأثير كبير في قتل المكروبات . ومن ذلك الوقت اخذ العلماء في درس الاشعة وخواصها وقياسها وعمّ استعمالها في صناعات حديثة وهي الآن من اهم الاسلحة التي في يد الطبيب يستعملها في التغلب على امراض كثيرة كانت الى عهد قريب من الامراض المستعصية ومع ان درس تلك الاشعة بطريقة علمية حديث العهد فقد كان القدماء يعرفون قيمتها العلاجية فالرازي الطبيب العربي الشهير كان يعالج الجدري بالاشعة الحمراء في القرن التاسع . وكان الرومان يطهرون ملابس المصابين بالطاعون بتعريضها لاشعة الشمس

﴿ بناء الجلد ﴾ وقبل ان نبدأ ببيان أثر اشعة الشمس في الانسان يحسن ان نذكر شيئاً عن الجلد وتركيبه لانه هو اول واهم عضو يتأثر بأشعة الشمس وعليه يتوقف تأثير الاشعة في الجسم

تحيط بجسم الانسان طبقة من الجلد الجاف تسمى البشرة يختلف سمكها من $\frac{1}{2}$ الى $\frac{1}{5}$ من المليمتر وتحتها طبقة من الخلايا الحية وتحت هاتين الطبقتين يأتي الجلد الحقيقي حيث توجد اوعية الدم الشعرية الصغيرة التي لا يتجاوز سمكها $\frac{1}{3}$ من المليمتر وفيها كذلك توجد نهاية اعصاب الحس. فالبشرة تعكس اشعة الشمس التي تقع عليها ولكن جزءاً من الاشعة التي ترى تخترقها وتصل الى الدم في الاوعية الشعرية فترفع حرارته. والاشعة تحت الحمراء يمتصها الجلد ويوصلها الى الدم بالتوصيل

اما الاشعة فوق البنفسجية فتمتصها البشرة جميعها فالقصيرة منها لا تتجاوز حد البشرة اما الطويلة فتصل الى اوعية الدم وهناك تؤثر تأثيرها . فالجلد يقي نفسه من تأثير اشعة الشمس الشديد بواسطة بشرته وتجد البشرة سميكة في الاجزاء الاكثر تعرضاً للشمس حتى لا تحرق الشمس الطبقات الحية الداخلية من الجلد . فالمادة الملونة في الطبقات العميقة من البشرة تمتص الاشعة المرئية والاشعة فوق البنفسجية وبهذه الطريقة تحمي الخلايا الداخلية من الجلد من تأثير تلك الاشعة وتحوّل الاشعة المرئية الى حرارة تؤثر على نهاية الاعصاب الموجودة بالجلد وترفع حرارته وفي الوقت نفسه تتمدد اوعية الجلد ويزداد افراز غدد العرق فيتصبب العرق من الجسم وبتبخيره تقل حرارة الجسم وهذه هي الطريقة التي بها

يتقي الجسم تأثير اشعة الشمس المحرقة في الجهات او الاوقات التي يتعرض فيها لها

اما تأثير الاشعة فوق البنفسجية في قتل الميكروبات فليست بالدرجة التي كان يتوهمها البعض عند اول اكتشاف تلك الاشعة فهي تقتل الميكروبات السطحية فقط ولا يمكنها ان تخترق الاقذار لتصل الى بقية الميكروبات كما هي الحال في الجلد

فاذا وضعت ميكروبات السل مثلاً في مصل وعرضتهُ لاشعة الشمس لم تتأثر لان وجود المصل يحمي الميكروبات من وصول الاشعة اليها (فالضباب) والدخان والزجاج العادي في النوافذ والجدران والسقوف والملابس جميعها تحجب اشعة الشمس وتحرمنا من تأثير الاشعة التي يتمتع بها الانسان الهمجي العاري والحيوانات البرية . وليعلم ان انوار الشفق وهي الاشعة التي يعكسها الجو عند المغيب وكذلك عند الشروق تحتوي على اشعة فوق البنفسجية اكثر من اشعة الشمس المباشرة فيمكن الانتفاع بهذه الاشعة في المرضى الضعفاء لان تعرضهم لاشعة الشمس مباشرة لهُ اثر ضارٌ لاحتوائها على اشعة حرارة كثيرة

ولا يقتصر ضرر منع اشعة الشمس على احداث مرض الكساح في الاطفال بل يتأثر البالغون بهِ ويحدث عندهم ليناً والتواء في العظام كما هو منتشر في بعض نساء كشمير في الهند لعدم تعرضهم لاشعة الشمس . ومع الكساح يحدث تلف في الاسنان وسرعة اصابة الجسم بالرلات المختلفة . فالاشعة فوق البنفسجية تمنع حدوث كل هذه الامراض . والدجاج اذا وضع في اوعية زجاجية وسلطت عليهِ الاشعة فوق البنفسجية ازداد بيضهُ وقشهُ وامتنع حدوث ضعف في ارجل الكتاكيت التي تفقس . وكذلك تؤثر على امراض لبن الابقار التي تتعرض لها . وفي بلد تيسينو في سويسرا يعمّر السكان ويرجع ذلك الى عادتهم في انهم (يأخذون الشمس) بعد كل اكلة . اما الاشعة الحمراء وما تحتها فهي ترفع حرارة الجسم وبهذه الطريقة يزداد ورود الدم الى الجزء الذي يتعرض لها كما لو وضعت شيئاً ساخناً على الجسم (كمكمدة ساخنة او لبخة) فتساعد على التئام الجروح والنواسير فمائدتها من هذه الوجهة لا تقل عن تأثير الاشعة فوق البنفسجية في علاج السل الجراحي والجروح المختلفة وقد اثبت بعض الباحثين ان تعريض الجسم لاشعة الشمس يزيد مقاومة الجسم للميكروبات المختلفة وتستمر هذه المناعة عدة ساعات بعد تعريض الجسم للشمس . اما اذا زاد التعريض للشمس عن المدة الكافية فلا تزداد المناعة بل على الضد تقل كثيراً . وقد ثبت ان اشعة الشمس تقتل الميكروبات وبزورها وسمومها ايضاً اذا تعرضت لها مدة كافية . وتتأثر العين من الاشعة فوق البنفسجية تأثراً سيئاً ولذلك يجب لبس نظارات لونها قاتم لتمنع وصول تلك الاشعة الى العين في الجهات التي بها وهج شديد ومع ذلك لا يجب ان ينظر الى مصدر الاشعة مباشرة حتى مع لبس النظارات

﴿ تأثير اشعة الشمس في الجسم ﴾ تؤثر اشعة الشمس وخصوصاً الاشعة البنفسجية في جميع المخلوقات الحية سواء كانت حيوانية او نباتية تأثيراً يختلف بحسب نوعها فقد اخذت بعض الحيوانات الدبيثة (Gelop) ووضعت في وعاء يبعد عن مصدر الاشعة نحو ٢٥ سنتمتراً فوجدت ان حركتها تزداد كثيراً عند ابتداء تعريضها ثم تقل حتى تنعدم بعد دقيقة ونصف تقريباً . وانهُ اذا وضعت في مادة ملونة Flourscm قبل تعريضها فانها تتحمل تأثير الاشعة مدة طويلة . فقد تمكث ثمان دقائق ونصف قبل ان تفقد حركتها مما يدل على ان المواد الملونة لها قدرة على حماية الحيوان من تأثير تلك الاشعة كما يحصل للانسان . فان الاشخاص ذوو البشرة القاتمة اكثر تحملاً لاشعة الشمس من الاشخاص ذوي البشرة البيضاء . ومن اهم التأثيرات التي تحدث في الجسم من اشعة الشمس تأثيرها في الجلد . فعند ابتداء التعرض لا يشعر الشخص سوى بحرارة بسيطة وبعد مدة تختلف بحسب الاشخاص وتتراوح بين ٤ — ٨ ساعات يشعر الشخص باحساس ساخن في الموضع الذي تعرض للشمس ثم يحمر الجزء المعرض ويسخن ويتورم قليلاً مظهراً جميع اعراض الالتهاب بدرجة بسيطة ثم تقل هذه الاعراض بالتدريج حتى تزول ويتبعها تقشر سطح الجلد . وتمتد اوعية الدم الشعرية في الجلد بواسطة حرارة الشمس يحدث دائماً انحفاضاً في ضغط الدم

ويقول رولييه وهو من اكبر المشتغلين بالعلاج باشعة الشمس ان الشمس احسن مدلك للجسم وانها تحس حالة العضلات تحت الجلد فتصير العضلات الرخوة المهوكة قوية ومتماسكة والاطفال المصابون بالسل في احد الاطراف يعالجون بوضع الطرف المصاب في حيرة تمنع حركته . فالعادة ان عضلات هذا الطرف تضمر ولكن اذا عولج هؤلاء الاطفال بالشمس في اثناء العلاج امنع حدوث هذا الضمور وتقوّت العضلات

ومن التأثيرات غير المباشرة التي تحدث في الاطفال المصابين بالكساح عند تعريضهم للشمس هو امتناع حدوث النزلات المعوية والشعبية التي تحدث عادة في ذلك المرض

قلنا ان اول أثر لاشعة الشمس في الجلد هو حدوث احمرار به وان الاطفال سريعو التأثر بها . كذلك الشبان يتأثرون بها اكثر من الشيوخ وانهُ بعد تعريض الجسم بضع مرات للشمس يتلوّن بلون قاتم وهذا اللون ينشأ عن ترسيب مادة ملوّنة في خلايا الجلد تسمى الميلانين فتكون بمثابة حاجز يمنع تأثر الطبقات العميقة في الجلد بالاشعة . والاشعة التي تحدث هذا التلوّن في الجلد هي اقصر اشعة الطيف الشمسي . فان الزجاج يحجبها فاذا تعرض الجسم للشمس من خلف زجاج عادي لا يحدث به تأثير ومن فوائد هذه المادة الملونة انها تحوّل الاشعة القصيرة وهي البنفسجية في الشمس الى اشعة طويلة وهي

اشعة حرارة وكذلك من فائدتها انها تمتص أكبر مقدار من الاشعة البنفسجية في الشمس فكلما ازداد رسوب هذه المادة في الجلد من تأثير الاشعة ازداد تحسن الشخص من تأثير الاشعة وقويت مقاومة الجلد للعدوى فالدمامل والبثرات الجلدية منعدمة تقريباً بين اهالي القبائل السود . وبوجود هذا اللون وتحويله للاشعة القصيرة الى اشعة حرارة طويلة ترتفع حرارة الجلد عند تعريضه للشمس وكذلك حرارة الدم وبالتالي حرارة الجسم كله فيزداد افراز غدد العرق في الموضع المعرض للشمس وكذلك في بقية الجسم نظراً لدورة الدم الساخن فيه

﴿ الدورة الدموية ﴾ : ونظراً لتمدد الاوعية الدموية الشعرية في الجلد عند تعريضه للشمس وامتلاء تلك الاوعية بالدم يقل الدم الموجود بالاعضاء الداخلية بالجسم ويقل احتقانها ففي حالات ارتفاع ضغط الدم يقل هذا الضغط بالتعرض للشمس وهكذا تتحسن حالة المريض ويخف الصداع في الرأس ويزول شعور التعب والثقل الذي يشعر به المريض في الاطراف وفي احوال مرض القلب يقل عمل القلب وتتحسن حالته بنزول ضغط الدم

﴿ الدم ﴾ : يمتص الدم معظم الاشعة القصيرة من الطيف الشمسي وقد وجد ان مقدار الهميوجلوبين (وهو المادة الملونة الحمراء في الدم) وكذلك عدد كريات الدم الحمراء تزداد ازدياداً ثابتاً في جميع الاحوال تقريباً بعد تعرض الجسم للشمس وقد ازداد العدد في بعض الاشخاص في مدة ثلاثة اسابيع من ٤½ مليون الى ٥¾ تقريباً . وكذلك يزداد بعض انواع حلايا الدم البيضاء

وبتعريض الجسم للشمس يزيد مقدار املاح الحير والفصفور الموجودة بالدم ولذلك كانت اشعة الشمس من اهم العوامل في منع مرض الكساح وعلاجه وهو المرض الذي ينشأ عن نقص او عدم امتصاص الدم لمقدار كاف من املاح الحير والفصفور . وقد اخذت طائفة من الفيران ووضعت في الظلام وكان يعطى لها غذاء خال من الفيتمينات بمعنى ان كل احوال معيشتها كانت تساعد على اصابتها بمرض الكساح وكانت تعرض يومياً مدة دقيقتين فقط للاشعة البنفسجية ومع ذلك لم تصب بأي مرض مع ان فيراناً اخرى كانت تعيش معيشتها بدون تعريضها للاشعة اصيبت بالكساح . وقد وجد ان مقدار الفصفور في دم الطفل يتضاعف مدة اسبوعين فقط اذا تعرض للاشعة دقيقتين يومياً

﴿ الهضم ﴾ لا يعلم بالضبط كيفية تأثير اشعة الشمس في الهضم انما لوحظ انها تحسن حالة الهضم تحسناً ظاهراً كما يزداد نمو الجسم في الضوء عنه في الظلام

وقد ذكر احد الباحثين حالة شخص عمره ٤٥ سنة مصاب بمرض البول السكري اصابة عدة سنوات . ويمكن منع وجود السكر في البول اذا اعطى غذاء خالياً من المواد النشوية والسكرية ويعود السكر اذا اعطى غذاء عادياً فتعريضه لاشعة الشمس ازال السكر الموجود

بالبول مع تناوله غذاء عادياً ولكن بعد امتناعه عن التعرض للشمس مدة ٢٤ ساعة فقط يعود السكر الى الظهور في البول . وقد عملت بعض تجارب على الابقار بان وضع بعضها في زرائب لا تنفذ اليها الشمس والاخرى تركت في الخلاء معرضة للشمس واخذت البانها واعطيت لحيوانات صغيرة فلوحظ ان جميع هذه الحيوانات نمت نمواً عادياً انما الحيوانات التي كانت تتغذى بلبن الابقار المعرضة للشمس كانت اقل عرضة للاصابة بمرض الكساح من الحيوانات الاخرى

﴿ العين ﴾ تؤثر اشعة الشمس وخصوصاً الاشعة البنفسجية في العين تأثيراً سيئاً ولذلك يجب حمايتها عند تعريض الاطفال للشمس ويحدث اكثر التأثير في القرنية والملتحمة وهما الجزء الظاهر من العين بحدوث التهاب يعقبه عتامات وهذا التأثير لا يحدث مباشرة بل بعد مضي مدة كما يحدث للجلد

﴿ الجهاز الهضمي ﴾ لاحظ بعض الباحثين ان مقدار الحامض الذي في المعدة يقل بعد التعرض لاشعة الشمس وانه اذا عرضت احزاء حساسة مخصوصة من الجلد للشمس زال الالم الذي يحدث في معظم امراض المعدة . وكذلك تؤثر اشعة الشمس في الامعاء فتقلل عدد الميكروبات التي تعيش فيها ويمتنع بذلك التعفن الذي يحدث في الغذاء وبالتالي الاسهال فيجعل الامعاء تمتص اكبر مقدار من المواد الغذائية الموجودة بها

﴿ الجهاز العصبي ﴾ يحدث التعرض لاشعة الشمس الشعور بالغبطة والسرور والنشاط وتتحسن حالة الشخص العقلية وقد ثبت ذلك بتجارب عملية

﴿ الميكروبات ﴾ في سنة ١٨٧٧ ثبت ان لاشعة الشمس أثراً في نمو الميكروبات . وقد اخذ زرع من ميكروبات في انابيب وضع على بعضها الواح خفيفة من الرصاص لتمنع وصول تأثير اشعة الشمس اليها ولكنها لا تمنع وصول الحرارة وتعرضت جميعها للشمس فوجدت ان الميكروبات في الانابيب التي لم تكس محاطة بألواح الرصاص ماتت جميعها ولم تنمُ بعد ذلك مما يدل على ان اشعة الحرارة لا تؤثر في الميكروبات بل ان التأثير من الاشعة البنفسجية. وفي سنة ١٨٩٠ أبان كوخ (وهو مكتشف ميكروب السل) ان هذا الميكروب يقتل اذا تعرض للشمس وقد اخذ بصاق شخص مصاب بالسل وعمل منه شريحة على لوح زجاج ووضعها في الشمس فوجد ان الميكروب يموت بعد عشر دقائق

والماء لا يحجب اشعة الشمس وخصوصاً الاشعة البنفسجية فهي تؤثر في الميكروبات التي في الماء فتقتلها وهذه الطريقة هي احدى الطرق التي تستعمل في الوقت الحاضر في تعقيم الماء وذلك بجعل الماء يمر ببطء بعد ترشيحه حول جهاز هو عبارة عن مصباح يرسل اشعة بنفسجية فعند مرور الماء حوله تؤثر تلك الاشعة في الميكروبات الموجودة به فتقتلها وبذلك يتعقم الماء . اما تأثير اشعة الشمس في الماء في الاحوال العادية كمياه الانهار مثلاً فبسيط

جداً وسطحي لان وجود المواد العالقة بالماء تمتص اشعة الشمس كما تمتصها المادة الملونة في الجلد وتمنع وصول تأثيرها الى الطبقات السفلى فلا تؤثر الا في سطح الماء فقط

﴿ الامراض التي تؤثر في علاجها اشعة الشمس ﴾ اهم مرض يحتاج في علاجه لاشعة الشمس هو مرض السل وكل شخص مصاب بأي نوع من انواع السل يجب تعريضه لاشعة الشمس فاصابات السل في العظام والمفاصل والجلد والغدد والبريتون تتحسن كثيراً وفي اغلب الاحيان تشفى بعلاجها بأشعة الشمس وكذلك حالات السل الرئوي الا انها تحتاج الى عناية وتدريب خاصين ويوجد الآن في اكثر بلدان العالم مصحات لعلاج السل بواسطة اشعة الشمس والهواء فقط

ويلي مرض السل مرض الكساح في الاطفال فان علاجه الوحيد تقريباً هو اشعة الشمس وقد عرف ذلك منذ سنة ١٨٩٥ فقد كان يصيب بعضهم مرض الطلام وسبب هذا المرض كما قلنا نقص في مقدار املاح الجير والفصفور في الدم واشعة الشمس تجعل الدم يأخذ اكبر مقدار ممكن من هذه الاملاح من الغذاء في اثناء الهضم ويكثر هذا المرض في المدن بين اطفال الاحياء الفقيرة التي لا تنفذ اليها اشعة الشمس. وقد قال بعض الباحثين انهُ اذا اعطى الطفل غذاء ناقصاً في مقدار الفيتامين الذي يمنع حدوث مرض الكساح وتعرض في الوقت نفسه لاشعة الشمس فانهُ لا يصاب بالمرض ولكنهُ يصاب بهِ اذا ترك بدون التعرض للاشعة

وفي بعض الاحيان يمكن الاستعاضة عن اشعة الشمس خصوصاً في زمن الشتاء باعطاء الاطفال زيت كبد الحوت فان هذه المادة لها قدرة على منع مرض الكساح وشفائه. الا ان تأثيرها لا يعادل تأثير اشعة الشمس. اما استعمالها معاً فهو اتم ويأتي باحسن النتائج وفي جهات القطب الشمالي حيث يمكث سكان تلك الجهات ستة شهور بدون التعرض للشمس لا يصاب احدهم بمرض الكساح لان اكثر غذائهم هو زيت كبد الحوت

ونظراً لما وجد من الفائدة العظيمة لاشعة الشمس في مرض الكساح ولما اتضح من ان الحرء الفعال في العلاج هو الاشعة البنفسجية منها فقد اخترعت اجهزة كهربائية تعطي هذه الاشعة لاستعمالها في العلاج خصوصاً في الجهات التي لا تعتمد كثيراً على اشعة الشمس لكثرة الضباب وتغير الجو المستمر بها وهم يفكرون الآن في جعل تعريض الاطفال لهذه الاشعة اجبارياً كالتطعيم ضد الجدري بحيث يعرض كل طفل لهذه الاشعة مدة شهر عندما يبلغ الشهر السادس من عمره. وقد وجد ان لهذه الاشعة تأثيراً حسناً في علاج عدة امراض مهمة فيعالج بها الآن مرض السعال الديكي في الاطفال وعدة امراض في البالغين كامراض الامعاء والمعدة والكبد وبعض امراض الاذن والانف وأمراض النساء



دمعة القلب

[اناتول فرانس اشهر كتاب فرنسا الحديثين ترك آثاراً خالدة لا تبلى لها جدة لكن هذه القصيدة من ابلغ ما خطته يراعته، لانه استمدها من عواطفه السوية الحياشة اثر موت امه التي كان حبه لها يبلغ حد التقديس وهي « مرفوعة الى تلك الروح الطاهرة ، الى ذلك الملاك المتجسد ، الذي لم يكد يمس الارض بجناحيه حتى انف منها فعاد الى مقره السماوي »]

سرت وراء النعش مشيّعاً آمالي ومُنى نفسي، وانا سامٍ ذاهل، اتطلع ولا ابصر، واسمع ولا اعي، فقد نضب معين دمعي، وجفت مآقيّ، ولم يبقَ ما استقطره غير دماء قلبي، فالحزن العميق الصامت لا صَخَب فيه ، وما هو الاّ تلاشي القوى المستترة وانصهارها ، في الامل الخائب والاماني الضائعة

وقفت في المقبرة ، إزاء الحفرة العميقة، الفاغرة فاها لابتلاع هنائي وسعادتي، وقد وُضع على حافتها نعش الام الحنون ، والجموع تحفُّ بهِ ساكنة خاشعة ، واصوات التراتيل ترتفع على اجنحة الملائكة ، والبخور يعبق في الجو متلوياً منسابا ، تعبث به انفاس الموتى ، فيشبه نفسي المترددة الحائرة ، التي تسير في الحياة لتُبْلي ايامها

وكانت الصلوات المنبعثة من فم القسيس ، تطنُّ في اذنيَّ ، كأنها صدى دوي عظيم ، آتٍ من فج عميق، ويخيَّل اليَّ ان الكلمات اتخذت شكلاً ، وانها تئن وتبكي كما يئن قلبي الحزين ويبكي، وان التراتيل المرسلة الى العليّ ، نشيد روحي المحترقة التي الهبتها الاحزان، فارتفعت الى السماء شعلتها الاخيرة بعد ما نفد ما يغذيها على الارض

سكت المصلّي بعد ما استنزل على الراحلة الكريمة عيث الرحمة، فسكنت الانفاس المردَّدة وخشعت نفوس القوم، وطأطأوا رؤوسهم، لا اجلالاً لعظمة الموت، بل روعةً منهُ وخشية ، وأُنزل النعش بحبله الثمين ليُوارى عن نظري الى الابد ، وتساقط عليه التراب تحت معاول الحفارين ، كأنهُ رداد المطر ، فعاودني احساسي ، وشعرت بأن كل نقرة حصاة تصيب النعش يردّد صداها قلبي، فتتقطر منهُ الحياة قطرة فقطرة

قلب المرء ارضي، لانهُ يحب ليُحَب، اما قلب الوالدة فسماوي، لانهُ يحب من دون غاية ولا غرض، فشعور الام شعلة من قبس الله ، اودعها فؤادها ليسمو بالنفس الى مقرها العلوي، مظهراً ان ثمت شيئاً ارضيًّا لا يمتُّ بصلة الى المادة العالقة به

غادرت الرمس وقلبي على صِغَره وضعفه ، يحمل من عبء الاحزان ، ما تنوء به العواتق على قوتها، لان حبي البنوي ليس كغيره : راحة القلب الهادئة الساكنة ، بل هو عاطفة أَجَّاجة السعير تلتهم النفس إلتهاماً

سرت جارًّا عبء الحياة ورائي كما يجر الميّتُ كفنه اذا ما نُفخ في الصور، وقد مَسَحَت يدُ الموت وجهي، وظللت سحابة العدَم شبابي وآمالي، فالوقت اعظم بلسم لإلتئام الجرح ، ولكن أنّى له ان ينال مني، وجرحي كنين، في النفس لا يصل اليه دواء، ولا يدركه عزاء فما مثوَى تلك الأم في الثرى الذي دفنت فيه ، بل في اعماق روحي، تحوطها عواطفي بكل تجلة ، ويذرف عليها قلبي دموعه قطرة فقطرة ، ليرطب مأواها ، ويعطر ذكراها

ان في الحياة آلاماً مُبَرِّحَة تُصيب من لا يستحقها ، فتزعزع ثقته مهما قويت وتفلّ عزيمته مهما اشتدت، وتذرُّ على محياه ظلال نفسه الحزينة الباكية ، فتبدو اساريره منتحبةً ، تعبّر بدون لفظ ، عن شجون روحه وآلامها

بُلِيتُ وانا في مستهَلّ السادسة عشرة من عمري، بآلام كهذه استطارها قلب امي، وهل في الحياة عطف وحنان، اشد وأقوى من عطف الام وحنانها، على من هم قطعة من كبدها ؟

*

وكانت احراني تُلقِي بذرّات شبابي على الارض، كما تُلقِي الرياح اوراق الورود الذابلة ، فتَتَلَقَّفَها عواصف الحياة الهوجاء ، وتذروها في فضاء اللانهائية ، ولم اكن اجد عزاءً عما بي ، الا بوَحدتي وانفرادي، لان بعض الاحزان لا سَلْوَى لها ، ولا تحتمل رؤية الناس والاختلاط بهم ، فكانت امي تُقبل عليّ حزينة القلب ، دامعة العين ، تودُّ لو تفديني بنفسها ، عارضةً عليّ بذلَ حياتها في سبيل راحتي وهنائي

***

ضمّتني طويلاً الى صدرها ،وانا اسمع وحيبَ قلبها الحنون ، وتمتمت : « لهفَ نفسي على شبابك الغضّ يابني ،لهفَ نفسي على هذين الخدّين الذابلين ،وهاتين العينين الساحيتين، وهذا المحيّا الشاحب ، الذي كان يشعُّ بنور الصبا ، وضوء الشباب ، . . اعرف يا بنيَّ ان داءك ليس في جسدك ، بل في نفسك ، لا بك تتذوّق ما فوق ، لا ما على الارض ،فهلا بُحتَ لي بخبيئة صدرك ، لان الاحزان اذا تقسّمت ، خفَّ وقعها على القلب »

***

ابتسمتُ ابتسامة مريرة ارتسمت عليها احزان نفسي ، فانعكست اشجاني على صفحات قلب امي الحنون ، فَهَمَتْ عيناها تأثراً، وطوقتني بذراعيها مُسِرَّةً اليَّ : للشباب يا بنيَّ مطالبهُ التي لا ينجع فيها دواء ، ولا يؤثر بها عزاء ، فعبثاً احاول نصحك ، او تخفيف لوعتك

ولكني واثقة بان ما تَسَلَّلَ الى قلبك ، هو تدفق الرُوح في الروح ، لا ميل الحاسّة الى الحاسة، لان الحبَّ زبدة الحياة الطاهرة العَبِقَة ، يُستَنشَق عَبيرها دون مسّ ، فاذا ماانالتها يدٌ ، ذبلت اوراقها ، وعفا اريجها ، وتناثرت اكمامها

اللعب قائم في حياة الانسان على قدم وساق ، بين سعادته وتعاسته ، والانسان هو الرهان الذي تتراهنان عليه ، لكنهُ يقف جامداً غير عابئ بما يَجري امامه ، حتى ينتهي الشوط فيتلقفهُ الرابح ، ويتصرَّف به وفقاً لاهوائه وامياله الى الابد ، ولم اشذ عن هذه القاعدة ، ولكن الشقاء رَبحَني فلازمني ، غير ان من لم يذق العذاب لايرثي لحال انسان، فقد تألَّمت امي ولذا رثت لحالي، ومنحتني كل ما تملك، لأُرَفِّهَ عن قلبي في بلاد اخرى، فضربتُ في هِضاب الارض وشِعابها ، ولكن في نفسي العَضَّة كان بصيص الحياة الضعيف، يمتزج بشعاع الموت المُبهَم ، فلم ينقشع عن قلبي شتاء الالم ، لان الهناء وهو الشمس بحرارتها ونورها ، لم تكن تجد سبيلاً اليه لتطرده منهُ

الأسى والالم هما حاجة النفس الحيّة ، التي لم تقتلها ملاذ الدنيا الحِسّية، وهي لاتُنعم إلاّ بهما، ولو انها تجد فيهما شقاءها وتعاستها ... مالت الشمس للمغيب وغشت الارض ظلمة الليل ،كما عَشَّى على روحي غَيش آلامي واحزاني ، فسارعت الخطى الى المقبرة ، حيث مرقد الاماني الضائعة والآمال الغير متحقَّقَة ، وتسللت بين القبور وانا اشبه بروح حائرة ، تسير مدفوعة بقوة غير منظورة ،دون ان تجد لها مكاناً تستريح فيه ، فوقفت على جَدَث الوالدة الرؤوم ، وامواج عواطفي تقذف من داخلي ، بقطع كبدي ومزق فؤادي ، وجثوت على ترابه معفّراً وجهي به ، لأستروحَ نفحاته العَبِقة الطاهرة ، فتمثلت تفاهة الدنيا ، وخطر لي ان ادفن نفسي بجانب من هي قطعة مني ، وانا قطعة منها ، لأتخلص من هذا الليل المرعب الذي يسمونهُ الحياة ، فمددت يدي ، وشرعت احفر الارض ، وانا مكبٌّ بكليتي عليها ، فخُيِّل لي اني اسمع صوتاً في تلك الارجاء الساكنة الهادئة، فاقشعر بدني، ورفعت رأسي، فابصرت الموتى قد نهضوا من مضاجعهم، وتطلعوا بعيونهم المخوَّفة . ومدّوا ايديهم نحوي بعصب ، وطرق مسمعي اصوات تصيح ، كانها خارجة من اجواف القبور : لماذا تكدر علينا صفو راحتنا وسكينتنا ؟ يا ابن الشقاء ، عُدْ الى دنياك ، فانك لم تستتمّ بعد عذابك فيها ، فكدتُ افقد عقلي ، وقفزت من مكاني ، وشَبَحُ أمي يودّعني بنظرة مفجعة ، واسرعت هارباً، لا ألوي على شيء ، والآلام الحياة تدفعني الى العدم ، والاموات تصدني عنها ،وتطردني من حظيرتها، والموت وهو سعادة الانسان في حياته يهرب مني ويبتعد عني

القاهرة جورج نيقولاوس

فروق الذكاء بين السلالات البشرية

هل ثمة سلالة متفوّقة على غيرها كلّ التفوّق [1]

العلم لا يميل الآن الى وضع تاج التفوق العقلي على رأس سلالة بعينها من السلالات البشرية

..

سمعنا كثيراً عن تفوق الشعوب النوردية مما يحملنا على الاعتقاد بان ابناء تلك الشعوب هم نسل الآلهة القدماء — آلهة اليونان والرومان . ومآل ذلك انك اذا وازنت بينهم وبين سائر الشعوب حتّم عليك ان تحكم لهم بالتفوّق في العقل والقوة والفصيلة . ولكن اذا راجعت مؤلفات الكتّاب الذين رفعوا الشعوب النوردية على هذه القمة رأيت معظمهم ممن لم يتمرّس باساليب البحث العلمي المنزّه الدقيق تمرّساً يمنحهُ الحق في ان يقيم نفسهُ حكماً على سائر السلالات البشرية

والواقع ان موضوع التفوّق بين السلالات لا يُحلّ الاّ على يد الثقة الخبير فيه . فاذا كان لديك مشكل في الكيمياء ذهبت به الى كيماوي لحلّه ولم تذهب قط الى متعلّم يعنى بشؤون الكيمياء فقط ! واذا شئت ان تبني مصنعاً على الاصول العلمية ذهبتَ الى مهندس بارع واذا اصيب ابنك بالجدريّ تلمست معونة طبيب معروف . فثمّة في فروع العلم ما لهُ حق الفصل في موضوع تفوّق النورديين دون غيره . وعلى عاتق الانثربولوجي والسيكولوجي يقع عبء الفصل في هذه المسألة . وحكمهما يختلف اختلافاً كبيراً عن رأي الكتّاب الذي يصعون النورديين في الذروة وسائر السلالات البشرية في الحضيض

لم يثبت للعلم بعد ، انْ ثمّة فروق في مرتبة الذكاء بين السلالات المختلفة

لننظر اولا في ما يقوله الانثروبولوجي في الموضوع . انهُ يدرس تاريخ السلالات القديم . وموضع عنايته مرتبط بالتاريخ اولاً . اين نشأت هذه السلالة ؟ ولماذا هُزمت الشعوب المستطيلة الرؤوس في اوربا امام الشعوب المستديرتها من نحو عشرة آلاف سنة ؟ من اول من دجّن الحيوانات ؟ واية سلالات خلقت الحضارات الزاهرة في مصر واميركا الوسطى ؟ هذه هي المسائل التي يعنى بها الانثروبولوجي

(١) مترجمة من مقالة في السيتفك اميركان للدكتور اشتا بروكس الاستاذ المساعد لعلم النفس في كلية كولمبيت

فاذا سألتهُ رأيهُ في ذكاءِ السلالات قال : « فكرة حسنة . ولكن لنبدأ البحث في تحديد ما تنطوي عليهِ لفظة سلالة » . وهنا اول صدمة نصطدم بها . لان الانثربولوجي يبني تحديده لمعنى السلالة على الصفات الطبيعية والجسمانية التي يتصف بها الناس . فابناء شمال اوربا شقر الشعر زرق العيون طوال القامة رؤوسهم عالية ومرتفعة وانوفهم دقيقة . فلا يصح ان نصف شعباً او سلالة بانهم « نورديون » الا اذا اتصفوا بهذه الصفات . ثم هنالك سلالتان اخريان في اوربا بحسب التقسيم المسلّم بهِ وهما السلالة الالبينية وهي التي تقطن اواسط اوربا ولكنها انتشرت الى اقاصيها والسلالة المنسوبة الى البحر الابيض المتوسط . فالالبينيون قصار القامة سمر الشعر والعيون وذوو رؤوس مستديرة . اما شعوب البحر الابيض فقصار ايضاً ولكنهم يميلون الى الهيف سود الشعر سمر العيون ورؤوسهم مستطيلة منخفضة

فاذا شئنا ان نتكلم عن فروق الذكاءِ بين السلالات البيضاء وجب ان نحصر كلامنا في هذا التقسيم او في ما هو من قبيلهِ — اي يجب ان يكون التقسيم مبنيًّا على الصفات الطبيعية والجسمانية. فالانكليز ، جرياً على هذا ، ليسوا بسلالة . هم امة . ومن العبث ان نشير مثلاً الى انحطاط السلالة الايطالية — اذا سلّمنا جدلاً بانحطاط الايطاليين — لانهُ لا يوجد شيء اسمهُ سلالة ايطالية . وانما هناك امة ايطالية مؤلفة من السلالات الثلاث المذكورة — النوردية والالبينية والمتوسطة البيضاء . فالنورديُّ الذي يرمي الايطاليين بحجر من هذا القبيل لا يأمن ان يصيب منهم رجلاً من ابناءِ سلالتهِ

وعلى ذلك فاليهود ليسوا سلالة بهذا المعنى . فمن اليهود قوم طوال القامات وآخرون قصارها . ومنهم زرق العيون ومنهم سمرها . ومنهم شقر الشعور ومنهم قاتموها . ومنهم مستطيلو الرؤوس ومنهم مستديروها . ففي استطاعتك ان تبرهن على ان اليهودي متفوق او منحط بحسب رغبتك ، ولكن ذلك لا علاقة لهُ قط بمسألة السلالة التي نحن في صددها . حتى اذا نظرنا في زوج الولايات المتحدة وهنودها الحمر وجدنا اختلاطهم بعضهم ببعض من جهة وبالبيض من جهة اخرى يجعل الكلام عن سلالة زنجية صريحة او سلالة هنود حمر صريحة متعذراً

فالنقد الاول الذي يوجههُ الانثربولوجي الى هذه المسألة يهدم اكثر ما قيل في موضوع الاختلاف بين السلالات المختلفة من حيث الذكاء لان جلَّ ما قيل انما ينطبق على الامم المختلفة — والامة كما تقدَّم مزيج في الغالب من سلالات مختلفة

ثم ان الانثربولوجي ينظر الى المسألة من وجهتها التاريخية. فنحن نميل في الغالب الى النظر في الامور كما هي لا كما كانت في الماضي القريب او البعيد. فاركان حضارتنا الحالية ترتدُّ الى مصر وبابل واليونان . من هذه البلدان خرجت اصول حياتنا المدنية كتدجين الحيوانات وزراعة

النباتات العذائية . فالنورديون في نظر الانثربولوجي لم يؤدوا اية خدمة في سبيل هذا حتى في القرن الخامس عشر بعد المسيح كان النورديون لا يزالون اقواماً متوحشين اذا قيسوا بسكان جنوب اوربا . فالانثربولوجي يعرف هذه الحقيقة ويعترف بها . ثم هو يعرف كذلك ان هنود اميركا الوسطى المحتقرين كانوا قد شيدوا حضارة ساميه قبل القرن الخامس الميلادي لما كان السكسون لا يزالون قرصاناً لا همّ لهم الاّ النهب والتدمير . وان الصينيين كانوا قد بنوا سورهم العظيم لما كان النورديون يحاولون استعمال الحديد . وان المصريين والبابليين كانوا قد استنبطوا لغة للكتابة وابدعوا ثقافة عالية لما كان سكان شمال اوربا في بدء محاولاتهم تدجين الحيوانات البرية وزراعة بعض الحبوب

فالنورديّ في ضاء الحضارة العالية كحديث النعمة بعد الحرب ، تراه موهماً في كل اعماله ولكن تاريخهُ اذا قيس بتاريخ غيره قريب العهد جدًّا

ثم اذا التفتنا الى ناحية علم النفس، وهو الفرع الآخر من فروع العلم الذي له شأن في ابداء حكم في هذا الموضوع وجدنا ان العالم النفسي لا يزال كثير التردد والحيرة . فهو يحاول ان يقيس الذكاء بما يدعوه « مقاييس الذكاء » وينجح في عمله اذا طبقهُ على تلاميذ مدرسة نشأوا في بيئة واحدة او بيئات متماثلة . ولكنهُ يتململ ويقلق اذ يأخذ غيره المقاييس التي ابتدعها لغرضه الخاص ويحاول تطبيقها على ابناء سلالات الشعوب الاخرى

لنأخذ حائل اللغة . فلا حق لي ان امتحن ذكاء طفل من الهنود الحمر « بمقياس ذكاء » مكتوب باللغة الانكليزية اذا لم يكن ذلك الطفل قد تعلم اللغة الانكليزية تعلماً وافياً كالاطفال الذين وُضع لهم المقياس . وقد امتحن هذا القول في حرارٍ القلبين بطريقة لا تدع مكاناً للريب . ذلك ان طائفة من الاطفال عدد افرادها ٣٢ الفاً اعطوا مقاييس ذكاء متعدّدة . وكان هؤلاء الاطفال لا يجيدون التكلم باللغة الانكليزية . فلما جمعت النتائج وبوّبت ظهر ان مرتبة ذكائهم ادنى جدًّا من مرتبة ذكاء الاطفال الاميركيين الذين من عمرهم . ولكن لما اعطوا « مقاييس ذكاء » تمتحن ذكاء الطفل من غير الالتجاء الى اللغة تبين ان مرتبة ذكائهم مساوية لمرتبة ذكاء اقرانهم من الاميركيين

والعالم النفسي لا يتعامل عن مسألة الزنجي في الولايات المتحدة . اذ يقول بعضهم هو ذا الزنجي يعرف الانكليزية ولكن مرتبة ذكائه ادنى من مرتبة ذكاء اقرانه البيض . لان الذكاء كما يقاس بمقاييس الذكاء يتوقف الى مدى بعيد عن البيئة التي نشأ فيها الممتحَن . ومن المؤكد ان الزنجي الاميركي لا يساوي الابيض في هذه الامتحانات . ولكن كل من خبر احوال الاجتماع في جنوب الولايات المتحدة الاميركية حيث يقيم معظم الزنوج الاميركيين

لا يستطيع ان يدعي ان الزنجي اتيحت له فرص التعلم والتثقف كما اتيحت للبيض ونسمع كثيراً عن انحطاط الزنوج (الاميركيين) ولكن ثمة حقيقة او حقيقتان يعلمهما كل داعٍ مؤيد لتفوق البيض فالزنجي الاميركي، الساكن في شمال الولايات المتحدة، يفوق الزنجي الاميركي الساكن في جنوب الولايات المتحدة، ذكاء اذا صح لنا ان نعتمد على امتحانات الجيش الاميركي الواسعة النطاق التي تمت في اثناء الحرب الكبرى. فالاحوال البيئية التي ينشأ فيها الممتحن لها شأن كبير في امتحان الذكاء يساوق شأن التعلم في المدارس وغيره والعالم النفسي يعرف هذه الحقائق ويحترز كل الاحتراز من اطلاق الآراء من غير اسنادها الى ادلة كافية. ومما يسيء الى العلم ان كتّاب الصحف وبعض المحللات السائرة يتناولون نتائج بعض الامتحانات ويبنون عليها نتائج لا تسوغها الحقائق

وللبيولوجي رأي في الموضوع. فبعض الكتاب يذهب الى ان الهنود الحمر او سكان جزائر الباسفيكي الجنوبية اخذوا يبيدون امام فتوحات الانسان الابيض، مما يدل على ضعفهم وانحطاطهم عن مستواه العقلي — فحجتهم مبنية على ان عجز هؤلاء عن الوقوف امام تيار الحضارة الاوربية او الاميركية دليل على ضعفهم العقلي!

ولكن الحجة فاسدة من اساسها. لان التيار الذي لا يستطيع هؤلاء الاقوام مقاومته هو تيار الامراض التي يصاب بها البيض وينقلونها معهم ولا قبل لسكان تلك الجزائر باحتمالها. فالثابت من مطالعة تاريخ الحملة الاسبانية على المكسيك ان المكسيكيين صدّوا كورتز عن مدينة المكسيك لدى هجومه الاول عليها ورغم تسلح الاسبانيين بأدوات الحرب النولادية والبارود قاومهم الهنود الحمر مقاومة عنيفة فردوهم خاسرين ولكن الاسبانيين جاءوا بمرض كان حيز معوان لهم في نهاية الامر على افتتاح المدينة وعروة البلاد. ذلك ان ميكروبات الجدري تفشت في المدينة بعد الهجوم الاول ووجدت فيها مرتعاً خصباً فلما حاول الاسبانيون ثانية افتتاح المدينة كان نصف سكانها من الذكور قد ماتوا بالجدري فسهل على كورتز اخضاع الباقين

وكل من يتصل بالاسكيمو يعجب بذكائهم ومضاء عقولهم ولكن الاسكيمو مقضي عليهم لانهم لا يستطيعون ان يقاوموا امراض الانسان الابيض فالسل والجدري يفتكان بهم فتكاً ذريعاً وسكان الجزائر في جنوب المحيط الباسفيكي يشبهون الاسكيمو من هذا القبيل وانقراضهم ماض على قدم وساق لانهم لا يستطيعون مقاومة امراض البيض

فالانسان الابيض بشر — وشعوره طبيعي — بان هذه الاقوام ضعيفة منحطة وهي لا تستطيع ان تقاوم الامراض مقاومته لها. فيحتقرهم من جميع الوجوه ويحكم عليهم بقلة الذكاء وضعف العقل ولكن الذكاء لا علاقة له قط بهذا كله. والبحث العلمي الحديث اشار الى ان الاوربي

نفسهُ اذا عاش في الاحوال التي يعيش فيها هؤلاء فقد قوتهُ على المقاومة. فالجرذان البيض مثلاً تولد سلائل ضعيفة اذا حُكم عليها بالاعتذاء بطعام يحتوي على كحول او اذا اصيبت غددها الدرقية بما يضعفها

هذا فرع جديد من فروع البحث والظاهر مما تم فيهِ حتى الآن ان كل ما يضعف الجسم كالكحول وقلة الغذاء، والمرض يفضي الى توليد سلائل ضعيفة ولهذا تنحط السلالة . فاذا صحت هذه الاشارات وأيدتها المباحث المقبلة تبين لنا كيف يفضي مرض يتفشى في قوم لم يعرفوهُ من قبل ، كالملاريا ، على سلالة قوية صلبة المراس

فاذا حسبنا النتائج التي نخرج بها من ميادين البحث المرتبطة بهذا الموضوع تبين لنا ان العلم لا يميل الآن الى وضع تاج الفرق العقلي على رأس سلالة بعينها من السلالات البشرية

ولكن هل يستطيع البحث العلمي ان يحل هذه المشكلة حلاً نهائياً قد يمكن ذلك. ولكن العقبات التي تحول دونهُ كثيرة جداً فأولاً يجب ان يتناول الباحثون في بحثهم السلالات لا الامم . لقد ظهرت مؤلفات كثيرة عن تفوق النورديين ولكني لا اعرف احداً من الباحثين تناول في بحثهِ جماعة نوردية صريحة ووازن بينها وبين جماعة اليهود صريحة او جماعة صريحة من سلالة البحر الابيض المتوسط . قد يبدو في هذا التصرف شيء من القسوة على امثال عراث الذي بحث بحثاً علمياً صحيحاً في الموازنة بين جماعات من اليهود الحمر وجماعة من البيض ولكن يرجح عندي ان عراث نفسهُ لا يستطيع ان يدعي انهُ عُني كل العناية بتفاوت الجماعات التي تناولها وعدم اختلاط دمها بدم سلالة اخرى

ثم هنالك صعوبة اخرى اذ لا بدَّ من استعمال مقاييس الذكاء لامتحان ذكاء جماعة من الجماعات فلنفرض ان باحثاً اختار جماعة نوردية وجماعة من سلالة البحر الابيض المتوسط. وقد مرَّ بنا ان اللغة حائل كبير دون تطبيق معظم المقاييس الموضوعة لقياس الذكاء. فعليهِ ان يستعمل مقاييس لا تقوم على اللغة ولكن ذلك لا يثبت له ان الاحوال الاجتماعية والصحية والتعليمية التي نشأت فيها الجماعات متماثلة. وهذه الاحوال لها اثر في ذكاء كل سلالة وقوة تماثلها العقلية. حتى اذا سلمنا جدلاً انا نتمكن من تحقيق هذا العرض فالنتيجة التي نخرج بها تنطبق على حالة السلالات اليوم ولكن اين السلالات التي شيدت الاهرام وبنت حضارة اليونان القديمة . كانت تلك السلالات في عصرها زعيمة الحضارة اذ كان سكان شمال اوربا مستغرقين في جهل البداوة وكما ارتقى النورديون الى الذروة وهبطت سلالات من الذروة هكذا توجد الآن سلالات تحاول ان تتسلق سلم الارتقاء وقد تحدث ما يمكنها من التفوُّق على السلالات النوردية كما تفوَّقت هذه على من تقدمها . هذه تعاليم التاريخ. فلنكن منصفين في الحكم على السلالات

النظرية السلوكية : نقد وتقدير

للاستاذ يعقوب فام

في المقالات السابقة شرحنا باختصار كثير المقدمات التي ابنت عليها النظرية السلوكية، وفي هذه المقالة سوف نتناول النظرية نفسها بالتقدير والنقد لندل على مواضع قوتها ومكان الضعف فيها

قلنا فيما سبق ان للعلم طريقتين يستعين بهما او باحداهما للوصول الى الحقائق التي يسعى وراءها. والطريقة الاولى هي طريقة المشاهدة وهذه اعمُّ الاثنين جميعاً وتستعمل في جميع العلوم الطبيعية كالكيمياء والطبيعة والفلك وعلم طبقات الارض والعلوم البحرية والمعادن والنابات وعلم النبات وخلافه هذه كثير واما الطريقة الثانية فهي الاستبطان (Introspection) وهي خاصة بالعلوم الاجتماعية كعلم النفس وعلم الاجتماع والاقتصاد. وهذا لا يمنع بالطبع ان العلوم الاجتماعية ايضاً تستخدم المشاهدة والتجربة كباقي العلوم الطبيعية ولكن الاستبطان خاص بالعلوم الاجتماعية دون سواها

والاستبطان قائم على ان العلماء يبحثون في مشاعرهم الخاصة وحالات نفوسهم التي تلازمهم في بعض الاحوال المختلفة، وتحليل عواطفهم ووجدانهم ومنازع نفوسهم وما يتكبدونهُ في سبيل هذه المنازع ثم يدوّنون هذه جميعاً وينظمونها ويقيمون لكل ظاهرة منها حدودها. ليس هذا فقط ولكنهم يتصلون بالآخرين مستوضحين عن حالاتهم النفسية وما يحسه الغير ويشعر به او يدفعهُ للعمل والنشاط ويجمعون منهم الشيء الكثير ثم يقيسون هذه الطواهر على ما يجدونهُ من نفوسهم هم، وبعد هذا يستخرجون القوانين العامة من هذه الطواهر جميعاً ويقدمونها على انها حقائق ذاتية داخلية يصح ان يأخذ بها العلم ويبحثها لانها تتناول النفوس المادية وبالطبع لا يهمُّ سواء اكانت هذه الطواهر النفسية لها وجود موضوعي (objective) مستقل عن الشخصية ام ليس لها وجود مستقل كأن تكون ذاتية داخلية (subjective) والفرق بين الذاتية والموضوعية دقيق ومتصل بالفلسفة اشد اتصال ولسنا ننوي ان نبحث فيه لانهُ يطوّح بنا في مناحٍ من الكلام تخرج بنا عن حد علم النفس وانما نحب ان نضرب مثلاً او اثنين حتى نبين الفرق بينهما بشكل اكثر وضوحاً وأقرب الى الافهام من المعلوم اننا لا ندري للاشياء وجوداً الاَّ عن سبيل الحواس، فالانسان منا في الواقع لا يدري سواء اكان هذا الجسم موجوداً ام غير موجود الاَّ عن طريق النظر

واللمس والسمع الى آخره ، وحتى هذه الظواهر التي تصل الينا لا يصح ان ندعوها جسماً لانها ليست كذلك . فما هي الاّ احساسات مستقلة عن الجسم كل الاستقلال ، وما هي الاّ من صنع نفوسنا . فعندما ترى امامك رجلاً وتسمعه وتلمسه فشعورك بوجوده لا يمت بصلة اليه لانهُ ما يزال واقفاً بعيداً عنك مستقلاً عن نفسك الداخلية، وكل ما تعلمهُ عنهُ هو بضعة احساسات دقيقة رتبها جهازك النفسي وحاكها كما اراد حسب استعداداته وطاقته

ولنضرب مثلاً آخر يكون اكثر توضيحاً لهذه النقطة. انسان واقف بجانب ناقوس كبير يدق ويسمع هذا الانسان صوتهُ، فما هو هذا الصوت؟ هل الصوت شيء موجود في الطبيعة مستقل عن الانسان ؟ كلاّ فان الصوت هو عبارة عن اهتزازات سريعة لجسم ما ، وهذه الاهتزازات تنقلها الينا حواسنا على انها صوت ، ولكن هذه الاهتزازات نفسها لو زادت سرعتها وقصرت موجتها قليلاً او كثيراً لما سمعناها مطلقاً ولانقلبت الى حرارة تكتوي بها ايدينا فيما لو لمسنا هذا الناقوس الذي نتحدث عنهُ . والفرق بين الصوت والحرارة ليس شيئاً سوى ان الصوت ينتج من اهتزاز الناقوس كله واما الحرارة فتنتج من اهتزاز ذراته . فاذا زادت الاهتزازات ايضاً وقصرت موجتها لا يعود الناقوس يحدث صوتاً ولا يعود ساخناً فقط وانما يصبح منيراً كأنهُ مصباح قوي . كل هذا يحدث مع اننا لم نغير شيئاً من طبيعة الناقوس ولا من اهتزازاته، والواقع ان الاختلاف في هذه الحالة لا ينجم عن هذا الجسم وانما ينجم عن حواسنا التي ركّبت فينا ، فانها هي دون غيرها التي تسمي بعض الاهتزازات صوتاً وبعضها حرارة وبعضها نوراً والواقع انها اهتزازات لا اكثر ولا اقل

هاتان هما اذن الطريقتان — طريقة المشاهدة والدراسة الموضوعية وطريقة الاستبطان والدراسة الذاتية الداخلية . والسلوكية تصرُّ على ان تغفل الذاتية كل الاغفال ولا تريد ان تستخدم في علم النفس الا الطريقة الموضوعية. وبعبارة آخر لا تريد ان تسأل الموضوع المراد دراسته عما يحس او يشعر به، لانها لا تثق بشعوره او باحساسه ، وانما تعتمد فقط على ان تصع الموضوع امامها — انساناً كان ام حيواناً — وتشاهد تصرفاته في الاحوال المختلفة المتباينة، ثم تدوّن هذه المشاهدات وتبوبها وتستخرج منها قوانين عامة، وتزعم ان كل طريقة اخرى عدا هذه خاطئة ومغلوطة ومضللة ولا يصح الوثوق بنتائجها. والسلوكية تنحي باللائمة على كل العلماء الذين يستخدمون طريقة بخلاف طريقتها ، وتدعوهم دجالين ومشعوذين وخاصعين للاوهام والخرافات ، والفرق بين السلوكيين وغيرهم ينحصر في الواقع في هذه النقطة، وهي ان الاولين هم اصحاب طريقة واحدة — طريقة المشاهدة واما الآخرون فانهم يؤمنون بالطريقتين جميعاً

هذا هو جوهر الخلاف بين المدرستين، وهو في الواقع يدل على ان وطسون والسلوكيين من خلفه قومٌ متعصبون ضيّقو افق العقل متعسفون لانهم يتحاصون عن الحقائق بشكل يجعلهم غير صالحين للانتاج العلمي ويجعلهم حريين بأن يقصوا من حظيرة العلماء الموثوق بهم — يكون هذا شأنهم لعدة اسباب نذكر منها البعض على سبيل التمثيل لا غير

لا يثق وطسون بالموضوع المراد دراسته (الانسان مثلاً) ولا يحب منهُ ان يشرح ما يدور بنفسه زعماً منهُ ان هذه الطريقة هي طريقة ذاتية لا يوثق بها . حسن رضينا واتفقنا — انما نسأل هذا السؤال :— كيف يتسنى لنا اذن ان ندرس الانسان ؟ يقول وطسون شاهد تصرفاته . راقبهُ ودوّن ما ترى فقط هذه هي الطريقة الموضوعية الموثوق بها ، والتي لا يتسرب اليها شيء من الذاتية (subjectivity) المبنية على الشعور والاحساس، وهذان يخضعان لمؤثرات كثيرة وعوامل مختلفة لا تجعلهما صالحين بحال من الاحوال لبناء الحقائق العلمية عليهما ، واستنباط القواعد العامة التي يصح ان نطبقها في جميع الحالات

وهنا لا يستقيم موقف وطسون مع المنطق والعقل ، لان القارئ يذكر اننا قلنا اننا لا نستطيع ان نتصل بالاشياء الا بواسطة حواسنا . انَّ وصفنا للاشياء هو في الواقع وصف لشعورنا نحن ولما نحسهُ من هذه الاشياء ، وانهُ عندما يتحدث الينا وطسون عن تصرفات انسان معين انما يتحدث الينا عما احسهُ هو بنفسه وشعر به وتخيل ان هذا الانسان يفعله ويعمله ، فكأن وطسون يقول لنا « دعوا هذا الانسان وما يحسُّ بهِ ، واصغوا اليَّ انا لاقص عليكم ما احس واشعر به انا عن شعور هذا الانسان واحساسه . وبمعنى آخر لا تثقوا بشعوره واحساسه بما في نفسه ولكن ثقوا بشعوري انا واحساسي بما يفعله هو » وهذا بالطبع وجه الخطأ لانهُ اذا كانت الطريقة الذاتية خطأً ، فتكون خطأً عند ما يستعملها وطسون وعند ما يستعملها الانسان موضوع البحث على السواء واما اذا كانت صواباً فتكون كذلك في الحالين ، ويكون اعود علينا واجدى للعلم نفسه ان ندرك الانسان المراد دراسة نفسيته يشرح انا احساسه وشعوره

هذا من الوجهة الفلسفية ، واما من الوجهة العملية فالصعوبات كثيرة في سبيل نظرية السلوكية منها ان السلوكيين في مشاهداتهم لا يتوصلون الا الى الامور السطحية الظاهرة ، واما ما كان منها متصلاً بقرارات النفس الداخلية فلا سبيل لهم اليه هم يرون الحركات والافعال ولكنهم لا يستطيعون ان يتوصلوا الى الدوافع النفسية والنوازع الداخلية التي بعثت هذه الحركات وتلك الافعال . ولكي نزيد هذه النقطة وضوحاً نروي الحادثة الآتية وهي تدور حول هذه النظرية، وليس بطلها احداً سوى وطسون نفسه وماكدوجال اكبر اعداء النظرية السلوكية

حدث ان دعت احدى جمعيات نيويورك وطسون وماكدوجال ليتناظرا في السلوكية ، وكان من الطبيعي ان يدافع وطسون عنها وان يهاجمها ماكدوجال ويبين اخطاءها الملازمة لها . قال ماكدوجال

تصر يا سيدي على ان ترفض كل شيء في علم النفس ، وتصر على ان تضع هذا الشيء خارج دائرة هذا العلم ما لم تشاهده بنفسك ، فكل شيء تراه او تشاهده وتقيسه وتتناوله بادواتك العلمية هذا تقبله وتجري تجاربك عليه ، واما ما لا تراه عينك وما لا يقع تحت حسك فهذا ترفضه وترعم ان لا صلة له البتة بعلم النفس هذا حس . فلنقل اذن انك تتناول ابرة في يمينك وتمررها في يدي ثم تشاهد استجابتي لهذا المؤثر العيني وتدون هذه المشاهدات وعند ما تمررها في يدي اسحب يدي بالطبع وباسرع ما يمكن فشرع تتحدث عن الارجاع (الافعال العكسية reflex action) وتقول هذا الموضوع (اي ماكدوجال) سحب يده بسرعة عند ما وخزته بالابرة ، ثم تجرب هذه العملية في الوف من الايدي — ايدي رجال واطفال وسيدات وبنات وارجل الحيوانات ايضاً — وعند ما تجد ان ليس لهذه القاعدة شذوذاً ، وان كل من وخزت بالابرة يسحب يده بسرعة ، تقول هذه قاعدة علمية عامة لا شذوذ فيها وتشرع تضع هذا القانون العام « كل من وخز بابرة يسحب يده بسرعة » ثم تكتفي بهذا ولا تريد عليه حرفاً ، واذا قلت لك اني احسست بالم عند ما وخزت يدي بالابرة تقول هذا لا يهمني ولا يقدم او يؤخر في الموضوع ، لان هذا الاحساس الذي ترعم ان تقصه عليّ لا يمكن ان يدخل في حساب العلم الذي اعمل باسمه ، فهذا العلم في الواقع لا يعتمد على ما تحسه او تشعر به ولا يجب ان يقيم له وزناً ، وكل ما يعنى به هو ما يشاهده من تصرفاتك في حال معينها — ذلك لانه علم موضوعي objective ويصر على ان يظل كذلك

تتغافل عن احساسي وشعوري يا سيدي ولا تريد ان تسمع مني حرفاً او تسمح لي بأن اعينك في مهمتك هذه برواية ما قد يكون خفي عليك وما قد يكون من المستحيل ان تشاهده انت او تعرفه من غير ان اخبرك به ، ومع كل ذلك يا سيدي فلنتسامح معك ولنقبل ان هذا حس ايضاً . ولكن مادا يكون رأيك . فيما لو تركت يدي حيث هي ولم اسحبها ؟ ماذا يكون شأنك وشأن العلم الذي تعمل باسمه لو وخزت يدي فوجدتني اقف جامداً في مكاني متسماً لا ابدي حراكاً كأن الامر لا يعنيني ؟ ماذا تكون قيمة مشاهداتك من الوجهة العلمية اذا زعمت ان هذا الموضوع (ماكدوجال ايضاً) لا ينطبق عليه قانونك العام الذي اكتشفته على طريقتك العلمية ؟ مادا تفعل في هذه الحالة التي هدمت قانونك

العام هذا وذرّته مع الرياح وذهبت بآثاره وقوضت نظريتك من آساسها ؟ لاشيء يا سيدي. لاتستطيع ان تفتح فاك ، وما يبقى عليك الا ان تضرب بهذا القانون عرض الافق، وتسلم مع المتشككين بأنهُ قانون ليس علميًّا ولا يوثق بهِ »

والواقع ان وطسون لا يستطيع الاّ ان يفعل هذا ويطعن هذا القانون في الصميم . لايجد مندوحة عن هذا سوى ان يسأل الموضوع ويستوضحه الامر ويصغي اليهِ وهو يقص عليهِ احساسه وشعوره ، ويستقبل هذا الاحساس وذاك الشعور على ان لهما قيمة حقيقية في الامر وعلى انهما مما لا يستغنى عنهما في علم النفس ، وبعبارة اخرى نجد مرة ثانية ان السلوكية لا يمكنها ان تغفل حساب الطريقة الاخرى — طريقة الاستبطان — لا بل يجب ان تستخدمها وتقبل على استعمالها كما يقبل باقي علماء النفس

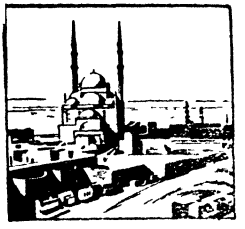
وجدنا اذن ان وطسون يستبطن عند ما يصف لنا تصرفات انسان شاهده ، ويستعمل هذه الطريقة لانا لم نشاهد تصرفات الموضوع كما شاهدها وطسون ، فيجب ان نثق بشعور وطسون واحساسه عند ما يقص علينا تصرفات الموضوع هذا من جهة ، واما من الجهة الاخرى فانا قد وجدنا ايضاً ان قانون السلوكية الاول والاساسي وهو مراقبة السلوك فقط لا غير — هذا القانون لا يمكن ان يجد سنداً من التجربة والمشاهدة وحدها ، بل يتحتم عليهِ — لكي يصير قانوناً عامًّا موثوقاً بهِ — ان يرتكز على شعور الموضوع المراد دراسته وعلى احساسه ، وانه لا مندوحة لهُ عن ان يصغي للموضوع ويأخذ بكلامهِ . قبل ان تفعل السلوكية هذا الامر لا يمكن ان يكون لقوانينها القيمة العلمية التي تحب ان تدعيها لنفسها ، والتي تحاول ان تنفيها عن كل طريقة اخرى وخصوصاً طريقة الاستبطان

واذن فالطريقتان لازمتان لعلم النفس على الخصوص وللعلوم الاجتماعية على العموم وكل ما تقول بهِ السلوكية بخلاف هذا هراء في هراء، ولا يجب ان يقام له وزن في الدوائر العلمية، لان مصيبة السلوكية انها متعنتة متعسفة لا تستطيع ان ترى وجهي الشيء الواحد في نفس الوقت، فهي تصر على ان تتعامى عن احد وجهيه، ثم تريد العالم على ان يتعامى مثلها

وهناك الناحية الفلسفية للنظرية السلوكية، فقد توسطت في معامرات فلسفية بشكل استجلب عليها النقد المرير وجعل الاساسات التي ترتكز عليها واهية، لا بل ذهبت في تعسفها الى اكثر من هذا ، واخذت تنكر الدين والعقل والنفس والفلسفة والتاريخ وعلم الاقتصاد الى آخر هذه القائمة

النظرية السلوكية لا تثق بشيء سوى بعلمي الطبيعة والكيمياء، واما كل شيء آخر ماعدا هذين فهو هراء لا يستحق منها الالتفات

يعقوب فام
استاذ في التربية من جامعة ييل



مكانة سوريا في التاريخ العالمي

١ — علاقة سوريا ببلاد العرب. ٢ — علاقة سوريا بآسيا واوربا وافريقيا . ٣ — امل سوريا في العرب . ٤ — دين سوريا

توطئة

بين البادية العربية وساحل الشرق المشرقي تمتد قطعة ارض خصيبة تتراوح ما بين ٧٠ ميلاً الى ١٠٠ ميل عرضاً وتفصلها سلسلة من الجبال والاودية الى مقاطعات صغيرة حالت دون اتحادها ورصوخها لحكومة او سلطة وطنية واحدة . على ان حدودها الطبيعية — البحر في العرب وجبال طورس في الشمال والبادية في الشرق والجنوب — تحوها بشيء من الوحدة ، وتفصلها عن بقية العالم

ولذلك أُطلق عليها بحق اسمٌ واحد ، هو سوريا . وهي كفلسطين يرجع اسمها الى الاعريق ولكن بطريقة معكوسة . فكما ان Palestina — وهي في الحقيقة Philistina — فلسطينا — كانت بادىء ذي بدء اسماً لحاجب من الساحل فقط ومن ثمَّ تعلمل في الداخلية الى البادية، كذلك نجد ان سوريا وهي تحريف اشوركان الاغريق يطلقونها اصلاً على الامبراطورية الاشورية من جبال القفقاس الى المشرق ثم تقلصت الى جانب من الفرات واخيراً اصبحت ضمن الحدود التي وصفناها. يدعوها العرب « بلاد الشام » او الشمال اذ انها في الحقيقة الطرف الشمالي او الشمال العربي من شبه الجزيرة العربية العظيمة التي يطلقون على الجهة الجنوبية منها « اليمن » او اليمين . اما الاسم پالستينا (Palestina) الذي يستعمله يوسيفيوس نفسه للاشارة فقط الى فلسطيا (Philistia) فكان يستخدمه الاغريق لتمييز سائر جنوب سوريا او يهوذا عن فينيقية وكيليكية — سوريا . فدعوها پالستينا السورية مستعملين كلمة « السورية » كصفة و« پالستينا » الاسم وحده . واشتق الرومان من ذلك « پالستينا » التي كانت في القرن الثاني مقاطعة واحدة ومن ثم قسمت الى ثلاث ولايات Palestina Prima فلسطين الاولى و Secunda الثانية و Tertia الثالثة . ولا يزال هذا الاسم باقياً يشهد على اصلها في كلمة « جند » العربية — فلسطين

---

(١) الجانب الاكبر من هذا المقال منقول عن كتاب الاستاذ جورج آدم سمث: جغرافية الارض المقدسة التاريخية George Adam Smith —The Historical Geography of the Holy Land by Hodder & Stoughton

وهذه الاسماء كلها غريبة دخيلة. اما كنعان، اسمها المحلي، العريق في القدم فيرتاب في اصله. فمن الممكن ان يكون جنسيًّا، او جغرافيًّا وهو اكثر احتمالاً، وبعني غوراً او ارضاً وطيئة. ويلوح انهُ في بادىء الامر قد اختصَّ بالساحل الفينيقي لتميزه عن التلال التي فوقه. ولكنهُ من ثمَّ امتد الى المنخفضات الاخرى مثل سهل ساروبة (Sharon) ووادي الاردن، وهكذا الى جميع البلاد قاطبة، سهلاً وجبلاً

ونوسعنا ان نلخص تاريخ سوريا الجغرافي في فقرة واحدة: ان سوريا هي الطرف الشمالي من موطن الساميين — شبه جزيرة العرب — واشد اطرافها خصباً. وهذا الموطن السامي يمتاز بمركزه الجغرافي المتوسط — بين آسيا وافريقيا وبين الاوقيانوس الهندي والبحر الابيض المتوسط اي اوربا. وعليه فالدور الذي مثله الجنس السامي على مسرح التاريخ كان دور نقل ووساطة. فالساميون كانوا اعظم وسطاء العالم. وفضلا عن مهارتهم واقدامهم في الحروب فقد تبوأوا المستوى الاعلى في عالمي التجارة والدين، وكانوا همزة الوصل بين الشرق والغرب لتوسطهم بين الحضارات القديمة العظيمة التي كان من ثمارها حضارتنا الحديثة. كذلك جعلتهم عبقريتهم السامية واسطة بين الله والانسان فأثبتوا انهم قادة العالم في الدين وبزغت من بين ظهرانيهم الاديان الثلاثة العالمية السامية، فتاريخ سوريا اذن هو نصيبها من هذه الوساطة الدينية من اقدم العصور الى الزمن الحاضر

وبكلمة اخرى اقرب الى الواقع، تقع سوريا بين قارتين، آسيا وأفريقيا وبين مقرين اوليين للانسانية وادي الفرات والنيل. وبين مركزين كبيرين لنشوء الامبراطوريات — غرب آسيا ومصر ممثلة بذلك العالم الشرقي والقديم، والبحر الابيض المتوسط، وهو المعهد الموصل الى العالم العربي والحديث. لقد شبهت سوريا بجسر بين آسيا وافريقيا — جسر تقع البادية عند احد طرفيه والبحر عند الطرف الآخر والحقيقة ان جميع الفتوحات العظيمة في سوريا اذا استثنينا منها فتوحات بني اسرائيل والفتوحات الاسلامية، وقعت من جهتها الشمالية والجنوبية. على ان هذا الاستثناء يبرهن فقط على نقص في هذا التشبيه لا لان فتوحات بني اسرائيل والعرب كانت اعظم الموجات لمدٍّ وجزرٍ مستمرين من المهاجرة التي طغت على سوريا من بلاد العرب فحسب وانما لانها تمثل عبقريتها في الدين التي بتأثيرها في تاريخها فاقت كثيراً تأثير مركزها الجغرافي المتوسط. ليست سوريا جسراً فحسب بين آسيا وافريقيا بل هي ايضاً ملجأ لتلك القبائل التي نزحت من بلاد العرب، فهي لم تكن ممرًّا للحضارات وميدان حرب للامبراطوريات فقط بل مرعًى خصيباً ومدرسة لقبائل صغيرة لا يقع عددها تحت حصر. ولم تكن سوريا قناة مفتوحة للحرب والتجارة فحسب للعالم اجمع وانما مهداً

لنشوء اسمى ديانات العالم . ففي هذا المزيج من الجسر والمرفأ ، والميدان والمقدس، والعزلة والامل ،الناجم عن طبيعة انقسام سطحها الى جبال وسهول ، يقع سرُّ تاريخ سوريا في الدين الذي رفع شهرتها الى ذروة المجد والفخار .اما من جهة حدودها العربية فلم يقع اي فتح او اغارة الاَّ .... الامل . حتى ان الامم الاوربية لما طمعت في اكتساح فلسطين لم تدخل جيوشها الى مرافئها حتى اصبح الساحل في حوزتها وتحت مطلق تصرفها . على ان سوريا شعرت ، من اول الامر ، ان مستقبلها يتوقف على هذا الساحل ، ولذلك دفعها هذا الامل الى البحر ، الى حزائر وياسات تبعد كثيراً عن افقها ، وفعلاً نرى ان ، في العرب ، تشعبت امبراطوريتها الروحية — وهي تلك الامبراطورية التي تكاد سوريا ان لا تعرف سواها — فادركت المستوى الاعلى من الرقي والتقدم

ويتبين لنا ، مما تقدم ، ان هنالك اربعة عوامل في تاريخ سوريا يحسن بنا ان نعرف شيئاً عنها باختصار وهي — علاقة سوريا ببلاد العرب ، ومنها استمدت سكانها. ثم مركزها كميدان للكفاح بين آسيا وافريقيا وبين هاتين القارتين واوربا . ثمَّ تأثيرها غرباً، واخيراً ،دينها

١ — علاقة سوريا ببلاد العرب

رأينا ان سوريا هي الطرف الشمالي من العالم العربي الذي يحدُّه المشرق بجبال طورس، والفرات بخليج العجم ، والمحيط الهندي ، والبحر الاحمر برزخ السويس. وفي هذه الحدود تماثل وتناسق بل وحدة في الطبيعة . فالارض نجدٌ مرتفعٌ قاحل ، ولكنهُ مطرز بواحات كثيرة الحصب، يحيط به سطح واطىء اكثرهُ خصيب ايضاً . والسكان ساميون قاطنة،ذوو عزيمة ماضية . كثيرو النسل فتضيق بلادهم الخضراء عن اعالتهم لوفرة عددهم . على انهم منقسمون الى قبائل صغيرة دون ايما اصقاع محدودة تختص بها تماماً . وقد نزحت هذه القبائل كلها متحدة كلمة واحدة في عصر واحد في اثرها وذلك في عصر الاسلام لما امتدَّ سلطانها من الهند الى المحيط الاطلسي . وفي ما عدا ذلك من العصور الاخرى كانوا يظعنون من بلادهم القاحلة متجهين نحو الشمال متفرقين اما قبائل منفردة كل منها على حدة او بعض قبائل متحدة معاً . اما المنافذ التي كانوا يمرون منها فهي اربعة — من باب المندب الى ابيسينيا (الحبشة)،او من برزخ السويس الى مصر، او من الفرات الى العراق ، او من الاردن الى غربي سوريا ، وبذلك اصبحت سوريا حوضاً كبيراً تندفق نحوه الموجات العربية. ومن القبائل التي اكتسحت حدودها كان بعضها يأتي لتمضية فصل الصيف ثم تنكص على عقبيها في الخريف ،كالمديانيين في عصر جدعون اوالعشائر المختلفة من العنزة في عصرنا الحاضر . وهناك قبائل اخرى كانت تنزح من اواسط بلاد العرب او من جنوبها ، كبني

جَفْنَ مثلاً، وقد هاجروا من اليمن في القرن الاول للميلاد، فلما اقامهم الرومان حرّاساً على حدود امبراطوريتهم الشرقية اسسوا دولة عظيمة عرفت بالغساسنة. وطمنت قبائل اخرى اما لان الارض التي كانت تسكن فيها وتعتمد عليها في ما تحتاج اليه من المواد الغذائية قد ضاقت بها او لانها اضطرت الى الرحيل مرغمة من النيل او وادي الفرات كالسوريين والفلسطينيين وبني اسرائيل

هكذا عمرت سوريا بالسكان. فلا تسطع انوار التاريخ على حدودها الاّ وترى نفس العملية جارية على قدمٍ وساقٍ. فحين يجتاز بنو اسرائيل نهر الاردن، وحين يأتي المديانيون فيخضعونها، وحين يذهب اليهود في المنفى ويأتي الادوميون فيحلون محلهم، وحين تتحد المدن اليونانية العشر Decapolis[1] لتصدّ عنها هجمات العرب، وحين يعقد الرومان بسياستهم الهائلة، تحالفاً مع بعض النازحين على ان يكونوا حائلاً منيعاً دون تقدم غيرهم من القبائل العربية التي كانت تجتاح امبراطوريتهم بين آونة واخرى ولاسيما اثناء الفتوحات الاسلامية. هذا واذا القينا نظرة على خارطة فلسطين، في عصرنا الحاضر، شاهدنا اجزاءً منها تشتمل على اسماء قبائل Beni-Sab و Beni Hamâr و Arab Amarin[2] بينما نرى في خارطتها القديمة بني نفتالي B'ne Naphtah وبني يوسف B'ne Joseph وبني يهودا B'ne Jahudah وعشائر اخرى من بني اسرائيل. وكل هذه القبائل والعشائر قديمة وحديثة، تنتمي الى الجنس السامي

اما اليوم، فلا ترى قبائل جديدة تظهر من اواسط بلاد العرب او من اية ناحية اخرى فيها لاكتساح سوريا ولكنك تشاهد قبيلة قوية كالروله مثلاً تتنقل وتتجوّل كل سنة بين الفرات والاردن، او عشائر صغيرة كتعامرة بادية يهوذا او عدوان مؤآب تعيش قروياً تغتصب خلالها اموال الفلاحين وارزاقهم ثمّ تتخذ الزراعة بالتدريج مسلكاً لها وتخضع لحكومة البلاد المتحضرة. ويتضح من كل ما ذكرناه امران:

---

(١) وفي نيتنا ان ننشر مقالاً عن هذه المدن نصف فيه احوالها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والدينية ولا سيما وقد اتاح لنا الحظ ان نقوم بسياحة في اكثرها

(٢) يسؤنا جداً ان نذكر اسماء هذه القبائل كما وردت في كتاب المؤلف على انا بذلنا قصارى جهدنا حتى نتوصل الى معرفة اسمائها الحقيقية باللغة العربية — اولاً من بعض رملائنا الاردنيين والفلسطينيين وثانياً من بعض اعيانهم ورعمائهم فلم نتوفق. على ان البعض ان Beni Sab ربما تشير الى (بني صعب) و(Arab. Amarin) الى عرب العمارنة وذلك للتقارب اللفظي ولكننا لما تثبت من ذلك بعد نظراً لقلة المراجع التي لدينا فنحن نشكر لكل من يساعدنا في الوصول الى الحقيقة التي ننشدها جميعاً [المترجم]

اولاً : ان اعظم الموجات التي طمت على سوريا من جنس يتألف من قبائل صغيرة مستقلة تناسب طبيعة البلاد ، فسوريا منقسمة الى اقاليم صغيرة تفصلها الصحراوات والجبال كما تفصل جبال الالب بعض مقاطعات سويسرا . فالعشائر التي نزحت زرافات ووحداناً من بلاد العرب قد لاءمت تقاطيع سوريا واجزاءها الطبيعية فكأنما سوريا كانت قبائلية بشكلها وطبيعة سكانها . وقد كان هذا العامل من جهة ، وكون سوريا تقع بين اجناس اخرى تناصبها العداء ، من جهة اخرى ، سبباً فعالاً حال دون تأسيسها امبراطورية سياسية

ثانياً — لقد كان سكان سوريا ساميين اصلاً ولا يزالون . نعم هنالك بعض انحاء قدمت اليها شعوب كثيرة مختلفة كالفلسطينيين والحثيين في العصور القديمة ، ثم جاء من بعدهم اليونان بكثرة ثم الصليبيون ، فيونان واتراك وفرنجة واكراد . وثمة بعض مستعمرات شركسية الى يومنا الحاضر ، ولكنهم لم يؤثروا تأثيراً فعالاً في السكان مطلقاً . فالارومة سامية . واذا كان ثمة من مزاحم او منافس للسامي ، فذلك هو اليوناني ، ولكن اليونان كانوا يقيمون في المدن حيث تربي نسبة الوفيات على نسبة المواليد ، ولو لم يزدد عددهم بما كان يفد اليهم من الخارج لتلاشوا ولما استطاعوا ان يحافظوا على صبغتهم الخاصة امام العرب او السوريين

٢ - علاقة سوريا بالقارات الثلاث

لما نزحت القبائل العربية من البادية الى سوريا وجدت نفسها على اتصال بآسيا وافريقيا من جهة ، واوربا عن طريق البحر الابيض المتوسط ، من جهة اخرى ، فلم يكن في وسعها الا ان تطرح بنفسها في هذا الميدان وتشترك في التجارة العالمية . نعم لقد حال ذلك دون تأسيسها امبراطورية سياسية متحدة ولكن اثبتت للعالم قاطبة عبقريتها السامية التي اكتسبتها من عراقتها الطويلة في البادية

ان موقع سوريا بين اعرق مهدين للجنس البشري في القدم جعلها ممراً للمواصلات وتبادل الثقافة والحضارة ، وليس ثمة من طريق في العالم طراً اقدم من الطريق الذي لا تزال تستعمله القوافل في سيرها من الفرات الى النيل ، مارة بدمشق والجليل ومرج بن عامر والسهل الفلسطيني وغزة . ويُشكُّ في هل كان بوسع التاريخ ذكر حملات عظيمة — تميزاً عن الحروب القبائلية — اقدم من تلك التي نشبت بين اشور ومصر في سوريا حتى القرن السادس قبل الميلاد . وقد اكتسحت هذه البلاد امم اخرى لا تمت الى الساميين بأي صلة من القرابة من آسيا وافريقيا . فالحثيون تقدموا من جنوب آسيا الصغرى واجتازوا

جبال طورس وكذلك انقض عليها الاثيوبيون بعد ان دان لسلطانهم وادي النيل[١] وحوالي خاتمة النزاع بين اشور ومصر اكتسح السكيتيون سوريا من شمال القفقاس واعملوا فيها ايدي الخراب والتدمير[٢] ولما تداعت اركان الامبراطورية الاشورية صمها الفرس الى امبراطوريتهم وتقدموا منها الى مصر. وبافتتاح عصر الميلاد حمل عليهم البارتيون ٤٠ ق.م. واعاد الفرس كرتهم عليها ٦١٢—٦١٦ب.م. في عهد خسرو الثاني قبل الفتوحات الاسلامية في القرن السابع للميلاد بمدة يسيرة وسقطت غنيمة باردة في يد الاتراك السلجوقيين في القرن الحادي عشر ١٠٧٠—١٠٨٥ وفي القرنين الثالث والرابع عشر اكتسحها المغول ثلاث مرات[٣]

والفت اوربا نفسها مندفعة اليها في زمن الاسكندر الكبير، فكانت سوريا ممرًّا للاسكندر في زحفه الى مصر ٣٣٢ ق.م ثم شاهدت نفسها مسرحاً لحروب السلوقيين والبطالسة في القرون التالية فزرعت في سهولها بزور حصارتهم الاغريقية. واخضعها بومباي لنير الامبراطورية الرومانية ٦٥ ق.م. حتى افتتحها العرب ٦٣٤ ب.م. وبقيت في حوزة الصليبيين ما يقرب من القرن ١٠٩٨ — ١١٨٧ وبعض اجزائها، قرناً آخر ولم يأت اليها الصليبيون كغيرهم من الغزاة الفاتحين لانها كانت طريقاً لقطر آخر بل لانها كانت في نظرهم مجتمعاً لجميع المنافذ والجهات الاخرى. ثم جعلها بابليون الكبير ممراً لادراك مطامعه في تأسيس دعائم امبراطورية على الفرات والسند، وبتّ في مصير هذه الفكرة في سهولها ١٧٩٩

ومن ذلك الحين، كان تاريخ سوريا عبارة عن محاولات متفرقة بين آونة واخرى من قبل العالم العربي لعرس حصارته الحديدة ونشر دينها القديم

* * *

فسوريا بلادٌ كثيراً ما يعيد التاريخ فيها نفسه. ولئن كنا نومن ان التاريخ لا يعيد نفسه دون ايما تعليل، فسرى قيمة هذه الفتوحات والحملات من آسيا وافريقيا واوربا في اماطة اللثام عن سر ذلك الجزء من التاريخ السوري الذي ننشده (لها بقية)

الصلت (شرق الاردن) احمد بديع المعربي

(١) اخبار الايام الثاني ٦، صح ١٤ : ٩ (٢) وقد اشير الى ذلك في ارميا صح ١٤:١٤ الخ قابل مع هيرودوتس ١، ١٠٤ الخ ٣) في سنة ١٢٤٠ عقد السوريون والصليبيون بينهما تحالفاً لصد هجمات الخوارزميين، وهاجمها المغول مرة ثانية ١٢٦٠، ومرة ثالثة في ١٤٠٠ تحت قيادة تيمور وحملوا معهم اعيان دمشق ومفكريها وغيرهم من المدن الاخرى الى سمرقند

التاريخ المركّب

واذ نحن عائدون الى البيت قال فيليب : لقد اصاب الشيخ. فان كل هذه النظريات في التاريخ لا قيمة لها اذا أخذت فرادى. وانما تعقل مجتمعة. لقد تعبت من التحليل، وتُقْتُ الى التركيب

دورانت : ان اعقل ما قيل الليلة هو ما اورده ولتير . وهو : يجب ان يكتب التاريخ باقلام الفلاسفة ، لانهم يرون الاشياء في مجموعها . هذه هي خلاصة القول

اريل : ولكنك نسيت سعة ميدان التاريخ فليس ثمة احد يستطيع ان يعيش ليراه كلّهُ ولو كان من النباتيين

دورانت : هذا صحيح . فيلزمنا اخصائيون ، يمدُّون الفلاسفة بالمادة التاريخية ، كما يمدونهم بالمادّة العلمية. وفي كلا الحالين يفضي بنا الامر الى الاضطراب الهدّام، اذا لم تضمّ الوحدة اشتات المعارف . ويجب ان تكون الفلسفة للتاريخ ما تكونه للعلم ، اي تنظيم المعارف وتنسيقها

سرينا مسافة سكارى بخمرة الآلهة والبحوم . واخيراً قطع فيليب سكوتنا بقوله : —

اتدرون ان في هذا البحث الماعاً الى السبق الجديد الذي يجب ان يكتب به التاريخ . فقد جرت العادة على انهُ اذا كتب الانسان تاريخ اليونان مثلاً فانهُ يعنى بتاريخ حياتهم السياسية — او على الاكثر بتاريخ حياتهم الاقتصادية والسياسية — ثم يكتب مؤرخ آخر حياة اليونان الصناعية والتجارية ناظراً فيها نظرة اقتصادية « كرمرن » وينفحنا غيره بتاريخ الديانة اليونانية وآخر بتاريخ الفلسفة اليونانية ، او الآداب اليونانية . ويخطر منا ، نحن الطلاّب، ان نجمع هذه الشذرات معاً ، لنؤلف من مجموعها صورة تامّة للحياة اليونانية المركبة . فعلينا ان نعمل ما كاد يحسب عملاً متعذراً ، حتى على مؤرّخ كبير. فهي هذه التواريخ تتقسّم حياة الامة الى قطع وتفصل كل قطعة منها عن اخواتها فصلاً مصطنعاً . فندرسها درساً مدققاً، باعتبار اقسامها ، ملاحظين علاقاتها الزمنية (اي تتابعها) ، معرضين عن روابط التأثير المتبادل بينها ، نزاعاً احياناً وتماوناً احياناً اخرى . انها والله طريقة عجيبة لوصف الماضي !

اريل : هذا تاريخ ممزّق الاوصال

دورانت : ليس للفلاسفة جرأة في عصرنا هذا . فتراهم يختارون اعمالاً تافهة — فيبحثون مثلاً هل ما عناه افلاطون هو (ب) او (ج)؟ وهل الشمس في قبة الفلك او في عقولنا

وهل البرتقالة صفراء في الفسق او غير صفراء ؟ واظن انهم يخشون ان ينظروا في شؤون الكون منذ ما فرضت عليهم الكنيسة ما يفكرون به

فيليب : وعندي رأي آخر . وهو ان التاريخ كما يكتب الآن كثير الاقسام . فتأخذ ات فرعاً منهُ كالسياسة ، او الفلسفة ، او العلم . وتتأثر تطوُّرهُ ونموهُ مدى عهد طويل. ولندعُ ذلك تأريخاً ممزقاً ، كما قالت اريل . فلماذا لا نضيف الى ذلك (وقد سلمنا بلزوم هذا الدرس الخاص) نوعاً من التقسيم التاريخي ؟ فيختار الانسان قرناً واحداً ، او جيلاً واحداً ، فقط ، كعصر پركليس او عصر فولتير . ويتقيَّد بهِ . ثم يشرع يكتب تاريخ كل احوال الامة في ذلك العصر من وجوهها الاقتصادية والسياسية والعسكرية والعلمية والفلسفية والدينية والادبية والخلقية والروائية والفنية ؟ ومن مصائبنا اننا متأثرون بفكرة النشوء تأثراً كبيراً . فنفكر في كل شيء كانهُ تيار مستمرٌّ . فيهِ الحوادثُ تسبب الحوادثَ التابعة لها وتتصل بها . فنرعم، مثلاً ، ان فلسفة افلاطون سليلة فلسفة سقراط ، وان فلسفة ارسطو نتاج فلسفة افلاطون، وان فلسفة سبينوزا مسببة عن فلسفة ديكارت . على ان هنالك نوعاً آخر من السببيَّة . فليست الحوادث نتيجة احوال سلفت فقط ، في ميدانها الخاص ، بل هي ايضاً نتيجة الاحوال المحيطة بها ، في ميادين اخرى . فقد تكون فلسفة افلاطون متأثرة بآراء سقراط اقلّ من تأثرها بالتقدُّم السياسي والاقتصادي في عصر افلاطون — اي بالاحاديث التي سمعها في السوق وفي الملاعب او بالانصاب التي شاهدها في الهياكل والساحات. وقد يكون ارسطو طاليس مقتبساً فكره عن اصدقائهِ المكدونيين اكثر من اقتباسهِ اياهُ عن استاذه في الاكاديميا

اريل : حسن جدًّا يا فيليب لقد اجدت

فيليب : لا تهزأي بي يا اريل، فاني اودّ ان ارى التاريخ يكتب بمجمله ، اريد ان ارى جهود الرجال والنساء في العصر الواحد محبوكة معاً تؤلف وحدة وتبين ارتباط تلك الجهود بعضها ببعض، وبوجوه تفاعلها المتبادل . اريد ان ارى الماضي ممثّلاً كما هو - كتلة واحدة . خذي عصر نابليون، وانظري كيف تتوقف احواله السياسية، كل التوقف، على احواله الاقتصادية وكيف حكم على مصير حروب نابليون بالذهب الانكليزي وكيف كان روشيلد كامناً وراء ولنغتن وكيف صوَّرت الآداب حوادث العصر الدينية والسياسية ، كما في كتابات شيلي وبيرون وشاتوبريان ، وكيف اتخذت الموسيقى الآن مسحةً بطولية وغرامية ، وكيف صوَّر « بتوفن » في ألحانهِ، نزعات الثورة وعظمة نابليون تصويراً محسوساً . فقد كان العصر كله واحداً في فرنسا بل وفي كل اوربا غربَ روسيا . فأما اروم تاريخاً لذلك العصر

الماضي مترابط الاقسام كما كانت في حينها

اريل : انك تطلب امراً عظيماً . وهذا متعذر

دورانت : قد يكون ذلك متعذراً . ولكن الا ترون انهُ قد يمكن درس كل موضوع في عصر واحد، كما يمكن درس موضوع واحد في كل العصور. ويجب ان تكون كتابة التاريخ لعصر فولتير ممكنة كما كتب جبون قيام الامبراطورية الرومانية وسقوطها او كما كتب «جروت» تاريخ اليونان او كما كتب فولتير «ملخص في الاخلاق». وقد عمل سيمندز ، بعض ما تطلبهُ يا فيليب لما كتب سبع مجلدات في « تاريخ عصر الإحياء» Renaissance

فيليب : نعم وهو كتاب نفيس وانا اروم ان يؤرّخ كل عصر على هذا السبق . واذا كان لنا تآليف من هذا الطراز ازداد فهمنا للتاريخ واصبحنا رجالاً اقرب الى الكمال . يالحوتيه وليوناردو وارسطو — آلهة النظر الشامل

اريل : ولماذا لا تكتب تاريخاً كهذا يافيليب . السبق هو كل شيء. فاكتب اذا امكنك

فيليب : احب ان اكتب تاريخ القرن التاسع عشر على هذا الاسلوب حاصراً بحثي في اوربا لاتمكن من تحقيق بعض غرضي. وحتى هذا كثير في مدى حياة رجل واحد. قد يمكننا نحن الثلاثة انجازه معاً . افتساعدينا في ذلك يا اريل ؟ تأملي في ذلك القرن اية رواية هو ؟ انها في اربعة فصول . اولها : عصر بابليون . وثانيها : العصر الروماتيكي . وثالثها : العصر الواقعي. والرابع : عصر الرعة الامبراطورية وما يتصل بها جميعاً من اعلام الموسيقيين والمصورين والكتّاب والشعراء والنقّاد والفلاسفة والعلماء والمستنبطين . ورحان السياسة والحرب . وما تنطوي عليه من تحوّل في نظريّات العلم ومذاهب الفلسفة والاجتماع وطرائق التعليم واساليب الحكم ووسائل المعيشة والصناعة : حبذا الحال لو يجمع كل ذلك معاً في صورة واحدة ناصة بالحياة - حياة اوربا اليقطة القلقة المعقدة في خلال القرن التاسع عشر

اريل : فلنقم بالعمل. انا اكتب ما يختص بالشخصيات السائية فمتى تبتدىء ؟

فيليب : غداً نرى

اريل : ولكن ثمة امر واحد تركي غير راضية يتعلق برؤيتنا الاحياء هذه الليلة . فانهم لم يقولوا لنا هل في التاريخ ارتقاء او هل نقدر ان نتكهن بمصير العمران في المستقبل

فيليب : لعلنا نراهم ثانية

بتصرّف زهيد مصر حنا خباز

المواد المخدرة تفتك بأمة

للدكتور عبد الوهاب محمود

—٢—

حالة المدمن الصحية والعقلية

اتينا في ختام المقالة الاولى على اختلاف نظر الباحثين في ادمان المواد المخدرة وطبيعته والنظريات المتعددة الخاصة بالاحتمال والتعلق والمنع مما ادّى الى الاختلاف في الاحوال الآتية: (١) التغيرات المرضية التي تحدث اثناء الادمان (٢) العوارض (٣) العلاج وطرقه المختلفة (٤) العلاج الوقائي والتشريعي (٥) الانذار

﴿ التغيرات المرضية ﴾ ان التغيرات المرضية التي تنشأ من ادمان المخدرات قلما تقع تحت نظر الطبيب كحالة قائمة بذاتها وقد لا يكون الطبيب المعالج على علم بادمان مريضه اذا كانت المناعة قوية والمقادير قليلة ولكن اذا زادت المقادير التي يأخذها المدمن وطال به الادمان الى اكثر من شهرين او ثلاثة ظهرت التغيرات المرضية وتحوّلت من سيئ الى اسوأ وقد تكون نتيجة مباشرة للمخدرات نفسها او غير مباشرة كنتيجة للامراض الاخرى التي تصحب الادمان . والى القارىء اهم هذه التغيرات

﴿ الحالة العقلية ﴾ اهم ما يشاهد في مرضى المخدرات انّ الحالة العقلية غير طبيعية وان هناك انحطاطاً فيها وقد ذكرها حضرة مدير قسم الامراض العقلية في تقريره السنوي الاخير فقال انهُ يعتقد ان هناك عدداً قليلاً من الاشخاص العاديين الطبيعيين يتناولون المخدرات الى درجة الادمان بحالتهم العقلية . وان مجموع مدمني المخدرات يكون من ضعاف العقول والمنحطين والمجانين وان ادمانهم المخدرات راجع الى ضعف في قوة الارادة بحيث لا يمكن ان يرفضوا تعاطيها مع محبة السوء او بذل مجهود داخلي لاصلاح مايشعرون به من انحطاط

وقال ايضاً « ان ادمان المخدرات يحدث انحطاطاً خلقيًّا شديداً وسيكون عاملاً من عوامل الامراض العقلية في الاجيال القادمة وانهُ دليل على عدم توازن الكفاءات العقلية

وقال: « ان المخدرات لا تحدث سروراً في الاشخاص العاديين الاّ نادراً اذا كان تعاطيها منعاً لالم ٍ اما من كان عندهم نقص في القوى العقلية فالمخدرات تعطي لهم لذة ايجابية فتتوقف درجتها على درجة النقص الموجود »

﴿ الكلى ﴾ الكلى من اكثر الاعضاء نشاطاً وعملاً وهي كذلك اشدها احساساً

واكثرها قابلية للتأثر بالسموم — ففي الادمان تتأثر الخلايا الجلومورية بالسموم وتصبح غير قادرة على اداء عملها ومن هنا ينشأ امتصاص ثاني المفرزات السامة الواجب تخلص الجسم منها — فيكون هناك مصدران للتسمم الدوري : مصدر ذاتي ومصدر السم الدخيل ولذلك تتولد الاعراض من التهابات بسيطة بالكلى الى التهابات تقيحية جسيمة

(الكبد) : ان الكبد وهي حيوية للانسان والحيوان تتأثر اشد التأثر بسموم المخدرات وليست هناك مبالغة في قول احد الاطباء : « قد يمكن تعويد المخ على سموم المخدرات وقد يمكن تعويد اعضاء اخرى ولكن الكبد وهي العضو المهم في فرز السموم واستهلاكها تهلكها المخدرات والكحول» . ويبشأ فيها من الادمان (١) بطء العمل التركيبي للخلايا بسبب بطء التأكسد (٢) نشاط في العمل الشحمي (٣) انحلال في خلايا الكبد واكثرها تلفاً هي المختصة بمقاومة السموم — وبذلك يقل عمل الكبد ويضعف نشاطها في افراز السموم

(القلب) : التغيرات التي وجدت هي التشحم وهو اكثرها حدوثاً فالانحلال فالتمدد مع تضخم النصف الايمن وترجع هذه التغيرات الى (١) اثر المخدر في عصب القلب (٢) اثر المخدر في عضلة القلب (٣) أثر المخدر غير المباشر في تغذية القلب ينقص في التغذية العامة

(الرئتان) : مرضى المخدرات من اكثر المرضى قابلية للامراض الصدرية لتأثير المخدرات السيء في مركز التنفس وفي الدورة الدموية وفي تعدية الجسم العامة

فالمخدرات تجعل من المدمنين مرتعاً خصيباً للامراض الصدرية . فالسل الكامن يتطور بسرعة الى سل ناشيء حاد والنزلات الشعبية تصبح كثيرة ويكفي ان نذكر ان كل حالات السل التي وجدت في مستشفى سجن مصر في سنة ١٩١٩ كان منشؤها ادمان المخدرات

(الجهاز التناسلي) : في الاسئلة الكثيرة التي وجهت الى المدمنين كانت اجابة الكثيرين منهم عن سبب التعاطي انهم يعتقدون ان المخدرات تزيد في النشاط الجنسي — اما الحقيقة الرهيبة التي يصلون اليها بعد ذلك وهي الخمول التام الذي يصل بهم احياناً الى حد العنانة والعقم

فالمخدرات تحدث تنبهاً اولياً في الجهاز التناسلي والرغبة التناسلية او تحدث اطالة في مدة العمل الجنسي وتكون نتيجة ذلك اجهاد للقلب والمجموع العصبي والجهاز التناسلي اجهاداً لا تتحمله فيعقب هذا المجهود دور الخمول

في النساء يقل الطمث وافراز الثديين ويضعف عمل المبيض وفي الرجال يحدث المخدر انحلالاً دهنياً او تشمعياً بالبيضتين وصيقاً بالقنوات المنوية مع تضخم بها

ويحدث في مركز التناسل بالعطن تصلباً ينتج ضعفاً في الرغبة الجنسية وضعفاً في العمل التناسلي كما يفقد القدرة على توليد الاجسام المنوية

وفي كلا الجنسين تكون الحالة العقلية غير طبيعية وينسب بعض علماء علم النفس هذه التغيرات الجنسية الشاذة الى شذوذ الحالة العقلية التي يكون عليها المدمن

(النسل) : نسل مرضى المخدرات يكون عرضة للاضطرابات العقلية والعصبية فضلاً عن كونه يولد في حالة ضعف جسمي ويكون عرضة للامراض القلبية والصدرية خلال ايام الطفولة . واكثرهم يموتون ضحية آبائهم الظالمين

﴿العوارض﴾ كان من رأي كثير من الاطباء ان درجة الاعراض وشدتها في احوال الادمان لا تتوقف على مقدار المخدر ولا على مدة الادمان بل تتوقف دائماً على مناعة الاشخاص المدمنين ومقدار تحملهم للسموم . وقد رأى البعض ان شدة الاعراض تتوقف على عوامل كثيرة اخرى علاوة على كونها مسببة عن كثرة المقادير ونوع المناعة التي توجد عند المدمن فذكروا الاعتبارات الآتية : سن المدمن وحالته الصحية قبل الادمان والوظيفة او العمل الذي يزاوله وحالته الاجتماعية والمالية

واذن فلا غرابة اذا وجدنا اختلافاً كبيراً في الاعراض لان الادوار التي يجتازها المدمن في اثناء الادمان تختلف مدتها طولاً وقصراً بحسب المقادير التي يأخذها وحالة المناعة التي يتصف بها كما ذكرنا اولاً

الدور الاول — وتسميه شهر عسل الادمان ويمكث من شهرين الى ثلاثة اشهر حيث لا يشعر المريض بتعيُّر في حالته الصحية

الدور الثاني — وهو دور التردد وفيه يفيق المدمن من غفلته ويعود اليه رشده ويرى عواقب عمله وما سوف يجرُّهُ الادمان من البلايا والمصاعب فيقلل مقدار ما يأخذه ويجتهد في ان يمتنع عن المخدر بتاتاً . في هذه الحالة قد ينجح المدمن وينجو او يقع فريسة المخدر. وهذا الدور قصير العمر لا يتجاوز شهراً

الدور الثالث — وهو دور الولع وفيه يطبع المخدر طابعه على كل الاعضاء الحيوية في الجسم ويصبح صاحب السلطان المطلق على الفريسة المسكينة . وهذا الدور لا يمكن تحديد زمنه فهو متصل بالدور الرابع

الدور الرابع — وهو دور الهزال وفيه تظهر الاعراض في اسوإ مظاهرها كما تزيد الاعراض النفسية هبوطاً الى اسفل الدرجات ويقترف المدمن الموبقات ولدنايا فيرتكب السرقة في اشد صورها والتزوير والخديعة ويرى في الاباحة وسيلة مشروعة لاجتلاب المال ثمناً للمخدر

والمدمن — في هذه الادوار — يجتاز سلسلة طويلة من الامراض وتنتابه الاعراض المختلفة حتى ينتهي امره اما الى (الشفاء) ان وجد اليه سبيلاً واما الى (الفناء)

ان مصر تخسر ٢٠ الفاً من ابنائها سنويًا واعمارهم تتراوح من عشرين الى ثلاثين سنة تقريباً يذهبون كلهم ضحايا ادمان الهروين والمخدرات الاخرى

وأقسى الاعراض واشدها تظهر عند ادمان الهروين وهو العدو الشديد الخطر الذي تجب محاربته والعلب عليهِ . ويطول ذكر هذه الاعراض المتعددة ونقتصر على بيان المهم منها

في اوائل الادمان وبعد اشهر قليلة منهُ نرى نقص الشهية للاكل بين المدمنين ويتبع ذلك نحول وضعف ويفقد الجلد مرونتهُ ولونهُ السابق ويذوب الشحم ويشعر المريض بجفاف الفم والحلق وبنقص في ادرار البول وحرارة الجسم وافراز غدد العرق وضعف في احساس الجسم . ويشعر المريض بضيق في التنفس ويصاب بتعبير شعبي شديد قد يتحول الى حالة نوعية حادة فاذا ما توسط دور الادمان او طال امره وجدنا ان العين تفقد لمعانها وبريقها وتظهر على المدمن سيماء البؤس والضيق والحيرة ويصبح وجههُ ذابلاً شاحباً تعلوه زرقة داكنة ويفقد الرغبة الجنسية ويزول منهُ نشاط الجهاز التناسلي . ويرى في المدمنين اضطراب القلب وخفقانه وضعف الدورة الدموية مع نقص كمية الهيموجلوبين وارتفاع ضغط الدم مع نقص الحركة الانعكاسية لمفصلي الركبة او انعدامها . والمدمن من هذا وذاك يكون في حالة ارق مستمر مؤلم وينقص وزنهُ ويهزل جسمهُ وتزيد اعراض الجهاز الهضمي سوءاً

ولا ننسى ان نذكر ما يكون عليهِ المدمن من سوء الخلق من تعود الكذب والسرقة والنصب والاحتيال وما فيهِ من خوف وفزع وحزن وما يعتاده من عدم العناية والترتيب والنظام ومن ضعف الذاكرة والارادة وقوة الانتباه واليقظة وأهم ما يحرص عليهِ المدمن ان يدخر بعض النقود لضمان شراء المخدر بحالة منتظمة ويغلب عليهِ ايضاً ان يصدق المواعيد التي يعطيها لتجار المخدرات تسديداً لديونه وهذه هي الحلقة الوحيدة والبقية الباقية فيهِ من اثر النظام والتعقل

﴿ طرق العلاج ﴾ عند ما انتشر ادمان المخدرات وخصوصاً لما نكب الكثيرون من الناس في الامم المختلفة بالهروين شعر الاطباء بخطورة الموقف وحرج الحالة لشدة ارتباط هذا الادمان بحياة الامم وهناء الاسر وسعادة الافراد واصبح الادمان ومعالجتهُ موضع بحث واستقصاء في الممالك المختلفة وقامت الحكومات تقدم شتى الوسائل والمساعدات لاهل البحث من العلماء والاطباء ونشطت الدوائر العلمية وتبرع اهل الخير من الاغنياء بالمال لايجاد المصحات ووسائط العلاج الاخرى للمنكوبين من الفقراء . على ان اختلاف الاعراض المرضية والاختلاف في اسبابها وفي طبيعة الادمان وسببه ادى الى اختلاف وجهات النظر ايضاً في طرق العلاج المختلفة كما ادى الى اتباع طرق مختلفة في العلاج الواحد بالنسبة للفرد الواحد — وتفصيل هذا هو ما سوف نشير اليهِ في تتمة هذا المقال في الجزء التالي ان شاء الله



اقرأ الجزء الاول في العدد الماضي من :

حطام

قصة ناقر هبط به هيه من الزروة الى الحضيض

نسمة القصة

لم اهتمّ بهما ولكني اهتممت بشيء آخر يدور حولهما. ذلك ان الشائعات ذاعت في باريس بأن فيلكس برج — ابا لوسيان — اخذ يعدُّ رواية خاصة بابنهِ وكنتهِ. وهذه الشائعة اذا صحت لها شأن كبير. لان فيلكس برج كان حتى الساعة مقتنعاً بشهرتهِ كممثلٍ تراجيدي. ولم يحاول من قبل ان يكتب رواية تمثيلية. فقد كان في ذلك يختلف اختلافاً كبيراً عن ابنهِ الذي كان يؤلف معظم رواياتهِ

ولم يطُلْ المطال حتى اعلن رسميًّا بأن رواية فيلكس برج قد اوفت على التمام وان ابنهُ وكنتهُ سيخرجانها متى انتهى فصل الرواية « لماذا تبكي » . وفصل هذه الرواية لم يتهِ قبل ربيع السنة التالية. ولكننا في اثناء ذلك سمعنا كثيراً عن مواطن الضعف في الرواية الجديدة. لان امثال هذه الاقوال تذيع ذيوعاً سريعاً

واذ استعيد ذكريات تلك الايام يدهشني حكم لوسيان برج على رواية ابيه . وكيف قبل ان يمثلها . ولكني اعزو ذلك الى حبّهِ الاعمى لابيهِ واعجابهِ بهِ. ولا ارى تعليلاً آخر يفي بذلك غير هذا

اني اتصور ذلك الشيخ الجليل الممثل التراجيدي المبدع، جالساً في مكتبهِ مكبًّا على كتابة رواية تمثيلية خالية من شرارة الوحي. هو جالس يكتب ويمحو ثم يعيد الكتابة واذ يوفق الى عبارة رشيقة يطير لها طرباً ويطيل فيها نظره تصويباً وتصعيداً ثم يعيدها بنطقهِ الرنان وبراعته الفخمة ويقول في نفسهِ لا بد من ان تفوز باعجاب ابني

وها قد تمت الرواية — معان مبتذلة في قصه مبتذلة في اسلوب كلهُ تقليد وابتذال . ولكن الرجل يراها معجزة الفن التمثيلي . فيدعو ابنهُ وكنتهُ ليتناولا طعام العشاء معهُ وبعد ذلك يقرأ لهما هذه الآية

اتستطيع ان تتصور المشهد. اتستطيع ان تتصور ذلك الشيخ المزهوّ يلقي عبارات روايتهِ

العادية بذلك الصوت الفخم الرنان ، والنطق الفصيح الجلي المأثورين عن ممثلي الكوميدي فرنسير. ثم استطيع ان تتصور ابنهُ لوسيان اكمل الممثلين المعاصرين وادكاهم واعمقهم ادراكاً لاصول الفن المكمل واصوبهم حكماً ، جالساً هناك يصغي الى والده وكأنهُ في نشوة من سحر الكلام . انهُ يعبد اباه ولذلك يرى ان اباه معصوم . ثم يقف اد تنتهي الرواية ويلثم عارضي والده ويصرح بأنها آية من الآيات. ويلتفت الى روكسان الداهلة ويقول لها كأنهُ على المسرح « لقد اتيح لنا ان نصغي الى اول كوميديا فرنسية كتبت بعد ما كتب موليير روايتهُ «تارتيف». فتعاظم برج الاب وقال « ومن هو موليير ؟ »

اما روكسان المسكينة فظنت انها حالمة. وكانت تحترم عقلها احتراماً مكّنها من الحكم على رواية برج بأنها اسخف من ان تحتقر. لم يعمها حبها لفيلكس برح وكانت تجل زوجها لوسيان فلم تدر اهو صادق فيما يقول اوهو يتظاهر بالاعجاب لكي لا يفطر قلب الوالد المسكين ورجحت الامر الثاني فأقبلت هي ايضاً على المؤلف تمدحهُ وتضعهُ في طبقة خاصة فوق موليير

فلما انقضت عبارات الاطراء والثناء اخذ الثلاثة ينظرون في اختيار الممثلين الاكفاء للرواية لكي تكون اعظم رواية مثلت في التاريخ من كل الوجوه

هذا ما حدث على ما علمت بعدئذ . واذا نظرتَ اليهِ بعيون روكسان رأيتهُ مأزقاً ما بعدهُ مأزق. فقد تحققتْ بعدئذ ان زوجها كان محاصاً في اعجابهِ برواية ابيهِ واطرائهِ لها . عرفتهُ عاقداً بيتهُ على اخراجها ورأت بنظرها الثاقب ان الرواية تفضي الى الخيبة المؤكدة — بل الى ما هو دون الخيبة ، الى السخرية والازدراء ! . وجمعت حرأتها مرة او مرتين محاولة ان تبين في ادب جمّ ان في الامكان اصلاح الرواية في بعض المواقع. ولكن جواب زوجها كان قاطعاً كالنصل : « لا بدَّ من تمثيلها كما هي . ومن يعبث بمعجزة »

فغلبت على امرها . واختير الممثلون وبدأ دور التمرين وأخذت تتسرب انباء الرواية الى الخارج وهنا توقف هيرتو قليلاً ليستنجد بزجاجة الكونياك واستأنف قصتهُ قائلاً

كان ميعاد افتتاح الرواية في اكتوبر — ١٢ اكتوبر على الضبط . وابي اتذكر هذا التاريخ لانهُ كان يوم موتي ولم اكن الميت الوحيد في تلك الايام ففي ٩ اكتوبر — وكان يوم جمعة — توفي استاذي ورئيسي كولان مارتل عن الانتقاد . وذهب هو الى الناقد الاكبر لتكون حياتهُ موضوع نقد. واملي ان تكون رواية حياتهِ قد صادفت استحساناً هناك لانها كانت جديرة بذلك

وطبقاً لما كنت اتوقع عينني مدير حريدة الاكليرور خلفاً لسلفي العظيم . وكان ذلك من حقي لكثرة ما بذلت في استحقاقهِ من السهر والدرس والتعب . ومما قالهُ لي المدير : «انك

شاب يا هيرتو ومتحمس. ولكن اذكر ان جريدة الاكليرور ليست حديثة السن. ولم تندفع قط في نقد الروايات العادية الى فوق ما تستحقهُ من الاطراء والتمجيد. فكن كريماً يا ابني ولكن لا تضيع مدائحك العالية جزافاً على الروايات المتوسطة

فشكرت له نصيحتهُ ووعدت نفسي بالمحافظة على خطة الصحيفة وهي الخطة الوحدة التي يرضى بها الادب العالي والخلق الكريم. ولكن من اين لي علم الايام واني قبل انقضاء يومين سوف احنث بوعدي حنث رويّة وتدبُّر

قلت لك ان كولان مارتل مات يوم الجمعة. ولكني لم اقل لك ان الشائعات شاعت يوم السبت بأن فليكس برج (الاب) كان في البرع وان الاطباء قالوا ان الموت لن يمهلهُ اكثر من يوم او يومين: وكان المقرّر ان تكون ليلة الافتتاح لتمثيل روايته مساء الاثنين. فجعل الناس يتساءلون: ترى هل يعيش ليرى ولادتها

وكان قد اكثر من التحدث عن الرواية لاصدقائهِ وابنهُ يحسبها آيتهُ الكبرى في حياتهِ الحافلة بالآيات. على ان اعجابهُ بنفسهُ كان لا يحدُّ. فكان هذا الاعجاب مثيراً لعطف الاصدقاء لانهُ كان مبنيًّا على غير اساس، ولان برج كان في اخريات ايامه عليلاً مضى ودماغهُ دماغ شيخ عليل. وكانت اباءة مرصهِ ونزعهِ في مقدمة اباءِ الصحف المسرحية فتتبعناها باهتمامٍ يومي السبت والاحد. فاذا هو يكافح الضعف بعزيمة لا تُفَلُّ لانهُ لابدَّ لهُ من مشاهدة انتصار الرواية ولو من سرير الموت

***

وكنت بعد ظهر يوم الاثنين في داري اتصفح رواية لفتى باشيء يدعى روستان اذ قرع جرس باني قرعاً عنيفاً. ولما كان حادسي قد خرج لشراء اشياء فتحت الباب بنفسي فدهشت اذ رأيت على عتبتي آخر من انتظرهناك — روكسان ربوار

وكانت مضطربة قلقة حرينة. هذا ما رأيتهُ في اللمحة الاولى. اما انا فلا اذكر قط ما احسست حينئذٍ. ولكنني بدوت بمظهر الرجل الساكن كالجبل لا تهزهُ العواصف. فسألتها في ادب وحشمة ان تتفضل — ادب طبيب يدعو المريض الى غرفة الاستشارة الطبية. فدخلت وهي تنتفض وارتمت في الكرسي الجلدي الكبير. فلما رفعت البرقع عن وجهها تبينت آثار دموع حول تينك العينين السوداوين الساحرتين. فدهشت لهذا لاني لم اعلم من قبل انها امرأة تستطيع ان تبكي

فبدأت الكلام بعبارة رسمية. فصاحت: لا لا يا جيروم. لا ارى فائدة تجنى من زيارتي اذا تحدثت اليَّ كذلك. لقد اتيت لاطلب اليك ان تؤدي لي خدمة — وهي خدمة

كبيرة جداً — لا استطيع ان اطلب اليك قضاءها الاّ اذا كنت صديقاً . فدع عنك هذه النغمة

فمضضت على شفتي لما بدأ في كلامها من الصفاقة المبنية على الروّية . ودبّ في شعور مقتها . ونظرت اليها فرأيت جمالها — هي الآن اجمل مما كانت . وشعرت بشهوتي لامتلاكها فمقتها من جديد . واحببتها من جديد . فقلت غاضباً — وأي باعث يبعث في نفسك الاعتقاد باني صديق واني اؤدي خدمة . فقالت — الباعث الوحيد هو انك احببتني . فقلت : احببتك «مرة»

فلم تعبأ بما قلت : ولكن شفتيها ارتعشتا ببسمة فاتنة مغرية . ولا شيء اسعث على سرور امرأة من اعترافك بانك احببتها ولو في الماضي السحيق

فقلت بجفاء — ماذا تطلبين مني . وماحت لي بكل ما تعانيه . قالت ان فيلكس برج في النزع — ولولا عزمهُ على سماع اصداء النصر الذي تحرزه روايتهُ لكان مات من ايام . وان موعد افتتاح الرواية في ذلك المساء . وان كل من اطلع عليها عرف انها لا قيمة لها قط — الاّ لوسيان برج فان حبهُ لابيه وعبادتهُ لهُ اعمياه بصيرتهُ فلا يرى . وان نقّاد الصحف سوف ينقدونها نقداً لاذعاً . ثم قالت : وصفف فيلكس برج يمنعهُ عن مشاهدة الرواية ولكن لا بدَّ لنا من اطلاعه على اقوال الصحف في الغد وهذه وحدها كافية لقتله — كانها مدى تُعمد في قلبه الحائر . وتوقفت عن الكلام ولكنها ظلت محدقةً بي تحديق استفهام من غير ان ادرك قط مرمى حديثها . فقلت : ان كلّ هذا مما يؤسف لهُ . لقد كان فيلكس برج ممثلاً متفوقاً . ولكن حتى الاسكاف يجب الاّ يتطلع الى ان يكون صانعاً للاحذية . فقالت : ولكنهُ رجل ينازع وحرامٌ ان يموت كسير القلب . فقلت : يظهر لي ان اكثرنا يموت كسيري القلوب . فقالت : ولكننا نستطيع ان نتقي كسر القلب في هذه الحالة

فحدقت فيها غير مدرك ما تقول وقالت كيف يمكن ذلك

فترددت قليلاً وهي تحدق بي كانها تزن بميزانها ثم قالت : اذ كتبت جريدة من مقام جريدة الاكليرور مقالاً تمتدح فيه الرواية وتثني على مؤلفها تمكننا من الاكتفاء بعرض هذه المقال عليه دون المقالات الاخرى — فيموت الرجل في غبطة وسلام

فادركت حينئذٍ ما ترمي اليه من قولها . ادركت انها تقترح عليَّ ان اخون مستخدميّ واماني كناقدٍ وانتهك حرمة التقاليد التي جرى عليها ابناء حرفتي وارمي بشرفي في الحمأة واقوّض بناء مستقبلي بيدي . ولماذا ؟ لاني احببتها يوماً ما . ولماذا ؟ لانها تريد ان تخفف من شوكة الموت على شيخ مزهوٍّ مجنون !

واني لادهش الآن كيف امتنعت عن ضربها لما فاهت بهذا الاقتراح . والمرجح انها رأت في عيني شهوتي لها فمضت في طريقها قائلةً : ليس هذا الطلب طلباً معقولاً . بل هو

طلب غير معقول . واذا انت لبيته علمت انك لا تزال تحبني — وهذا كل ما تهمني معرفته

فضحكت هازئاً — هذا كل ما يهمك ...؟ اذاً انا اصارحك القول : اني احتقرك. فهزّت رأسها قائلةً . انك لا تحتقرني وانك سوف تلبي طلبي. واذا فعلت تركت لوسيان برج غداً لاجيء اليك . فلا بدّ من ان يطلقني جرياً على عادته. وحينئذٍ يتزوج. فاني لا ازال احبك ياجيروم

فاخرجت من حنجرتي صوتاً فيه مزيج من معاني الغضب والاستنكار . ولم ألبث حتى رأيتني منتصباً على قدميّ وهي غارقة في الكرسي الحلدي الكبير رافعة اليّ عينيها الساحرتين وعلى ثغرها تلك البسمة المرتعشة المغرية . ثم قالت ظننت اني استطيع ان اسعد من دونك فاخفقت

فضحكت في وجهها « انك تكذبين » . ولم انتبه الاّ وهي في ذراعيّ اعمرها بقبلاتي . ولما عاد اليّ شيء من العقل اخذتها من مرفقها الى الباب وقلت لها اخرجي يكفي الخراب الذي احدثته من قبل . فخرجت من غير ان تفوه بكلمة

***

لا استطيع ان اصف لك الالم الذي عانيته بعد خروجها . قد تقول ان التردد لم يكن سبيلي حينئذٍ. وان خبرتي لهذه المرأة اثبتت ضعفها وخيانتها وشدة اناينتها. قد تقول هذه واكثر منه لانك لا تدري ما قوة الشهوة . كل دليل معقول قام حائلاً في سبيل اقتراحها . ولكن اذا دفع الانسان للقيام بعمل غير معقول لم يقم لنواهي العقل وزناً ما . والشهوة في تسع حالات من عشر تنتصر على العقل ولولا ذلك لكانت الحياة كلها سلام — وسآمة ايضاً !

واقتربت ساعة الذهاب الى المسرح واما لم اقض في الامر او على الاقل هذا ما قلته في نفسي والراجح ان قلبي كان قد قضى وعقلي لا يزال يحاول الدفاع

وكانت الرواية احقر مما كنت انتظر واسخف قابلها الجمهور بالاحتجاج دمدمة وتصفيراً ولولا مكانة روكسان ولوسيان برج لما سلم المسرح من مظاهرة عنيفة يقوم بها الجمهور الحانق. وفي الفترات بين الفصل والفصل تكلم زملائي النقّاد عن عزمهم على « قتل » الرواية ولولا حالتي النفسية الخاصة لكنتُ اقذع فيهم لوماً وتقريعاً . لذلك اكتفيت بتذكيرهم بأن مؤلف الرواية ماقٍ على سرير المرض يصارع سكرات الموت

فضحكوا في وجهي قائلين: اسمعوا هيرتو — يشير بالبين وهو يشحذ نصل قلمه المسموم فتحملت ذلك جهدي ثم صفقت ذرعاً وتركت المسرح طائشاً كأني كنت اصارع الشيطان

وفي برودة تلك الليلة الخريفية حاولت ان استرجع رشدي محاولة اخيرة . فأوردت البراهين التي تعارض النهج الذي انا في سبيله. الشرف والواجب وعزة النفس واحترام الاقران وشهرتي الخاصة والعامة وروابط الصداقة التي تربطني بالناس ومكانتي في دوائر الادب

والاجتماع — كل هذه مرّت امام بصري مرور جيش لجب. وكان لابدّ من انتصار هذا الجيش. ولكنهُ انخذل امام شهوتي لروكسان ربوار التي استحوذت على جسمي ونفسي معاً

وقبيل منتصف الليل ذهبت في هدوء الى مكتبي في ادارة الاكليرور. وهناك في عرم وروية كتبتُ مقالة اثبت فيها على رواية برج اعظم ثناء تستحقهُ رواية على الاطلاق. لم اتردد في القول ولم اتعثر في كيل الاعجاب حرافاً. وختمتها بأن هذه الرواية اعلى دروة وصلت اليها حياة فيلكس برح الحافلة بالآيات. وانها لابدّ ان تكفل له مقاماً عالياً بين محلّدي الادب المسرحي الفرنسي. وودعت بمقالي الى منضد الحروف وذهبت الى داري و قفلت بابي وبكيت طوال الليل. بكيت لاني كنت اعلم اني انتحرت. وهذه دموعي ادرفها على قبري

اما ما حدث بعد ذلك فتستطيع ان تتصوره. طردت من جريدة الاكليرور طرداً لا رجعة فيهِ. وثار عليّ حنق احوالي النقّاد لاني خنت مهنتهم فصاروا يجلدوني كما يجلد المجذوم. وانقلب عليّ اصدقائي كما قدرت كأنهم هم الذين اصبوا بما فعلت وكأني قاتل لا منتحر

في تلك الليلة تركت روكسان لوسيان برع وانت اليّ برًّا بوعدها، رغم ريبتي في صدقها واذا جواب القهوة ترنّ بضحكة هستيرية منطلقة من هيرتو. ثم استأنف حديثه قائلاً: ومن ألاعيب الشيطان ان فيلكس برح توفي قبل اطلاعهِ على مقالي المذكور. وهكذا اكون قد انتحرت لغير غرض ما. والحياة حافلة امثال هذه المفارقات. فات اني انتحرت لغير غرض ما. والحقيقة اني رغم حسراتي كل شيء ربحت روكسان. فلوسيان برج طلقها ليتزوج من تاليتها — فتزوجتها انا. ولمّا قال هذا، حوّل رأسه الى امرأة دخلت من باب القهوة وتقدمت الينا رئة سمينة متهدلة قذرة فوقف هيرتو في أدب واحترام — وقال هذه زوجتي — هذه روكسان — ما اجملها! فطرت اليهِ دهشاً ولكنني في دهشتي ادركت شدة احلاصهِ فيما يقول

ولما جرحت روكسان يصحبها هيرتو التفت اليّ صديقي دي موري وقال

— انهُ ضحّى بكل عزيز عليهِ في الحياة لاجل هذه المرأة. فعملهُ من وجه ما عمل نبيل، عمل كريم، ولكن انظر كيف عوقب عليهِ. انهُ متشرّد، سكّير، لا يملك مالاً ولا اصدقاء، بل هو منفيٌّ كموبوء من المجتمع. انهُ حطام رجلٍ لا امل له في الحياة الاّ في هذا الكوباك!

مهرزت رأسي متأملاً. وقلت بعد دقائق انك محطئ. ألم ترَ ذلك الألق في عينيه لما قال «ما اجملها». انا رأيتهُ واقسم لك ان لهذا الرجل املاً في الحياة اعظم من الكوباك. لقد ضحّى بكل شيء لحبّ هذه المرأة وهو لا يزال يحبها. والعجيب انها لا تزال في نظره الحائر امرأة جميلة. ان هذا الرجل لم يعاقب على عمله بل جُزي عنهُ أحسن الجزاء

فقال ده موبري — اجدتَ ايها الشاب ما كنت احسبك في هذه المرتبة من شدة الملاحظة

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب فصحناه ترغيباً في المعارف وايماضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان. ولكن العهدة فيما يدرج فيه على اصحابه فنحن براء منه كله. ولا ندرج ما ندرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمه ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق. فمتى كان كاشف اغلاط غيره غلطاً كان المعترف باغلاطه اغلط (٣) خير الكلام ما قل ودل. فالمقالات الوافية مع الايجاز تؤثر على المطولة

نظرة مؤرخ مصري في

كتاب «الامبراطورية المصرية»

في عهد محمد علي

الاستاذ محمد رفعت

من المؤلفين من يكتسب العلم والمعرفة بالدرس والمرانة والحرة ومنهم من تدفعهُ الرغبة الى طرق ابواب العلم والمعرفة ثم لا تلبث هذه الرغبة اذا استمرت ان تصل بصاحبها الى الحقيقة العلمية. والاستاذ مؤلف الكتاب الذي نحن بصدده من النوع الثاني قد دعتهُ الرغبة في تعرف تاريخ الحركة الوطنية المصرية الحديثة الى البحث والتنقيب في مختلف الكتب والمصادر والسجلات حتى استطاع ان يصدر هذا المؤلف النفيس. وانك لتحد اثر هذا الطابع الاجتهادي ظاهراً في اسلوب الكاتب وفي طريقته وفي كيفية عرضه وتلخيصه للحقائق التي يوردها في الكتاب. بل انك لتستطيع ان تحكم على الكتاب من الوجهة العلمية بنظرة بسيطة تلقيها على العنوان. اذ ان مصر رغم قوتها وفتوحاتها في عهد محمد علي الاكبر لم تكن حكومة مستقلة بالمعنى الدولي الذي يفهم من هذه الكلمة وهي بالاولى لم تكن حكومة امبراطورية فلو ان المؤلف اختار لكتابهِ عنوان «فتوح مصر في عهد محمد علي» او لو انهُ نسب الامبراطورية الى محمد علي بدلاً من نسبتها الى مصر لكان عنوانهُ الى الصواب اقرب وعلى الحقيقة العلمية ادل وابلغ

اما الاسلوب فهو في الغالب اسلوب السياسي الصحفي الذي يكتب وامامهُ غرض واحد

١ — المقتطف اشار الى هذا الكتاب لدى صدوره في السنة الماضية ثم عهد الى صديقنا الدكتور محمد رفعت المؤرخ المصري في احاله النظر فيه فأتحفنا بهذه المقالة في اواخر السنة الماضية فتعلقت بين اوراقنا. فنقدم الى كاتبها والى القراء المعذرة عن تأخيرها

يجمع من اجله الحقائق الصالحة لخدمة هذا الغرض . وفي التاريخ ما اكثر تناقض الحقائق المجردة واختلافها . وما مهمة المؤرخ الحر سوى تمحيص هذه الحقائق واستخراج وحدة عامة منها تربط نواحي الموضوع المختلفة وتجعل اجزاء الكتاب كالبنيان المرصوص يشدُّ بعضهُ بعضاً . اما المجتهد او « الهاوي » فمتى تجمعت لديهِ الحقائق اوردها في كتابه وليس بينها سوى اوهى الصلات والروابط

وفي كتاب الدكتور صبري يمكنك ان تقلب صفحات كيف شئت وتقرأ فلا تجد ضرورة لاستقصاء اية مسألة او تحقيق اية وجهة نظر ذلك لان الكتاب خال من الوحدة فترى مسائله مفككة وحقائقهُ مبعثرة فهنا تقرير قدمهُ احد القناصل في مسألة معينة وهنا مذكرة او خطاب طويل من سفير او وزير وهنا كلام منقول بنصهِ من مؤلف قديم قد يستغرق ايراده الصفحات تلو الصفحات . خذ مثلاً لذلك تقرير القنصل الانجليزي فارن Farren في سوريا (ص ٢٩١ — ٢٩٦) وتقرير بروكش فن استن Proksch Osten النمسوي (ص ١٢٠ — ١٢٨) وكلام الرحالة بلجراف Palgrave عن العرب . حتى في التلخيص النهائي لم يجد المؤلف مانعاً من سرد تقرير القنصل الانجليزي Stoddart (ص ٥٧٣) ويبالغ في اهميتهِ حتى انهُ ليقول « ان مسيو ستُدارت قد نزع القناع في بيانه العظيم عن المشروع الانجليزي الذي كان يقضي بتكوين امبراطورية افريقية اسيوية على انقاض محمد علي » (ص ٥٨) مع ان المؤلف لا بد ان يكون قد عرف بنفسه ان امثال هذه التقارير التي يبعث بها القناصل الى حكوماتهم لا حصر لها في محفوظات الحكومات ومعظم ما فيها من الآراء السياسية اقوال لا تقيد الحكومات التي يمثلها القناصل. خذ مثلاً رأي السفير الانجليزي في القسطنطينية في اثناء ازمة ١٨٣٩ — ١٨٤١ وهو اللورد پنسبي Ponsonby . لقد كان من رأيهِ ان يصدر السلطان فرماناً بعزل محمد علي بمجرد ان اظهر الباشا اعتراضهُ على نصوص معاهدة لندن سنة ١٨٤ لما عرضها عليهِ الباب العالي وفعلاً استطاع پنسبي بنفوذه على رجال الباب العالي وبتأثيره في زملائه ممثلي الدول ان يصدر السلطان قرار العزل ولكن انجلترا وباقي دول الاتفاق لم توافق على هذا القرار ونصحت لممثليها بضرورة حضّ السلطان على النزول عن فرمانه . من ذلك يتبين خطورة الاخذ بآراء السفراء او القناصل عند تحديد سياسة الدولة التي يمثلها السفير او القنصل

على ان الكتاب يمتاز حقيقة بغزارة مادته وكثرة ما فيهِ من مختلف الرسائل والتقارير والاقتباسات وبه ترجمة بعض المستندات التركية التي عثر عليها المؤلف في اثناء بحثهِ في الدفترخانة بالقلعة واكثرها خطابات تبودلت بين محمد علي وابراهيم في اثناء حروب الشام.

وبفضل هذه المستندات استطاع المؤلف ان يصوّر ويوازن بين آراء الوالد ذلك الشيخ الصلب والسياسي الحذر والاديب العسكري المقدام الصريح في خططه وافعاله . خذ مثلاً قول ابراهيم في احدى رسائله مخاطباً والده : لا بد انك تذكر حين وقفت بجنودي في كوتاهية وكتبت اطلب اليك بالحاح وفي خضوع وتواضع ان ننتهز الفرصة ونعلن استقلالنا فكتبت اليّ تقول انك قانع ان تكون « محمد علي » وكفى مع اننا كنا منتصرين وكانت الفرصة سانحة . ولكنك لم تشأ . والآن وقد مضى وقت طويل على تسوية النزاع وتعيين الحدود تطلب الاستقلال !! . . . . الاّ ان الاستقلال يؤخذ ولا يطلب ! « (٧ محرم سنة ١٢٣١)

وكم كنا نود ان يعم الانتفاع بهذه الوثائق والمستندات فيقصر المؤلف عمله اولاً على جمع نصوص المستندات التي نقب عنها في مختلف السجلات واثباتها دون اي بتر او اختصار لتكون مصدراً نفيساً لتاريخ مصر اما النقط التي اخذتها على المؤلف فبعضها خاص بالطريقة وبعضها خاص بالاخطاء التاريخية وقد اوردنا نقدنا في الحالتين على سبيل المثال لا الحصر

١ — قد اظهر المؤلف في اثناء تعرضه لتحليل خطة انجلترا نحو مصر او محمد علي شدة لاذعة في نقده لا يمكن تصويبها البتة في كتاب علمي . وقد ادت به المبالغة الى ان يشبه العداء بين انجلترا ومصر بالكفاح بين روما وقرطاجنة في التاريخ القديم وكما ان روما لم يهدأ لها بال او يتم لها سؤدد الاّ بعد ان محت قرطاجنة كذلك يسبب المؤلف الى انجلترا رغبتها في تدمير قوة محمد علي الناشئة (ص ٤٨١ — ٥٥٧) من ذلك قوله صفحة ٥٧٠

"L'Egypte, toutes ses dépendances, toutes ses libertés et toutes ses sources devaient devenir le monople de la Grande Bretagne"

٢ — ومن امثلة هذه المبالغة قوله ان انجلترا لم تكن ترمي بسياستها الى اضعاف مصر لتاتهما فحسب بل كانت تريد وضع يدها على «الامبراطورية المصرية» لتصلها بأمبراطوريتها بالهند مع ان الهند في ذلك الوقت لم يكن قد تمّ ضمها الى التاج البريطاني والامبراطورية البريطانية على الهند لم تعلن الاّ ١٨٧٦. على ان المؤرخين الحديثين يقررون جميعاً ان عرض انكلترا في ذلك الوقت لم يكن امتلاك مصر بل كان محصوراً في صيانة علاقاتها ومواصلاتها مع مستعمراتها في الشرق وان تحول دون قيام اية دولة معادية لها في مصر حتى لا تتعرض مصالحها في الشرق للخطر . اما فكرة الاحتلال فقد جاءت في آخر عهد الخديوي اسماعيل

٣ — ثم انظر الى وصفه بالمرستون وبنسنبي بأنهما deux homm espeu intelligent- (ص ٤٤٢) اي انهما رجلان قليلا الذكاء . مع ان بالمرستون كان المحرّك الاول لدولاب السياسة الدولية في ذلك العهد كما كان بسنبي اقوى ممثلي الدول في القسطنطينية ولا يمكن

ان يوصف رجال هذه مقدرتهم بأنهم قليلو الذكاء

٤ — كذلك نسب المؤلف الى انكلترا انها كانت ترمي من وراء معاهدة لندن سنة ١٨٢٧ مع روسيا وفرنسا «الى تكوين حلف bloc بزعامتها يستعاض به عن الحلف المقدس (ص١٠٧) مع ان انكلترا كانت في ذلك الوقت تحارب فكرة المؤتمرات والاحلاف وتعارض في تداخل الدول الكبرى في شؤون الامم الصغرى . وكانت بطبيعتها تنفر من اي اتفاق دائم مع روسيا ذات الحكومة المطلقة وانه لم يرعها على عقد معاهدة لندن سنة ١٨٢٧ سوى رغبتها في منع تدخل روسيا بمفردها في المسألة الاغريقية . فلا معنى اذن للقول بأن غرض انكلترا في سنة ١٨٢٧ تكوين bloc مع الروسيا وفرنسا يقوم مقام الحالفة المقدسة

٥ — اما حيرة المؤلف في تحديد سياسة فرنسا في اثناء الثورة الاغريقية وقوله «ان فرنسه كانت تعطف على الجانبين الاغريقي والتركي المصري او انها على الاقل قد انتهجت خطة محايدة مثيرة» (ص١٠٨) فلا مسوغ لها قط لان فرنسا وعلى رأسها حكومة شارل العاشر الرجعية لم تتوان في اظهار عطفها على الثوار فأرسلت المتطوعين امثال Fabvier ليحاربوا في صفوف الثوار المسيحيين ضد تركيا . ولما عقد معاهدة لندن لم تتردد فرنسا في ارسال امير البحر de Rigny للاشتراك مع امير البحر الانكليزي في مراقبة الحالة ثم لم تلبث ان ارسلت قوة حربية كبيرة بقيادة الماريشال ميزون Maison لتضطر ابراهيم الى الجلاء فهذه الخطة الحاسمة من جانب الحكومة الفرنسية لا تتفق مع قول المؤلف ان فرنسا كانت تعطف على الجانبين والحقيقة ان اوربا جميعها حكومات وشعوباً كانت تعطف على الاغريق ضد تركيا . ولم يشذ سوى مترنخ . فقد كان عدو الثورة سواء اكانت ضد السلطان ام ضد امبراطور النمسا

٦ — اما عن مذكرة المندوب النمسوي الكولونيل بروكش فن استن Prokesch Osten الى محمد علي بتاريخ ١٧ مايو سنة ١٨٣٣ وهي التي رسم فيها خطة تكوين خلافة عربية يكون محمد على رأسها فقد ذكر المؤلف انه عثر عليها في السجلات الانكليزية (ص٢٧٢) مع ان كاتب هذا المقال قد نشر ملخص هذه المذكرة في كتابه «تاريخ مصر السياسي في عهد محمد علي» . وقد نشر المذكرة وعلق عليها في رسالة قدمها للمؤتمر الجغرافي الدولي المنعقد بالقاهرة في شتاء سنة ١٩٢٥

٧ — ومن اعجب ما لحظناه في الكتاب نسبة السذاجة الى محمد علي عند ما كانت تصطرع الطروف السياسية الى الافصاح عن مراميه واغراضه الى احد فناصل الدول الكبرى وخاصة انكلترا فيظن المؤلف ان القنصل استطاع بمهارته ان يستدرج محمد علي

ونسى ان المجاملات السياسية كانت تقضي على محمد علي بضرورة اعلام الدول بما ينوي عليه او على الاقل بجس نبضها حتى لا تعترض على تصرفاته في المستقبل. وعلى ذلك تكون ملاحظات المؤلف على محمد علي اثناء حديثه مع قنصل انكلترا بخصوص اليمن (ص٢٨٨) او بخصوص السودان (ص٦٦) هي ملاحظات خاطئة فلا القناصل « ضحكوا » على محمد علي ولا محمد علي خانه لسانه

٨ — ومن اقواله ان عباس باشا خلف اخاه ابراهيم في حياة والده وكرر هذا القول في مكان آخر (ص٥٨٩ و٥٩٠) وفاته ان عباس الاول هو ابن طوسون بن محمد علي فعباس حفيد محمد علي وابن اخي ابراهيم

٩ — وذكر في (ص٥٥١) ان ابراهيم في اثناء زيارته لاوربا سنة ١٨٤٥ نزل في ميناء لجهورن Leghorn في ايطاليا واما نسغرب ايراده الاسم بهذا الشكل لا سيما وان المؤلف يكتب باللغة الفرنسية اذ ان اسم الميناء بالفرنسية Livourne ولا تعرف بلجهورن الاّ في الانكليزية

١٠ — وذكر في (ص٥٥٨) ان كانبح رجل المورة كان بالقسطنطينية سنة ١٨٤٨ مع انهُ توفي سنة ١٨٢٧ والذي كان بالقسطنطينية اللورد استراتفورد قريب كانبح ولكنهُ ليس رجل المورة

١١ — ومما يؤخذ على المؤلف مبالغته في وصف حالة جيش ابراهيم باشا في سورية لما هاجمه الحلفاء من السواحل والجبليون من الداخل سنة ١٨٤٠ فقد ذكر ان الجيش كان Presque nue affamée et démoralisee (ص ٥١٨) اي ان رجاله كانوا عرياً جياعاً وفاقدين الروح المعنوية

ومع ان حالة الجيش كانت حقيقية مما يؤسف لها الاّ ان جميع المصادر مجمعة كما اعترف المؤلف على ان قوات ابراهيم كانت كافية وفي امكانها المقاومة وقد ذكر نابيير Napier قائد قوات الحلفاء في كتابه « الحرب في سوريا » ان الجيشين كانوا متفوقين في داخلية البلاد وانهُ كتب الى بسنبي يقول انهُ اذا استمرت الحرب مدة فلامناص من ان يقوى حزب ابراهيم في سوريا (الجزء الاول ص ٢٥٣) واما ما اصاب الجيش من الخسائر الفادحة فكان نتيجة اجتياز الجيوش لبلاد سيطر الحلفاء على سواحلها فمنعوا عن الجيش الراحل المؤونة والزاد وحرموا عليهِ الاتصال ببلاده الاّ بطريق الصحراء الوعر

١٢ — ويجب ان نشير هنا الى ان بالمرستون لم يكن وكيلاً للخارجية كما ذكر المؤلف في ص٥١٣ بل كان وزيراً والانكليز يطلقون على بعض وزرائهم لقب Secretary of State

هذه هنات غير خطيرة يمكن تداركها ولا تستطيع بحال ان تؤثر في قيمة الكتاب كمصدر جامع لآراء ومستندات وحقائق سياسية او دبلوماسية منها جانب كبير لم يرَ النور الاّ بفضل الجهود والمباحث التي قام بها ولا يزال يقوم بها صديقنا الدكتور صبري في مصر وفي الخارج

باب الزراعة والاقتصاد

رواية الازمات الاقتصادية

أثر العوامل الانسانيه في استحكام الازمات وانفراجها

الفصل الاول

يرتفع الستار عن مشهد اقبال ورخاء . فالمصانع في اوربا واميركا لديها طلبات تفوق ما تستطيع اخراجه من البضائع وجماعات المشترين تؤمّ المخازن الكبيرة في باريس ولندن وفيلادلفيا وبوينس ايرس والقاهرة زرافات وواحداناً . وكثرة الطلب على المواد الخام كالصوف والقطن والصلب والمطّاط تميل بها الى ارتفاع في الاسعار . ويرى اصحاب المصانع ان اثمان مايشترونهُ من هذه المواد آخذة في الارتفاع رويداً رويداً فيميلون الى شراء مقادير منها تفوق ما يطلب منهم . ويلحظ الجمهور الارتفاع في اسعار البضائع فيبتاعون اكثر مما يحتاجون اليهِ . ويكثر الطلب على العمال والموظفين وترتفع اجورهم

واذ ترى اصحاب المصانع ان دواليب العمل في مصانعهم دائرة ليل نهار يتجهون الى توسيع نطاق اعمالهم . فينون مصانع جديدة ويجهزونها باحدث الآلات . ويقوى هذا الاتجاه فيهم لان الضرائب عالية فبدلاً من توزيع ارباحهم على اصحاب الاسهم فتستولي الحكومات على ما يخصّها من ضرائب الدخل ، يفضلون ان يستعملوا ما يفيض عن الارباح العادية في توسيع نطاق العمل على النحو المشار اليهِ

اما الجمهور فيقبل في هذه الفترة على شراء اسهم الشركات الصناعية ولو كانت الارباح الموزّعة ضئيلة . انما يحدوهم الى ذلك مظاهر الاقبال والنجاح في اعمالها والارتفاع في اسعارها . يبتاع الجمهور هذه الاسهم اولاً بالاموال الموفّرة لديهِ . ثم يشهد الارتفاع المتواصل في اسعارها ويرى ان سبيل الثروة هو شراء هذه الاسهم فيبدأ يشتريها بالتقسيط على ان يسدد الثمن من مالٍ ينتظر توفيرهُ في المستقبل . وهكذا تبدأ المضاربات

ولكنَّ الشعور بالرخاء سائد في كل مكان . فالرجال يشترون لنسائهم جواهر وحرائر وفراء

واسر العمال تبتاع سيارات وغراموفونات — في اميركا — وبيوتاً وحدائق في فرنسا ويكثر عدد السياح من الاميركيين وغيرهم في اوربا ومصر . وتزدحم الفنادق والملاهي ويسهل التوازن في ماليات الدول لوفرة دخلها من الضرائب . وينزل الحكام في كلّ الامم في المنزلة العليا من تقدير الجمهور ومحبته لانهُ يعزو هذا الفلاح الشامل لحكمتهم الشاملة

ويسري الاعتقاد بين كل طبقات الامم — عمالاً وتجاراً وماليين وسياسيين واصحاب مصانع — بان هذا الرخاء امر طبيعي وانهُ لا بدَّ دائم . لا ريب انهم سمعوا في حداثتهم ان قد جاء على المجتمع ازمات مستحكمة وان ارتفاع الاسعار المتواصل امر لا يدوم . وبعضهم شهد هذه الازمات . ولكنهم مقتنعون بان الاحوال قد تغيّرت . فيقولون والبشر ملء افواههم « لسنا مثل اسلافنا . ونحن في مأمن مما عانوهُ في الماضي »

ويسدل الستار على انشودة الرخاء مرتفعة في كل بقاع الارض !

الفصل الثاني

والواقع ان الاسعار ارتفعت اكثر مما يسوّغهُ الطلب على البضائع واكثر مما تسوّغه الثقة المالية ، مع ان احداً لا يدرك هذا ولا يحسُّ بهِ . ويقلُّ الذهب بالنسبة الى كثرة المعاملات بالنقود المبنية عليهِ في معظم البلدان . ولما كانت اسعار البضائع عالية . فسعر الذهب ينخفض بالنسبة اليها . وتزيد نفقات استخراجهِ من بطن الارض لارتفاع اجور العمال . فانت لا تستطيع ان تشتري بالجنيه الذهب بعد ارتفاع اسعار البضائع الا جانباً مما كنت تستطيع شراءهُ من قبل فيقل الربح من تعدين الذهب ويضيق نطاق استخراجهِ وهذا في حدّ ذاتهِ خطر كبير

ولكن ثمة خطراً اكبر . ذلك انهُ لما كان الناس في فترة الرخاء ميالين الى ان يشتروا من البضائع فوق ما يحتاجون اليهِ ، واصحاب المصانع ميالين الى ان يصنعوا منها فوق ما يطلب منهم ، فلا بدَّ من ان تتكدس المخازن والبيوت بها . ولا يبدو هذا التكدُّس اولاً لانهُ منتشر في مخازن المدن المتفرقة وفي بيوت الناس . فمدام فاندرهاجن مثلاً في مدينة بروكسل اشترت ثلاثين قميصاً لابنائها لانها رأت ان اسعار القمصان آخذ في الازدياد المتواصل فهي تشتري هذه الكمية لكي لا تضطرَّ في السنة المقبلة والتي تليها الى شراء قمصان باثمان اغلى من الاثمان الحاضرة . ومثلها مسز هارتفرد في كليفلند في اميركا وفرو روزنهاردت في برلين ومدام اومارا في نجاساكي وحرم . . . بك في القاهرة . اما السنيور باشيارلو تاجر القمصان بالجملة في مدينة ميلان فقد اشترى خمسين الف قميص فوق ما يبيعهُ كلَّ سنة وخزنها ليبيعها في السنة المقبلة جلباً للربح الكثير بدلاً من شرائها في السنة المقبلة بسعر اغلى . واما المسيو ريبود و صاحب مصانع القطن في روان بفرنسا فعندهُ من القطن ما يكفي مصانعهُ سنتين .

وهكذا تتكدس بآلات القطن في شون تكساس ومصر . فتعمد الحكومات الى التدخل . فتشتري حكومة البرازيل جانباً كبيراً من مخزون البنّ في بلادها . وتجري الحكومة المصرية على ذلك فيما يتعلق بالقطن . ويصبح المضاربون على صعود الاسعار في كل بورصات العالم مكشوفين . وهم لا يتسلمون بضاعتهم لانهم لا يملكون الثمن . وكل ما يستطيعونهُ هو الاحتفاظ بمراكزهم املاً منهم بصعود الاسعار

وفي هذه الفترة يكون بناء العالم الاقتصادي متقلقلاً كأنهُ على جُرف هار . فكلُّ هؤلاء المضاربين سواء كانوا مضاربين بالمحاصيل او بالاسهم تراهم معلقين على طرف قضيب من حديد فوق هوّةٍ فاغرةٍ فاها ، فأقلُّ اضطراب يميل بقضيب الحديد الى ناحيتهم والى الهاوية يهبطون

الفصل الثالث

لقد نزلت الكارثة والبواعث عليها تختلف وتكون في العالب مسألة لا قيمة لها . لقد اصبح التوازن بين الصعود والهبوط دقيقاً جدًّا فمعظ اصبع يكفي للانهيار . وقد يكون الباعث افلاس بنك او نشر ارقام تدل على ان اسهم بعض الشركات ليست في المكانة التي يظنها الناس . وقد يكون بيع المراد لمقادير كبيرة من الصوف في ملبورن باستراليا او بوينس ايرس بالارجنتين فيدرك مبتاعو الصوف ان الطلب عليهِ ضئيل جدًّا . وقد يكون احياناً تحوّل في سوق المال يضعف قوة الناس عند الشراء كهبوط سعر الفضة في الشرق الاقصى

ومهما يكن السبب الذي يبدأ الازمة صغيراً تراها وقد اتسع نطاقها واستحكمت حلقاتها بسرعة غريبة فتهبط الاسعار فجأة وتهوي جماعة المضاربين الى الهوة . فأصحاب المصانع وتجار الجملة يملكون بضائع مخزونة جمعت لتباع في السنة التالية بأسعار اعلى . اما وقد زال كل امل ببيعها بتلك الاسعار فكل منهم يعرض بضاعتهُ للبيع ولا قيمة للبضائع في سوقٍ كل شيء فيها معروض للبيع وينذر من يقبل على الشراء . هنا تنقلب الآية التي شهدناها في فترة الرخاء فالمستهلك يرى انهُ كلما تأخر في ابتياع شيء تمكن من ابتياعهِ بسعر ارخص من السعر الذي دفعهُ قبلاً فيحجم الاّ عن شراء ما كان ضروريًّا كل الضرورة . والتاجر اذ يدرك احجام زبونهِ عن الشراء وتفاقم خسارتهِ على البضائع المخزونة لديهِ يحجم عن الشراء من اصحاب المعامل . وأصحاب المصانع يقللون مقدار البضائع التي يصنعونها لقلة الاقبال عليها فيضعون جدًّا لما يبتاعونهُ من المواد الخام . فتأخذ هذه المواد تتكدس لدى اصحابها سواء كانوا زرّاعاً او معدنين او اصحاب قطعان لجني الصوف — فيقفون مكتوفي الايدي لانهم لا يملكون المال ولا الاعتمادات المالية اللازمة

وتهب فوق كل بقاع الارض ريح من الشكوى والثورة ويتجهُ الجمهور باللوم الى رجال السياسة القابضين على زمام الاحكام . فأصحاب الاموال في البورصات يرفضون ان يبتاعوا المحاصيل او الاسهم. وأصحاب المعامل يستغنون عن جماعات العمال. فيزداد عدد العاطلين. وتحار اميركا ومصر في ما تفعلانه بقطنهما. وتحار استراليا في ما تفعله بصوفها. وتشتري حكومة البرازيل بنَّ مزارعيها وتحرقهُ في قاطراتها

اما مدام فاندرها جن السيدة البلجيكية في بروكسل التي ابتاعت ثلاثين قميصاً لابنائها خوفاً من ارتفاع الاسعار المتواصل فتتوقف عن الشراء الآن املاً منها في الحصول على ادنى الاسعار. فتنتظر لترى ما تسفر عنهُ الحال. وتؤخر شراء فستان لها قدر ما تستطيع. ويجري على ذلك كل ربّات البيوت في كل انحاء العالم. والعامل الذي اصبح عاطلاً لا يستطيع ان يكون مستهلكاً. ويفقد الجمهور رباطة الجأش وصحة الحكم . ويشرع الناس يخزنون اموالهم لانهم لا يأمنون تشميرها في ازمة مستحكمة . وهكذا يضيق نطاق الاعتمادات التي يستعملها رجال المال والاعمال في الصناعة والتجارة

والذين لم يصابوا بخسائر مالية في هذه الازمة تسري اليهم عدوى الجمهور . فيقتصدون في كل ناحية من نواحي الحياة ويقتّرون حيث كانوا يسرفون فهم يفضّلون البقاء في بلادهم على السفر الى البلدان الاخرى ويقتنعون بما عندهم فيريدون في طيب الفوصى التجارية بلة

هنا تخرج انباءُ السوء من وكورهم ويسيرون في الارض يبشرون انباء القنوط واليأس قائلين : « الحالة سيئة ولكنها صائرة الى اسوإ » ويقولون « ليست هذه ازمة بل هي انهيار النظام الماليّ من اركانه » امثال هذه النبؤات تعاد في كل ازمة مالية . « ففي سنة ١٨٩٤ — يقول المستر بوز احد ثقاة الكتّاب الماليين — طن وول ستريت ان مستقبل اميركا قد هدم من اساسه ». وفي ١٩٢١ تحدث انباء السوء «بافلاس اوربا ودمار العالم» وفي ١٩٣٠ قالوا ان النظام المالي العالمي على شفا الهاوية

ويسدل الستار على زفرات النوح مصعّدة في كل مكان

الفصل الرابع

وكما اتجهت الاسعار في فترة الرخاء الى بلوغ مستوى عالٍ لا تسوغهُ الحال الاقتصادية تتجه في فترة الازمة الى مستوى واطٍ غير معقول فتهبط اسعار البضائع الى اقل من نفقات صنعها ويجد الزراع والصنّاع انهم لا يجنون ربحاً من زرع الحاصلات وصناعة ما يصنعون منها فيضيقون دائرة الانتاج الى الحد الادنى . فينقص ما عندهم من البضائع المخزونة من سي الرخاء وما

يليها فترتفع مقدرة الذهب على الشراء . ويصح استخراج الذهب من بطن الارض عملا رابحاً فيميل نطاق استخراجه الى التوسع. ولكن اذا افترضنا ان نطاق استخراجه لم يتسع فاننا نشهد اتساعاً كبيراً في نطاق الاعتمادات المالية التي تمنح رجال الاعمال بفائدة قليلة . لان الاموال كانت مخزونة لا تجرؤ الظهور خوفاً من عواقب الازمة وتكثر المضاربة في بورصات العالم ورويداً رويداً نشهد البناء الاقتصادي العالمي قد اصبح يتراوح بين الضعف والنشاط، وهو تراوح خطير، ولكن المضاربين على هبوط الاسعار هم الذين يخسرون الآن لان اقل لمسة للميزان المعلق تذهب بالاسعار الى مستوى اعلى بدلاً من الهبوط بها كما حدث قبيل الازمة

الفصل الخامس

ان عنف الازمة هو علاجها الناجع ذلك ان قلة الارباح جعلت الانتاج من البضائع دون ما يحتاج اليه الناس منها واذ تهبط الاسعار الى مستوى واطٍ جداً يجرؤ بعض المضاربين ورجال الاعمال على المقامرة بأنها سوف تبدأ في الصعود ويظهر بعض المشترين في السوق ويصدّون تيار الهبوط . ويبدأ هذا الاتجاه في بعض البضائع والاسهم اولاً ثم تتبعها البضائع والاسهم الاخرى وكل الذين امتنعوا في سني الازمة عن الشراء خوفاً من هبوط الاسعار يلمحون امارات التحسن البادية ويحاقون صعودها فجأة وهم لا يدرون . فتسري بينهم حمى الشراء. وتخرج الاموال المخزونة من مكامنها لتثمر في الاسهم المضمونة ولو كانت ارباحها قليلة . ويذيع الاعتقاد بأن من تأخر عن شراء ما يحتاج اليه ادركه ارتفاع الاسعار . وهكذا تنقلب السوق من سوق عارضين للبضائع لا يجدون لها شارين. الى سوق لا تكفي فيها البضائع المعروضة ما يطلبه منها الشارون فترتفع الاسعار ويقل العمال العاطلون ويصبح العامل الذي عاد الى عمله مستهلكاً وتنهال اناشيد الثناء على الحكومات القائمة لحكمتها وفائدة الخطوات التي خطتها في سبيل تفريج الازمة

***

اما الممثلون في هذا الرواية فينسون ما حدث ويأخذون يردّدون ما قالوه في الفصل الاول . يقولون ان الانسانية في مفتتح عصر من الاقبال الدائم وان ارتفاع الاسعار لن يقف عند حدٍ وان الازمة قد انفرجت ولن تعود . ويقولون لقد خرجنا من المأزق قبيل ما قضت الكارثة علينا . ولكن الاحوال قد تغيّرت الآن ونحن في مأمن من مصاعب الماضي ويسدل الستار الاخير على اناشيد الفرح متصاعدة من جوانب المسرح — العالمي

طريقة جديدة لحفظ علف المواشي الاخضر

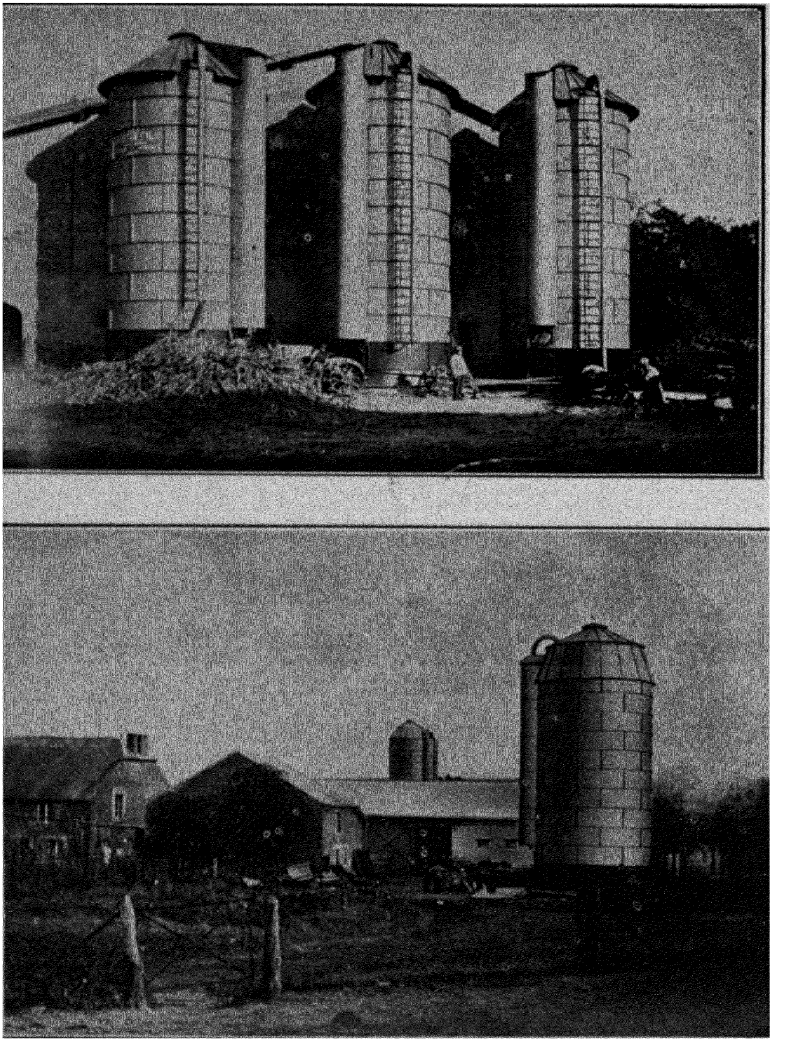
حفظ العلف الاخضر طريًّا اخضر من فصل الى فصلٍ امر يهمُّ كل المزارعين لانهُ كبير الاثر في غذاء المواشي وصحتها وما يدرُّ بعضها من اللبن وقد ثبت من تجارب بعض العلماء الانكليز ان الابقار التي تتغذى بالعلف الاخضر تفوق الابقار التي تتغذى بالحبوب فقط في مقدار ما يحتويهِ لبنها من الفيتامين

وقد شغلت هذه المسألة بال المشتغلين بالزراعة في مصر فصنع بعضهم ما يعرف بالكمرة المفتوحة وهي عبارة عن بناء حجري او خشبي يكدَّس فيهِ البرسيم اكداساً فيجفُّ ما في خارج الاكداس ويبقى ما في داخلها اخضر ولكن لاحظوا ان في هذه الطريقة مواطن ضعف اهمها ان نحو اربعين في المائة من البرسيم المكدس يضيع بجفافهِ او اختماره. وان بعض التغيرات الكيماوية فيهِ تجعل رائحتهُ بتنة فتعافهُ المواشي . وان الكمرة يصعب نقلها من مكانٍ الى آخر بحسب المكان الذي يحتاج اليها فيهِ . وانها اذا كانت من الخشب رثَّ الخشب وتعفن فتزيد رائحة البرسيم نتانة

وقد اطلعنا على طريقة صناعية جديدة جرّبت في بلدان المغرب الاقصى وسهول فرنسا فثبت انها تفي بالغرض على ما يرام . وهي قسمان آلة لقطيع البرسيم قطعاً صغيرة جدًّا حتى اذا كدّس امكن حشكه حتى لا يتخللهُ هواء كثير فتقلّ التغيّرات الاختمارية الكيماوية فيهِ الى ادنى حدٍّ . والاخرى اسطوانة كبيرة مصنوعة من حديد مطلي بطلاء يمنع صدأه فاذا قطع البرسيم خزن في هذه الاسطوانات القائمة كالابراج فيقلُّ التلف بهذه الطريقة الى ادنى حدٍّ ويحفظ العلف اخضر الى فصل الجفاف . ترى صورتها في الصفحة المقابلة

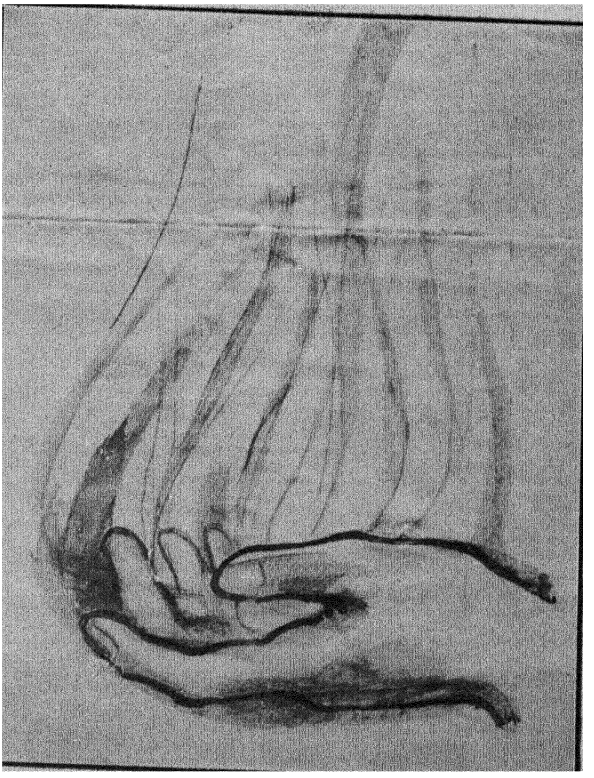
ويؤخذ من النشرة التي وصلتنا ان هذه الطريقة جرّبت في مصر فثبت منها ان ما يخزن من البرسيم بهذه الطريقة يفوق نحو ثلاثة اضعاف البرسيم المحوّل دريساً في قيمتهِ الغذائية ومقدارهِ. فاذا حصدتَ محصول فدان برسيماً وحفظتهُ بهذه الطريقة امكنك ان تغذي بهِ ٤٠٠ بقرة مثلاً وأما اذا حولتهُ دريساً لم تتمكن من تغذية اكثر من ١٥٠ بقرة. فالنسبة نحو واحد الى ثلاثة

والظاهر ان لهذه الطريقة فائدة اقتصادية مؤكدة على مرّ السنين . فحبذا لو عنيت بعض دوائرنا الزراعية الكبيرة بتجربتها تجربة علمية ونشر نتائج تجاربها



طريقة جديدة لحفظ علف المواشي الاخضر

مقتطف يونيو ١٩٣١ امام صفحة ٧٥٠



مكتبة المقتطف

آلهة الارض[1]

مات جبران خليل جبران في ١٠ ابريل بعيد صدور كتاب « آلهة الارض » وانجاز كتاب آخر ينتظر ان يصدر في الخريف. بهذين الكتابين يصح عدد الكتب الانكليزية التي اخرجها جبران سبعة كتب وعت من الهام الحكمة والفلسفة في بردة شعرية خلابة ورسوم رمزية غاية في الابداع شكلاً ودلالة ما يرفع صاحبها الى مستوى المختارين من شعراء العصر. فترجمت مؤلفاته الى اكثر من اثنتي عشرة لغة واحدها الى عشرين وبيع من كتابه « النبي » (ثمنهُ ٥٠ غرشاً صاغاً) نحو سبعين الف نسخة في اميركا . وتليت فصولهُ في الكنائس . وكتبت عنهُ جريدة الصن النيويركية يوم وفاته افتتاحية بليغة قالت فيها « انهُ كان يكتب كرجل ملهم . . . » واحتفل بتأبينهِ كتاب الاميركان وشعراؤهم . وهو مع ذلك كان يشعر انهُ لم يقل كلمتهُ وانهُ ركان مسدود

اما « آلهة الارض » فحوار بين ثلاثة اشخاص هم فوق مستوى البشر وتحت مصاف الآلهة تمثل العناصر الثلاثة الاساسية في الطبيعة البشرية عناصر القوة والسلطان والحب ويدور على مصير الجنس البشري . فاثنان منهما يريدان التسامي به الى ذروة القوة وخلق جنس من السوبرمان يصح ان يكون طعاماً للآلهة . يقول الاله الثاني

« لن اسمح للغرور ان يتملكني حتى انمى الاكون . فأنا لا استطيع الا اختيار الطريق الاوعر . ان اتبع الفصول واتحمل مجد السنين . ان ازرع البذرة واراقبها تنبت في التراب وان ادعو الزهرة من مكمنها . وامنحها قوة لتحيا حياتها . ثم اقطفها لما تضحك الريح في العاب . ان ادفع الانسان من سر الظلام ولكن احتفظ بجذوره متصلة بالتراب. وامنحهُ ظمأ للحياة واجعل الموت ساقيه. اهبهُ حبًّا يضعف بالالم ويسمو بالشهوة . ويزداد بالتوق ويمحي لدى العناق الاول. اطوق ليالية باحلام ايام اسمى. وابعث في ايامهِ رؤى ليالٍ رغدة. ومع ذلك احصر ايامهُ وليالية في دائرة من الشبه لا تتغير. اجعل خياله كنسر الجبل. وفكره

(١) The Earth Gods by Kahlil Gibran published by Alfred Knopf New York City

مثل عواصف البحار. ومع ذلك امنحهُ ايدي بطيئة الحكم. وارجل مثقلة بالتأمل. اعطيهِ فرحاً لينشد امامنا . وحزناً لكي يبتهل الينا. ثم احنيهِ. لما تطلب الارض في جوعها طعاماً . ارفع روحهُ فوق القبة الزرقاء ليستطيع ان يتذوق غدنا . واحفظ جسدهُ متمرغاً في الحمأة . لكي لا ينسى امسهُ

فيجيبهُ الالهُ الاول : ان قلبي طامٍ ، ولكني لا اشرب دماء جنس خوّار . لان الكأس ملوثة والخمرة فيها مرة المزاق . لقد عجنت الدلعان مثلك واخرجت منهُ اشكالاً بنفس . دلفتْ من اصابعي الفاطرة الى المستنقعات والآكام . ومثلك اشعلت جذوة في اعماق الحياة البازغة . وراقبتها تزحف من الكهوف الى المرتفعات الصخرية . مثلك امرت الربيع ومددتُ روعته شركاً يتملك الشباب ويعميهِ فيولّد ويتكاثر . مثلك سرتُ بالانسان من هيكل الى هيكل . وحوّلت خوفهُ الصامت من اشياء غير منظورة الى ايمان مرتعش فينا نحن ، من لا يُرى ولا يزار . مثلك امتطيت العاصفة العاتية فوق رأسهِ لكي ينحني امامنا . وجعلت الارض تميد تحتهُ لكي يبتهل الينا. ومثلك قدتُ الاوقيانوس الطاغي الى حريرتهِ المطمئنة فبات داعياً لنا . فعلتُ كلَّ هذا واكثر منهُ . وكل ما فعلت باطل فارغ . اليقظة باطلة والنوم فارغ . والحلم فارغ وباطل

الاله الثاني : لقد غرسنا الانسان . كرمتنا . وحرثنا التربة . في الضباب الوردي من الفجر الاول . وشاهدنا الاغصان اللينة تنمو . وتعهدنا الاوراق الصغيرة . ومن العناصر الثائرة وقينا البرعم . ومن الارواح الشريرة حفظنا الزهرة . اما الآن وقد اثمرت الكرمة عنباً . انك سوف تأخذها الى المعصرة لتملأ قدحك (خمراً) . اي يدٍ اقوى من يدك سوف تجني الثمر . واي مصير ابيل من طاعتك يعتطر الخمر. الانسان طعام الآلهة. ومجد الانسان يبدأ حين تمتص شفاه الآلهة المقدسة نفسهُ المتحيّر. كل ما في الانسان لا شيء اذا طل انسانيًّا. طهر الطفولة وقوة الشباب الحلوة . شهوة الرجولة الرزينة وحكمة الشيخوخة . مجد الملوك وانتصار الاجناد شهرة الشعراء وشرف اصحاب الرؤى والقديسين. كل هذه او ما تنطوي عليهِ انما يولد للآلهة . وتظل خبزاً غير مقدّس اذا لم ترفعها الآلهة الى افواهها . وكما تتحول الحبة الصامتة الى اناشيد الحبّ اذا اكلتها القنابر . هكذا يتذوق الانسان الالوهية من حيث هو خبز للآلهة

ويمضي الآلهان في حوارهما على هذا النسق . اما الاله الثالث فيرى في الحبّ مجدَ الانسان فيحاول في الفاظهِ القليلة وصوتهِ الوديع النغم ان يوجه انظار الالهين الى فتى ينشد في الوادي يقول في وصفهِ « قيثارتهُ من ذهب وابنوس وصوتهُ من نضةٍ وذهب »

والى فتاة ترقص في الوادي يبدع في وصف رقصها اذا يقول « حول قدميها الف جناح . ... واقدامها تملة بالاناشيد » وهكذا يمضي في توجيه انظارهما الى اقتراب الفتى والفتاة دلالة على انتصار الحبّ . ويختم الكتاب بقول الاله الثالث

أنهضُ الآن واجرد نفسي من الزمان والمكان . وارقص في ذلك الحمل الذي لم يوطأ . فتتحرك اقدام الراقصة مع اقدامي . وانشد في ذلك الجوّ الاعلى . فيمتزج صوت انساني في صوتي . انا سوف نمضي الى الشفق . وقد نستيقظ في فجر عالم آخر ولكن الحبّ باقٍ . وآثار اصابعه لن تمحى . الكور المبارك يشتعل . والشرارات تنتثر وكل شرارة شمسٌ . فخيرٌ لنا واحكم ، ان نبحث عن بقعة طليلة ننام فيها ملتحفين بالوهيتنا الارضية . وان ندع للحبّ انسانيتنا وضعفاً ، السلطان على اليوم المقبل !

هذه بعض المعاني التي تبدو في سطور « آلهة الارض » ينقصها من الاصل روعة ذلك الاسلوب الانكليزي الفخم في بساطته وجماله ورنته الموسيقية . وينقصها كذلك ما ازدانت به من صور هي آية في الابداع ، تجسم المعاني تجسيماً

وقد وردت علينا صحف اميركا تحتوي الشيء الكثير عن وفاة حبران ومأتمه وتأبين الصحف العربية والاميركية له ، واحتفال ادباء العرب والاميركان بذكراه فاخترنا ابيات الشاعر ايليا ابي ماضي نقلاً عن مجلته السمير . وهي :

ايها الشاعر الذي كان يشدو بين صاح من الخمال وصاحك
جلل ان يصيدك القدرُ الأعمى ويمشي مقصهُ في جناحك
موكب الشعر تائهٌ في فضاء ليس فيه سوى حطيم سلاحك

* * *

والسماتين — والبلابل فيها تتعى — حزينةً لرواحك
قنعت بالنواح منك فلما زال عاشت بذكريات نواحك

* * *

والدجى — والنجوم تسطع فيه — واجمٌ حسرةً على مصباحك
تلمس العين اينما لمستهُ جمرات التياحنا والتياحك
قد تولت جلالة السحر عنهُ واصمحلت مذ صار غير وشاحك

* * *

هبطت ربّة الحياة لكي تسـ كب خمر الخمال في اقداحك

فاذا انت في السرير مسجّى صامت كالطيوف في الواحك
فتولت مذعورة تلطم الوجـ ـه وتبكيك — ياقتيل سماحك
سبقتها الاهة الموت كي تحـ ـظى ولو باليسير من افراحك
ويحها ! ويح حبها من اثيم طـردتنا ولم تقم في ساحك
ايستروصك الحميل ولم تظفر بغير التراب من ادواحك

* * *

ذهب الموت بالكؤوس جميعاً غير كأس ملأتها من جراحك!

ايليا ابو ماضي

* * *

وهذه ابيات فاصت بها قريحة الدكتور ابي شادي لما رأى صورة « اليد المبدعة » التي جعلها جبران شعاراً له في معظم كتبه الانكليزية . وقد صدّر بها هذا الباب

رُوِّع الشعر ان يكون المعزّي والمعزّى للرزء في « جبران »
وبكت عنده « منرفا » حبيباً وهب « الحكمة » امتثال البيانِ
شاعرٌ انجبتهُ أمة شعرٍ وسقتهُ العيونُ في « لبنان »
عاب عنها وذاب فيها دموعاً وهو ملءُ الاجرامِ والاوطانِ
عاش لا يرتجي سوى لفطة الرو ح بمعنى يعيش فوق المعاني
وتجلّى لسمعِ انشاده الحا لد ما عاب من قرون الزمان
مات حيّاً في كل معنى سَرِيٍّ سريانَ الامواج بالالحان
مات موت الابطال في عهد (يو نان) وبزّ الابطال في الاحسان
شرّف العقل بالنفيس الذي يعـ ـلو بقدر الارواح والابدانِ
تلك آياتهُ : معانٍ من الحا لق سبحانهُ بلفظٍ ثانِ
صُوِّرت صورتين: احداها الشعـ ـرُ واخراها بقوش غوانِ
ملءُ كلتيهما عواطف قلبٍ دائم الحس دائم الخفقانِ
تخذ الرمز في الحياة لهياً هو نفس تثور كالبركانِ
قدمتها يدٌ الى الناس اعزا زاً لحبّ الانسان للانسانِ
ذاك جبران في الحياة وفي الموـ ـتِ رسول الخلود والايمانِ

ابو شادي

كتاب الدواجن

في الخيل والبغال والحمير والبقر والجواميس والضأن والمعز والابل

تأليف مصطفى الشهابي في صفحاته ٢٣٢ قطع وسط كبير طبع بالمطبعة الحديثة بدمشق ثمنه ١٢ قرشاً مصرياً

طُبع هذا الكتاب من بضعة اشهر واهدى الينا المؤلف الفاضل نسخة رآها احد اصدقاء المقتطف فأخذه ليطالعه وهو اديب عالِمٌ يملك اطيافاً ويباشرها بنفسه، فرأى فيه من الفوائد العملية ما حمله على الاستئثار بالكتاب. فلم نتمكن من الاشارة اليه حتى تكرّم علينا صاحبهُ بنسخة اخرى. واستئثار صديقنا بالنسخة الاولى دليل على ما يحتوي عليه المؤلف من المادة الغزيرة العملية والعلمية في تربية الدواجن. ولا غرو فان مؤلفهُ الامير مصطفى الشهابي من بوابع رجال العلم في سوريا وقد تلقى اصول علم الزراعة في مدرسة غرينيون الزراعية العليا وتخرج منها وقد مضت عليه سنوات وهو يشغل منصب مدير املاك الدولة في دمشق اخرج في اثنائها كتباً زراعية هي من اضع المؤلفات العصرية نذكر منها «الزراعة العملية الحديثة» و «النقول» و«الاشجار والانجم المثمرة»

ومما يمتاز به مؤلفات الامير الشهابي توخي الفائدة العمليه في ما يوردهُ من حقائق العلوم الزراعية وتوخي الدقة في اختيار الالفاظ العربية المقابلة للالفاظ العلمية الفرنجية. وفي الحالين يتسم انشاؤه العلمي بسمة الادب بلاغة ورواء

والكتاب جزآن. الاول يشتمل على فصول عامة تتناول وجوه التبدُّل التي تصيب الدواجن، والوراثة كوراثة الامراض والعيوب ووراثة الجوارح والاعضاء المبتورة ووراثة الالوان، والانتخاب الطبيعي والصناعي. ثم بيان لطرائق التساقد وهو فصل نشرناه في المقتطف ذكر فيه الانتخاب والاصطفاء والهجين والتخليط والتعيل. ثم فصلان نفيسان عمليّان في اعذية الدواجن ومساكنها. وختم هذا الباب بفصل في تصنيف عروق الدواجن بناء على شكل الجمجمة وشكل الجثة ووزن الحيوانات وقدها والوانها

اما الجزء الثاني فيتناول فيه المباحث الخاصة بالخيل والحمير والبغال والبقر والجواميس والضأن والمعز والابل تناولاً مسهباً. ومن الفصول في باب الخيل ما نشرناهُ في المقتطف مثل الوان الخيل وشياتها وتحلية عروق الخيل والخيل العراب. وباب الخيل وحده يشتمل على اكثر من ٦٠ صفحة تناول فيها اوصافها على اختلاف ضروبها وطرق توليدها وتربيتها واهم امراضها وعيوبها ووسائل تمهدها ورياضتها وتعديتها والفصلان الخاصان بالبقر والضأن هما على هذا النحو من ايفاء البحث حقهُ

زعماء الادب العربي العصري

الجزء الاول — الطاهر جحري والاستاذ كمباير — ٤١ صفحة عربية و ٤ صفحة انكليزية

الغرض من وضع هذا الكتاب ان « يقدم به لقراء العرب ولاسيما الذين يعنون بدراسة الادب العربي من طلبة الجامعات في الغرب بعض زعماء البلاغة العربية الحديثة مستنداً الى ما جمعهُ (الاستاذ جحيري) من المعلومات ومستفيداً من الاستعلامات من الكتّاب انفسهم ومطالعة مؤلفاتهم من نظم ونثر » (مقدمة الاستاذ كمباير) وقال الاستاذ جحيري في مقدمتهِ الانكليزية ما ترجمتهُ :

« . . . . لما كنت في مصر من ١٩٢٧ الى ١٩٢٩ حاولت ان اجمع معلومات عن شبلي شميل وفرح انطون فتعذر عليَّ ذلك . وكلُّ ما تمكنت من جمعهِ كان ناقصاً ومتناقضة فاقتضى هذا الوجوب كتابة شيء عن كتّاب العربية وشعرائها المعاصرين يمكن ان يستخدم مرجعاً لطلبة الادب العربي الحديث واساساً لكتّاب المستقبل في هذا الموضوع » . يقول ان العرض مفيد جريٌّ بالبذل . ولكننا لا ندري الى من يرجع الاستاذ جحيري في طلب المعلومات عن الدكتور شبلي شميل وفرح انطون فاننا نعلم ان في مصر كثيرين من رفاق الرجلين واصدقائهما ممن يعرف الشيء الكثير عنهما مما يصح ان يكون اساساً لدراسات وافية

والطريقة التي جرى عليها المؤلفان في وضع الكتاب هي ايراد نبذة موجزة عن مولد الاديب ونشأتهِ والمعاهد التي تلقى العلم فيها . ثم خلاصة لاتجاهه الادبي او الفلسفي الخاص ثم بيان مؤلفاتهِ المطبوعة وتقدير لادبهِ . وكل ذلك استناداً الى معلومات استمدها الاستاذ جحيري من الكتّاب انفسهم او الى ما نشر لهم من المؤلفات او عنهم في المجلات والصحف. والكتاب حافل بهذه الاسانيد . وهذا الجزء يشتمل على مباحث في : علي عبد الرازق . مصطفى عبد الرازق . ايليا ابو ماضي عباس محمود العقاد (مصوَّر) . منصور فهمي (مصور) . جبران خليل جبران . محمد حسين هيكل (مصور) محمد عبد الله عنان . الاخطل الصغير « بشارة الخوري » . عبد القادر المازني . ميخائيل نعيمه . سلامه موسى (مصور) طه حسين (مصور) هذا في القسم الانكليزي . واما القسم العربي فيشتمل على صفحات موجزة مختارة من كتابات الادباء المذكورين

وقد طالعنا الحقائق المذكورة عمن نعرفهم من الادباء فوجدناها دقيقة في الغالب والآراء فيهم معتدلة . فالكتاب تحفة وعسى ان لا يطول انتظارنا لجزئهِ الثاني

ولدي

بقلم الدكتور محمد حسين هيكل — صفحاته ٤٠٠ قطع وسط — طبع بمطبعة السياسة بمصر — ثمنه ١٥ قرشاً

هذا كتابٌ يحتوي على وصف ثلاث رحلات الى اوربا رحلها الدكتور هيكل مع زوجتهِ الفاضلة في فصول الصيف من ١٩٢٦ و١٩٢٧ و١٩٢٨ الى بلدان اوربا المختلفة وقد قدمهُ الى روح ولدهِ ممدوح الذي هصر غصن حياتهِ الرطب وهو لا يزال في السادسة لان الحزن الذي خلفهُ فقدهُ في نفسي والديهِ وخصوصاً نفس والدتهِ الثاكل حمل الوالد على الابتعاد بها الى بيئة جديدة تجديداً لصحتها وترويحاً لنفسها من الم الفجيعة التي رزئت بها

ولقد اجتمعت للدكتور هيكل في هذا الكتاب عناصر الادب المكمل فوصف دقيق بليغ لمشاهد الطبيعة وآيات الفن، واحساس شديد متغلغل الى اعماق النفوس يبدي ما تحفيهِ قراراتها من طيوف الشعور، وعقل منقب راوٍ لحوادث التاريخ محيط بمشكلات الامم من سياسية واقتصادية واجتماعية، واسلوب رياض حفيف الظل كالنكتة البارعة على شفتي صاحبهِ، ينتقل بك في رفق ولطف من وصفٍ الى تحليل الى حكم اجتماعي وانت لا تدري. ولولا بضع هنات لفظية ووجوه من التعبير لا يسيغها الذوق العربي لاول وهلة لقلنا انهُ المثل الامثلة على الادب العربي كما يجب ان يكون، وهو مع ذلك من ابهاها

سئل كاتب مرة اي الكتب تشير بمطالعتها على الاديب فقال ان الادب اعلى مراتب الثقافة والاديب يجب ان يكون عالماً بمبادىء العلم، مطلعاً على مذاهب الفلاسفة، محيطاً بحوادث التاريخ، ذا خيال يسبح كل هذه ويصوغ منها صورة جديدة للحياة في اسلوب خاص. فلا سبيل الى ذكر الكتب التي يجب ان يطالعها وهو يجب ان يطالع كل شيء وبهمهُ ويجب ان يقرأ كتاب الطبيعة المفتوح وان يقلب صفحات كتاب التأمل المغلق. ويلوح لنا ان الدكتور هيكل اقترب جد الاقتراب من هذا المثل في كتابهِ « ولدي »

من الطبيعي ان تكون بعض اقسام الكتاب افضل من البعض الآخر ومن الطبيعي ان يجيد الدكتور هيكل وصف الحياة في باريس — وخصوصاً زيارتهُ للحي اللاتيني حيث تلقى العلم — اكثر من اجادتهِ وصف لندن وقد زارها لماماً ولكن اذا صرفنا النظر عن هذه الناحية من البحث وجدنا ان الكتاب ليس دليلاً كدليل بيدكر لا يحتوي من حياة المدن والبلدان الا على هيكلها العظمي فيتأبطهُ المسافر وكأنهُ تأبط شراً. وانما هو كتاب يبحث بالحياة — حياة البلدان والمدن بوصف عاداتها وطبائع اهلها وبحث مشكلاتها الاجتماعية ومشاهدها الطبيعية وآثارها واعلامها الفخمة — وهو ينبض كذلك بحياة الدكتور هيكل نفسهِ. حياتهِ النفسية اذ يفصح عما يشعر بهِ اذ تتوالى عليهِ المشاهد المختلفة وحياتهِ الفكرية

اذ يدوّن حكمهُ على نهضة تركيا ورأيهُ في مصير النمسا الاقتصادي ومستقبل المساعي لتوطيد دعائم الوئام الدولي وجمعية الامم . كل هذا يشركك فيهِ الدكتور هيكل ويضيف اليهِ جوانب من تفكير زوجهِ الفاضلة وشعورها . اما الفصل الاول الذي وصف فيهِ فجيعتهما بفقد ولدهما ممدوح فمن ابلغ ما قرأنا في تصوير عواطف الابوة والامومة

مهيار الديلمي

رسالة تقع في ٤٨ صفحة من قطع المقتطف بقلم اسماعيل حسين استاذ الادب العربي في الجامعة الاميركية بالقاهرة . واهم ما يبدو غريباً في هذه الرسالة انها تنقض اهم المميزات المعروفة لمهيار . فالادباء في اجماع او في اكثرية تشبه الاجماع يقررون ان مهياراً من شعراء الطبقة الاولى في العصر الذهبي للشعر . وان مشايعته لاستاذه وصديقه الشريف الرضي افادته سموّ الديباجة كما افادته عادة الترفع بالنفس والطموح . وقد يمالي بعضهم فيضع شعراء العرب الخلص من امثال البحتري فصاعداً في صف ثم يجيء بان الرومي وبشار ثم مهيار فيسلكهم في الصف الآخر قائلين أن في هؤلاء التقت فصاحة العرب بعمق عاطفة النفسية الآرية . الى ان جاء مؤلف هذه الرسالة فرفض ان يضع مهيار حتى في اضعف هذين الصفين فهو يرى كما جاء في صفحتي ١٢ و٢٦ من كتابه ان مهياراً ليس لهُ من شعره الا اللفظ والقافية والرنين وتحدى القدماء بل هو قد يقصر كثيراً حتى عن محاراة القدماء . اما نفسية مهيار كما كتب المؤلف في صفحة ١١ فقد نشأت على الطموح ولكنها لم تلبث حتى عادت في آخر هذه الصفحة نفسية قلقة طماعة تعبد المال وتتكيف بكل تكييف يؤدي الى الحصول عليهِ . وطبيعي ان المؤلف الفاضل لاحل تدعيم وجهة نظره كان كثيراً ما يفسر شعر مهيار بما يتفق وتأييد وجهته غير مبال بمخالفة تفسيره لاسلوب فهم الادباء . انظر صفحة ٣٢ لترى كيف فسر الابيات التي يقول مهيار في آخرها « تساوين وفاها المطال جدوده » لترى كيف استنتج منها ان مهياراً سيء الطمع ملح ملحف الطالب وكيف عاد المؤلف نفسه فابدى ما ينم على الاعتذار لمهيار . وسواء اكان المؤلف مخطئاً في حق مهيار ام مصيباً فان مركز مهيار في الرسالة وان يكن هو موضوعها الا انه في الحقيقة لا يزيد عن كونه مجرد مثال لتطبيق النظريات التي يريدها المؤلف في البحث والنقد والتحليل . فان الغرض الاول من تأليف هذه الرسالة ليس الكلام عن مهيار وانما هو وضع النموذج الصالح للدراسة التحليلية لان المؤلف كما جاء في مقدمة كتابه يرى ان هذا النوع من الدراسة من اسمى الدراسات العصرية المجدية التي تقوى في الطالب ملكة الابتكار ولا شك ان

من هذه الناحية قد وفق ما استطاع ونظرة واحدة الى العناوين الفرعية التي فهرس بها رسالته تدلُّ على انهُ يعرف كيف يتناول الموضوع

الدولة العباسية قيامها وسقوطها

للاستاذ حسن حليفة استاذ التاريخ والاقتصاد بدار العلوم العليا

هذا الكتاب في الاصل مذكرات وضعها المؤلف لطلبة دار العلوم تتناسب مع وقتهم وتكون مرجعاً لهم يعتمدون عليهِ من غير ان يلجأوا الى المطولات التاريخية . ودراسة التاريخ السياسي في دار العلوم تتمشى مع دراسة الادب جنباً الى جنب في عصور التاريخ المختلفة . فكنا نود من المؤلف ان يجعل كتابه سجلاً للادب العربي في عصر الدولة العباسية وهو احفل العصور بالحوادث الادبية ولكنهُ — ولا ندري السبب — يعدُّ خلوَّ كتابه من هذه الحوادث مفخرة له. ولقد رجع المؤلف في دراسة كتابه الى عدة مراجع بعضها عربي وبعضها افرنجي وكان يتعرض في اثناء كلامه لمقالات بعض المؤرخين من الفرنجة والمسلمين وتكلم على قيام الدولة العباسية وسقوطها بما لم يدع بعده مجالاً لمتكلم . فقد رتب النتائج على الاسباب في تمحيص دقيق نعرفه عنهُ من تدريسه لمادة التاريخ في دار العلوم

ولا اجد كلمة اقدم بها هذا الكتاب الى القراء اكثر من انهُ هوَّن عليَّ كثيراً من البحث في هذا التاريخ المتشعب الاطراف وانني اعتددت بهِ للامتحان واما هادئ البال مطمئن الضمير . . . .

محمد عبد الغني حسن

حديقة الحيوان

كتيب في ٧٣ صفحة متقنة الطبع تشتمل على خطرات نفس وجه فيها المؤلف الخطاب الى اشهر الحيوانات بحديقة الجيزة وتنطوي على معان ادبية وشعرية وفلسفية . وعندنا ان الكتاب جيد من حيث هو خطرات ادبية . ولكن الصغار لا يتعلمون حب الطبيعة ولا يتعودون قوة الملاحظة من قراءة هذه الخطرات . فوصف الحديقة يجب ان يكتب بقلم عالم بالحيوان رشيق العبارة عارف بنفسية الصغار . فيسرد لهم الحقائق العلمية في ثوب اخاذ يستهويهم

مجلة المعرفة

مجلة عربية جديدة تصدر في مصر بعناية الاستاذ عبد العزيز الاسلامبولي . وقد جاءنا العدد الاول منها مشتملاً على مقالات ادبية وفلسفية نفيسة بأقلام طائفة من كبار حملة الاقلام في مصر كالدكتور منصور فهمي والشيخ مصطفى عبد الرازق واحمد شفيق باشا والاستاذ

محمد فريد وجدي وغيرهم . وهي في ١٢٨ صفحة مزدانة بصور كثيرة . وعنوانها شارع بيت القاضي رقم ٥ . فنتمنى لها نجاحاً في مهمتها التهذيبية لخدمة الثقافة في أسمى معانيها

مجلة الاصلاح

اهدى الينا الدكتور جورج صوايا اعداد السنة الثالثة من مجلة « الاصلاح » في ثوب جديد قشيب فألفيناها من ارقى المجلات العربية وفرة وتنويعاً في المادة وعناية بالطبع . وحبذا لو عني قلم التحرير بتحقيق بعض الالفاظ في المقالات العلمية التي يترجمونها . فقد جاء في صفحة ١٠ سطر ١٦ من العدد الثالث لفظة ساتورن للسيَّار الذي يلي المشتري . وقد ذكر هذا السيّار عند العرب بلفظ (زحل) واشار اليه الشيخ ناصيف اليازجي بهذا الاسم في البيت الذي جمع فيه اسماء السيارات المعروفة عن العرب . والعدد الذي بين ايدينا ٧٤ صفحة من قطع المقتطف او اكبر قليلاً وعنوان ادارتها شارع سان مارتن رقم ٦٤ بنوس ايرس عاصمة الارجنتين

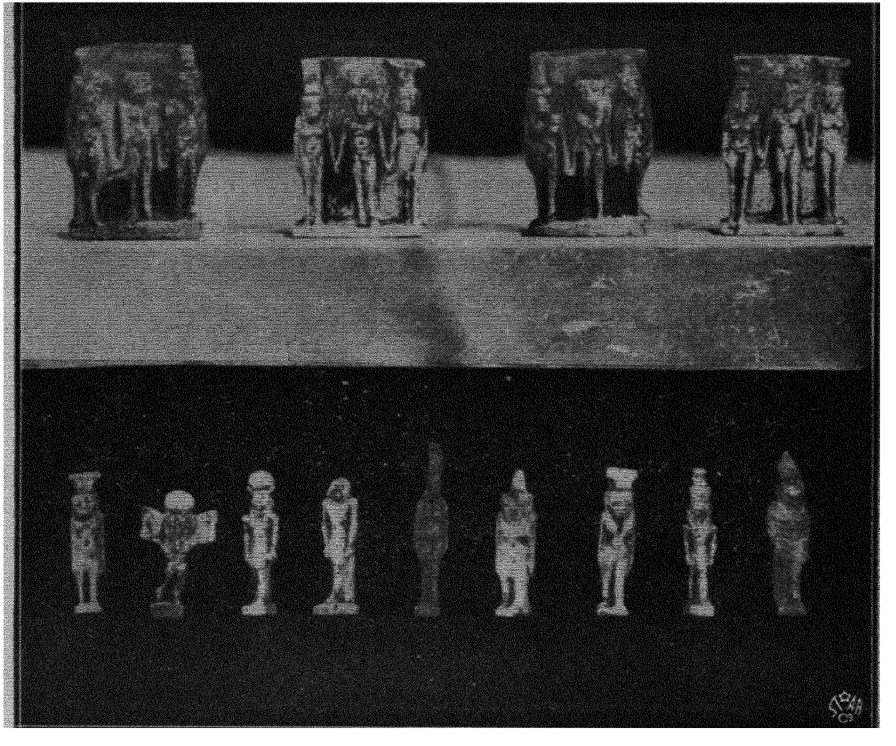
مجلات مدرسية

امامنا اربع مجلاّت مدرسية جديرة بكل تشجيع وثناء . وهي مجلة رقي المعارف تصدرها مدرسة رقي المعارف الثانوية . ومجلة المدرسة العباسية الثانوية . ومجلة مدرسة الملك فؤاد الاول الثانوية بسوهاج . ومجلة مدرسة اسيوط الابتدائية الاميرية والاولى اكبر الاربع حجماً وأعزرها مادة . ولها علافان مطبوعان بالالوان طبعاً متقناً وكلها تشتمل على مقالات وبذ وفوائد علمية وأدبية بأقلام بعض مدرسي المدارس ونخبة من طلابها . ونخص بالذكر المحاضرة النفيسة التي اشتملت عليها مجلة مدرسة الملك فؤاد الاول الثانوية بسوهاج التي القاها الاستاذ احمد فهمي ابو الخير في موضوع « حرب العارات »

فنهيء القائمين بأمر هذه المجلات لما يبدو في آثارهم فيها من حسن استعداد لخدمة الصحافة الراقية بعد تخرجهم من المدارس

مكتبة الفجالة المصرية

اهدى الينا عبد الحميد محمود افندي صاحب مكتبة الفجالة المصرية فهرست الكتب والمطبوعات التي تباع في مكتبته وهو في ٢٢٤ صفحة ويرسل مجاناً لمن يطلبهُ خالصاً اجرة البريد ومن شروط هذه المكتبة ان كل طلب يزيد قيمتهُ على مائة غرش يرسل لصاحبه خالص اجرة البريد داخل القطر المصري والسودان

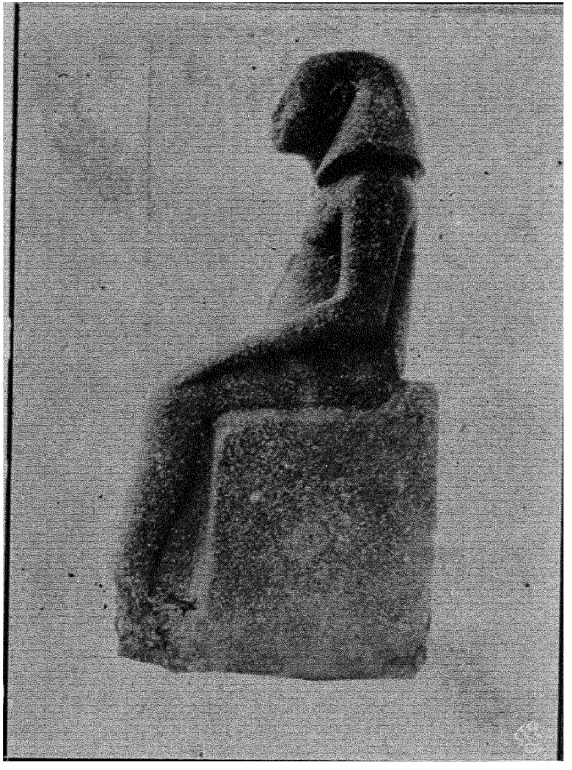


تماثيل صغيرة وقطع من الخزف المطلي تمثل ثالوثاً مؤلفاً من ازيس
ونفتيس وخنسو وشو وساكت وهي لحفيد بتوزيريس

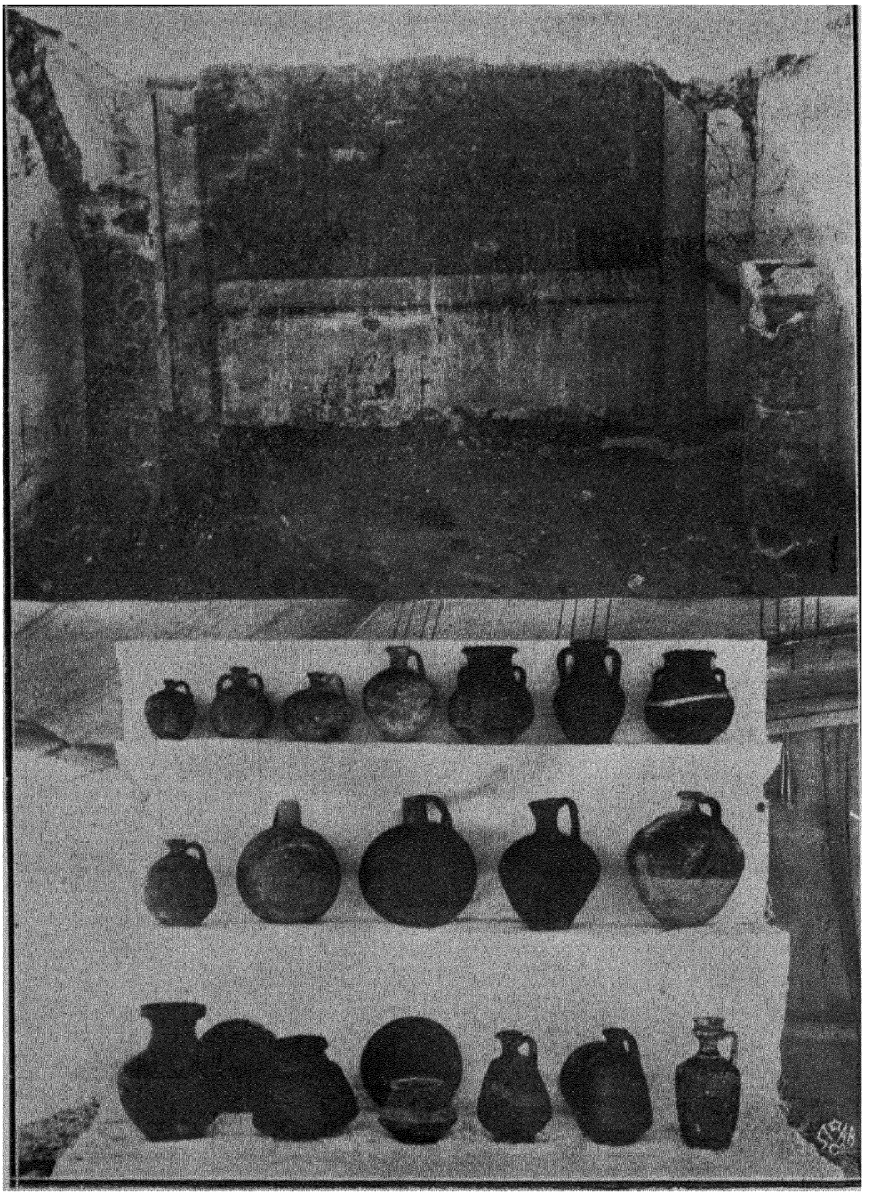
مقتطف يونيو ١٩٣١ — الاخبار العلمية



آنية من الفخّار وجدت في الغرفة الاولى
من المعبد اليوناني المصري



تمثال من حجر الجرانيت لاحد كبار الموظفين المعاصرين
لحفيد بتوزيريس (سنة ٣٠٠ق م)



(فوق) حائط ملوّن بالازهار (تحت) نماذج اوانٍ من الفخّار مطلية وملوّنة وُجدت بالقرب من المعبد اليوناني المصري (قرن ٢ و ٣ م)

باب الأخبار العلمية

وفاة الاستاذ ميكلصن

Prof. A. A. MICHELSON

نعي الينا العالم الاميركي المشهور الاستاذ البرت ميكلصن صاحب التجربة المشهورة بتجربة ميكلصن مورلي التي بنيت على نتائجها نظرية النسبية. توفي في ٩ مايو الماضي بالغاً من العمر ٧٩ سنة. وقد كان الى سنة ١٩٢٩ استاذاً لعلم الطبيعة في جامعة شيكاغو فاستقال في آخر تلك السنة ليتصل بمعهد باسادينا العلمي بكاليفورنيا ليقوم بتجربة مبتكرة العرض منها التدقيق في قياس سرعة النور

وُلد ميكلصن في بولونيا في ١٩ دسمبر سنة ١٨٥٢ وجاء مع والديه الى الولايات المتحدة الاميركية لما كان طفلاً في الثانية من عمره. وعيّنهُ الرئيس غرانت طالباً فوق العادة في المعهد البحري بأنابوليس ولما تخرّج عيّن مدرساً للطبيعة. ثم استقال من منصبه هذا وقصد الى اوربا لكي يتوسع في درس الطبيعة ولدى عودته منها عين استاذاً في مدرسة عالية بكليفلند ثم نقل منها استاذاً الى جامعة شيكاغو

آثاره العلمية

اما آثار الاستاذ ميكلصن العلمية فأشهرها تدقيقهُ في قياس سرعة النور بطريقة المرايا التي استنبطها فوكولت واستنباطهُ للانترفرومتر الذي استعمله اولاً في تجربته المشهورة (سنة ١٨٨٧) المذكورة آنفاً ثم استعمله في مطالب علمية اخرى كلٌّ منها جديد في بابه مثل تعيين طول «المتر المقياس» بأمواج النور وقياس اقطار الكواكب البعيدة وامتحان اثر دوران الارض في سرعة النور. وكل السائح التي اسفرت عنها هذه المقاييس كان لها اثر كبير في العلم الطبيعي الحديث. فعلى تجربته المشهورة بنى اينشتين مذهبهُ في النسبية. وقياس «المتر المقياس» بأمواج النور جهز العلماء بمقياس لا يتأثر بالعوامل الطبيعية كما يتأثر كل «متر معدني». وقياسهُ لاقطار الكواكب البعيدة بالانترفرومتر مكّن العلماء الفلكيين من استعمال هذه الآلة في حل النجوم المزدوجة التي لم تعرف قبلاً انها مزدوجة لبعدها وبهذا اكتشفوا نجم «بيرا». وقد استنبط طريقة لتكسير النور وحلّه بواسطة لوح زجاجي محطط خطوطاً دقيقة قريبة جداً بعضها من بعض Diffraction Grating فكانت هذه الطريقة اداة فعالة في ايدي

علماء الطبيعة في درس الخطوط الطيفية وهي التي اصبح لها في الطبيعيات الحديثة مقام كبير . ثم استنبط آلة تستعمل في تخطيط الواح من هذا القبيل. وفي سنة ١٩٢٦ اعاد تطبيق طريقة المرايا على قياس سرعة النور ولكنهُ استعملها حينئذ في قياس سرعة شعاعة من النور بين جبلين يبعد احدهما عن الآخر نحو ٨٠ ميلاً . ولكي يزيل مايحتمل وقوعهُ من الخطإ قاس المسافة بين مركزي الآلتين على قمتي الجبلين قياساً لم يسبقهُ احد اليهِ في دقتهِ وقد نال جائزة نوبل الطبيعية سنة ١٩٠٧ وهو اول اميركي نال جائزة من جوائز نوبل على الاطلاق ومنحتهُ الجامعات والجمعيات العلمية اعلى درجاتها واوسمتها

رأي جديد في سبب الجنون

شرح الدكتور ويلدر بانكرفت الاستاذ في جامعة كورنل الاميركية والدكتور هومر رتشر الكيماوي في مجلس البحث الوطني الاميركي نظرية جديدة في سبب الجنون امام اعضاء اكادمية العلوم الاميركية بوشنطن فقالا ان كون الانسان سليم العقل او مختلهُ يتوقف على قوام الهلام الدماغي . فاذا كان هذا الهلام اكثف قواماً من المتوسط الطبيعي اصيب الانسان بنوع من الجنون واذا كان الطف قواماً اصيب بنوع آخر . والاول يعالج بادوية من قبيل مركبات البرومور الكيماوية فتلطفهُ والثاني يعالج بالقهوة والكحول فيكثفانهِ

ذلك ان المادة التي يتركب منها الدماغ والاعصاب مادة غروية مثل الهلام المستعمل في الطعام وزلال البيض والميوبير الذي يصنع للسمك . ورأي الدكتورين بانكرفت ورتشر يقوم على ان غرويات الدماغ السليم من كثافة معينة. فكل ما يؤدي الى زيادة كثافتهِ يحدث تهيجاً فجنوناً يليهما موم فقد للشعور فموت. وفي الامكان مكافحة هذه التغيرات بعقاقير تمنع تكثيف المادة الغروية وتجميدها . وكل مايفعل بهذه المادة فيحملها اكثر لطفاً يسبب جنوناً كذلك ولكن من نوع آخر قد يفضي الى الموت . والمصابون بهذا النوع من الجنون يستفيدون من المعالجة بعقاقير تكثف المادة الغروية كالقهوة والشاي او عقاقير اقوى فعلاً كالمورفين والكوكايين والاتروبين والحشيش

واستعمال هذه العقاقير لا يجدد حياة نسيج اتلفهُ الزهري او ما هو من قبيله ولكنهُ يمكن الطبيب من اعادة غروية الدماغ الى حالتها الطبيعية من حيث الكثافة واذا حقن مصابٌ بكثافة المادة الغروية بمادة تلطف قوامها وكانت الجرعة اكثر مما يحتمل اصيب بنوع الجنون الناشيء عن لطف المادة الغروية والعكس بالعكس

ضوء القمر والمخاطبات اللاسلكية

ثبت للدكتور هارلن ستتسن احد علماء مرصد بركنز الاميركي ان ضوء القمر كضوء الشمس يحدث خللاً في المخاطبات اللاسلكية . وقد صرَّح برأيهِ هذا في رسالة

تلاها امام اعضاء معهد المهندسين الكهربائيين الاميركي وجمعية نيويورك الكهربائية

فقد درس الدكتور ستتسن قوة الاشارات اللاسلكية المتبادلة بين نيويورك وبوسطن في بعض السنوات الاخيرة وتبين له ان التقاطها كان اوضح جدًّا في اثناء غياب القمر. ويُظَنُّ ان سبب ذلك هو وجود شحنة كهربائية سالبة على القمر

وقد عني الملارم بُرْكل احد ضباط البحرية الاميركية بدرس اثر ضوء القمر في وضوح الاشارات اللاسلكية التي طول امواجها ٤٠٠٠ متر من غير ان يدري مباحث مرصد بركير وقد وصل الى النتيجة ذاتها ولكنهُ يعلّلها كما يلي : —

من المعلوم ان الامواج اللاسلكية تقطع مسافات طويلة لانها تنعكس من طبقة من الدقائق المتهربة في اعالي الجوّ تبعد عن سطح الارض نحو ستين ميلاً فهذه الطبقة اشبه شيء بمرآة تعكس الامواج اللاسلكية كما تعكس المرآة المنضدة امواج الضوء وتعرف في الدوائر العلمية باسم «طبقة كنلي وهيقسيد» وهما اللذان كشفا عنها . والملارم بركل يعتقد ان هذه الطبقة تنخفض اذا كان القمر في السمت وبذلك يتطرق خلل الى التقاط الامواج اللاسلكية. وهذا العمل شبيه بعمل الشمس. ذلك ان الشمس تطلق من سطحها كهارب اومقادير من القوة فيصيب بعضها جوّ الارض فتمزق جزيئات الهواء . فاذا زاد فعل الشمس عن متوسطه العادي لسبب ما ، كظهور كلف كبيرة ، زاد انطلاق الكهارب منها وزاد تكهرب الجوّ نتيجة لذلك فينجم عن ذلك انخفاض طبقة هيقسيد نحو سطح الارض. وقد ثبت من بحث مستقل آخر ان اضطراب المخاطبات اللاسلكية يزيد في السنوات التي تكثر فيها الكلف

الحامض الكربونيك وحرارة الجو

اذا تضاعف مقدار الحامض الكربونيك في جوّ الارض هبطت حرارتها هبوطاً يكفي لان يكون سبباً في حلول عصر جليدي آخر على سطح الارض . هذه هي نتيجة المباحث التي قام بها الدكتور هلبرت احد علماء معهد المباحث البحرية في الولايات المتحدة الاميركية فقد ثبت من بحثه ان مقدار اكسيد الكربون الثاني الذي في الجوّ يمتص جانباً كبيراً من حرارة ضوء الشمس فلا يدعهُ يصل الى سطح الارض . فاذا زاد مقدارهُ في الهواء او نقص كان لذلك اثر كبير في حرارة الارض لانهُ اذا زاد كثر امتصاصهُ لحرارة ضوء الشمس فيرد سطح الارض كثيراً . وكان الطبيعي الانكليزي تندل قد ارتأى سنة ١٨٦١ ان تغيراً في مقدار اكسيد الكربون الثاني الذي في الجوّ قد يكون كافياً لاحداث العصور الجليدية فقوبل رأيهُ بالانكار والهزء الى ان ثبت من مباحث هلبرت ومباحث رجل آخر يدعى مارس ان لرأيه أساساً علميًّا يستند اليه

الصرع والبلاغرا

لاحظ الدكتور ووكر في احد المستشفيات الاميركية في ولاية جورجيا الاميركية انهُ اذا غذي المصابون بداء الصرع بطعام كثير الدهن تحسنت حالتهم من حيث اعراض الصرع ولكنهم يصابون بالبلاغرا وهو المرض الذي يصاب بهِ الفقراء لقلة فيتامين G في طعامهم

فعني هو والدكتور هويلر احد اطباء مصلحة الصحة العامة بوشنطن بدرس عشرة مصابين بداء الصرع فوجدوا انهُ اذا غذوهم بطعام كامل الا انهُ خال من فيتامين قلت كثيراً نوبات الصرع التي تصيبهم وتحسنت الاعراض العصبية التي تصحب الصرع عادة ولكنهم اصيبوا من جراء ذلك بالبلاغرا فلما عولجت البلاغرا بتغذيتهم بالخميرة — اي بمادة غنية بفيتامين — عادت اعراض الصرع الى كثرتها وقوتها الاولين

على انهما لا يحكمان حكماً قاطعاً في ما يترتب على هذه التجارب ولا يقترحان معالجة الصرع بالبلاغرا على نسق معالجة الشلل العام بالملاريا وانما يشيران الى ان هذا ميدان واسع للبحث المجدي

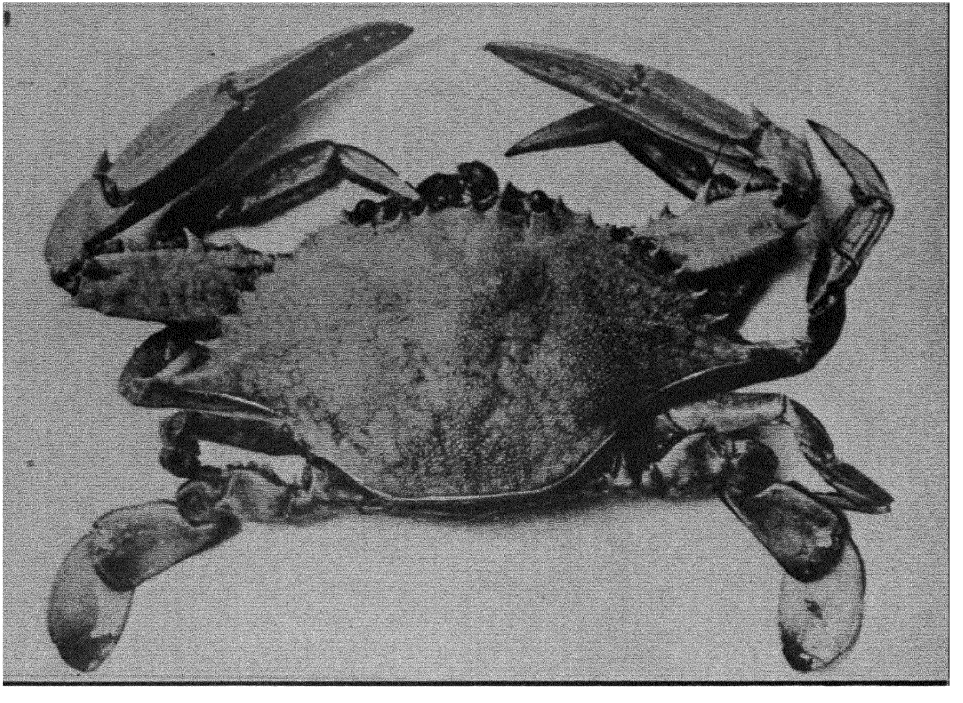
مراعم اسماك القد

يظهر ان مقام سمك القد كأغنى مصدر لفيتامين (ا) مرعزع الاركان . فقد كتب الاستاذ بولسن احد علماء معهد الفيتامين الحكومي في بلاد نروج ان فصيلة القد تشتمل على ٧٠ ضرباً او ٨٠ كلها غنية بالفيتامين غير سمك القد نفسهِ وان هناك اسماكاً من غير فصيلة القد تفوق القد في ما تحتويهِ من هذا الفيتامين

ففصيلة اسماك القرش مثلاً يستخرج من اكبادها زيت يحتوي على مقدار من الفيتامين (ا) يفوق مقداره في زيت كبد القد نحو ثمانية اضعاف وزناً بوزن ولكن مقدار فيتامين (د) في زيت كبد القد يفوق مقداره في زيت القرش ثم ان معرفة طبائع سمك القد ودقتهُ في وصوله الى بعض البحار في مواعيد مضبوطة يجعل صيده واستخراج الزيت منهُ اسهل وأضبط

من البحر الاحمر الى بورسعيد

ترى القارئ في الصفحة المقابلة صورة سرطان (ابو جلمبو) قطع ترعة السويس من السويس الى بورسعيد في ٢٩ سنة والمسافة نحو مائة ميل بمتوسط ٢٢ بوصة في الساعة . شوهد من ٢٩ سنة في البحر الاحمر فكتب التاريخ على لوح صغير وربط بهِ ووصل من عهد قريب الى بورسعيد واللوح لا يزال مربوطاً بهِ والفضل في هذا البحث للاستاذ عروقيل الفرنسي من علماء حديقة الحيوانات في باريس . وقد مضت عليهِ سنون وهو معنيٌّ بدرس حركة الاسماك والاصداف بين المحيط الهندي والبحر الابيض المتوسط يعاونهُ في ذلك بعض علماء جامعة كمبردج



من البحر الاحمر الى بور سعيد في ٢٩ سنة

حنطة المدافن القديمة

يرى الاعتقاد بين الناس ان في القبور القديمة حنطة اذا اخذتَ حبوبها وزرعتها افرخت. وأشار بعض الكتاب من عشرات السنين الى الحنطة المعروفة «بحنطة المومياء» المأخوذة من مدافن مصر القديمة. فلما كشف المستر كارتر عن مدفن توت عنخ آمون عني الباحثون بهذه المسأله من جديد. والآن يدعي احد الزراع الاميركيين انهُ اخذ حنطة اصلها من مدفن توت عنخ آمون وزرعها فأفرخت ونمت. واذاعت الصحف هذا القول على انهُ حقيقة علمية لا مراء فيها والواقع ان المسألة انما هي مسألة حيوية البزرة. فبعض البزور لا تفرخ لسرعة فيقال عنها انها في حالة كامنة وهذه الحيوية تختلف باختلاف البزور. فالبلوطة تظل حية مدة فصل واحد مع ان بزور الفجل البري تظل كذلك من عشرين الى ثلاثين سنة. وبزور الحنطة تفرخ احياناً وهي لا تزال في السنبلة اذا اصابت من الرطوبة والدفء ما يكفل ذلك وقد ذكر الاستاذ همرلي في مجلة نايتشر من نحو ثلاثين سنة لدى معالجتهِ لهذا الموضوع ان حبوب الفول التي مضى عليها نحو مائة سنة محفوظة في منبت تورفور افرخت لما زرعت. وان بزور المستحية (عيسى) تحتفظ بحيويتها وقدرتها على الافراخ نحو ٦٠ سنة

اما احتفاظ حبوب الحنطة بمقدرتها على الافراخ الوف السنين فمسألة اخرى. وقد كتب السر ولس بدج رسالة الى التيمس في ٢٣ ابريل الماضي ذكر فيها انهُ اعطى حبوباً من مدفن يرجع تاريخهُ الى القرن الثاني عشر قبل الميلاد الى السر وليم تيلستن دير ليمتحنها لهُ في المحطة الزراعية بكيو فذكر انها لا تفرخ وقد جرّب ذلك كثيرون من الباحثين ووصلوا كلهم الى النتيجة نفسها ولكن لا بد من تعليل النتائج التي حصل عليها بعضهم اذ يمكنوا من افراخ بزور يقولون انها من مدافن قديمة جدًّا. فهل هم متأكدون ان البزور نفسها قديمة جدًّا. اد المشهور ان مدافن المصريين القدماء بشت مراراً واستعمل بعضها اهراء للحنطة افلا يجوز ان تكون الحبوب التي انبتها المزارع الاميركي حديثة العهد؟ ثم ان حبوب الحنطة القديمة اصبحت مشهورة جدًّا بين السياح فيدسُّ البراعة حبوب الحنطة في الارض ثم ينبشونها امام السياح حلباً لرصانهم وبقشيشهم. الحنة التي تستطيع الافراخ حبة لا تزال حية تتنفس والانحلال سار فيها ولو كان بطيئاً لانها تخرج من مادتها شيئاً بالتنفس ولا تأخذ شيئاً بالعداء وسرعة هذا الانحلال تختلف ولكن لا يحتمل ان يستغرق آلاف السنين

تسمية جبل افرست

جبل افرست اعلى قمة في جبال حملايا واعلى قمة فوق سطح الارض على ما يعلم شاهده رجال المساحة الهندية اولاً سنة ١٨٤٩ ولكنهم لم يتحققوا من علوه الشاهق الاّ

بعد انقضاء ثلاث سنوات على مشاهدته الاولى . لانك اذا نظرت اليه من سهول بيال رأيته قمة بين قمم كثيرة منطادة في الجو وبعده عن حدود الهند — لانه في الناحية الاخرى من بيال — يمنع مشاهدته من الهند نفسها . لذلك لم يعجب رجال المساحة اذا لم يجدوا له اسماً هندياً فاقترح اولاً ان يدعى باسميه الياليين وهما « دقادهونجا » و« حاوْرتسنكار » . ثم ثبت ان الاول ليس اسماً لقمة والثاني يطلق على قمة اخرى . وكان لا يسمح للهندسي المساحة في تلك الايام الدخول الى تيبت فلم يعرفوا اسمه في تيبت وكان لابدّ لهم من تسميته باسم ما فأطلق عليه سنة ١٨٦٥ اسم السر حورح اورست احد كبار موظفي مساحة المثلثات بالهند

والآن يقترح الدكتور سڤن هدن الرحالة المشهور العدول عن اسم جبل اورست الى اسم « كومولونجما » وهو اسمه في تيبت ولكن ما يتشر تقول ان « كومولونجما » يطلق في تيبت على منطقة لا على قمة واحدة . وان العدول عن اسم مشهور متداول في كل كتب الرحلا وكتب الجغرافيا عمل لا تجنى منهُ فائدة ما

السينما والاختراع الجديد

يصح تشبيه سرعة شيوع السينما بسرعة شيوع المسكرات والدخان ولو ان وجوه الشبه تكاد تكون معدومة ويجوز تشبيهها بشيوع الطباعة ولو انها اسرع من هذه واعم لان شيوع الطباعة يقتضي تعلم القراءة وهو ليس بسهل في حين ان شيوع السينما لا يحتاج الى جهد خاص فحضور التمثيل بضع مرات يكفي لفتح العيون للاحاطة بالمناظر التي تعرض فيها بعد

وقد تقدم فن السينما تقدماً عجيباً في مدة قصيرة فبعد ما كان صامتاً صار ناطقاً وفيه الانشاد والعزف بالموسيقى وبعد ما كان بلون قاتم صار ملوناً ولم يبق امامه سوى امر واحد وهو تجسيم المناظر والاشخاص اي اظهارها بالحجم من حيث الطول والعرض والعمق او الثخن وهو ما لم يتح حتى الآن فمتى تيسر لا يبقى للتمثيل المسرحي مزية على السينما وصار من المستطاع تمثيل جميع الروايات وروايات الاوبرا بالسينما واختيار اعظم الممثلين والممثلات والمنشدين والمغنيات للروايات السينمائية

وفي اثناء انكلترا انهم وقفوا انفسهم الى اختراع جديد في تلوين افلام السينما سيحدث انقلاباً عظيماً في هذه الصناعة وليس في هذا شيء من الغرابة فان صناعة شائقة هذا الشيوع وفي النجاح فيها ربح مالي وشهرة واسعة يكثر المشتغلون باتقانها واجادتها ويعظم عدد المولعين بها من الرجال والنساء ولا سيما الفتيان والفتيات . وفي الدنيا اليوم الوف من الفتيان يطمع كل منهم بأن يكون شعاليه او بافارو او مانجو والوف من الفتيات تطمع كل منهن بأن تكون جريتا جاربو او ماري

بكفورد او بولانجري او نورما شيرر

ان هذا النجاح العظيم من الوجهة الصناعية والفنية سيؤول الى زيادة الاقبال على السينما واكثار انصارها وبالتالي زيادة خطرها اذا لم يقابل بزيادة التدقيق والعناية بما يعرض والدين يشهدون العرض . ففي بعض مدن اوربا لا يسمح للاولاد الى سن العاشرة بحضور التمثيل في ساعة متأخرة من المساء والى ما دون الخامسة عشرة في مواعيد اخرى وهنالك روايات معينة لايجوز ان يشهدها القاصرون من البنين والبنات

وفي بلدان اخرى يشترطون على دور السينما ان تعرض مناظر تعليمية وتهذيبية

والخطر الاكبر هو من التدرع بالسينما لبث الآراء والمذاهب الاجتماعية الضارة في قالب روايات لطيفة تستوقف النظر وتستهوي الافئدة

ترى هل نحن مقبلون على عصر تصير فيه البانوراما ودور الاوبرا من الآثار القديمة ولا يبقى سوى دور السينما ودور اللهو المعروفة بميوزيك هول

علاج جديد للانيمياء

اذا عمست الواحاً من الحديد والنحاس في اللبن حتى تذوب منها مقادير ضئيلة فيه وأُخذ هذا اللبن وغذي به المصابون بالملاريا نجح فيهم هذا العلاج. هذا رأي الدكتور ماكجي Mc Ghee الكيماوي الحيوي بجامعة اموري في ولاية جورجيا الاميركية . ويطلق على هذا اللبن اسم اللبن المعدن Metalized وباسمائه يستطيع المصاب ان يتناول جرعة ضئيلة من النحاس والحديد يباع وزنها ربع وزن طابع من طوابع البريد . والغريب ان اللبن المعدن لا يختلف عن اللبن الطبيعي رائحة وطعماً ولوناً وانما يجب ان تكون الالواح المعدنية نقية من الشوائب

اخبار متفرقة

في منتصف ابريل الماضي وقع انقلاب في نظام حكومة اسبانيا ادعا در الملك الفونسو واسرته مدريد عاصمة مملكته الى فرنسا على اثر الانتخابات التي فاز فيها الجمهوريون فتألفت حكومة جمهورية برآسة السنيور زامورا واعلنت زوال الملكية في اسبانيا

فوجىء الناس في مصر في مساء ١٢ مايو الماضي ببيان تناول سمو الخديو السابق عن كل دعوى له على عرش مصر واعترافه بالنظام الحالي للمملكة المصرية واعلان ولائه لجلالة عمه الملك فؤاد الاول

نشرنا في صدر هذا الباب طائفة من صور الآثار التي عثر عليها في تونة مدينة هرموبوليس المقدسة . والبعثة التي تنقب هناك تمثل الجامعة المصرية ويرأسها الدكتور سامي جبره احد امناء المتحف المصري ومدرس الآثار المصرية القديمة بكلية الآداب

الجزء السادس من المجلد الثامن والسبعين

صفحة
٦٤١ اساطين العلم الحديث : هري موزلي (مصورة)
٦٤٩ المعركة اليومية في الجسم البشري . للدكتور علي توفيق شوشه بك
٦٥٥ لورنس في الميزان . للدكتور عبد الرحمن شهبندر
٦٦٤ وقفة الوداع (قصيدة) . لمحمود ابو الوفا
٦٦٥ منطق الاكتشاف والاختراع (مصوّرة)
٦٧٣ حنين العرب الى بني امية . للاستاذ بندلى جوزى
٦٧٩ جفاء الطبيعة (قصيدة) . لحسن كامل الصيرفي
٦٨١ ديدرو وعصر الاسكلوبيذيا . للاستاذ هارولد لاسكي (مصورة)
٦٨٩ اسعام النفس في الاشياء والناس . لاديب عباسي
٦٩٥ التوراة مستوحى الكتاب . لالياس ابو شبكه
٧٠٠ الاشعة والحياة . للدكتور لبيب شحاته
٧٠٨ دمعة القلب . لاناطول فرنس (مترجمة)
٧١١ فروق الذكاء
٧٢٦ النظرية السلوكية . للاستاذ يعقوب فام
٧٢١ مكانة سوريا في التاريخ العالمي . لاحمد بديع المغربي
٧٢٧ التاريخ المركب
٧٣٠ المواد المخدرة تفتك بأمة.للدكتور عبد الوهاب محمود
٧٣٤ حطام (قصة)

٧٢٠ باب المراسلة والمناظرة * كتاب الامبراطورية المصرية فى عهد محمد علي : للدكتور محمد رفعت
٧٤٥ باب الزراعة والاقتصاد * رواية الازمات الاقتصادية . حفظ العلف الاخضر (مصورة)
٦٢٠ مكتبة المقتطف (مصورة)
٦٣١ باب لاخبار العلمية * وفيه ١٤ صورة (مصورة)

يناير الى يونيو سنة ١٩٣١ JANUARY—JUNE 1931

المقتطف

مجلة علمية صناعية زراعية

لمنشئيها

الدكتور يعقوب صرُّوف والدكتور فارس نمر

المجلد الثامن والسبعون

AL-MUKTATAF

A MONTHLY ARABIC SCIENTIFIC REVIEW

Edited by FUAD SARRUF

VOL. LXXVIII

FOUNDED 1876 BY DRS Y. SARRUF & F. NIMR

فهرس المجلد الثامن والسبعين

وجه

(ا)

* آلهة الارض ٧٥١
ابن الراوندي ٤٥٣
* الاتوجيرو ٣٩٣
الاخلاق قياسها ٤٣
* الادريسي امام عسير ٣٣٨
الارض عمرها ومن
عليها ٢٨ و١٦٨
اروس النجيمة اقترابها ١٥١
الازمات الاقتصادية
رواياتها ٧٤٥
* الاستهتار تفشيه
واسبابهُ ١٦٢
الاسلوب العلمي واثرهُ ١٢٩
الاشعاع من الكائنات ٣٨٠
* الاشعة والتكبير بها ١٢٤
اشعة جديدة لاسلكية
مفيدة للمخاطبات ٦٣٤
اشعة الشمس وفائدتها ٧٠٠
الاشعة فوق البنفسجية
دوزتها ٥٨٤
اشعة مصطنعة نافذة ٣٨٠
* افامية آثارها ٣٣٢
اقرست تسميته

وجه

* الاكتشاف
والاختراع ٦٦٥
الالكترونات
والبروتونات ١٦٠
الياس فياض ٤٩ * ١٢٦
الامبراطورية المصرية
(نقد) ٧٤٠
الامراض العصبية ٤٩٧
امرىء القيس ٢١٠ و٤٨١
الامومة عند العرب ٩٤
الانتحار ٥٢
*الانسان المتمدن قدمهُ ٧٠
* الانسان مقامهُ في
الكون ٤٦٧

(ب)

* باولوف ٣١٧
البتاني ابو عبد الله ٦٣
البحث الاثري في
فلسطين ١٢٤
* البريد تاريخهُ في
مصر ١٧٦
البريد الجوي الاسراع
به ٦٣٧
* بلانك الاستاذ ١٢٧

وجه

* بلانك حديثه ٤٣٥
البلون ر ١٠١ وفاجعتهُ ٦٣٥
البنجر زرعهُ ٢٢٨
البيروني ابو الريحان ٦٠٢

(ت)

التاريخ عبرهُ ٢١٤
التاريخ فلسفتهُ ٧٧ و١٨٩
و٢٦٢ و٤٧٦ و٥٢٤
التقدم في التاريخ ٢٩٠
التنجيم الجديد ٩ و٢١٧
التوراة والادب العربي ٦٩٥
تيمور محمود ادبهُ ٥٠٠

(ث)

ثابت بن قرة ٣٠٣
الثقافة العاملة والعاطلة ٨٦

(ح)

* جبران خليل جبران
آثاره ٥٩٧ * و٦٣١
* جبر صورة تمثاله ٦٤٠
الجنون سببهُ ٧٦٢

(ح)

الحبوب القديمة افراخها ٧٦٥
الحركة الجسدية في الطفل ١٠٦
الحضارات مصيرها ٣٣ و١٥٣

وجه
* الحضارة ونشوء
• السلالات ٥١٣
حطام (قصة) ٥٩٠
الحقيقة الطبيعية
مقياسها ٥٤٢
حكاية مسافر ٦
حفني ناصف ٢٥٣
* الحيوان ذكاؤه ٣٩٧
(د)
* دار الآثار العربية ٣١٩
* داي الاستاذ وفاتهُ ١٢١
الدزدار والبراق ١١٨
* ديدرو ٦٨١
الدفثيريا ولقاح رامون ١٠١
ديراك رأيهُ ١٦٠
الدين والعلم ١٧٣
* ديوي الاستاذ ٧١٦
(ذ)
الذرّة القوى المذخورة
فيها ٢٠٢
الذكاء فروقهُ بين
السلالات ٧١١
الذهب وعواقب خزنهِ ٢٣١
(ر)
*رابليه والملحمة الهزلية ٥٣٣
* الراديو عجائبهُ المقبلة ١٦
* رامان وجائزة نوبل ١٢٢
وجه
رسائل الحبّ في الادب
العربي ٢٨١
(ز)
الزكام اسبابهُ وعلاجهُ ٢٢١
(س)
*السفن السهمية ٣٠٧
* السلوكية نظريتها ٣١٤
و٤٤٦ و٥٥٧
سوريا في التاريخ العالمي ٧٢١
(ش)
الشمس العلاج بنورها ١٠٣
شوقي شعره ١١٢
(ص)
الصرع والبلاغرا ٧٦٤
صروف الدكتور لجنة
تخليد ذكرهِ ٦٣٨
صلب المسيح تاريخهُ ١٢١
الصناعات المصرية حمايتها ٣٥٧
الصور المتحركة اول صانع
لها ١٢٥
الصين والحالة الاقتصادية ٢٣٣
(ض)
الضباب وقتلاهُ ١٢٣
ضماد جراحي قديم ١٢٦
(ط)
الطبيعة في ١٩٣٠ — ٢٥٤
طبق الفول (قصة) ٤١٧
وجه
الطفل تربيته جسديًّا
وعقليًّا ٢٢٥
« تعليمهُ ٤٩٥
طفلٌ ذو رأسين ٣٨٢
* الطفيليات في المجتمع ٥٣٧
* الطيران المدني بين
عهدين ١٣٥
(ع)
العبقرية صفاتها ٤٢٢
العرب وبنو امية ٦٧٣
*العلف الاخضر حفظهُ ٧٥٠
العلم امس واليوم ١ و١٤٧
و٢٨٨ و٤١٣ و* ٥٢٩
العلم حاجتهُ الى شاعر ٢٥٢
العلم والحكومة ١٢٣
علوم الاحياء في التعليم
والحياة ٩٢٢
العلم والصوفية ٤٠٩
العلوم الطبيعية
والاجتماعية ١٨١
العلوم فضلها على العالم ٣٩٠
علم النفس الانموذجي ٥٥٠
علي ابرهيم باشا ١٩٧
(غ)
غراف زبلين رحلتهُ
المصرية ٦٣٧

وجه

غراف طيرانهُ الى القطب الشمالي ٦٣٧

(ف)

الفاكهة المجففة وقيمتها ٩٩
*فراداي الاحتفال به ١٢٩
الفصح الاول تاريخهُ ٦٣٦
* الفكر مظاهره عند قدماء المصريين ١٣٨
فوزي المعلوف ٣٧٤

(ق)

قصائد ٧٣ و١٨٧ و١٨٨ و ٤٠٨ و٥٥٥ و٦٦٤ و ٦٧٩ و ٧٠٨
قطن المعرض ٢٣٣
القمر ٦٧
القمر واللاسلكي ٧٦٢
القوّة (يودزوس) ٤٣٨

(ك)

الكبد حلاصتهُ في انعاش النبات ٢٥٥
كتب جديدة ١١٢ — ١١٨ و٢٤٤ـ٢٥٠ و٣٧٤ـ٣٧٩ و٣٠٥ـ٥٠٠ و٦٢٠ـ٦٣٠ و٧٥١ — ٧٦٠
كرم سيدة لبنانية ١٢٦
كهربة القطر المصري ٣٨٥
« « « ومشروع خزان اسوان ٥٢٠
* كوري ومدامتهُ ٢٠
* الكون المحجّب بالاسرار ٣٢٣
الكوتم ما هو ٥٨
* كيث السر ارثر ٥١٣

(ل)

اللبن صيانتهُ ١٠٤
اللجنة التجارية البريطانية ٣٦٣
لورس الكولوبل ٢٦٩ و٤٢٧ و٦٥٥
اللؤلؤ المولّد ٤٦٣

(م)

المادة الحية صنعها ١٣٤ و٢٧٧
الماضي والمستقبل ٥٧٦
المجمع المصري للثقافة العلمية ٢٥٣
المجمع اجتماعه السنوي ٥٠٤-٥١١
المراصد في القطر المصري ٤٥٩
* مدينة سورية قديمة ٤٠
المدينة الكاملة ٥٦٣
المذاهب الطبيعية تحولها ٥٧٢
المساكن اجورها ٢٣٢
* مصنع الغزل والنسيج المصري ٢٢٩ و٦١٨
معجم اسماء النبات ٨٨ و١١٥ و٢٣٦ و٣٤١

وجه

المعرض الزراعي الصناعي ٣٥٩ و٤٨٩ و٣٦٦ و٦١٢
المعركة اليومية في الجسم ٦٤٩
المعري وداعي الدعاة ٨١
المكروبات والكهربائية ٢٥٥
* مكسول الاحتفال به ٢٥٧
* مسلكس حطة الرآسة ٢٥١
المواد المخدرة ٦٠٧ و٧٣٠
المودة والتواليت ٣٦٧
* موزلي سيرتهُ ٤١
الملاريا والطيور ٣٨٣
ميكلص، وفاته ٧٦١
الميلاد سرُّه (قصيدة) ١٤

(ن)

* نجع حمادى قناطرها ١٠٩
النحل مؤتمر تربيتها ٣٦٠
النثر العربي في القرن ٢ و٣ هـ ٢٠٤
النفس ادغامها في الاشياء ٦٨٩
النسيان والحياة العقلية ٧٤
النشوء العضوي تاريخ فكرته ٢٥٧

(هـ)

هايل الدكتور ١٢٧
هرمون الغدة فوق الكلية ٣٨٢

(لا)

* اللاسلكي بين القاهرة ونيويورك ٦٠٢
*لاندشتينر وجائزة نوبل ١٢٣

الى مشتركينا الكرام

في المقتطف

الدين لم يسددوا بعد قيمة اشتراكهم عن ١٩٣٠

ترجو ادارة مجلة المقتطف من حضرات المشتركين الذين لم يسددوا بعد قيمة اشتراكهم في المقتطف ان يتكرموا بتسديدها كي تبادر الادارة الى ارسال الهدية اليهم — وهو كتاب ثمين يقع في ٢٨٠ صفحة كبيرة عدا عشرات الصور المتقنة

ولا شك عندنا ان المشتركين الذين تأخروا للآن في ارسال قيمة الاشتراك يبادرون عند قراءتهم هذا الى موافاتنا بها لكي لا تتأخر عليهم الهدية التي صدرت ووزعت على عموم المشتركين المسددين ؟

تنبيه : — حيث يوجد وكيل للمقتطف في كل بلاد فالافضل التسديد اليه رأساً والا فالى الادارة وعنوانها

ادارة مجلة المقتطف — مصر — القاهرة

Al-Muktataf — Cairo — Egypt.

ادارة المقتطف

تخفيض كبير في اثمان

مطبوعات المقتطف والمقطم

الكتب المفيدة نور العقول — المطالعة غذاء النفوس

في ادارة المقتطف والمقطم طائفة من افيد الكتب العصرية والروايات الادبية الشائقة وكلها تباع باثمان رخيصة وهاك بيانها

الثمن الحالي	الثمن الاصلي		الثمن الحالي	الثمن الاصلي
٢٠	٢٥	كتاب سر النجاح (للدكتور يعقوب صروف)	٣	٥
١٧	٢٥	« بسائط علم الفلك	٣	٥
١٥	٢٥	« اعلام المقتطف	١٢	٢٥
١٥	٢٥	« العلم والعمران	٨	١٥
١٥	٢٠	« مختارات المقتطف	٦	١٠
١٥	٣٠	تاريخ الحرب العظمى ٦ اجزاء		
٧	١٠	« الحرب بين انكلترا وفرنسا	٦	١٠
١٥	٣٠	« سوريا لحورجي يني		
١٠	٢٠	تاريخ الاسرائيليين لشاهين بك مكاريوس	٦	١٢
١٠	٢٠	تاريخ ايران « « «	٦	١٢
٨	١٥	تاريخ حرب السودان	٣	٥
٢٠	٣٥	الدستور المصري والحكم النيابي	١	٥
٤	٨	مريض المرصى	٥	٦
٨	١٥	ثورة العرب — مقدماتها — اسبابها — نتائجها		
١٥	٢٥	حضارة العرب — تاريخهم — علومهم — آدابهم — اخلاقهم — عاداتهم		
٦	١٠	اعمال المجمع العلمي الشرقي		
٧	١٠	جبة الازواج		

		ترجمان عربي انكليزي	٣	٥
		« عربي فرنساوي	٣	٥
		ديوان التعاويذي	١٢	٢٥
		« الشرح الوافي	٨	١٥
		ديوان نسمات الاوراق شعر خليل اليازجي	٦	١٠
		كتاب الكائنات لجميل صدقي الزهاوي	٦	١٠
		كتاب سر مملكة لسليم سركيس	٦	١٢
		السمير في السفر	٦	١٢
		العادة للاستاذ جبر ضومط	٣	٥
		طريقة الصحة والعادة والاشراح لكورزوك	١	٥
		معجم الاحلام لاسير وجسري	٥	٦
		الروايات		
(للدكتور صروف)		رواية فتاة مصر	٩	١٥
		رواية امير لبنان	٧	١٢
		رواية فتاة الفيوم	٧	١٢
(لاسد داغر)		رواية الاميرة المصرية	٩	١٥
		رواية اميرة انكلترا	٧	١٢

ملحوظة: من يشتر ما قيمته خمسون قرشاً او اكثر يخصم له ١٠ ٪. هذه الاثمان يضاف اليها اجرة البريد في الخارج

قائمة سلسلة المطبوعات العصرية

التي عنيت بنشرها ادارة المطبعة العصرية بشارع الخليج الناصري رقم ٦ بالفجالة بمصر

صندوق بوستة ٩٥٤ مصر تليفون ٢٠-٥٦ مدينة

ص	
٣٥	القاموس العصري انكليزي عربي (طبعة ثانية)
٧٠	القاموس العصري انكليزي عربي (طبعة ثالثة)
٣٥	القاموس العصري عربي انكليزي (طبعة اولى)
٧٠	القاموس العصري عربي انكليزي (طبعة ثانية)
٣٥	القاموس المدرسي عربي انكليزي وبالعكس
٣٠	قاموس الجيب عربي انكليزي وبالعكس
٢٠	قاموس الجيب عربي انكليزي فقط
١٥	قاموس الجيب انكليزي عربي فقط
٧٠	قاموس سقراط عربي انكليزي (باللمط)
٥٠	قاموس سقراط انكليزي عربي (باللمط)
١٠٠	قاموس سقراط انكليزي عربي وبالعكس
١٠	التحفة المصرية لطلاب اللغة الانكليزية (مطول)
١٢	الهدية السنية لطلاب اللغة الانكليزية (باللمط)
١٥	في اوقات الفراغ
١٠	عشرة ايام في السودان
١٢	مراحمات في الادب والفنون
٢٠	روح الاشتراكية
١٥	روح السياسة
١٠	الآراء والمعتقدات
٢٠	اصول الحقوق الدستورية
١٠	الحضارة المصرية
٨	مقدمة الحضارات الاولى
١٠	الحركة الاشتراكية
٢٠	ماقي السبيل في مذهب المشوء والارتقاء
١٠	اليوم والغد
١٠	مختارات سلامه موسى
١٠	نظرية التطور وأصل الانسان
٢	اناتول فرانس في منزله
١٥	الدنيا في اميركا
١٠	المرأة الحديثة وكيف تسوسها
١٠	حصاد الهشيم
١٠	قبض الريح
١٠	نسمات وروائع شعر منثور مصور
١٠	رسائل غرام جديدة
١٠	الغرائل في الادب العصري

ص	
١٠	التربية الاجتماعية
٥	حواطر حمار
٨	التعليم والصحة
١٥	الحب والزواج
١٥	ذكرى وابنى حلقهم
٥٠	علم الاجتماع (جزآن كبيران)
١٥	اسرار الحياة الروحية
٢٥	المرأة وفلسفة التناسليات
٣٠	الامراض التناسلية وعلاجها
١٥	الرسقة الحمراء
١٠	تايبس
١٠	مكايد الحب في قصور الملوك
١٠	القصص العصرية (٨٠ قصة كبيرة مصورة)
١٠	مسارح الادهاس (٣٥ قصة كبيرة مصورة)
١٢	رواية اهوال الاستبداد ، مصورة
١٠	رواية فاتنة المهدي ، او استعادة السودان
٨	رواية الانتقام العدب
٨	فقر وعفاف
١٢	رواية ماريريت ، مصورة
١٢	غرام الراهب او الساحرة المحدوره
٧٥	رواية روكامبول ، ١٧ جزء
٢٥	رواية ام روكامبول ، ٥ اجزاء
٢٠	رواية ناردليان ، ٣ اجزاء
٢٠	رواية الملكة ايرانو ٤ اجزاء
٢٠	رواية الاميرة فوستا ، جزآن
٢٠	رواية عشاق فينسيا ، جزآن
١٦	رواية كابيتان ، جزآن
١٦	رواية الوصية الحمراء ، جزآن
١٥	رواية فلمرج ، جزآن
١٠	رواية فارس المنك
١٠	رواية ضحايا الانتقام
٥	رواية المتسكرة الحسناء
٥	رواية مروضة الاسود
٥	رواية شهداء الاخلاص
١٢	رواية المرأة المفترسة

هذه الاثمان بالقرش المصري ويضاف اليها اجرة البريد

معجم شرف

في العلوم الطبية والطبيعية

يحوي هذا المعجم الكبير المسمى على المعارف الحديثة جميع الألفاظ الطبية ومصطلحات العلوم العصرية بصورها وفروعها وشعبها، ولا يمكن أن يستغني عنه متعلم ومتعلم ولا أديب ولا صحافي وأساتذة المدارس العالية والثانوية وتلاميذها وهو مطبوع طبعاً أنيقاً على ورق فاخر ومجلد تجليداً متيناً بالكاليكو الذهبي بالقصاصيل العصرية الثمينة ويطلب من جميع المكاتب الشهيرة في العالم العربي، ومن المؤلف الدكتور محمد شرف الحاج بمستشفى الملك بالقاهرة، ومن المكاتب المصرية في المواسم الأوروبية

الكلية

مجلة جامعة بيروت الاميركية

يشترك في تحريرها اساتذة جامعة بيروت الاميركية فتصدر مرة كل شهرين في ٨٠ صفحة حاوية لمقالات ممتعة في أدب اللغة والفلسفة — والعلوم الطبيعية والرياضية — والتاريخ والاجتماع — والطب والصحة

مديرها المسؤول — شحاده شحاده

بيروت

خطاط جلالة الملك

المحامي نجيب بك هواويني

واضع كتاب التزوير الخطي

مستعد لفحص الاوراق المطعون فيها بالتزوير واعطاء تقارير فيها. ويتولى عمل كليشيهات واختام. ويطلب منهُ ومن مكتبة امين افندي هندية بالموسكي بمصر ومن المكاتب المشهورة تآليفه وهي: (١) كتاب التزوير الخطي وهو اول كتاب وضع لمعرفة الخطوط والاختام المزورة والصحيحة عربية وافرنجية لا يستغني عنهُ احد من المحامين والقضاة والخبراء واصحاب الاشغال وهو علمي عملي ثمنهُ ٥٠ قرش صاغ. (٢) كراريسه السلاسل الذهبية الرقعة والنسخ والثلث والفارسي لتعليم الخطوط الجميلة بأسهل اسلوب مبتكر ووقت قصير. (٣) المجلة وهي مجلة الاحكام العدلية مشروحة ومشكلة بقلمه وهذه المجلة والتزوير الخطي مقررين رسميًا في سورية وغيرها والكراريس الخطية مقررة من قديم لدى وزارة المعارف في تركيا وغيرها من البلاد العربية ومنتشرة في المدارس المشهورة في جميع البلاد

يكفي كتابة كلمة « مصر » عند مخابرة هواويني. او مخاطبة تليفون ٣٣٠ مدينة

وكلاء المقتطف ومحلات الاشتراك

في القاهرة ادارة المقتطف والمقطم وعن يد وكيلها محمد افندي الحزار

في الاسكندرية والبحيرة مصطفى افندي سلامه في دمنهور

في الغربية والدقهلية والشرقية والمحافظات محمد افندي صالح في طنطا

في المنوفية والقليوبية الشيخ محمد زوين السرسناوي بالشهدا منوفية

في بني سويف — فرج افندي غبريال ببني سويف

في اسيوط — ناشد افندي مينا المصري في اسيوط

في جرجا — الشيخ عبد الهادي احمد في طهطا

في المنيا — ابو الليل افندي راشد في المنيا

في بيروت — سوريا — جورج افندي عبود الاشقر في المطبعة الاميركية

في دمشق — القمرية الاستاذ عمر افندي الطبي

في القدس الشريف ويافا وحيفا الخواجات بولس سعيد ووديع سعيد اصحاب مكتبة فلسطين العلمية

في حمص — سورية — الخوري عيسى اسعد

في الناصرة القس اسعد منصور

في حلب — شارع السويقة — السيد عبد الودود الكيالي صاحب المكتبة العصرية

في صيدا نقولا افندي حريصي داغر — صيدلية الهلال

في حماه السيد طاهر افندي العساني

في البرازيل Snr. Miguel N. Farah
Caixa Postal 1393
São Paulo Brazil

في الارجنتين Sr. Fond Ribeiz
Cordoba 199
Buenos Aires, Rep. Argentina

في الولايات المتحدة والمكسيك وكندا وكوبا Mr. N. Anda
169 Court St.
Brooklyn N.Y.
U. S. A.

لزيادة جميع محاصيل الاراضى

استعملوا

سماد نترات الصودا الشيلى

السماد الازوتي الطبيعي

يحتوي على ١٥٫٥ — ١٦ ٪ من الازوت النتريك سريع الذوبان

اكثر الاسمدة شيوعاً واستعمالاً

يؤثر في اخصاب النبات تأثيراً مباشراً سريعاً منتظماً ظاهراً

يوافق جميع الزراعة ويصلح لكل الاراضي ويؤدي لازدياد محصول القطن والذرة والقمح

تطلب الاستعلامات والنشرات من :

اتحاد منتجي نترات الصودا الشيلي (الادارة الزراعية)

القاهرة — ٤١ شارع قصر النيل تليفون نمرة ٦٤٥٣ عنبة

الاسكندرية — ١ شارع فؤاد تليفون نمرة ٧٦٦٤